ڤيرونيكا روث
VERONICA ROTH



افتراق الأقدار
THE FATES DIVIDE

رواية

ترجمت إلى 30 لغة عالمية



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

افتراق

الأقدار

THE FATES DIVIDE

رواية

فيرونيكا روث

VERONICA ROTH

ترجمة

هيلدا عساف

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة



يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

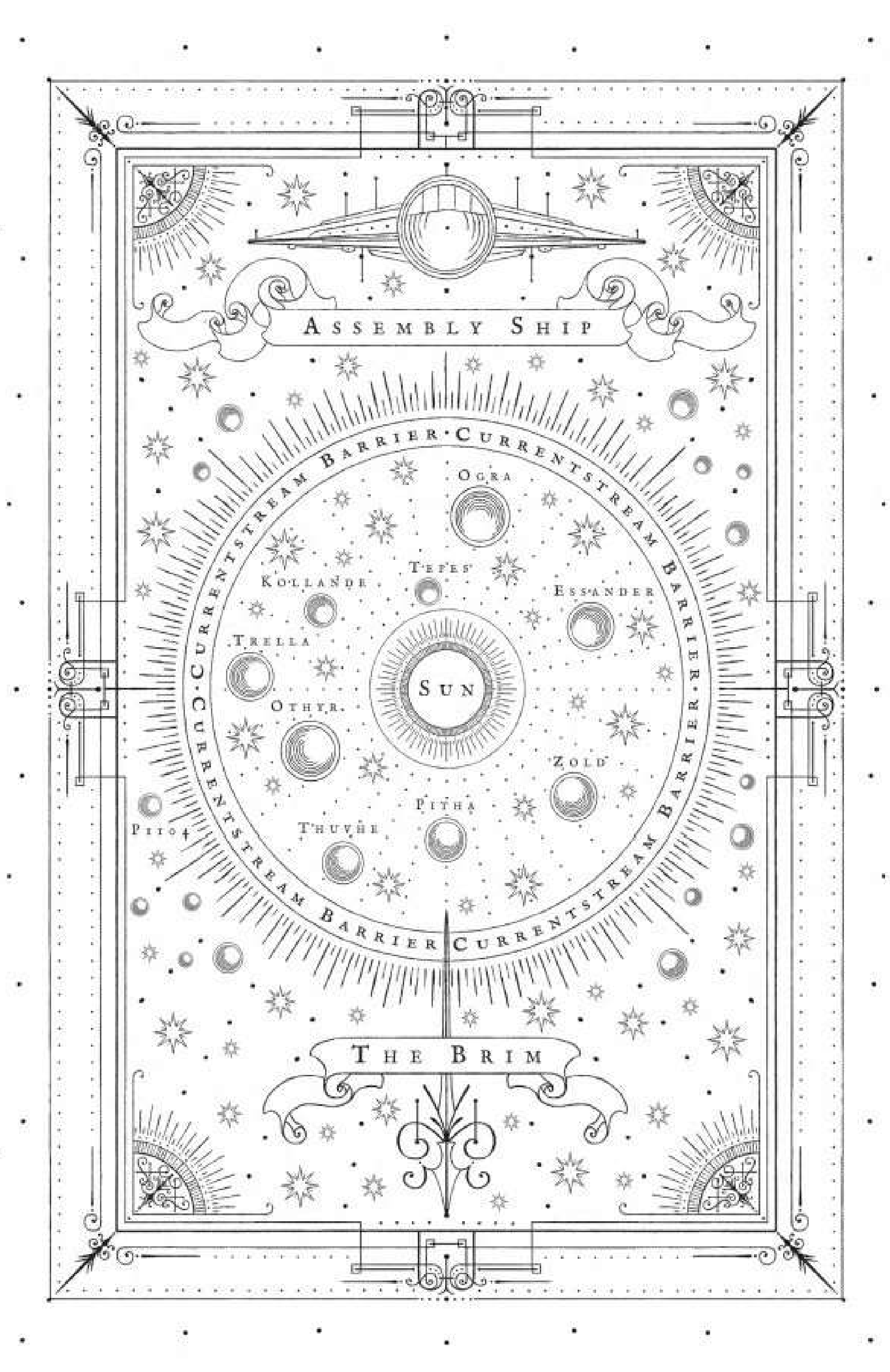
The Fates Divide

الطبعة الأولى: كانون الثاني /يناير 2019 م — 1440 هـ.

ردمك 978-614-3632-5-

تصميم الغلاف: علي القهوجي




Assembly Ship
Currentstream Barrier Currentstream Barrier Currentstream Barrier Currentstream Barrier
Ogra
Tepes
Kollande
Essander
Trella
Sun
Othyr
Zold
Pitha
Thuvhe
Pito
The Brim

إلى أبي ، وأخي فرانك ، وفرانكي ،

وأختي كانديس . ربما لسنا إخوة بالدم ،

لكنني محظوظة جدا أننا عائلة.

تمهيد

إيجية

سألنا أنفسنا: «لماذا الخوف ؟». وأجبنا أنفسنا: «لأنها آتية لتقتلنا».

ذات مرة قلقنا ، لأننا كنا جسدين في جسد واحد في الوقت ذاته ، لقد اعتدنا على الأمر فيما مضى ، منذ أن حصلت الحادثة ، منذ أن تحولت كلّ من الهبتين اللتين نمتلكهما إلى هذه الهبة الجديدة والغريبة. نحن نعلم كيف نتظاهر أننا شخصان بدلا من شخص واحد ، مع أننا نفضّل — عندما نكون بمفردنا — أن نعيش الحقيقة. نحن شخص في جسدين. نحن لسنا على زوريك ، كما كنا في المرة الأخيرة ، ونحن نعلم أين نحن الآن. نحن عائمان في الفضاء ، إحدى زنزانتينا لها نافذة ، إنها ضيقة وفيها ذلك الفراش الرقيق وقنينة ماء ، أما الزنزانة الثانية فهي مستودع تفوح منه رائحة المطهر الشديدة واللاذعة.

الضوء الوحيد في الزنزانة ، يدخل من فتحات التهوئة في الباب. الباب مغلق الآن ، لكنه غير مغلق بإحكام ، ومنه يتسلل ضوء الصالة المتوهج. مددنا يدينا بانسجام ، إحداهما أقصر من الأخرى وأكثر سمرة ، واحدة طويلة وشاحبة وخفيفة ، والأخرى واهنة وثقيلة. كان تأثير الأدوية قد زال من أحد الجسدين ، ولكنه لم يزل من الجسد الآخر. كان قلب أحدنا ثقيلا ومتعبا ، بينما حافظت ضربات قلب الآخر على هدوئها وانتظامها.

قلنا لأنفسنا: «لتقتلنا ، نحن متأكدان أنها ستقتلنا». فقد كنا متيقنين من قدرينا ومن أنها تريد قتلنا.

«الأقدار» هناك تنافر هنا ، مثل شخص يحب شيئا ويكرهه في الوقت نفسه ،

نحن نحب الأقدار ونكرهها ، نحن نؤمن بها ولا نؤمن ، ماذا كانت الكلمة التي اعتادت أمّنا استخدامها ، لدينا أمان ، أبوان ، أختان ، وأخ وحيد فقط. قالت لنا: «تقبلوا قدركم أو تحمّلوه أو عانوا منه». أجبنا: «إنها أوهام للآخرين».



1

شوتيت بلغة ثوفي هي فعل بمعنى: أستطيع، يجدر به، عليّ

1

شوتيت بلغة ثوفي هي فعل بمعنى:

أستطيع ، يجدر به ، عليّ

الفصل الأول

سايرا

لازمت نوفاك ، أبي ، طاغية سابق في شوتيت ، زُعِمَ أنه مات منذ أكثر من عشرة مواسم ، وبالفعل ، أقمنا له جنازة في أول رحلة إقامة مؤقتة تلت موته ، وكرّمنا روحه في السماء ، بإرسال درعه القديم بدلا من جسده الذي لم نعثر عليه.

ولكن أخي ، رايزك ، المحبوس في قاع هذه السفينة ، قال: «لازمت لا يزال حيا».

في بعض الأحيان ، كانت أمي تنادي أبي «لاز» ، لم يكن أحد ليجرؤ على هذا إلا إليرا نوفاك. كانت تقول: «لاز ، دعك من ذلك». وكان يطيعها طالما أنها لم تكن تطلب منه الكثير. كان يكنّ لها احتراما بالغا بالرغم من أنه لم يكن يحترم أي شخص حتى أصدقاءه. لقد كان يعاملها بلطف بعكس ما يعامل الآخرين.

أخي ، الذي بدأ حياته بهناء وسلام ، تحول بعد مدة قصيرة إلى شخص متعصب لدرجة أنه عذّب أخته ، كان قد تعلم هذا التعصب من أبيه.

قبل أن أفهم تماما ماذا تحوي الجرار في غرفة الأسلحة ، ذهبت إلى هناك لأنظر إليها على الأرفف ، كانت تلمع تحت ضوء مصباح خافت. تعكس القزحيات الأخضر والبني والرمادي ، تطفو كالأسماك التي تسبح للوصول إلى سطح الحوض لتحصل على الطعام.

لم يزرع أبي أي صفة أو عادة داخل أحد ، ولم يكن يأمر أحدا ، بل استخدم هبته للتحكم بأجسادهم وإجبارهم على فعل ما يريده منهم من دون أن يتفوه بكلمة.

عندما أتى أكوس كيرسيث ليجدني لاحقا ، كنا على سطح سفينة النقل التي أخذتنا

بعيدا عن موطني وأهلي الشوتيت ، وهم الآن على وشك خوض الحرب مع شعب ثوفي الذي ينتمي أكوس إليه. جلست على كرسي القبطان ، أتحرك إلى الأمام وإلى الخلف محاولة أن أُهدّئ من روعي ، كنت على وشك أن أخبره بما أخبرني به رايزك. إن كان رايزك أخي فإن أبي – إن كان حقا أبي – لا يزال على قيد الحياة. لقد بدا رايزك واثقا أن لا رابطة دم تجمع بيننا ، وأنني لست من آل نوفاك. وهذا يفسر أنني لم أستطع فتح القفل الجيني الذي وضعه بعد محاولة الاغتيال الأولى.

لكنّني لم أعلم كيف أبدأ ، هل أبدأ بموت أبي ؟ أم بجسده الذي لم نعثر عليه ؟ أم أبدأ بذلك الشعور المزعج بأنني ورايزك لسنا متشابهين ، ربما يكون هذا دليلا على أننا لسنا أخوين ؟

لم يبدُ أكوس راغبا بالحديث ، فوضع ملاءة وجدها في مكان ما من السفينة ، بين كرسي القبطان والجدار ، وتمدد هناك ، وأخذ ينظر إلى اللاشيء. شعرت بهبتي تلتف على ذراعيّ وكأنها حبال سوداء تبعث الألم في كامل جسدي نزولا حتى نهاية أصابعي.

لم أكن خائفة من الفراغ الذي كان يشعرني ببساطتي ، وبأنني بالكاد أستحقّ النظرة الأولى ، بل كان ذلك يشعرني بالراحة ، لأنني كنت أعلم أنني قادرة على التسبب في كثير من الأضرار ، وكان هذا يقلقني.

شبك أكوس إصبعه حول خنصري ، عندها شعرت بأن الظلام قد اختفى ، وكأنه غمرني بهبته.

سألني: «هل تستطيعين قول أي شيء بلغة ثوفي ؟».

عندها التفتت ونظرت إليه ، ألفيته ينظر إلى الخارج ، فظهرت تلك الضحكة على شفتيه. رفعت الملاءة بتردد ، وقد تملكتني رغبة بلمسه ، ولكنني تمنيت في الوقت نفسه الاستمتاع بتلك اللحظة من الرغبة المتوقدة. لذا ، وضعت إصبعي على جبينه ومررته على حاجبه.

أجبته: «أنا لست طائرا أليفا أغرد عندما أؤمر».

عندها استدرك قائلا: «إنني لا آمرك، بل أطلب منك. إنه مجرد طلب متواضع، ربما قول اسمي بالكامل بلغة ثوفي».

ضحكتُ: «إنني بالكاد أتذكر اسمك بلغة الشوتيت؟».

«صحيح». أبعد رأسه عن إصبعي، وفتح فمه، وعض يدي، فأفزعني، وضحكت مندهشة. قال لي: «ما كانت أصعب الكلمات عندما كنت مبتدئة في التعليم؟».

أجبته: «أسماء مدنك، يا لها من كلمات تحتاج إلى تشغيل كل عضلة في الفم حتى يتمكن المرء من لفظها». في تلك الأثناء أفلت يدي ليمسك خنصري وإبهامي بيده الأخرى، وقبّل وسط راحتي، حيث كان الجلد سميكا ومتغضنا بسبب حمل السيوف. بالرغم من بساطة القبلة التي طبعها على جلد راحة يدي، إلا أنها جعلت الدفء والراحة يسريان في جسدي، فدبت الحياة في عروقي.

تنهدت، ولم أنبس ببنت شفة. قبل أن أقول: «حسنا، سأقول هيسا، شيسا، أسوك، كانت هناك مستشارة تدعى هيسا الثوفية، اسمها الأخير كان كيرسيث».

فقال أكوس: «كانت المستشارة الوحيدة من عائلة كيرسيث في التاريخ الثوفي». وضعت راحة يدي على خدّه، ثم استندت إلى مرفقي، واتكأت إلى جانبه، انساب شعري إلى الأمام مؤطرا وجهينا. «أعلم ذلك جيدا».

فقلت: «لفترة طويلة من الزمن، لم يكن هناك سوى عائلتين ثوفيتين تمتلكان أقدارا. ومع ذلك، بعيدا عن ذلك الاستثناء الوحيد، فإن القيادة لطالما كانت مع البينيسيت فقط، عندما أسمت الأقدار المستشارة. أليس هذا غريبا بالنسبة إليك؟».

«ربما نحن لا نصلح للقيادة الجيدة».

قلت: «لماذا تقول إن القدر يفضلك ، ربما تكون العروش لعنة».

«كلا ، القدر لا يفضلني». قالها بلطف بالغ ، لدرجة أنني لم أدرك ماذا كان يعني بكلامه هذا. الطفل الثالث لعائلة كيرسيث سوف يموت في خدمة عائلة نوفاك ، كان قدره أن يخون وطنه من أجل خدمة عائلتنا والموت في سبيل ذلك ، كيف يمكن لأي شخص ألا يرى في ذلك إلا المعاناة ؟

هززت رأسي وقلت: « أنا آسفة ، لم أكن أقصد».

قال: «سايرا». ثم توقف ، ونظر إليّ بذلك الوجه العابس وأردف: «هل اعتذرت للتّو ؟».

أجبته: «نعم ، أنا أعلم كيف أتكلم ، ومتى يجب أن أعتذر. لست عديمة الأخلاق بالكامل».

ضحك قائلا: «إنّي أعلم ، فعندما أقول هراء لا أكون أقصد المعنى السلبي».

«حسنا ، أنا أسحب اعتذاري». قرصت أنفه بشدة ، وعندها تراجع خطوة إلى الخلف ضاحكا ، فسألته: «ما معنى كلمة هراء ؟».

عندما ردد كلماتي ، بدت وكأنها انعكست بواسطة مرآة مرة إلى الأمام ومرة إلى الخلف.

قال: «لقد وجدت نقطة ضعفك». عليّ فقط أن أهزأ منك عندما لا تعرفين شيئًا ، فتتشتتين بسرعة.

«هذا منصف ، أظن أنه مسموح لك أن تعلم واحدة من نقاط ضعفي... باعتبار أنك تمتلك الكثير من نقاط الضعف التي يمكنني استغلالها».

نظر إليّ راغبا بالسؤال ، فلكمته أسفل مرفقه الأيسر ، وأتبعتها بضربة عند أعلى

فخذه الأيمن وأتبعتها بركلة على ربلة الساق نفسها ، لقد تعلمت الضرب على تلك الأماكن عندما كنّا نتدرب ، أماكن لم يكن يحميها بشكل كافٍ ، جعلته يتوسل بشدة أكثر من توسله عند الضرب. ولكنني الآن أذيته بلطف أكثر من اللطف الذي ظننت نفسي إنني قادرة عليه ، مستغلة ضحكاته بدلا من توسلاته.

سحبني إلى فوقه ، ممسكا بي من وركي ، ثم زلق يده قليلا تحت حزام سروالي ، شعرت بألم لم يكن مألوفا لديّ قبلا ، ألم لم أكن أمانعه ، فاستلقيت على الملاءة بجانب وجهه ، وأخفضت رأسي ببطء نحوه لتقبيله. لم نتبادل القبل لأكثر من دقائق معدودة ، لم يسبق لي أن قبّلت أحدا غيره ، لذا في كل مرة كنّا نتبادل القبل أشعر وكأنها المرة الأولى لي.

ولكن هذه المرّة لمست حافة الأسنان ، وذروة ذلك اللسان ، شعرت بمرور تلك الركبة بين ركبتيّ ، ووزن تلك اليد خلف عنقي ، يحثني على الاقتراب أكثر والمواصلة بسرعة ، لم أستطع التنفّس ، لم أرد أن أستغرق كل هذا الوقت ، لذلك توقفت ، وانتهى بي الأمر محاولة التقاط أنفاسي بجانب عنقه. ضحك على ما قمت به وقال: «سأعتبر أنني نلت علامة جيدة».

«لا تغتر بنفسك يا كيرسيث».

لم أستطع أن أخفي ابتسامتي. لم يسبق لي أن شعرت بما شعرته حينها ، لقد شعرت بالأمان هنا ، وأنا أطفو في سفينة في وسط المجهول مع أكوس كيرسيث.

فجأة سمعنا صراخا من مكانٍ ما على السفينة ، يبدو أنها أخت أكوس ، سيسي.

الفصل الثاني

سيسي

أنا أعلم جيدا كيف يمكن للمرء أن يشعر عندما يرى عائلته تُقتل أمام عينيه ، أنا بالنهاية سيسي كيرسيث. لقد رأيت والدي مقتولا وجثته ملقاة على أرض غرفة المعيشة في منزلنا ، وشاهدت إيجية وأكوس يؤسران من قبل الجنود الشوتيت ، وشاهدت أمي تختفي كما تختفي خيوط الحرير في ضوء الشمس ، أنا أعلم ما تعنيه الخسارة ، ولكن كل ما في الأمر أنني لا أجيد التعبير عن مشاعري كالآخرين ، فهبتي تقيد يدي وتكمّ فمي.

لذا ، أنا أشعر بالغيرة من إيساي بينيسيت مستشارة ثوفي وصديقتي ، فقد أطلقت العنان لنفسها لتعبّر عن حزنها ، فأنهكتها مشاعرها ، بعد ذلك استلقينا إلى في مطبخ السفينة وغططنا في النوم.

عندما استيقظت ، كان ظهري يؤلمني لأنني استلقيت لفترة طويلة إلى جانب الجدار ، نهضت وناوبت الاستلقاء بين جانبي الأيمن والأيسر ، بينما كانت عيناي تراقبانها وتمسحان جسدها.

لم تكن إيساي على مايرام ، وهذا لا يخفى على كل ذي بصيرة ، وكنت بين الشك واليقين أميل إلى أنها ستقدم على شيء ما ، لكنني لم أكن أعرف كنهه ، فمنذ أن ماتت أوري بالأمس في شوتيت والرغبة بالثأر لمقتلها تعتمر في صدرها.

لقد بدت شاحبة وظهرت ملامح الغضب على وجهها ، حيث ألقى الألم غلالته على وجهها ، وبدت مثل من تؤلمه أسنانه ؛ عيناها زائغتان في أرجاء الغرفة لا تعرفان أين تنظران ، تمايلت بجسدها أمامي ، بطريقة لم تشعرني بالخجل.

حاولت تهدئتها مستخدمة هبتي ، من خلال بث أفكار لطيفة وإيجابية ، ولكن بدا من عدم استجابتها أن هبتي عديمة الفاعلية في الوقت الراهن.

هبتي فريدة من نوعها ، فأنا أستطيع الشعور بما تشعر به من دون أن تكون لديّ القدرة على تغيير هذا الشعور ، ولكنني أظن أنني أستطيع تقديم بعض الاقتراحات. في بعض الأحيان تؤتي مساعيّ أكلها ، ولكن في بعض الأحيان أجد صعوبة في التأثير على الشخص ، خصوصا ، عندما تكون مشاعره جامحة ، وعنيفة ، ومتأججة.

سألتني: «سيسي هل يمكنني الوثوق بك ؟».

يا لها من كلمة مضحكة بلغة ثوفي ، «يمكن». فهي حمالة أوجه ومن معانيها ما يلي: أستطيع ، يجدر به ، عليّ ، وكأنّ جميع هذه المعاني تحتشد في كلمةٍ واحدة. ولا يمكن لأي كان أن يدرك معناها الحقيقي إلا من خلال سياق الحديث. إنها تقود إلى سوء فهم في بعض الأحيان ، ولهذا السبب غالبا ما تُوصف لغتنا بأنها لغة من خارج الكوكب وليست مألوفة ، لا يتكلّمها سوى أناس من كوكب آخر حسب تعبيرهم مثل «سليب بيري» ، وهولاء الناس يوصفون بالكسالى.

عندما سألتني إيساي بينيسيت بلسان أمّي ، إذا كان بمقدورها الوثوق بي ، لم أعلم صراحة ماذا كانت تعني ، ولكن بغض النظر عن ذلك ، هنالك جواب وحيد فقط: «طبعا».

«أنا أعني ما أقوله يا سيسي». قالت ذلك بصوت منخفض ، وهي عادة لا تتحدث هكذا إلا عندما تكون جادة ، وهمست: «هناك أمر لا بد من إتمامه ، وأتطلع لأن ترافقيني ، ولكنني أخشى أنكِ —».

قاطعتها قائلة: «إيساي ، أنا هنا لأقف إلى جانبك أيا كان ما تودين القيام به». ولمست كتفها بلطف وحنان وأردفت «اتفقنا».

فأومأت برأسها.

تقدمتني ونحن خارجتان من المطبخ ، وكانت تحاول ألا تدوس على السكاكين المنتشرة على الأرضية. عندما احتجزت نفسها هنا ، أخرجت جميع الدروج من مكانها وحطّمتها ، حطمت كل ما استطاعت يداها أن تطاله. ولهذا كان الحطام يغطي الأرضية ، وبالطبع لم يسعني ولا يسع سواي لومها فما مرت به بالأمس تنوء بحمله الجبال.

لقد أبقتني هبتي بعيدا عن فعل أو قول أي شيء من الممكن أن يزعج الآخرين أو يشعرهم بعدم الراحة. فبعد رحيل والدي ، لم أكن أستطيع البكاء إلاّ عندما أكون بمفردي ، لم أكن ولم أستطع أن أقول شيئًا لأمي طيلة أشهر. لذا ، لو سنحت لي الفرصة لتدمير المطبخ كما فعلت إيساي ، ما كنت لأتردد بالسير على خطاها.

بصمت ، تتبعت خطى إيساي ، مررنا بجانب جثة أوري ، المغطاة ، التي لا يمكن للرائي أن يرى من فوق الغطاء سوى النتوءات التي تشير إلى كتفيها وأنفها وذقنها.

توقفت إيساي هنا ، وتنهدت مطلقة زفرة ألم وحسرة ، وبدا لي أن أشجانها تحركت مجددا فبدت بحالة مروعة. أعلم أنّي لا أستطيع مساعدتها ، لكنني كنت قلقة للغاية من عدم المحاولة. لقد فكرت للحظة ، بطلب المساعدة.

أكوس وسايرا يقفان في مكان ما من سطح السفينة ، أمي في مكان ما بالأسفل ، وحتى صديقة أكوس وسايرا ، المتمرّدة تيكا متمددة هناك على الكرسي ، ترقد بهدوء بشعرها الأشقر المنسدل من تحت ذلك الغطاء الأبيض ، لم أستطع مناداة أي أحد منهم.

لا يمكنني ، فقط لا يمكنني أن أتسبب عمدا بأي معاناة أو حزن جديد ، أشكر هبتي الملعونة ، وتلك الغريزة الأخرى التي تخبرني بأنّه من الأفضل أن أنال ثقة إيساي.

قادتني إيساي إلى الأسفل ، حيث غرفتا التخزين ، وغرفة الغسيل. أمي في غرفة الغسيل ؛ يمكنني معرفة ذلك من هذه المياه المختلطة بالدماء ، في إحدى غرفتي التخزين ،

تلك المزودة بنافذة ، يقبع أخي إيجية ، لقد تأكدت من ذلك ، تؤلمني رؤيته مجددا ، بعد مدّة طويلة من اختطافه. إنه صغير الحجم مقارنة برايزك نوفاك المحبوس إلى جانبه ، والذي كان كالدعامة الشاحبة الطويلة ، طبعا تظنون أن الإنسان عندما يتقدم في السن ، يفترض به أن يبدو أقوى ، وأكثر سمنة ، ولكن ليس إيجية.

إن إحساسي بالقرب من الرجل الذي أمر بقتل أبي واختطاف أخويّ جعل القشعريرة تجري في جسدي. وقفت إيساي بين الغرفتين ، ولم أرغب أن تدخل غرفة إيجية. أنا أعلم أنّه هو الذي قتل أوري ، وأنّه هو الذي كان يحمل ذلك السكين الذي طعنها ، لكنني أعرف أخي ، يستحيل أن يقتل أحدا ، وخاصّة إذا كان ذلك الشخص صديقة طفولته ، يجب أن يكون هنالك تفسير آخر لما حصل ، لا بد أن رايزك كان يتحكم فيه.

قلت: «إيساي ، ماذا تفيد —» فوضعت ثلاثة من أصابعها على شفتيها. وقفت تماما بين الغرفتين ، تفكّر بفعل شيء ما. بدت وكأنها تحاول اتّباع غريزتها في التفكير ، أخرجت مفتاحا من جيبها ، لا بدّ من أنها سرقته من تيكا ، عندما خرجت للتأكد من أنّنا نتوجّه إلى المقرّ الرئيسي ، مقر المجلس.

أدخلت المفتاح في قفل زنزانة رايزك ، فأسرعت نحوها ، وأمسكت يدها ، وقلت لها: «إنّه خطير يا إيساي». فأجابتني: «لا تخافي ، يمكنني تدبر أمره». مررت يديّ على وجهها وحول عينيها بغاية اللطف وقلت «أعدك ، لن أدعه يلحق بك أذى». ثم تركتها تمضي في ما عزمت عليه. لم أستطع أن أنكر ذلك الجزء في داخلي الذي يتعطش لرؤيته ، يتعطش لرؤية ذلك المتوحش في النهاية.

فتحتْ الباب ، وإذ به جالس يسند ظهره إلى الجدار. كماه ملفوفان ، وقدماه ممدودتان إلى الأمام. كانت أصابع قدميه طويلة ، ونحيلة. لقد نظرت إليه شزرا ، هل ينبغي أن تبدو أقدام الطغاة الساديين مثيرة للشفقة ؟

لم تكن إيساي لتكشف أنها خائفة ، حتى وإن كانت تشعر بالخوف حقا ، وقفت

شابكة يديها أمامها ، رافعة رأسها ونظرت إليه من الأعلى موحية بثقة واضحة بالنفس.

قال رايزك: «لم يصدمني مقدار التشابه بين التوائم يوما ، تبدين نسخة طبق الأصل عن أوري ، باستثناء تلك الندوب ، منذ متى وهذه الندوب تشكل لديك علامة فارقة ؟».

قالت إيساي بصرامة: «منذ موسمين».

إنّها تتحدث معه ، إنّها تتحدث مع رايزك نوفاك ، إنّها تتحدث مع عدويّ اللدود الذي أقسمتُ على قتله ، خاطف أختها ، الذي ملأت يداه تلك العلامات التي تروي قصص قتلاه.

قال رايزك: «للأسف سوف تختفي هذه الوشوم ، بالرغم من أنها تزين ساعديّ».

فقالت: «نعم إنها تحفة فنيّة ، ولكن الفنان لا يعدو كونه حشرة أنهت للتو الحفر في كومة من القمامة».

حدقت إليها مندهشة ، لم أسمعها تتحدث بهذه القسوة عن الشوتيت من قبل ، إنها ليست إيساي التي أعرفها.

«حشرة» هي الكلمة التي كان يطلقها الناس على الشوتيت عندما يريدون إهانتهم ، وهذه الحشرة هي عبارة عن دودة رماديّة اللون ، متمايلة الشكل ، تتغذى على الكائنات الحيّة والطفيليات من الداخل صعودا إلى الخارج.

اتسعت ابتسامة رايزك ، وظهرت تلك الكآبة الصغيرة المخفية في وجنتيه ، قدح شيء ما عنه من ذاكرتي للحظة ، ربما يكون هذا الشيء مشتركا مع سايرا ، مع أنّهما لا يشبهان بعضهما أبدا.

«حسنا ، هذا الحقد الذي تكنّه لشعبي لا يقتصر وجوده داخلك فحسب».

أجابها: «لا». أقعت على مقربة منه، ووضعت مرفقيها على ركبتيها. حاولت أن تبدو لطيفة، ورشيقة، ومتّزنة، لكنّي كنت قلقة عليها بالرغم من ذلك. إنّها طويلة ورشيقة القوام ولكنّها ليست قوية وصلبة بقدر رايزك الضخم بالرغم من أنه نحيل الجسد. حركة خاطئة واحدة منها وينقضّ عليها، عندها ماذا يمكنني أن أفعل لإيقافه؟ هل أصرخ؟

أشارت إيساي إلى يد رايزك قائلة: «أظنّ أنّك تعلم بشأن العلامات، هل يمكنك أن تضيف علامة قتل أختي إلى وشوم ساعدك؟».

لم يكن هناك أي علامة على الجهة الداخلية من ساعده الشاحب والنحيل، كانت العلامات قد بدأت من الخارج، تصطف إلى جوار بعضها صفا تلو الآخر، وكان هنالك أكثر من صفّ واحد.

سألها رايزك: «لماذا؟ هل جلبتِ لي سكينا وبعضا من الحبر؟». عضت إيساي على شفتيها كاظمة غضبها، فتحولت مشاعرها التي كانت صلبة قاسية واثقة في البداية إلى حطام وكأنّها كانت صخرة وتحطمت إلى أشلاء.

تراجعت لا إراديا، حتى أصبح مقبض الباب خلفي.

قالت إيساي: «هل تدّعي دائما القتل وأنت لم تمارسه في الواقع؟». لأنّني في المرّة الأخيرة تحققت من الموضوع، ولم تكن أنت ذلك البطل الشجاع مع ذلك السكين.

فجأة لمعت عينا رايزك.

«أتساءل إن سبق لك أن قتلت أحدا، وهل هذه العلامات على يديك من صنعك أم صنعها لك آخرون». أمالت رأسها وتابعت: «آخرون لا يشبهونك أبدا».

لقد كانت تتكلم بلغة الشوتيت، وكانت كلماتها جارحة، إهانة لن يستطيع أي ثوفي استيعابها، ولكن مع ذلك لملم رايزك شتات نفسه، ونظر إليها بنزق، وقال دون أن ينظر إليّ: «أنتِ تشبهين أخويكِ إلى حدّ كبير»، نظر إليّ شزرا وتابع: «ألا تشعرين بالفضول

حيال ما أصابه؟».

أردت الإجابة بلطفٍ وهدوء، محاولة التقليل من شأن رايزك وكأنّي لا أهابه، أردت النظر إلى عينيه القاسيتين الجامحتين، أردت أن أحرر الرغبة بالانتقام التي طالما اعترتني، وكنت على وشك التكلم، لكن الكلمات خانتني.

حسنا، أعتقد أنّي أظهرت هبتي للعلن للحظة، وكأني صفقت بكفّي لجذب انتباه من حولي، أدركت حينها، أن ليس كل من حولي يمتلكون قدرة التحكم بهباتهم مثلي، وتمنيت لو أنني أستطيع التحكم بذلك الجزء اللعين داخلي الذي يجنّبني قول ما أريد.

أرى كيف شعر رايزك بالهدوء والاسترخاء عندما استطاع ملاحظة هبتي، التي لم تشعر بها إيساي، لم ألحظ أنّها شعرت بها على أيّةِ حال، ولكن ربما تربط لسانه وتمنعه من التكلم.

بغضّ النظر عمّا كانت تفكر إيساي في فعله، فهي بالتأكيد أرادته أن يشرع أولا بالكلام.

قال رايزك: «لقد علّمني أبي لازمت نوفاك العظيم، أن من يستطيع تطويع الناس بشكل جيد، يستطيع استخدامهم مثل السيوف، ولكن بالرغم من ذلك يجب أن لا أنسى أن أفضل أسلحتي هي أنا بحدّ ذاتي. أيتها المستشارة، إنّ بعض الجرائم التي أمرت بها، قام بها أناس آخرون، لكن تأكدي، إنّ هذه الجرائم تنسب إليّ بالنهاية».

ركع رايزك، واضعا يديه بينهما. وقال: «سأضع علامة قتل أختكِ على ساعدي، ستكون تذكارا جميلا أضيفه إلى مجموعتي».

أوري.. أتذكر نوع الشاي الذي كانت تشربه صباحا (شاي أسود، نقي)، أذكر كم كانت تكره رقاقة البطاطا تلك التي تعلق في مقدمة أسنانها. سمعت هتاف الشوتيت في آذاني: «الموت لكِ، الموت لكِ، الموت لكِ».

قالت إيساي: «أظنّ أن ذلك يوضح بعض الأمور».

مدت يدها إليه ، ونظرت إليه نظرة غريبة ، تعجبت كيف يقبل شخص بمصافحة من أمر بقتل أخته ، ويقدم على ذلك بفخر.

قال: «أنت حقا شخص غريب ، يبدو أنك لم تكوني تحبين أختك حبا جما ، وإلا كيف يمكنني تفسير أنك تريدين مصافحتي».

أمكنني رؤية الجلد المشدود عند براجمها ، في اليد التي تمدها ، أرخت قبضتها ، وقرّبت أصابعها قليلا نحو حذائها.

أمسك رايزك بيدها الممدودة نحوه ، جحظت عيناها: «على العكس لقد أحببتها أكثر من أي شخص آخر». وشدت على يده بقوّة ، فغرزت أظافرها بجلده ، أثناء ذلك مدت يدها نحو حذائها.

كنت مصدومة للغاية لأدرك ماذا يحدث. لقد أخرجت سكينا من حذائها بيدها اليسرى ، وجذبته نحوها وطعنته ، أعادني أنينه بالذاكرة إلى غرفة المعيشة في منزلنا لقد عادت بي الذاكرة إلى أيام مراهقتي ، إلى تلك الدماء التي مسحتها عن الأرض ، وإلى تلك الدموع التي انسكبت.

سقط رايزك على ركبتيه نازفا. فأغلقت الباب بسرعة ، وهرعت إلى الرواق نائحة ، أصطدم بالجدران ، لا ، لا ، هبتي لن تسمح لي.

لم تسمح لي بفعل شيء في النهاية إلا تلك الصرخة الوحيدة الضعيفة التي تركتها خلفي.

هلعتُ وهرعتُ إلى المكان الذي صدرت منه صرخة سيسي كيرسيث ، وكان أكوس في أثري ، غير آبه بدرجات السلم. قفزتُ نحو أسفل السفينة وتوجهت نحو زنزانة رايزك ، متأكدة من أنه مصدر كل شيء تسبب في البكاء على متن هذه السفينة ، فرأيت سيسي في الرواق تستند إلى الجدار ، وباب غرفة التخزين قبالتها مفتوح ، حين سمعتْ تيكا الصراخ ، أتت من الجهة الأخرى للسفينة.

بقيت إيساي بينيسيت داخل زنزانة رايزك ، وقد تكوم أخي أسفل قدميها. وجدت نفسي في الموقف نفسه الذي وجِد فيه أكوس عندما رأى والده يُحتضر على الأرض.

لقد استغرق احتضار رايزك وقتا طويلا ، أكثر مما توقعت. افترضت أن إيساي لم تطعنه في مكان يموت فيه فورا ، لقد بقيتْ إلى جانبه ، ترمش ، متيقظة. أرادت أن تشفي غليلها بمشاهدة قاتل أختها يُحتضر ، كما أرادت أن تستمتع بالثأر لأختها ، أو لنقل الثأر من أحد القاتلين ، لأن إيجية الذي كان يحمل السكين لا يزال حيا في الزنزانة المجاورة.

لقد رآني رايزك ، وكأنه لمسني. عمتُ في الذكريات ، ليس في الذكرى التي سلبها رايزك مني ، ولكن تلك الذكرى التي كنت قد أخفيتها عن نفسي.

كنت في الممرّ خلف قاعة الأسلحة ، أختلس النظر من شق في الجدار ، ذهبت إلى هناك للتجسّس على أبي المجتمع مع رجل أعمال وسمسار من شوتيت ، لأني لطالما تجسّست على اجتماعات والدي عندما كنت أشعر بالملل وينتابني الفضول لمعرفة ما يجري في هذا المنزل. ولكن هذا الاجتماع سلك دربا مختلفا ، بالرغم من أنه كان يجري على خير ما يرام عندما بدأت باختلاس النظر إليهما. رفع والدي يده عاليا ، وشبك إصبعين معا ، وكأنّه الكاهن «زولدان» على وشك أن يتلو صلاته. سحب الرجل سكينه ، بحركة متشنجة ، وكأنه يقاتل عضلاته بنفسه.

غرس السكين في عينه.

همس صوت خلفي «سايرا» ، زحف رايزك على ركبتيه ويديه حتى أصبح إلى جانبي ، لمس وجهي بلطف ، لم أدرك قبل هذه اللحظة أني كنت أبكي. بينما بدأ الصراخ في الغرفة المجاورة ، وضع راحة يده على وجهي وجذب رأسي إلى صدره.

في البدء ، حاولت المقاومة ، ولكنه كان قويا جدا. كل ما استطعت سماعه هو صوت دقّات قلبي السريعة.

في النهاية ، أبعدني عنه ، ومسح الدموع عن وجنتيّ وقال: «ماذا اعتادت أمّنا أن تقول ؟ أولئك الذين يبحثون عن الألم...».

أكملت العبارة قائلة: «يجدونه دائما».

أمسكتني تيكا من كتفيّ ، وهزتني قليلا ، ونادت باسمي ، فنظرت إليها مرتبكة.

سألتها: «ما الذي يحصل ؟».

قالت: «إن...» وهزت برأسها «لا شيء مهم».

لقد أدركت ما كانت تقصد. خرجت هبتي عن السيطرة ، ترسل حبالا سوداء تلتف على كل جسدي. تغيرت آلامي منذ حاول رايزك استغلالي لتعذيب أكوس في الزنزانة تحت المسرح. لقد ظهرت على سطح جلدي الآن ، بدلا من الاختباء تحته كالعروق السوداء فيه. كانت لا تزال تؤلمني ، وكانت رؤيتي مشوشة ، وكان هناك آثار أظافر على راحة يديّ.

شاهدت أكوس راكعا بالقرب من دماء أخي النازفة ، يضع أصابعه على عنق رايزك ، شاهدته ويده تسقط أرضا ، ينهار ويدفع بنفسه فوق أغراضه.

قال أكوس بصوت رخيم: «لقد انتهى بالرغم من كل ما قامت به سايرا لمساعدتي».

فقالت إيساي: «لست متأسفة ، فقد رحل غير مأسوف عليه». وأشاحت بنظرها

عن رايزك ، وجالت بعينيها على وجوهنا جميعا.

كان أكوس غارقا في بركة الدماء ، بينما كانت تحدق إلى كتفي ويديّ السوداوين اللتين تتدليان أمامي ، أما سيسي فوضعت يديها على بطنها حيث كانت تقف مستندة إلى الجدار.

قالت إيساي: «قتل أختي. لقد كان مستبدّا ومعذّبا وقاتلا. لست متأسفة».

«لا داعي للأسف عليه ، أتظنين أنني لم أرد أن أراه ميتا ؟». حرك أكوس نفسه بصعوبة ، كانت الدماء تلطخ بنطاله من الركبتين حتى الكاحلين «إنه يستحق ما آل إليه مصيره ، لقد آذاني أكثر مما آذاكِ ، كل ما في الأمر أنني أردته أن يصلح ما أفسده في إيجية».

لقد ثابر أكوس ونسّق كل شيءٍ بحذرٍ تامّ لإنقاذ أخيه ، ليجد نفسه محبوسا ، مرارا وتكرارا ، من قِبل أشخاصٍ كانوا أقوى منه. والآن ، نجح في إخراج أخيه من شوتيت ، ولكنّه لم ينقذه ، لقد ذهبت خططه ، ومحاولاته لإنقاذه سدى. اتكأ أكوس على الجدار الأقرب إليه ليسند نفسه ، أغمض عينيه ، بالعا أنّاته.

بعد أن أفقت من غيبوبتي قلت لإيساي: «اصعدي إلى الأعلى ، وخذي سيسي معك».

نظرت إليّ وكأنّها لا تريد الصعود ، ولكنّها لم تطل الوقوف ، رمت سلاح الجريمة البسيط على الأرض ، وتوجهت نحو سيسي.

قلت: «تيكا ، رافقي أكوس إلى الأعلى من فضلك ؟».

فسألتني تيكا: «هل أنت...» ثم توقفت قائلة: «حسنا».

غادر أكوس وإيساي وسيسي وتيكا ، وتركوني بمفردي مع جثة أخي الممددة على الأرض وإلى جانبه خرقة وزجاجة سائل. كم هذا مريح على ما أظن ، شعرت بالرغبة بإطلاق

ضحكة حبستها في صدري أو ظننت أنني حاولت ، ولكنني لم أعد أطيق صبرا على حبسها ، وفي غضون لحظات لم تعد قدماي قادرتين على حملي من شدة الضحك. مسّدت شعري عند جانب رأسي متذكرة كم جرحني وجعلني أبدو سخيفة وكأني لعبة بين يديه ، وكيف زرع أجزاء منه داخلي ، وكأنّني أرض قاحلة ، لم ينمُ فيها سوى الألم. كان جسدي مليئًا بتلك الندبات التي سببها لي رايزك.

والآن ، وأخيرا ، تحرّرت من سيطرته.

عندما هدأت ، كنت على وشك البدء بتنظيف الفوضى التي سببتها إيساي. لم أشعر بالخوف من جسد رايزك ، ولا من دمه أيضا. سحبته من رجليه إلى الرواق ، شعرت بالعرق ينساب خلف عنقي كلما سحبته أكثر ، لقد أصبح بعد مقتله أثقل وزنا مما كان عليه وهو حي. عندما ظهرت والدة أكوس الكاهنة سيفا لمساعدتي ، لم أقل لها شيئًا ، شاهدتها فقط وهي تضع غطاء أبيض إلى جانبه لنتمكن من تغطيته. أعدّت إبرة وخيطا كانت قد جلبتهما من المستودع ، وساعدتني في تقطيب الغطاء مؤقتا.

في شوتيت يشعلون نارا في الجنازات كما هي حال أغلب الثقافات في عالمنا. ولكنه كان شرف مميز أن يموت في هذا العالم ، وفي هذه الرحلة المؤقتة. نحن نغطي الجثث ، ما عدا الرأس ، ليتمكن المقربون من الميت من إلقاء النظرة الأخيرة عليه ، عندما كشفت سيفا الغطاء عن وجه رايزك ، علمت أنها كانت قد درست عاداتنا.

أخيرا ، قالت سيفا وهي تمسح العرق عن جبينها: «لا أدري كيف ستجري الأمور الآن ، فالاحتمالات مفتوحة على مصاريعها ، لم أتوقع حدوث هذا ، لذا لم أحذرك». فرفعت كتفي وقلت لها: «لا ، لم يكن عليكِ ذلك ، أنتِ فقط تدخّلتِ في الوقت المناسب».

«سايرا...».

قلت: «لست حزينة ، أنا أكرهه. ولكن لا تحاولي التظاهر أنكِ قلقة عليّ».

فردت عليّ قائلة: «أنا لا أتظاهر».

توقّعت أن أرى بعضا من صفات أكوس فيها، وفي سلوكها وتصرفاتها. في الحقيقة، قساوة يديها وحركة حاجبيها كانت مثل أكوس، ولكن بشرتها الناصعة واعتدال قوامها كانا بخلاف أكوس.

لم أعلم كيف أمدح إخلاصها وصدقها، لذلك التزمت الصمت.

قلت لها: «ساعديني على حمله إلى كوّة القمامة. حملتُ الجثة من الجزء الأثقل الرأس والكتفان، وحملت هي من رجليه. كنّا محظوظتين أن كوة القمامة لا تبعد إلا أقداما قليلة عنا، وتلك كانت صدفة أخرى غير متوقعة. نقلناه على مراحل، كل خطوة على حدة. تمايل رأس رايزك وعيناه مفتوحتان لا تريان شيئًا، ولكن لم يكن هناك شيء أستطيع فعله حيالهما.

أجلسته بجانب الكوة، وضغطت على الزر لأفتح مجموعة الأبواب الأولى.

من حسن حظنّا أنه كان نحيل الجسد وكتفيه ضيقتين، رفعته وسيفا، وأدخلناه الكوة، وثنينا ساقيه لتستطيع الأبواب الداخلية الإغلاق. وعندما أصبحت ساقاه في الداخل، ضغطتُ على الزر مجددا لأفتح الأبواب الخارجية، وأدخلت الصينية في الكوّة لتطلق جسمه إلى الفضاء.

قالت سيفا: «أستطيع تلاوة الصلاة إذا أردتني أن أتلوها». هززت رأسي.

قلت لها: «لقد تلونا تلك الصلاة في جنازة أمي.. لا أريد».

فقالت سيفا: «إذا دعينا نعترف أن مصيره كان مأساويا».

قلت: «أنا ذاهبة للاغتسال». كانت الدماء على ساعديّ على وشك الجفاف.

بدورها قالت سيفا: «قبل أن تغتسلي، عليّ أن أحذرك من هذا. لم يكن رايزك

الشخص الوحيد الذي اتّهمته المستشارة بمقتل أختها. في الواقع ، بدأت به أولا لأنها كانت توفّر الأشخاص الأكثر أهمية بالنسبة إليها للنهاية. ولن تتوقف هناك فقط. لقد رأيت ما يكفي عنها لأعرف طبيعتها ، إنها غير متسامحة».

نظرت إليها بلمحة قبل أن أستدرك الأمر. كانت تتحدث عن إيجية الذي لا يزال محبوسا في غرفة التخزين الأخرى. وليس إيجية فقط ، بل بقية المتواطئين.

قالت سيفا: «هناك حجرة هروب ، يمكننا وضعها فيها ، ريثما ينظر بأمرها أحد أفراد المجلس».

«أخبري أكوس أنّ يخدّرها ، لا أشعر أني قادرة على القتال الآن».

الفصل الرابع

أكوس

توجه أكوس إلى مطبخ السفينة حيث كانت السكاكين مبعثرة على الأرضية ، كانت المياه ساخنة ، فوضع المخدر في الشاي. مضت السفينة قُدما ، وبينما كان يسير ، داس بكعب رجله على شوكة طعام ، ما جعل أسنانه تصطك.

لعن غباءه الذي لم يستطع التوقف عن إخباره أن هناك أملا لإيجية. هناك كثير من الناس عبر هذه المجرة يمتلكون هبات كثيرة. أحد ما سوف يرشده إلى الطريق الصحيح.

تعب أكوس من التعلّق بالأمل ، لقد كان يتشبث به منذ وصوله بداية إلى شوتيت ، والآن كان جاهزا أن يذهب ، ويدع قدره يقوده إلى المكان الذي يريده أن يذهب إليه. إلى الموت ، والنوفاك ، والشوتيت.

كان كل ما وعد به أباه أنه سيعيد إيجية إلى المنزل. لربما كان أفضل ما استطاع فعله هو الطواف هنا في الفضاء. ولربما كان ذلك كافيا.

ولكن –

قال لنفسه: «اخرس». ودس الأعشاب التي جلبها من مطبخ السفينة في المصفاة.

لقد تعلم ما يكفي عن أعشاب شوتيت ليصنع مهدئا بسيطا. في هذه اللحظة ، وبالرغم من أنه لم يتقن الصناعة جيدا ، كان يدسّها في المصفاة ، ويضع قطعا من جذور الغاروك في بودرة قشرة الفينزو مضيفا رحيقا على سطحها من أجل الطعم. لم يكن يعرف حتى اسم النباتات التي تشكّل الرحيق ، لقد اعتاد عندما كان في معسكر التدريب خارج فوا

أن يسمي هذه الأزهار الهشة بالهاشفلور بسبب سهولة تفككها ، ولكنه لم يتعرف إلى اسمها الصحيح. طعمها حلو ، ويبدو أن هذا هو الاستخدام الوحيد لها.

عندما أصبحت المياه ساخنة ، سكبها عبر المصفاة ، كان لون المستخلص بنيا غامقا ، وهذا ما جعله مثاليا لإخفاء لون المسكن الأصفر. أخبرته أمّه أن يخدّر إيساي ، ولم يسألها عن السبب. لم يهتم ، طالما أنها ستختفي من أمام عينيه. لم يتمكن بعد من نسيان صورتها وهي تقف أمام جثة رايزك الغارق بدمه وكأنها تشاهد عرضا خلابا.

صحيح أن لإيساي بينيسيت وجه أوري ، ولكنهما في المضمون مختلفتين تماما. لم يستطع أكوس تخيّل أوري تقف وتشاهد احتضار شخص ما ، وإن كانت تكرهه. ما إن تخمّر النقيع الذي خلطه بالمسكن ، حتى أعطاه لسيسي التي كانت جالسة وحدها خارج المطبخ.

سألها: «أنتِ تنتظرينني ؟».

أجابته: «لقد طلبت مني أمي أن أنتظرك».

قال: «جيد ، هل يمكنكِ أخذ هذا لإيساي ، إنه فقط لتهدئتها». رفعت سيسي حاجبها مستغربة.

أضاف: «لا تشربي أيّا منه».

اقتربت منه ، وبدلا من أن تأخذ الكوب ، وضعت يدها على معصمه. تغيّرت تلك النظرة في عينيها ، كانت قاسية ، كما كانت دائما في السابق عندما أضعفتها هبته.

سألت: «ماذا تبقّى من إيجية ؟».

ارتعش جسم أكوس ، لم يكن يريد التفكير في ما تبقى لإيجية.

قال: «شخص ما خدم رايزك نوفاك ، شخص لطالما كرهني ، وأبي ، وربما كرهك

أنتِ وأمي أيضا».

قالت معربة عن استيائها: «كيف هذا. لا يمكنه أن يكرهنا فقط لأن شخصا ما كان قد زرع ذكرياتٍ مختلفة في رأسه».

«هل تظنين أن لديّ جواب؟». زعق أكوس.

«إذا، ربما...».

«لقد احتجزني وقام أحدهم بتعذيبي». دفع أكوس الكوب في يديها.

انسكب القليل من الشاي الساخن على يديها. سحبت سيسي يدها منزعجة، ومسحتها بثيابها.

سألها لامسا يديها بلطف: «هل تأذيتِ؟».

قالت: «لا». عاد الحنان الذي في داخلها ليظهر، ولكن أكوس لم يرد أي نوع من الحنان، لذا، استدار وهم بالابتعاد.

قالت سيسي وهي تنقر بأصبعها على الكوب: «هذا الشراب لن يؤذيها، صحيح؟».

قال: «لا لن يؤذيها، بل الهدف منه أن لا تؤذي أو تلحق الضرر أكثر».

قالت سيسي: «حسنا، سأعطيها إيّاه».

همهم أكوس قليلا وذهب. كان هناك بعض من المخدّر على حزامه، ربّما يتوجب عليه أخذه. لم يكن يرتدي كامل ثيابه، بل كانت أسمالا يمر الضوء من خلال خيوطها.

بدلا من تخدير نفسه والغرق في النسيان، أخرج هاشفلور جافة من جيبه وحشرها بين خدّه وأسنانه. لن تتسبّب له بضرر، ولكنّها ستريحه بعض الشيء. إنها أفضل من لا شيء. بعد ساعة عندما عادت سيسي كان مفعول الهاشفلور قد سرى في جسمه.

قالت: «لقد شربت المخدر».

قال أكوس: «حسنا ، لنضعها إذا في حجرة الهروب».

قالت سيسي: «سأذهب معها ، إذا كانت أمّي محقّة بأننا متجهون إلى الحرب».

«نعم أمّي محقّة».

قالت سيسي: «في هذه الحالة كل من هو ضد إيساي ، هو ضد ثوفي ، لذلك سأبقى مع مستشارتي».

أومأ أكوس.

قالت سيسي: «سأعتبر أنك لن تكون ضد إيساي».

سألها: «أتذكرين مصير الخائن ؟».

جثت سيسي أمامه وقالت: «أكوس». عندها جلس أكوس على المقعد الصلب والبارد ، الذي تفوح منه رائحة المطهّر. وضعت سيسي ذراعها على ركبته. جمعت إلى الخلف شعرها المبعثر ، الذي كان قد انسدلت منه بعض الخصل حول وجهها. لقد كانت أخته فاتنة ببشرتها السمراء الفاتحة ، التي ذكّرته بلون الفخار التريلاني. كانت بشرتها تشبه بشرة سايرا ، وإيجية ، وجوريك.

قالت سيسي: «لا تقم بما لا تريد القيام به ، لمجرد أن أمّنا ربّتنا على الصدق والطاعة وما إلى ذلك ، أنت ثوفي ، عليك الذهاب معي. دعِ الآخرين لحربهم ، ولنعد إلى ديارنا فلا أحد يحتاج إلينا».

فكّر أكوس بما قالته. لقد كانت تتنازعه الأفكار الآن كما لم يكن في أي وقت مضى ، ليس بسبب قدرِه فحسب. عندما زال مفعول أزهار الهاشفلور ، كان قد تذكّر كم كان لطيفا ذلك الشعور ، شعور الضحك مع سايرا مؤخرا ذلك اليوم ، وكم كانت عطوفة ، عندما

كانت إلى جانبه. تذكر هذا ورغب به كما رغب أيضا بالوجود في منزله ، والاستيقاظ على صرير الأدراج ورائحة الخشب الجاف المحترق في الفناء ، والطحين الذي كان يتطاير في الهواء عندما كان يخبز العجين لصنع الخبز ، كان عليه العيش في العالم الحقيقي. ذلك العالم حيث إيجية محطم ، وهو يتكلم لغة الشوتيت ، وقدره لا يتغير.

قال: «يجب أن يعاني المرء مع قدره ، لأن كل شيء عدا ذلك هو وهم».

تنهدت سيسي وقالت: «توقعت أن تقول ما قلته ، ولكن في بعض الأحيان يكون الوهم جميلا».

فقال ممسكا يدها: «أبقي في أمان ، اتّفقنا ؟ أتمنى أن تعلمي أنني لا أريد الافتراق عنك مجددا ، إنّه بالتأكيد الشيء الأخير الذي أريده».

ضغطت على يده قائلة: «أعلم ذلك. أنت تعلم أنني أؤمن بأنه سيأتي يوم تعود فيه إلى المنزل ، ويكون إيجية بخير ، وستتوقف أمي عن هراء الكهنة هذا ، وسيلتم شملنا من جديد».

«نعم». حاول الابتسام ، ولكن الابتسامة لم تكن كاملة.

لقد ساعدته في وضع إيساي في حجرة الهروب.

بعد ذلك ، قبّلت سيسي أمّهما قبلة الوداع ، وضمت يديها على خصر أكوس حتى سرت حرارتهما إلى أنحاء جسده.

«اللعنة أنت طويل جدا». قالت ذلك في غاية اللطف وهي تبتعد. «من طلب منك أن تصبح أطول مني ؟».

أجابها وقد ارتسمت ابتسامة عريضة: «لم يطلب مني أحد ، أنا أصبحت طويلا لأغيظك».

عندما دخلت الحجرة، أغلق جميع الأبواب. ولم يكن يعلم متى سيراها مجددا.

جلست تيكا بسرعة على كرسيّ القبطان على متن السفينة، ونزعت غطاء لوحة التحكم بأداةٍ حادة كانت قد احتفظت بها في حزامها. لقد فعلت ذلك بمنتهى السهولة.

سألتها سايرا: «ماذا تفعلين؟ الوقت غير مناسب لتحطيم سفينتنا».

قالت تيكا والشرر يتطاير من عينيها الزرقاوين: «أولا هذه سفينتي وليست سفينتنا، لقد صمّمتُ أغلب المقوّمات التي أبقتنا على قيد الحياة إلى حدّ الآن، ثانيا، هل ما زلتِ حقا تريدين الذهاب إلى مقرّ المجلس؟».

«لا»، جلست سايرا على كرسي المسؤول الأوّل، إلى يمين تيكا وقالت: «في المرّة الأخيرة التي ذهبتُ فيها إلى هناك، سمعت بالصدفة ممثلة تريللا تقول عن أمي إنها قطعة قذارة. لم تعتقد أنني أستطيع فهمها بالرغم من أنها كانت تتكلم الأوثرية.

أصدرت تيكا صوتا غريبا من فمها، بينما كانت تسحب بعضا من الأسلاك من لوحة التحكم، والتقطتها بأصابعها بقوة. مدّت يدها تحت الأسلاك لتفصلها عن لوحة المفاتيح، ولم يكن أكوس قادرا على رؤية ما تقوم به يدها المخفية بالكامل في الأسفل. أضاء مؤشر الإحداثيات، ولمع عبر المسار. لقد كان أكوس متأكّدا من أنه يوجد اسم تقني لأنف السفينة، ولكنه لم يعرفه، لذا أطلق عليها اسم «أنف»، ثم انجرفوا باتجاه التيار بدلا من الابتعاد عنه.

سألها أكوس: «هل ستخبريننا إلى أين نحن متوجهون؟».

على متن السفينة، بدأت لوحة التحكم بالإضاءة بكل الألوان المختلفة، بما في ذلك العتلات والأزرار. لو مدّت تيكا يديها الطويلتين إلى أقصى مدى تصلان إليه، لن تستطيع من مكان جلوسها بلوغ جميع الأزرار دفعة واحدة.

قالت تيكا: «أظنّ أنني أستطيع أن أخبرك بوجهتنا، بما أننا الآن عالقون في كل

هذا معا». ربطت شعرها بأعلى رأسها بربطة سميكة كانت تضعها حول رسغها. بوجودها أمام مجموعة الأزرار تلك، وساقاها مطويتان تحت كرسي القبطان، بدت وكأنها طفل يلعب ألعاب الفيديو.

«نحن ذاهبون إلى مستعمرة المنفيين. في أوغرا».

أوغرا، «الكوكب المظلم»، كما يسميه الناس. كان من النادر أن تقابل شخصا أوغريا، ناهيك عن سفينة تحلّق في أفق أوغرا. لقد كان بعيدا جدا عن ثوفي، ولا يمكن لأي وسيلة أن تتيح النظر عبر غلافه الجوي الكثيف، كان غلافا مظلما، وكان من المستغرب كيف أنهم يستطيعون استقبال إشارات من مصدر الأخبار. لم يستطيعوا تدوين وحفظ أي قصة أيضا، لذلك لم يستطع أحد قط أن يرى سطح الكوكب حتى بالصور الجوية.

استطاعت سايرا أن تحتفظ بالمعلومات طبعا عن طريق ذاكرتها البصريّة. قالت تيكا: «أوغرا؟ ولكن كيف سنتواصل معهم؟».

الطريقة الأسهل لنرسل رسالة لهم، من دون أن تسمعها الحكومة، هي عن طريق شخصٍ ما، لهذا السبب كانت أمي على متن هذه السفينة، لتمثّل مصالح المنفيّين بين المرتدّين. كنّا نحاول العمل معا. على أيّةِ حال، إنّ مستعمرة المنفيين هي مكان جيّد لنعيد تنظيم صفوفنا، ولمعرفة ماذا يجري في فوا».

قال أكوس بعد أن شبك ذراعيه: «أظنّ أنني أستطيع التخمين؛ فوضى».

علّقت تيكا بحكمة: «وبعدها مزيد من الفوضى والفارق الزمني بين الفوضى والأخرى قليل طبعا».

لم يستطع أن يتخيل كيف تبدو فوا الآن، فالشوتيت يعتقدون أن أخت رايزك، نوفاك الصغرى، اغتالته على مرأى من عيونهم. هكذا بدا الأمر، ولكن أيا يكن هذا الأمر، عندما ظهرت سايرا في الساحة لتقتل أخاها، انتظرت أن يسري مفعول الجرعة التي كانت

قد وضعتها له في كأسه التي يشربها صباحا لتضربه وتطيحه أرضا. ربّما سيطر الجيش على المكان بقيادة فاكريز نوفاك ، ابن عم رايزك الأكبر ، أو أنّ أولئك الذين عاشوا على الحدود الخارجية للمدينة تدفقوا إلى الشوارع للاستيلاء على السلطة. في كلتا الحالتين تخيل أكوس الشوارع مملوءة بحطام الزجاج والدماء المتناثرة والورق الممزق يطير مع الهواء.

وضعت سايرا يديها على جبينها وانحنت وقالت: «ولازمت».

قالت تيكا متفاجئة: «ماذا ؟».

«قبل أن يموت رايزك...» أشارت سايرا بغموض نحو النهاية الأخرى للسفينة ، حيث لقي رايزك حتفه. «أخبرني أنّ أبي لايزال على قيد الحياة».

لم تتكلّم سايرا كثيرا عن لازمت ، لذا فكل ما علمه أكوس كان من حصص التاريخ في طفولته ، ومن الشائعات ، لكن ليست تلك الشائعات الثوفية التي كانت تتحدّث عن الشوتيت والتي ثبت أنها صحيحة ودقيقة. لم يتسلّم النوفاك السلطة في شوتيت قبل أن تخبرهم الكاهنة بأقدار عائلة نوفاك للمرّة الأولى منذ جيلين. عندما بلغت أمّ لازمت سنّ الرشد ، استولت على العرش بالقوة مستخدمة قدرها كمبرّر للانقلاب. ولاحقا ، عندما جلست على العرش لموسمين على الأقل ، قتلت جميع أشقّائها ، لتضمن استلام أولادها العرش من بعدها. كان هذا هو نوع الأسرة التي انحدر لازمت منها. وكان متوحشا بكل المقاييس فمن شابه أمه فما ظلم.

قالت تيكا: «أوه ، هل من نواميس الحياة ، أن يكون واحد من آل نوفاك الحمقى على قيد الحياة دائما ؟».

استدارت سايرا نحو تيكا قائلة: «ماذا بشأني ألا تعتبرينني على قيد الحياة ؟».

أجابت تيكا: «لستِ حمقاء. تشاجري معي بشأن ذلك ، وسأغير رأيي ، وعندها يمكنني بكل بساطة اعتبارك أحد أفراد آل نوفاك الحمقى».

نظرت سايرا إليها بوهن متأسّفة. لم تكن معتادة على الشخص الذي لا يفكر بها سوى أنّها نوفاك آخر فقط.

قالت: «أيا تكن نواميس الكون الخاصة بالنوفاك، فلا أعرف لماذا ولا كيف لا يزال لازمت على قيد الحياة. عندما أخبرني رايزك بذلك بدا جادا، ولم يطلب شيئا مقابل هذه المعلومة. ربما لم يقصد من ذلك سوى تنبيهي».

عندها تذمّرت تيكا. وقالت: «لماذا؟ ألأن رايزك يحبّ القيام بالمعروف؟».

فقال أكوس: «لأنّه كان خائفا من والدكِ؟». عندما كانت تتحدّث سايرا عن رايزك، كانت دائما تتحدّث عنه كم كان خائفا. أومأت سايرا برأسها قائلة: «ما الذي سيخيف رجلا مثل رايزك أكثر من الرجل الذي جعله على هيئته تلك؟».

«صحيح؟ هو خائف أكثر من أيّ شخص آخر، أو لنقل إنّه كان خائفا.. لا يهم».

أومأت سايرا:

«إذا كان لازمت على قيد الحياة...» رمشت بعينيها. «يجب أن نعرف الحقيقة بأقرب وقت ممكن».

يجب أن يصحّح الأمر. كما وكأنّها مسألة رياضية أو خطأ تقنيّ. لم يعرف أكوس كيف يمكن للشخص التحدّث عن والده بهذه الطريقة. لقد هزّته أكثر مما لو كانت سايرا تبدو خائفة. لم تستطع حتى التحدث عنه كما لو كان شخصا. ما الذي رأته يفعله لتّتحدث عنه بهذه الطريقة؟

قالت تيكا بطريقة ألطف من العادة: «مشكلة واحدة كل مرة».

تنحنح أكوس وقال: «نعم، دعونا نعبر سماء أوغرا بسلام، وبعدها يمكننا اغتيال أقوى رجل في تاريخ شوتيت».

فتحت سايرا عينيها ، وضحكت.

قالت تيكا: «اجلسا فأمامنا رحلة طويلة. نحنُ متّجهون إلى أوغرا».

الفصل الخامس

سيسي

حجرة الهروب صُمّمت لتتّسع بالكاد لشخصين فقط. كانت كتفي محشورة بجانب الجدار الزجاجي أتحسّس الزر الصغير الذي يفعّل نداء الاستغاثة، فيضيء بلون وردي، وهو أحد المفاتيح الثلاثة الموجودة أمامي، لذا لم يكن من الصعب إيجاده. ضغطت على الزر وانطلقت صفارة عالية الصوت، هذا يعني أنّ الإشارة تنتقل. قالت تيكا: «والآن كل ما علينا فعله هو انتظار إيساي لتستيقظ ونحاول ألا نصاب بالهلع».

الوجود على مركبة نقل صغيرة، مثل التي انطلقت مؤخرا، هو شيء مرهق للأعصاب بما فيه الكفاية لفتاة لم تسافر إلى الفضاء إلا مرّاتٍ معدودة، ولكن حجرة الهروب هي شيء آخر. يمكن النظر إليها ووصفها مجازيا بأنها عبارة عن زجاج يغطّي كل المساحة فوق رأسي وصولا إلى قدميّ، أكثر من كونها حجرة لها أرضية وجدران. لا أشعر أنّي أنظر إلى الفضاء بقدر ما أشعر أنّه يلتهمني، لا يمكنني التفكير بذلك وإلّا سوف أصاب بالذعر.

أتمنى أن تستيقظ إيساي قريبا.

إنها مستلقية على مقعد بجانبي، يحيط بجسدها ظلام دامس بشكل كامل، إنّها تبدو حقّا وكأنّها الشيء الوحيد في الكون بأسره.

معرفتي بها تعود إلى سنوات قليلة خلت، منذ أن اختفت أوري، للاعتناء بها بعدما جُرح وجهها بسكين شوتيت. لقد ترعرعت بعيدا عن ثوفي، في سفينة نقل كانت تنقل البضاعة من نهاية المجرّة إلى النهاية الأخرى.

في البداية كان وجود أوري بيننا شيئًا جيدا لتجبرنا على التحدث معا. بطريقة أو بأخرى ربّما لم أتحدث معها. لقد كانت مخيفة ، وطويلة ، ونحيفة ، وجميلة ، بوجود الندبات أو بدونها ، تشعُّ بقدراتها وكأنّها آلة ضخمة.

لا أعلم كم سيمضي من الوقت قبل أن تستيقظ ، فجأة تحركت في مكانها ، وحدقت إلى ما هو غائم أمامنا ، قبل أن ترمش وتنظر إليّ.

قالت: «سي..؟ أين نحن؟».

أجبتها: «نحن في حجرة الهروب ، ننتظر أحدا من المجلس ليأتي ويأخذنا».

فزعت وسألت: «حجرة هروب؟ ما الذي نهرب منه؟».

أجبتها: «أظنّ أنّهم هم من أرادوا الهروب منا». دلكت عينيها براحة يدها اليسرى أولا ثم باليمنى وسألت: «هل خدرتني عندما أعطيتني كوب الشاي ذلك؟».

«لم أكن أعلم أنه يحتوي على مخدر». أنا بارعة في الكذب ، وأفكّر فقط مرّة واحدة بالأمر. لم تتقبّل الحقيقة ، حقيقة أنّني أردت الابتعاد بها عن بقية عائلتي كما فعل أكوس. قالت أمي إن إيساي ستحاول عما قريب قتل إيجية مثلما فعلت مع رايزك ، ولم أكن مستعدة للمخاطرة بذلك. لا أريد أن أخسر إيجية مرة أخرى ، بغضّ النظر كم هو غريب بحالته الآن. «أمي حذّرتهم أنكِ قد تحاولين إيذاء إيجية أيضا».

صرخت إيساي متذمّرة. «كاهنات!! من العجب أن نسمح لهم حتى بامتلاك حق المواطنة ، مع كل عدم الولاء الذي تكنه أمك لمستشارتها».

لم أكن قادرة على قول شيء حيال ذلك. إنّها محبطة ، ولكنها تتحدث عن أمي.

أكملت: «لقد وضعوكِ في الحجرة ، وقلت لهم إنني لا أريد الافتراق عنك».

كانت الندبات على وجهها لاتزال قاسية بينما ظهرت الشقوق في حاجبيها ، كانت

تفركهما عندما تظنّ أنّ أحدا لا ينظر إليها. تقول إن الفرك يمدّد الندبات ، يريحها ويخفّف من ألمها ، لتستطيع أن تزيلها عن وجهها فيما بعد. هذا ما قاله الأطباء. أيا يكن الأمر ، فقد سألتُها ذات مرّة لماذا تركت الندوب على وجهها بدلا من أن تخضع لعملية تجميلية في أوثير ، فمن المؤكد أن السبب ليس ماديا ، فأخبرتني أنّها لا تريد التخلّص منها لأنّها أحبّتها.

«لماذا أتيت معي ؟». سألت وبعد فترة من التوقف قالت: «إنها عائلتك وإيجية أخوك ، لماذا أتيت معي ؟».

ليس من السهل أن تكون صريحا مع الناس ، هناك أجوبة عديدة على أسئلتها ، وكلّها صحيحة. إنّها مستشارتي ، ولن أعارض ثوفي ، كما فعل أخي. أنا أهتمّ بها ، كصديقة و... ، وأي شيء نكونه بالنسبة إلى بعضنا. أنا قلقة من الحزن الكبير الذي رأيته قبل أن تقتل رايزك نوفاك ، وهي تحتاج إلى المساعدة للقيام بما هو صحيح من الآن فصاعدا بدلا من تلبية عطشها للانتقام ، والقائمة تطول ، والإجابة التي أختارها هي حول ما أريدها أن تسمعه كما هي في الحقيقة.

أخيرا قلت: «لقد سألتِني إذا كان بمقدورك أن تثقي بي. حسنا ، يمكنكِ أن تثقي بي. أنا معك ، مهما كلّفني الأمر».

«لقد اعتقدت أنك بعدما رأيت ما قمت به لن ترغبي بالبقاء بالقرب مني».

لم يزعجني ما فعلته برايزك ، بل جعلني أقلق. لا تهمني حياته أو موته ، ولكن الذي يهمّني أنها كانت قادرة على قتله. لم أحاول أن أشرح لها بالرغم من ذلك.

فقلت: «لقد قتلَ أوري».

فهمست قائلة: «وأخوك أيضا ، لقد قتلاها معا سيسي. هناك خطب ما في إيجية ، إن رايزك يتحكم فيه».

وشعرت بها ترتعش قبل أن تكمل جملتها.

«أعلم». أمسكت بيدها بشدّة... «أعلم».

عندها بدأت بالبكاء. في البداية ، لم تَرد أن تظهر ضعفها ، ولكن لم تستطع التغلب على ذلك الحزن الكبير بداخلها ، فتشبثت بيديّ منتحبة للهروب من حزنها. ولكنّي أعلم مثل الآخرين أنّه لا مفرّ من ذلك الخوف المحتّم.

وضعت ذراعي خلف ظهرها وطوقته قائلة: «أنا هنا إلى جانبكِ. أنا هنا».

بعد لحظة عادت إليها السكينة ، وتوقفت عن البكاء ، أسندت خدها على كتفي. وسألتني: «ماذا فعلتِ ؟ بعد أن مات والدك ، واختفاء أخويكِ...».

«أنا... لقد فعلتُ كثيرا من الأشياء ، لوقت طويل. أكلت ، استحممت ، عملت ، درست. ولكنّي لم أكن هناك فعلا ، أو بالأحرى ، لم أشعر قطّ أنّي كنتُ هناك. كان الأمرُ شبيها بأن يعود الشعور إلى أحد الأطراف التي كانت قد تخدّرت ، يعود في وخزٍ صغير ، قطعا صغيرة في كلّ مرة».

رفعت رأسها لتنظر إليّ وقالت: «أنا آسفة لم أخبرك بما كنت على وشك القيام به ، بالرغم من أنني طلبت منك أن تأتي لتري ذلك. لقد كنتُ بحاجةٍ إلى شاهد ، فقط لأضمن نفسي في حال ساءت الأمور ، وكنتِ أنتِ الشخص الوحيد الذي وثقت بهِ».

تنهدتُ ورفعتُ شعرها فوق أذنيها وقلت: «أعلم».

فقالت: «هل كنت ستوقفينني لو علمتِ بما كنتُ عازمة على فعله ؟».

لم أنبس ببنت شفة. الجواب الصحيح هو أنّي لا أعلم ، ولكنه ليس الجواب الذي أردت التفوه به ، ليس الجواب الذي سيجعلها تثق بي. وكان عليها أن تثق بي ، إن كنتُ عازمة على فعل شيء جيد في الحرب القادمة.

قلت: «لا ، أنا أعلم أنّكِ فعلتِ ما كان عليك فعله».

لقد كان صحيحا. ولكن هذا لا يعني أنني لم أكن قلقة بشأن مدى بساطة الأمر بالنسبة إليها ، وتلك النظرة البعيدة في عينيها عندما قادتني إلى غرفة التخزين ، والتردّد المثالي الذي أظهَرتهُ أمام رايزك بينما كانت تنتظر اللحظة المناسبة لطعنهِ.

قالت هامسة: «لن أسمح لهم بالاستيلاء على كوكبنا».

فقلت لها: «حسنا».

أمسكتْ بيدي. لقد سبق وأن أمسكنا أيدي بعضنا من قبل ، ولكن هذا لا يعني أنّها لم تعد تُشعرني بتلك الإثارة في داخلي عندما يلامس جلدها جسدي. لا تزال تملك تلكَ القدرة. ناعمة وقوية ، ولكن الوقت غير مناسب الآن ، ليس ودماء رايزك لا تزال رطبة تحت أظافرها.

لذا اكتفيتُ بلمسة يدها ، ونظرنا معا إلى اللاشيء أو الفراغ أمامنا.

الفصل السادس

أكوس

كان أكوس يلهو بالسلسلة التي تطوق رقبته ، لا يزال خاتم عائلة «جوريك وآرا» يرقد في التجويف أسفل حنجرته. عندما كان يرتدي الدرع كان الأخير يضغط ويترك علامة على جلده كما لو أنه علامة تجارية ، كما لو أن العلامة على ساعده لم تكن كافية لتذكّره بما فعله بسوزاو كوزار والد جوريك وزوج آرا العنيف. الآن وهو يقف خلف زنزانة أخيه ، لم يكن متأكّدا من سبب تفكيره بقتل سوزاو في الساحة.

لقد كان الوقت المناسب ليقرر إن كان يجب إبقاء إيجية مخدّرا وإلى متى ؟ إلى أن يصلوا إلى أوغرا ؟ أم بعد ذلك ؟ أما الآن بعد أن مات رايزك ، فلم يكن من الحكمة المخاطرة بترك إيجية يتجول في السفينة ، خصوصا بعد أن تركت سايرا وتيكا القرار له ولأمّه.

كانت أمّه إلى جانبه تماما ، كان رأسها على كتفه وأعلى بقليل. شعرها مبعثر على كتفيها ، ومجعد. لم تظهر سيفا في أي مكان منذ وفاة رايزك ، كانت مختبئة في قاع السفينة تهمس بمستقبلها حافية القدمين ، ضائعة. أدركت سايرا وتيكا الأمر ، ولكنه أخبرهما أنه هكذا تبدو الكاهنات ، أو بالأحرى ، هكذا كانت أمّه الكاهنة ، حادّة كالسيف أحيانا.

قال لها: «لم يعد إيجية الذي تعرفينه». كان تذكيرا بما لم تنسه أصلا. لقد عرفَت ذلك مسبقا ، بشكلٍ أو بآخر ، ربّما رأته بالطريقة التي هو عليها الآن ، بالإضافة إلى مئات الطرق الأخرى.

اكتفت بالقول: «أعرف».

طرق أكوس الباب ، ثم فتحه بالمفتاح الذي كانت تيكا قد أعطته إيّاه ، ودخل.

كان إيجية جالسا في الزاوية على أشياء مرمية في الزاوية وشابكا ساقيه ، كان هناك علبة فارغة بجانبه وفوقها وعاء فيه بقايا حساء.

عندما رآهما ، أمسك بساقيه ، وبدت عيناها زائغتين وحمراوين.

قال وعيناه تتجنبان النظر إلى أكوس: «ماذا حصل ؟ شعرت بحصول شيء ما ؟».

أجابه أكوس: «قُتل رايزك ، هل شعرتَ بذلك ؟».

«ماذا فعلتَ ؟» سألهُ إيجية ساخرا. «لم أتفاجأ. لقد سبق لك أن قتلت سوزاو ، وكاليميف».

فقال أكوس: «وفاس أيضا ، أنتَ تحتفظ بفاس في مكان ما في ذاكرتك ، صحيح ؟».

أجابه إيجية: «لقد كان صديقي». بصق أكوس: «إنه الرجل الذي قتل والدنا».

أغمض إيجية عينيه وصمت.

سألته سيفا: «هل تتذكّرني يا إيجية ؟». عبسَ إيجية قائلا: «أنتِ أمّي. هناك فارق».

مشى نحوها وسألها: «هل كنت أحبك ؟».

لم يسبق لأكوس أن رأى أمه متعبة ، حتى عندما كانوا أصغر سنا وأخبروها أنهم يكرهونها لأنها لم تسمح لهم بالخروج مع أصدقائهم ، أو عندما كانت توبّخهم على النتائج السيئة في امتحاناتهم. كان يعلم أنها أُصيبت بالأذى ، لأنها كانت شخصا كما كانت كاهنة ، وجميع الناس يصيبهم الأذى في بعض الأحيان. لكنه لم يكن جاهزا ليرى هذا المنظر المؤلم ، عندما هبط حاجبها وارتسم الحزن على ملامحها. عندما سمع أكوس جملة إيجية هل أحببتكِ ، أدرك أنه فشل فشلا ذريعا.

فهو لم يُخرج إيجية من شوتيت كما وعدَ والدهُ قبل أن يموت. فالذي أخرجه لم يكن إيجية الحقيقي ، وبعد موت رايزك لم يعد من الممكن استعادة شقيقه.

إيجية قد رحل. شعر أكوس بغصّة في حلقه.

قالت سيفا: «لا أحد سواك يعرف ذلك ، هل تحبني الآن ؟».

ارتعش إيجية ، وبدا محبطا عندما قال: «ربّما..».

قالت سيفا: «ربّما ، هذا جيد».

عندها قال: «لقد كنتِ تعلمين أنّني كنت الكاهن التالي. كنتِ تعلمين أنّني سأُختطف ، أنتِ لم تحذريني ، لم تحضّريني لذلك».

قالت له: «هناك أسباب لذلك. أشك أن تجد الراحة في أي منها».

امتعض إيجية قائلا: «الراحة ؟ لا يجدر بي البحث عن الراحة».

لقد بدا كرايزك ، كان يتكلم بأسلوب الشوتيت ، ولكن بهيئة شخص ثوفي.

قالت سيفا: «لا ، أنت تريد الراحة ، الجميع يبحثون عن الراحة».

تذمّر مجددا ، ولكن لم يكن هناك من إجابة.

أمال إيجية رأسه نحو أكوس وقال: «لقد أتيتَ إلى هنا لتخدّرني مرّة أخرى ؟ هذا ما تجيدُ فعلهُ ؟ أنت صانع السموم المحترف ، وقوّاد سايرا».

أمسك أكوس إيجية من ثيابه البالية بقبضتيه ورفعه إلى الأعلى إلى أن أصبح عاليا وأصابع رجليه بالكاد تلمس الأرض. كان ثقيلا ، ولكن ليس على أكوس ، وخصوصا مع تلك الطاقة المشتعلة بداخله ، الطاقة التي ليس لها علاقة بالذي يحصل.

رمى أكوس إيجية نحو الجدار وصرخ: «اخرس».

أمسكت سيفا بكتف أكوس وقالت: «توقفا. دعه أرضا الآن ، إذا لم تهدأ ستخرج من هنا».

عندها ترك أكوس إيجية وتراجع خطوات إلى الخلف غاضبا ، فسقط إيجية على الأرض وبدا كالمصاب بالدوار. في الحقيقة ، لم يقصد أكوس رميه أرضا.

قالت سيفا لإيجية: «لست متأكدة من أن رايزك نوفاك الذي ألقى بذكرياته في رأسك له علاقة بتصرفك الفظ هذا مع أخيك ، إلّا إذا كانت هذه حقيقتك الوحيدة والطريقة الوحيدة التي تعلَمها الآن. لكني أقترح أن تتعلّم طرقا أخرى وبسرعة ، وإلا سأضعك تحت تعذيبٍ شديد للغاية ، بصفتي أمّك ، ورئيستك ، والكاهنة. مفهوم ؟».

نظر إيجية إليها للحظات ، حرك ذقنه إلى الأعلى وإلى الأسفل قليلا.

قالت سيفا: «سنهبط في غضون أيّام قليلة. سنبقيك محبوسا هنا حتى نصل ، عندما نهبط ، ستكون من مسؤوليتي. ستفعل ما آمركَ به ، وإذا لم تطع كلامي سأجعل أكوس يخدّرك مجددا. إن وضعنا سيئ بما فيه الكفاية ، ولن نخاطر بأن نجعل السيئ أكثر سوءا بل خرابا».

التفتت إلى أكوس وسألته: «كيف تبدو هذه الخطة لك ؟».

فقال لها غاضبا: «جيدة».

«جيد». وابتسمت ابتسامة خالية تماما من المشاعر.

«هل ترغب في أن تقرأ شيئا بينما أنت هنا يا إيجية ؟ شيئا ما لتمضية الوقت ؟».

قال إيجية من دون مبالاة: «حسنا».

قالت: «سأرى ما يمكنني العثور عليه».

خطت نحوه ، وتوتر أكوس خائفا عليها. لم يتحرّك إيجية في الوقت الذي التقطت

فيه العلبة الفارغة، ولم ينظر إلى أي منهما أيضا عندما غادرا الغرفة. أقفل أكوس الباب خلفه، وتحقّق من قبضة الباب مرتين ليتأكّد من إحكام إغلاق القفل. وكان يتنفّس بسرعة.

لقد كان إيجية نفسه الذي تذكّره في شوتيت، إيجية الذي تسكّع مع فاس كوزار وكأنّهما خُلقا صديقين وليس عدوين، إيجية الذي احتجزه عندما أجبر فاس سايرا على تعذيبه.

عندها أحسّ بحرقةٍ في عينيه أغلقهما.

سأل أكوس سيفا: «هل رأيتِه على هذه الحال من قبل؟ أعني.. برؤياكِ؟».

أجابته سيفا: «نعم».

«هل يساعد ما رأيته في معرفة ما سيحصل؟».

قالت: «الموضوع ليس بسيطا كما تظن، أرى الكثير من المسارات، والعديد من أنواع البشر... أنا أسعى دائما لاكتشاف المستقبل وما سيحدث، تخيل الآن أنني لست متأكدة إلى أي أكوس أنا أتحدث، على سبيل المثال. هناك الكثير الذي يمكن أن تكونه».

انهارت بهدوء، وتنهّدت.

وأخيرا قالت: «لا، لا، ذلك لم يساعد».

ازدرد ريقه وفتح عينيه، ولم ينظر إلى والدته، بل إلى الجدار المقابل له. يؤسفني أنني لم أستطع إيقافه. لقد خذلته.

«أكوس». أمسكت كتفه، للحظة شعر بالدفء والقوّة في يدها.

كانت الزنزانة التي احتجز فيها رايزك نظيفة، وكأن شيئًا لم يحدث. لقد تمنى جزء في داخله أن يموت إيجية أيضا، فالحياة ستكون أسهل، لأن بقاءه سيعتبر بمثابة تذكير دائم بالإخفاق الذي لم يستطع إصلاحه.

«ليس هنالك شيء —».

قال: «لا تقولي ذلك». لقد قال أقسى مما أراد أن يقول «لقد رحل الآن».

والآن لم يبقَ شيء لفعله إلا أن نتحمّل.

استدار، وتركها واقفة هناك، عالقة بين ولديها اللذين لم يكونا كسابق عهدها بهما.

توزعوا الأدوار للجلوس في غرفة التحكم بالسفينة للتأكّد من أنّ السفينة لن تصطدم بأي كويكب أو سفينة فضاء أخرى، أو قطعة أخرى من الحطام. كانت المناوبة الأولى لسيفا، فقد كانت تيكا منهكة من إعادة برمجة نظام السفينة، وكانت سايرا قد أمضت الساعات الأخيرة تمسح وتطهّر الأرض من دماء أخيها، أما أكوس فنظّف أرضية المطبخ ومدَّ غطاء على الأرض في الزاوية، بالقرب من معدات التنظيف.

أتت سايرا لتشاركه الاستراحة، وجهها مشعّ نظيف وشعرها مصفّف على كتفها. جلسَت إلى جانبه وتلامست كتفاهما، مرت برهة دون أن ينبسا ببنت شفة، فقط تنفّسا في الوقت ذاته سويّة. ذكّرته بأنّه كان في مقرها على السفينة، وقالت إنها مسرورة لمقتل رايزك.

لمس بإصبعه معصمها وقال لها بلطف: «أنتِ لم تقتليه».

قالت: «أعلم، ولكن المستشارة لن تدع هذه العلامة التي تذكرها به على يدها، و...» تنهدت، أظنّ أنه كان من الممكن أن أحصل على انتقام أشد من الموت من خلال تركه حيا، وتركه يرحل، وإهانته بالتظاهر بأنه غير موجود في هذه الحياة.

فقال أكوس: «لكنكِ لم تتمكني من فعل ذلك».

أجابته سايرا موافقة: «نعم، لم أستطع. ولكنّه أخي في النهاية، حياته ما زالت... ملموسة».

قال: «وأنتِ حزينة قليلا لأنكِ لم تتمكني من تعذيبه».

«قليلا».

«حسنا ، إذا كان رأيي يهمّك ، لا أظن أن عليكِ أن تندمي أنك أظهرتِ بعض الرحمة. أنا آسف لأنك سلكت دروب العناء من أجلي ، ولكن الآن... لم يعد أي شيء يحدث فرقا».

انهار على الأرض مجددا مع تنهيدةٍ ثقيلة ، إنّها فقط طريقة أخرى تثبت أنه فشل.

وضعت يدها عليه ، تماما على صدره ، فوق قلبه ، مع تلك الضمادة على يدها التي تحكي الكثير والقليل عنها في آن.

قالت: «لا ، أعني آسفة».

«حسنا». احتضن يدها وقال: «أنا لست آسفا أنك حصلتِ على علامة خسارة رايزك على يدك ، بالرغم من أنّني كرهته».

ارتعشَت شفتاها. لقد فُوجئ عندما اكتشف أنّها حملَت عنهُ جزءا من ذنبه ، وتساءل إذا ما كان قد فعل المثل معها بطريقته. كانا يحملان همّا في داخلهما ، ولكنّهما ربّما تمكّنا من مساعدة بعضهما في تهدئة الأمور رويدا رويدا.

لقد كان من الجيد أن يشعر بذلك ، فقد اعتقد أنّه مع رحيل إيجية ، كل ما كان عليه فعله هو الالتقاء بنصيبه ، وسايرا ونصيبه غير قابلين للانفصال. لقد كان مستعدا للتضحية بنفسه من أجل آل نوفاك ، والتي كانت هي آخرهم. لقد كانت نهاية حتمية سعيدة ورائعة لا مفرّ منها.

التفت أكوس من دون وعي نحوها وقبّلها. وضعت أصابعها في حلقات حزامه ، وسحبته نحوها بشدّة ، كما حصل معها سابقا عندما توقّفا فجأة.

ولكن الباب مقفل الآن ، وكانت تيكا غارقة في النوم في مكانٍ آخر من السفينة.

أخيرا أصبحا وحدهما.

فاحت رائحتها في السفينة طاغية على رائحة تلك الزهور الكيميائيّة والعرق ، ورائحة شامبو الأعشاب الذي استخدمته مؤخرا في حمام السفينة. وضع أصابعه على عنقها وأنزلها إلى حنجرتها وصولا لانحناء عظم الترقوة.

عندها دفعته وقيّدت وركه تحتها للحظة لتخرجِ قميصه من تحت حزام خصره. كانت يداها دافئتين ومندفعتين لدرجة أنه كان يتنفس بصعوبة. فوصلت إلى جلده الناعم حول خصره ، حيث كانت عضلاته مشدودة على أضلاعه ، فبدأت بفكّ كل الأزرار إلى الأعلى وصولا إلى عنقه. عندها تذكر عندما ساعدها على خلع ملابسها قبل ذلك الحمام في منزل المتمرّدين ؛ كيف يمكن أن يشعرا إن خلعا ثيابهما عندما لا يكونان مصابين ويكافحان من أجل النجاة. كان يتخيّل شيئا محموما ، بينما كانت تتحرك مستغلة الوقت ، كانت أصابعها تتحرك على أضلاعه وعضلات جسده المشدودة.

ولكن عندما حاول لمس ظهرها دفعتهُ عنها. حيث لم يكن هذا ما أرادته حينها وهذا ما بدا عليه الأمر ، وكان سعيدا لإعطائها ما تريد. لقد كانت الفتاة التي لا تستطيع لمس الناس ، فأثارت شيئا داخله لتعلَم أنّه الشخص الوحيد الذي فعلت هذا معه ، ليس للإثارة فقط ، بل لشيءٍ ألطف وأصدق.

لقد كانت هي المختارة ، كانت نصيبه ، والأولى والأخيرة.

تراجعَت قليلا لتنظر إليه ، فشدّ حافّة قميصها وقال: «هل تسمحين لي؟». فأومأت برأسها موافقة.

فجأة شعر بالتردد عندما بدأ يفكّ أزرار قميصها من عنقها وحتى ساعديها. جلس على مقربةٍ كافية منها لتقبيل ذلك الجلد الذي أصبح واضحا الآن ، قبلة تلو الأخرى على

مسافاتٍ صغيرة في كل جسدها. كان جلدها ناعما بالنسبة إلى شخص قويّ ، ناعما بالنسبة إلى تلك العضلات القاسية والعظام الأشبه بالحديد.

مال عليها تاركا مسافة بينهما تكفيه ليشعر بدفئها من دون أن يلمسها. خلع قميصه من كتفيه ، وقبّل بطنها مجددا. أصبحا الآن من دون ثياب ومن دون أزرار بحاجة إلى فك.

لمس بأنفه داخل وركها ونظر إليها وقال: «حسنا ؟».

فقالت: «نعم».

فأغلق يديه على حزامها ، وبدأ بتقبيل جلدها الذي كشفه ، قبلة تلو الأخرى.

الفصل السابع

سيسي

كان حجم سفينة المجلس بحجم كوكب صغير ، واسعة ومستديرة كعوّامة ، ولكنها أكبر بكثير ، لقد كانت مبنية من الزجاج والمعدن الباهت والناعم.

سألتني إيساي: «هل سبق لك أن رأيتها ؟».

أجبتها: «لا ، فقط في الصور».

إنها ألواح زجاجية تنعكس عليها صورة الفضاء والفراغ بلون وردي داكن ، وفجأة بدأت أضواء حمراء صغيرة تومض ، كما لو أن السفينة تقوم بالشهيق والزفير ، لقد بدت السفينة وكأنها تتحرك ببطء حول الشمس إلى درجة خمنت أنها ثابتة في مكانها.

قلتُ: «إنّها مختلفة في الصور».

«لقد قضيتُ ثلاثة مواسم هنا عندما كنت طفلة أتعلّم كيف يمكنني أن أكون أكثر لباقة». حكّت إيساي مرفقيها بزجاج حجرة الهروب. «ولكن اللهجة التي كنت أتحدث بها لم تعجبهم».

ابتسمتُ وقلت: «ولا تزالين أحيانا ، عندما تنسين مراعاة لهجتك ، إنني أعجب بك عندما تنسين ذلك».

فقالت: «أنتِ أحببت هذه اللكنة لأنّها تشبه كثيرا لهجتك الهسيّة».

لكزتني بإصبعها على خدي ، فصفعت يدها. قالت: «بالله عليك. حان وقت

الهبوط». لقد جلس قائد سفينة المجلس القرفصاء، وقد غطت نقاط من العرق جبينه، وأخذ يوجه حجرة الهروب نحو سفينة المجلس، كانت توجيهاته لنا أن نقصد المدخل بي لقد كانت توجيهاته تظهر كرسالة مكتوبة فوق الأبواب العاكسة.

فُتحت صفيحتان من المعدن تحت الحرف بي فتم وصل حجرة الهروب بسفينة المجلس من خلال أنبوب (ممشى) مغلق. وضبط عضو آخر من الطاقم الاتصال عن طريق رفع عتلة. وقفنا عند الصفيحتين عندما فتحتا، وأتحت مكانا لإيساي لتقف في المقدمة.

استقبلنا طاقم دورية، لقد كانت الدورية تقوم بجولة في النطاق الأوسط للنظام الشمسي لرؤية إن كان أحد ما يعاني من مشكلة ما أو يفتعلها، كانت الدورية مؤلفة من ضابط وعنصرين آخرين كانا نحيفين جدا ولم يكثرا من التكلم معنا.

من المرجح أنهما نحيلين لأنهما أوثيريان، لقد بديا لي وكأنهما من عائلة تريلانس عندما تكلما. تقدمت إلى الأمام داخل الممشى المضاء خلف صفيحتي الفتحة للحاق بإيساي.

كان الممشى الزجاجي نظيفا للغاية، فشعرت وكأنني أطفو في الفراغ للحظة، ولكن الأرضية كانت ثابتة. وقفت إلى جانب إيساي عندما ألقت مجموعة من الناس، الذين يرتدون زيا رسميا موحدا بلون رمادي باهت، التحية علينا. كانوا يضعون عند خصورهم قضبانا غير مؤذية، صممت لتصعق وليس لتقتل. كان الوضع مطمئنا. هكذا يجب السيطرة على الوضع من دون أن يترافق مع مظاهر القوة الغاشمة.

انحنى الشخص الذي في المقدمة لإيساي، وكان يعلق على صدره صفا من الميداليات. قال لها بلكنة أوثرية هشة: «أهلا أيتها المستشارة، أنا القبطان مورال. لقد أُبلغ قائد المجلس بوصولك، وجُهزت أماكن لكما، بالإضافة إلى مكان خاص ل... ضيفك».

أنزلت إيساي سترتها التي كانت تغطي مقدمة وجهها وقالت:

«شكرا أيها القبطان مورال». وذهبت كل آثار اللهجة الثقيلة. «هل لي أن أقدم لك سيسي كيرسيث، صديقة للعائلة من شعب ثوفي».

فقال لي القبطان مورال: «من دواعي سروري التعرف إليك».

كشفت عن هبتي مباشرة. في الحقيقة، إنها تتفعل بشكل غريزي. يحسن معظم الناس التصرف عندما تتفعل هبتي تلقائيا عليهم، وتنسدل على أكتافهم كما لو أنها غلالة غير مرئية من اللطافة وحسن السلوك. ولم يكن القبطان مورال حالة استثنائية، فقد استرخى أمامي مباشرة، وعلت شفتيه ابتسامة لطيفة وبدت طبيعية إلى حد كبير، وكأنها لم تكن قد ظهرت بتأثير هبتي.

قلت: «أيها القبطان مورال شكرا لك على هذا الترحيب».

فقال: «اسمحي لي أن أرافقك إلى غرفتك». وخاطب القبطان الذي أحضرنا إلى هنا قائلا: «شكرا لك لمرافقتك المستشارة بينيسيت بأمان إلى هنا سيدي».

همهم الرجل قليلا، وأومأ برأسه نحونا أنا وإيساي بينما كنا نوليه ظهرنا لنبتعد.

كان حذاء القبطان يصدر صوت فرقعة عندما يمشي أو ينعطف عند الزوايا، فحذاؤه ينزلق قليلا بمجرد أن يضغط بقدميه على الأرض. لقد قدرت أن القبطان يقيم في سفينة المجلس، لأنه ولد في عائلة ثرية في أحد الكواكب – ولم يكن لديه طاقة لتحمل الخدمة العسكرية الفعلية – فكلف بهذه المهمة التي تتطلب حسن التصرف، والأخلاق، والدبلوماسية.

عندما أوصلني القبطان إلى غرفتي، تماما بجوار غرفة إيساي، تنفّستُ الصعداء بعد أن أغلقت الباب.

خلعت سترتي، فسقطت عند قدميّ. كانت الغرف مجهّزة لأجلنا بشكلٍ واضح.

هذا التفسير الوحيد لصورة العشب الريشي الذي يتمايل في الهواء ، على الجدار البعيد. إنّه يمثل كوكب ثوفي. مقابل الجدار كان هناك سرير ضيّق مع غطاءٍ بنيّ سميك مطويّ بجانب السرير.

وضعتُ يديّ على لوحة التحكم بالقرب من الباب ، أمرر الصور والنصوص أمامي حتى أجد ما أريد ، من أجل المشهد الذي أريده أن يُعرض على الجدار. بحثتُ حتى وجدتُ واحدا من مشاهد «هيسا في الثلج». إنه صورة التلّة مضاءة باللون الأحمر وقد التقطت من قبة المعبد.

على الصورة تتبعت البروزات في أسطح البيوت على طول الطريق وصولا إلى أسفل التلّة. كانت جميع الأبنية مختفية وراء غيمةٍ من الضباب الأبيض. أحيانا أنسى كم وطني جميل. لم تظهر الصورة إلا أطراف الحقول التي زرعها والدي ، وعلى جانب الصورة وجدت مساحة فارغة تلك المساحة التي أقمنا فيها جنازة إيجية وأكوس ، لم تكن فكرة الجنازة فكرتي ، بل فكرة أمي التي وضعت الخشب والأحجار وأشعلت النار وتلَت الصلاة عليهما. أما أنا فبقيتُ ملتحفة معطفي ، مغطية وجهي بالدرع حتى أتمكُن من البكاء من دون أن يراني أحد.

استلقيت في فراشي محدقة إلى الثلج في الأعلى.

ربما لم يكن مجيئي إلى هنا خطوة ذكية ، لأناضل مع مستشارة بدلا من أن أتبع عائلتي. لا أعلم كثيرا عن السياسيين والحكومة. وُلدت في هيسا ، وكنت بعيدة كل البعد عن السياسة ، وهذا مضحك. ولكنّي أعلم عن ثوفي ، وعن الناس ، ويجب على أحدٍ أن يعتني بإيساي قبل أن تغرق في حزنها.

عندما دخلت إلى غرفة إيساي لاحظت أن جدار غرفتها بدا كنافذة إلى الفضاء ، وشاهدت النجوم تلمع وتومض وتتموج قبل أن يبتلعها التيار. لقد تذكرت نقاشا كنا قد خضناه مؤخرا ، وذلك قبل أن تتوطد علاقتي بها.

لقد جرى ذلك النقاش بعد أن ظهرت ، وأعلنت أنها هي المستشارة ، يومها ظهرت مع أوري في جناحي بالمدرسة ، وأخذت تتصرف بوقاحة ، وكان سبب وقاحتها أن علاقتي بأختها كانت وطيدة ، ما كسر جدار الرسميات بيننا.

يومها قلت:

أنتِ لا تعلمين شيئا عن الكوكب. إنّه الموسم الأوّل لكِ على ترابه.

النظرة الخائبة التي بدت على وجهها يومها تشبه كثيرا النظرة التي ترتسم عليه الآن. عندما دخلت إلى غرفتها التي هي بضعف حجم غرفتي ، لم تفاجئني مساحتها. كانت تجلس عند نهاية سريرها بقميص داخلي وثياب داخلية لا تعدو كونها سراويل تتعلق بساقيها الطويلتين والنحيلتين. كانت عاديّة أكثر مما رأيتها من قبل ، وهشّة بطريقة ما ، وسمحت لي برؤية هشاشتها ، بعد أن أنهكها القلق وشتتها.

يومها أجابتني: لطالما أحببت هذا الكوكب طيلة حياتي ، أحببته بقوّة أكثر من عائلتي أو أصدقائي أو حتّى نفسي ، لقد عشت جميع المواسم على أرض هذا الكوكب ، ولكنّني دفنتُ نفسي في أحشائه ، لذا إيّاك أن تتجرئي مرّة ثانية على القول إنني لا أعرف أي شيء عن هذا الكوكب.

إيساي لديها شيء مثل الدرع الواقي الذي لا يتيح لك رؤية أي شيء داخلها ، إنها بخلاف سايرا نوفاك الشفافة جدا ، أو أكوس الذي يمكنك أن ترى ما بداخله من خلال مستوى البريق في عينيه. إيساي مختلفة ، إنها خاوية. قالت بصوتٍ أجش: «صديقي الذي أخبرتك عنه ، سيكون هنا في غضون وقت قصير. لم يكن بعيدا عن هنا عندما اتصلت به».

لقد استولت إيساي على منصّة حجرة الهروب لبعض الوقت عندما أتت سفينة الدورية لالتقاطنا ، وقالت إنها تحتاج للاتصال بصديقٍ قديم ، صديق كانت قد ترعرعت معه. كان اسمه آست. قالت إنها تستطيع طلب المساعدة من أحد ما ، شخص لم يكن تابعا للمجلس ، ولم يكن من ثوفي أو شوتيت. كان آست «نقي القلب» كما أحبّ بعض الناس

بمناداته بهذا الاسم ، وُلد على كوكب بسيط خلف حاجز التيار.

قلتُ: «أنا سعيدة لسماعي هذا».

كنت أسبر غورها شيئًا فشيئًا ، وقد أصبح الأمر أكثر سهولة الآن بما أننا لم نعد على حجرة الهروب الشوتيتية الصغيرة تلك. قالت وهي تفركُ عينيها بيدها: «لقد كان ابنُ الميكانيكيّ على متن السفينة التي ترعرعت فيها. كانت سفينته التجارية دائما مشغولة ، ولا تبقى في المكان ذاته لفترة طويلة. لقد كانت مكانا مثاليا لشخص مثلي يريد أن يبقى متواريا على الدوام. كان هناك أيضا ، أثناء الهجوم. وقد فقدَ والدهُ ، وأحد أصدقائه».

«ماذا يفعل الآن ؟ هل لايزال ميكانيكيّا ؟».

أجابت: «نعم ، كان ينهي عمله في محطّة وقود قريبة من هنا. إنه توقيت جيد».

ربّما هذه هي الفكرة ؛ أنها تحتاجُ إلى شخص آخر ، مع أنني موجودة هنا ، لكنني لا أشعر بالراحة اتّجاه آست — ربما أغار منه — ولا أعلمُ ما الذي سيفهمه منّي. في تلك الأثناء رن جرس الباب ، وعندما فتحته إيساي ، كان هناك حارس من المجلس يقف إلى جانب الباب تماما ، ينظر إلى الأسفل نحو قدميه. وخلفهُ رجل عريضُ الكتفين يحملُ حقيبتين قماشيّتين كبيرتين.

وضع يده على كتف الحارس ، فطار شيء يشبه الخنفساء من كمه.

«باجا!» صاحت إيساي في الوقت الذي حطت فيه الخنفساء على يدها الممدودة. إنها ليست حشرة حقيقية ، بل هي مصنوعة من المعدن ، وتبعث نقرات مستمرة. إنها روبوت توجيه ، تهدف لمساعدة العميان. أمال آست رأسه نحوها ، يتبع صوت النقرات ، ورمى حقيبتيه داخل الممرّ. مدت إيساي يديها نحوه بينما استقرت الخنفساء على مرفقها.

إن هبة إيساي مرتبطة بالذاكرة ، إنها لا تستطيعُ أخذ ذكريات الأشخاص ، كما كان يفعل رايزك ، ولكنّها تستطيع النظر إليها ، وأحيانا تراها عندما لا تكون لديها رغبة بذلك ،

لذلك فأنا أفهمها حين تضع أنفها على كتفه وتشمّه.

لقد أخبرَتني ذات مرة أن الروائح مميّزة عندها لأنّها مرتبطة جدّا بالذاكرة.

حين رمش آست لاحظت عينيه. قزحيتاه محاطتان بالضوء الأخضر الباهت ، وبؤبؤا عينيه محاصران باللون الأبيض ، لا يتحركان بسلاسة كما تتحرك عيون الجميع بل تتحركان بالتدريج كما لو أن مسننات تحركهما. إنهما بمثابة ملحقات بالروبوت الذي دعته إيساي «باجا».

قالت له إيساي: «يا لها من تكنولوجيا جميلة».

«نعم ، إنّها النمطُ الجديد في أوثري». قال ذلك بلهجةٍ حادة وبصوت رخيم. «الجميع هنا يقلَعون أعينهم ويبدّلونها بهذه التكنولوجيا».

قالت إيساي ساخرة: «هل تساعدُ هذه التقنية فعلا؟».

أجابها آست مهمهما: «نعم للبعض ، حسب الضوء».

تبدو إعدادا جميلا هنا. نقرُ بأصابعه ليبعد حشرة الباجا عن قبضة إيساي إلى داخل الغرفة. فطارت في محيط الغرفة ، وأصدرت صفيرا عند كل انعطافة. «إنّها غرفة كبيرة ورائحتها نظيفة. أنا متفاجئ أنكِ لا تضعين تاجا أيّتها المستشارة».

أجابت إيساي: «إنه لا يناسب حُلّتي ، تعالَ وتعرّف إلى صديقتي سيسي».

أصدرت الخنفساء أزيزا وهي تتجه نحوي ، وقامت بعدة دورات سريعة حول رأسي وكتفي وبطني وساقيّ. حاولت سماع نقراتها ، وكيف تكشف شكلي وحجمي له ، ولكن آذاني لم تكن مدربة على ذلك. كان يرتدي أكثر من طبقة ملابس عليه ولم أستطع تمييز أي قطعة من ملابسه ومعرفة ماهيتها. هل غطاء الرأس ذاك ينتمي إلى سترته أم إلى الكنزة الداخلية تحتها؟ كم عدد القمصان التي يرتديها ، اثنان أم ثلاثة؟ وكان هناك مفك براغ عند وركه

حيث يجب أن يكون السكين.

تنهد آست ومد يديه إلى الأمام ، منتظرا أن أخطو إلى الأمام وأصافحه ، وهذا ما قمت به.

قلت: «سيسي». كانت بشرته دافئة وقبضته جيدة ، ليست قاسية ، فاخترت أن أطبق عليه هبتي ؛ فأرسلت موجات من الدفء مثل التموجات في الهواء.

في الحقيقة ، تكون هبتي أكثر فعالية على الأشخاص غير المضطربين ، وأكثر من أحب أن أطبق عليهم هبتي هم الذين لا يكتشفون ما يحصل ، ولكن من خلال وجهه العابس تبين لي أنه يعلم بما كنت أطبقه عليه.

قال لي: «واه ، لمَ كل هذا ؟».

أجبته: «آسفة ، في بعض الأحيان يصعب عليّ السيطرة على هبتي».

أنا أكذب دائما حيال هذا الأمر ، وهذا ما يجعل الناس أقل حذرا لدى التعامل معي.

قالت إيساي: «سيسي ابنة كاهنة ثوفي». فصححت لها على الفور «الكاهنة الجالسة».

سأل آست: «هل هناك أنواع من الكهنة ، لم أكن أعلم فليسا لدينا هنا كهنة أو نبلاء».

أجبته: «ما من عائلات نبيلة في ثوفي ، لسوء الحظ».

«لسوء الحظ». رفع آست حاجبه وقال: «هل أستطيع القول إنكِ لم تتقبلي قدرك».

أجبته بلطف: «لا ، لم أتقبل».

فقال بعد أن عض شفته العليا: «آسف ، لم أقصد التطرق إلى موضوع حساس».

«لا عليك».

هذا ليس صحيحا ، وأحسستُ بأنّنا نعلمُ ذلك ، لكنّه لم يضغط عليّ.

رفعت إيساي ثوبها عن الأرض ووضعته على كتفيها وربطته من الأمام بالرغم من أنّها لم تنزعج من اغلاق عشرات الأزرار التي تصل إلى أعلى قميصها الداخلي.

قالت إيساي وقد شبكت يديها أمامها: «ربّما خمّنتَ أنّني لم أطلبُ منك أن تأتي إلى هنا من أجل أن تحضر لي أشيائي القديمة».

انتقلت إلى شخصية المستشارة ، وأخذت تتحدث برسمية. أقدّر أن آست لاحظ ذلك لأنه بدا متنبها ، ولاحظت عينيه تتحركان من جانب إلى آخر.

قالت: «أريدك أن تساعدني لفترة طويلة ، لا أعرف ما الذي تقوم به ، وما الذي سيتعطل بسبب وقوفك إلى جانبي ، ولكن لم يبقَ لي أشخاص أثق بهم عدا الموجودين في هذه الغرفة ، و —».

وضع يده على كتفها ، ومنعها من المتابعة وقال: «بالطبع ، سأبقى إلى جانبك طالما أنت بحاجة إليّ».

«حقا».

مد يده وحين أمسكت بها ، تصافحا ، وضغط على إبهامها كما يفعل الجنود ، وقرّب يديهما إلى قلبه ، بدا الأمر وكأنه يُقسم ، ولكن الحلفاء لا يؤدون قسما إلا وكان باطلا ، هذا ما تفيد به الشائعات.

قال: «أنا أسف لما حصل لأختك ، لم يسبق لي أن قابلتها سوى مرة واحدة ، ولكنني أحببتها».

كانت طريقته جميلة ومباشرة وصادقة. يمكنني أن أخمّن الآن لماذا أحبّتهُ.

قالت إيساي: «لا تقلق حيال هذا الأمر يا آست. لقد ساعدتني سيسي كثيرا».

«حسنا ، جيد». ابتسم لي ابتسامة واهنة وأضاف: «رأي إيساي بشخص ما يهمني جدا».

قلت: «ويهمني أيضا بالقدر نفسه ، لقد سمعتُ كثيرا من القصص عن السفينة التي ترعرعتما فيها».

قال: ربما أخبرتك أن رائحتها كانت كرائحة القدمين».

قلت: «نعم لقد أخبرتني. ولكنها أخبرتني أيضا أنّها كانت جذّابة بطريقةٍ ما».

أمسكت إيساي بيدي وشبكنا أصابعنا.

قالت: «حسنا ، الآن نحنّ الثلاثة ضدّ المجرّة ، أتّمنى أن تكونوا مستعدَّين».

فقال آست: «لا تكوني مأساوية إلى هذا الحد».

فسكتتْ للحظة ، وشدّت على يدي وقالت بهدوء:

«أنا لست كذلك».

الفصل الثامن

سيسي

يزعجني بين الحين والآخر أن معظم الناس لا يكوّنون صداقات أينما ذهبوا بعكسي. يشبه مقرّ المجلس أيّ مكانٍ آخر يريد الناس فيه أن يجدوا من يُنصت لهم، حتى وإن كانت أحاديثهم مملة، وهي بكل حال مملّة معظم الوقت.

في بعض الأحيان تفيدني ببعض المعلومات بالرغم من ذلك. لقد أخبرتني المرأة التي كانت ورائي في الكافيتريا ذلك الصباح وهي تكوّم البيض الصناعي فوق بعضه في صحنها، وتضع عليه نوعا من الصلصة الخضراء، بوجود غرفة دفيئة في الطابق الثاني مملوءة بالنباتات من جميع أنحاء المجموعة الشمسية. استنشقت رائحة الحبوب المطبوخة من الوعاء، وذهبت إلى هناك بأسرع وقت ممكن. لقد مرّ وقت طويل منذ أن رأيت نباتا.

هكذا انتهى بي المطاف في الردهة خارج الغرفة الخاصة بثوفي. كانت جوانب زجاج النوافذ مغطاة بالغبار والصقيع، وكنتُ بحاجة لارتداء معدّات واقية كي أستطيع الدخول إلى هناك، لذا بقيت في الخارج. وقفت بالقرب من مجموعة الأشياء تلك التي أشعرتني بالغيرة وهي تنمو بجانب الباب الذي لم أتمكّن من عبوره.

كانت صفراء اللون وكانت قطرات الندى تغطي أوراقها.

سمعت صوتا آتيا من الخلف: «أتعلمين، لقد حاولنا زراعة أزهار الهاشفلور، ولكنها لا تنمو هنا».

كان المتكلم رجلا أصلع تلمع قمة رأسه، وتحيط بفمه وعينيه التجاعيد، ويرتدي

بنطالا رماديا باهت اللون، وكأنه كان يمشي باتجاه الرياح في الحقل الخاطئ في كوكب «زولد». ربما أستطيع معرفة من أين هو من لون عينيه الأرجوانيّ، الشيء الوحيد الملحوظ فيه. قلت: «حقا؟ ماذا حدث عندما حاولتَ زراعتها؟ هل ماتت؟».

أجابني: «لا، لم تمت، ولكنها لم تتكاثر. وكأنّها تعلم أين هي، فتوفّر جمالها لكوكب ثوفي فقط».

ابتسمت.

فقال: «كم هذا شاعري. إنه شاعري حقا لرجل كبير السن مثلي، أعلم». لمعت عيناه قليلا، وتابع: «لا بدّ أنك ثوفية بسبب شغفك الكبير بهذه النبتة».

قلت: «أنا ثوفية اسمي سيسي كيرسيث».

مددتُ له يدي، كانت يدهُ جافّة كعظمةٍ قديمة.

فقال: «لا يُسمح لي بإخباركِ باسمي، فهذا سيشير إلى أصولي، ولكنّي قائد المجلس يا آنسة سيسي، ومن اللطيف أن ألتقي بكِ».

تصافحنا، قائد المجلس؟ لم أعتد على التفكير في الأشخاص الذين يحملون هذا اللقب كأشخاصٍ حقيقيين، كنت أتخيله كبيرا في السن، صوته أجش وابتسامته ساخرة، عندما يتم اختيارهم من مجموعة من المرشحين من قبل ممثّلي جميع الكواكب، حيث يتم تجريدهم من الاسم والأصل حتى لا يظهر أي تحيّز. إنّهم يخدمون النظام الشمسي بأسره كما يقال.

فقلت: «أنا آسفة، لم أتعرّف إليك».

شيء ما في الرجل جعلني أعتقد أنه سيحب ما يظهر من هبتي، لمسة الهواء الدافئ.

ابتسم لي ، فتيقنت أن هبتي قد أثرت فيه ، لأنه بدا لي رجلا ليس من السهل أن يبتسم.

فقال: «لا داعي للاعتذار لعدم معرفتي ، خصوصا وأنك لا تعرفين اسمي. حسنا فأنتِ ابنة كاهنة».

فأومأت برأسي. «نعم ، كاهنة كوكب ثوفي الجالسة».

قال: «وأخت كاهن ، إذا كان إيجية لا يزال على قيد الحياة. نعم لقد تذكرت كلّ أسماء الكهنة ، بالرغم من أنّني أعترف أنّه كان عليَّ استخدام بعض تقنيات الذاكرة. لديّ ذاكرة ذات سعة كبيرة ، كنت لأودّ مشاركتها معك لو لم تحوِ على بعض البذاءات لتبقي الذكريات ممتعة».

ضحكت.

قال: «لقد جئتِ إلى هنا مع إيساي بينيست ؟ أخبرني القبطان موران أنّها أحضرَت اثنين من أصدقائها معها في هذه الزيارة».

قلت: «نعم ، لقد كنتُ قريبة جدّا من أختها أوري. أقصدُ ، أوريف».

يهمهمُ بحزنٍ وقال: «أنا آسف للغاية لخسارتها».

قلت له: «شكرا لكَ».

يمكنني تأجيلُ الحزن الآن. هذا ليس شيئًا سيرتاح الرجل لرؤيته ، لذا لن يظهرُ هذا الشيء حتّى لو أردتُ ذلك. شكرا لهبتي.

قال: «لا بد أنك غاضبة جدا. لقد قتل الشوتيت والدكِ ، وأخاكِ ، والآن صديقتكِ ؟».

يُفترض أنّه شيء غريب ليُقال.

قلت: «ليس الشوتيت من فعلوا ذلك. بل رايزك نوفاك».

«صحيح». ونظر بتركيز مجددا إلى النافذة التي تحجب البرد والجليد. «لا يسعني إلّا التفكير في أنّ الناس الذين يقبلون أن يُحكَموا من قِبل طاغية كرايزك نوفاك يستحقّون أن يتحمّلوا بعض اللوم جراء أفعاله».

أردتُ أن أخالفه الرأي. من يدعمون النوفاك، طبعا، يمكننا لومهم. ولكن المنشقين، والمنفيّين، والناس الفقراء والمرضى اليائسين الذين يعيشون في الحيّ حول ذلك المبنى الذي استخدمناه كمخبأ؟ إنّهم ضحايا رايزك، مثلي. بعد زيارة فوا، لستُ متأكّدة أنني أستطيع حتّى التفكير في الشوتيت على أنّهم شعب واحد بعد الآن. إنّهم متنوعون جدا ليكونوا مجتمعين معا. وكأنّك تشبّه ابنة المزارع الهيسيّ بيد الطبيبة شيسا الناعمة.

أردت أن أخالفهُ الرأي، ولكنني لا أستطيع. انعقد لساني، واحتقنت حنجرتي بهِبتي الغبيّة. فنظرت بسلبيةٍ إلى قائد المجلس وانتظرته ليتحدّث مرّة أخرى.

أخيرا قال: «سأقابلُ الآنسة بينيسيت في وقتٍ لاحق اليوم، أتمنّى حضوركِ. إنّها تشعر بالألم وتكبته، وأشعرُ أن وجودكَ سيهدّئها».

فقلت: «وهذا أحد الأشياء التي أحبها فيها، إنني أحب قدرتها على كبت الألم».

قال: «أنا واثق من أن الصداقة هي نوع من العلاقات التي تفرج الهم عن النفس». ابتسم. «ولكن في القرارات السياسية، فهي غالبا ما تكون عائقا للتقدّم».

عندها استسلمت لغريزتي بالتراجع خطوة إلى الخلف مبتعدة عنه. قلت مبقية نبرتي هادئة: «أعتقد أن هذا يعتمدُ على كيفيّة تعريفك لكلمة تقدّم».

فقال: «أتمنّى أن نتمكّن من الاتفاق على تعريفٍ واحد في نهاية اليوم. سأتركك لمشاهدة النباتات آنسة كيرسيث. ولكن توقّفي عند منطقة «التبيسار» إنها ساخنة جدا.

ولكن أعدكِ ، من المؤكد أن ما ستشاهدينه لم يسبق لك أن شاهدته.

أومأت برأسي ، وما لبث أن رحل.

تذكرت أين سبق لي أن رأيت هذا اللون من العيون ، في صورة نخبة المثقّفين في كوكب كولاند. فهم يأخذون عقارا ما صُمم ليبقيهم مستيقظين لوقت أطول من المعتاد من دون أن يعانوا من الإرهاق. عادة تتحول عيون الناس البيضاء إلى اللون الأرجواني بسبب الاستخدام الطويل الأمد لذلك العقار. ولأنّه من كوكب كولاند لم يخبرني الكثير عنه ، لم يسبق لي أن ذهبت إلى كوكب كولاند ، بالرغم من أنّني أعلم أنّ هذا الكوكب ثريّ ولا يهتمّ بشكلٍ خاص بالكهنة ، ولكن هذه العيون تفعل. إنه شخص يقدّر ويفضل التقدم على سلامته وحتى غروره. إنه شخص ذو تركيزٍ عالٍ وذكيّ. وهو يعتقد على الأرجح أنه يعلم أكثر من الآخرين.

الآن فهمت ما الذي قصدته إيساي بقولها. لقد كنتُ أنا ، وآست ، وهي ضدّ المجرة. نحن لسنا ضدّ الشوتيت فقط ، بل وضدّ المجلس أيضا.

جلست أنا وآست وإيساي ، بجانب بعضنا إلى أحد جانبي طاولة الزجاج المصقول ، وجلس قائد المجلس في الجهة الأخرى. لقد كانت الطاولة نظيفة للغاية لدرجة أنّ كأس الماء والإبريق بجانبها ظهرا وكأنّهما يطوفان في الهواء. صدَمتُ ساقي بحافّة الطاولة عندما جلستُ لأنّني لم أكن متأكّدة أين تنتهي حافتها.

قال قائد المجلس بينما كان يسكب لنفسه كأسا من الماء: «دعونا أولا نتحدث عمّا جرى في شوتيت».

كنا في المحيط الخارجي لسفينة المجلس ، لقد قسمت السفينة إلى حلقات متّحدة المركز. جميع الجدران الخارجية مصنوعة من الزجاج الذي يتحول إلى زجاج معتم وغير شفاف عندما تدور السفينة باتجاه الشمس ، كي لا تتأذى أعين الطاقم. الجدران على يساري أصبحت معتمة الآن ، وارتفعت درجة حرارة الغرفة ، فتشكل حزام من العرق حول ياقتي.

وظل آست يلتقط قميصه عند صدره ويحركه إلى الأمام والخلف ليحول دون التصاقه بجسمه بسبب الحرارة العالية والعرق.

قالت إيساي: «أنا متأكدة من أن المشاهد المُقدمة هي أكثر من كافية».

إنها ترتدي ثياب المستشارة: فستانا ثوفيا سميكا طويلا الكمين ومزررا حتى العنق، وتنتعل حذاء ضيقا يزعجها عندما تربطه. شعرها مربوط إلى خلف رأسها، لمع وكأنه مصبوغ حديثا. كانت تشعر بالحر، ومن الطبيعي أن تشعر به، لقد صُمم هذا الفستان لكوكب ثوفي، وليس لهذا الطقس في سفينة المجلس بالقرب من الشمس. ربما بسبب هذا وَضَعَت طبقة بودرة كثيفة على جلدها قبل أن نأتي إلى الاجتماع.

قال قائد المجلس: «أتفهم تحفّظك في مناقشة ذلك. ربما يمكن للآنسة كيرسيث أن تعطينا ملخصا بدلا من ذلك؟ لقد كانت هناك أيضا، أليس ما أقوله صحيحا؟».

نظرت إيساي إليّ. وضعت يديّ في حضني وابتسمت، تذكرت قوام قائد المجلس المفضل الذي كان كالنسيم الدافئ. هكذا أردتُ أن أكون أنا أيضا، دافئة وعفوية بالكامل، مع طبقة العرق تلك غير المزعجة، ونسمة الهواء المدغدغة تلك.

قلت: «طبعا. لقد تحدّت سايرا نوفاك أخاها في مبارزة، وهو وافق على ذلك. ولكن قبل أن يؤذي أحدهما الآخر، ظهر أخي إيجية» شعرت بالغصة ولم أستطع المتابعة فقلت «آسفة. هبتي لا تساعدني».

فأوضحت إيساي: «إنها لا تستطيع دائما قول ما تريد قوله، أرادت أن تقول إن إيجية وضع السكين على عنق أختي وقتلها وانتهى كل شيء».

«ورايزك؟».

أجابت إيساي: «قُتل أيضا». ولوهلة اعتقدتُ أنها كانت ستخبره ماذا فعلت هي على متن السفينة، كيف دخلت إلى غرفة التخزين حاملة السكين وجعلتهُ يقرّ ويعترف

وتطعنه بسكين بكل هدوء كما لو أنها تغرز إبرة. وأضافت: «على يد أخته، والتي رمت الجثة خارج السفينة. أفترضُ أن يبقيها هذا بعيدة من أن تُدنّس من قبل العصابة التي كانت قد سببت في اندلاع الفوضى».

«والآن جسده...؟».

قالت إيساي: «يسبح في الفضاء على ما اعتقد، تلك هي طريقة الشوتيت في الدفن، صحيح؟».

«أنا لست على معرفةٍ بتقاليد الشوتيت». قال قائد المجلس واتكأ على كرسيه. «حسنا، هذا كل ما كنت أتوقعه. بقدر ما استجابت بقية المجرة... حسنا، لقد كنت أستجيب للرسائل من بقية القادة والممثلين الآخرين منذ أن أعلنتِ وفاة أختكِ. لقد فسروا جريمة القتل على أنها فعل الحرب، آملين أن نعرف كيفية المتابعة من هنا».

ضحكت إيساي. إنها الضحكة المريرة نفسها التي أرتها لرايزك قبل أن تقتله.

قالت: «لقد طالبنا منذ موسمين أن يدعمنا المجلس لنعلن الحرب على شوتيت، بعد أن قُتلت كاهنتنا، يومها قيل لنا إن الصراع بين ثوفي وشوتيت مسألة خاصة بيننا، ويجب أن تحل من دون تدخل المجلس، والآن تسأل عمّا سنفعله؟ لا تتحدث بنون الجماعة أيها القائد».

نظر قائد المجلس نحوي رافعا حاجبيه مندهشا. ماذا سأقول إذا كان ينتظر مني أن أتكلم؟ أهدئها!؟ سوف يخيب ظنّه. لا أستطيع التحكّم بهبتي دائما، ولكني لن أفعل شيئًا لمجرد أنه طلب ذلك. لست متأكدة حتى الآن ما إذا كان هناك أي شيء يمكنه أن يهدئ إيساي.

ردّ قائد المجلس بصوت منخفض وسلس: «منذ موسمين، لم يقتل رايزك نوفاك أخت المستشارة، لم يكن الشوتيت في حالة اضطراب دائم». بدأت الألواح المعتمة على

الجانب الأيسر من الغرفة بالعودة شفافة مرة أخرى ، متحولة من جدار إلى نافذة كما كانت.

سألته إيساي: «هل تعلم منذ متى وهم يهاجموننا ؟ منذ عشرين موسما».

فقال: «أنا على علمٍ بتاريخ الصراع بين شوتيت وثوفي».

قالت إيساي: «حسنا ، بماذا تفكر ؟ إنّنا مجرد مزارعين أغبياء لزهرة الجليد ، لذا من يهمّه إذا تعرّضنا للهجوم ما دام المنتج آمنا ؟». قهقهت ، «إنّ مدينة هيسا أهلكتها حرب العصابات وأنت تسمي ما يجري نزاعا خاصا. شوهوا وجهي ، وقتلوا والدي ، ولا أحد يتقدّم شبرا واحدا نحوي إلا لتقديم التعازي. إحدى كاهناتي قتلت ، وأُختطف الآخر ، وهل يفترض بي أن لا أحرك ساكنا ، لماذا تريدون الآن مساعدتي ؟ ما الذي أخاف الجميع ؟».

ارتعشت عيناه قليلا.

قال: «يجب أن تشرحي ذلك لبقيّة المجرّة ، لقد كان شوتيت صغيرا جدّا ليعتبر كوكبا ، إلى أن وصل آل نوفاك إلى السلطة. عندما أتيتِ إلينا تصفين المحاربين الشرسين ، فكّرنا في أولئك البؤساء الذين كانوا يأتون كل موسم ويبحثون في الأشياء المرمية».

قالت: «لقد كانوا ينهبونَ المستشفيات ، ويهاجمون نقاط التزويد بالوقود منذ أكثر من موسمين خلال رحلتهم ، كل هذا لم يهمّ أيّ قائد كوكب قبل الآن ؟».

قال قائد المجلس: «ليس تماما ، ولكن وردتنا معلومات من مصدرٍ موثوق تفيد أن لازمت نوفاك لا يزال على قيد الحياة ، وسيتحرّك قريبا لاستعادة موقعه في قيادة شوتيت. أنتِ لم تعيشي كفاية لتفهمي ما أود قوله ، ولكن رايزك كان مسالما مقارنة بوالده. لقد ورث رغبة أمه في الدبلوماسيّة ، التي لم تكن تتساهل فيها. في ظل حكم لازمت أصبح الشوتيت مخيفين ، ولكن يبدو أن لازمت عاد من القبر ليحكم وكان طوال الوقت يسعى وراء الكهنة لا سيما أختك».

عبس آست: «حسنا ، أنتم جميعا خائفون منه ، من رجلٍ واحد. ما الذي يمكنه

أن يقوم به ، يطلق النار من مؤخرته ؟».

أجابه قائد المجلس: «لازمت يتحكّم بالناس مستخدما هبتهُ في ذلك ، لا يجب التقليل من قدراته ، خصوصا عندما تجتمع مع قوة الشوتيت القتالية».

لقد أراد قائد المجلس أن يختفي الشوتيت. ففي السابق كان الشوتيت حثالة يجوبون المجرّة بسفينتهم الكبيرة القديمة ، ضعفاء ومتعبين ويتضورون جوعا. ولكن لازمت أراد العودة الآن ، إنه يريد المزيد من أزهار الجليد ، من أراضي ثوفي القيّمة ، المزيد لأجله ولا شيء لهم ، ويريد أن يستخدم إيساي للحصول على كل هذا.

اعتادت أمي أن تخبرني أن كل المجرة سخرت من الشوتيت. «جامعو القمامة القذرين» ، هكذا كانوا يطلقون عليهم ، و«الديدان». كانوا يحلّقون بدوائر حول النظام الشمسي ، يطاردون ذيولهم. كانوا نصف الوقت يبدون وكأنهم لا يقولون أي كلمة. لقد علمتُ كل هذا ، وكنتُ قد سمعتها ، وحتى أنني قلتُ بعضها لنفسي.

ولكن قائد المجلس لا يسخر من شوتيت الآن.

قالت إيساي: «حسنا أخبرني ، ما هو الإجراء التأديبي الذي خطط المجلس لاتخاذه بحق بيثا نظرا إلى أن القيادة في كوكب بيثا قبلت بالتبادل التجاري مع الشوتيت منذ فترة ليست ببعيدة ؟».

قال قائد المجلس: «لا تلعبي دور المغفّلة معي أيتها المستشارة». لم يبدُ غاضبا ، بل متعبا. «تعلمين أننا لا يمكننا التصرف ضد بيثا. لا يمكن للمجرة أن تعمل من دون المواد التي يوفرها كوكب بيثا».

لم يسبق لي ان فكرت كثيرا ببيثا. في الواقع ، لم أفكر أبدا في السياسة حتى انخرطت فيها الأختان بينيسيت بعد وفاة والدي. ولكن قائد المجلس محقّ ، المواد المستدامة من كوكب بيثا تساعد في تشكل تقريبا كل التكنولوجيا الجيدة في المجرة ، من

ضمنها السفن الفضائية. وفي كوكب ثوفي حصرا، مع هوائنا البارد إلى حد التجمد، نعتمد على زجاج بيثا العازل لنوافذنا. لا يمكننا تحمل خسارتها، وإن قبلت سائر كواكب المجلس التسعة مقاطعتها.

«لقد تراجعت قيادة بيثا عن التبادل التجاري مع الشوتيت، وهذا ما أعتبره كافيا. أما بالنسبة إلى بقية الأمة، فإنها لا تزال تعتقد أن المجهود الحربي يجب أن يتحمله ثوفي، بالنظر إلى أنه مسألة كوكبية. إنهم منفتحون للنقاش بشأن المساعدة والدعم، على أية حال».

هنا قال آست: «حسنا، ستدعمونها لكن بشرط أن تشكل حاجزا مانعا بين الشوتيت وسائر كواكب المجلس».

«أنت بالتأكيد تستمتع باللغة الدرامية، أليس كذلك يا سيد.. « أمال زعيم المجلس رأسه. سأله: «هل لديكَ لقب؟».

أجابه آست: «لستُ بحاجة إلى أي نوع الألقاب، ناديني بآست».

قال قائد المجلس: «آست». وأخفض صوته كما لو أنه يتحدث إلى طفل. «المال ليس هو الشكل الوحيد للمساعدات الذي يمكن للمجلس أن يقدمه. وإذا كانت الحرب هي التي تواجهك، يا آنسة بينيسيت، فأنت لست في وضع يسمح لك برفض مساعدتنا».

قالت: «ربما لا أسعى إلى الحرب بل أطلب التوسط من أجل السلام».

رد قائد المجلس: «هذا من حقك، ومع ذلك، سوف أجبر على متابعة تحقيق كنت آمل أن أتمكن من تجنبه».

استهجنت إيساي: «التحقيق في ماذا؟».

قال قائد المجلس: «سيكون من السهل جدا على أي شخص معرفة أن رايزك لم

يمت على مدرج فوا ، وبما أنه لم يمت هناك وبما أن جسده أصبح في الفضاء بعد أن نقل إلى السفينة فلا بد أن شخصا آخر غير سايرا نوفاك قد قتله».

قالت إيساي: «نظرية مثيرة للاهتمام».

تابع قائد المجلس: «لا أستطيع أن أفكر في سبب كذبكم عليّ ، وإخباري أن سايرا نوفاك ارتكبت الجريمة في الساحة ، ما لم تكوني بحاجة إلى حماية نفسك آنسة بينيسيت. وإذا ثبت أنك قتلته عن سبق الإصرار ، فلن تستطيعي حكم ثوفي قبل أن تظهر براءتك».

قال آست: «فقط أريد الاستيضاح ، أنت تهدد إيساي بهراء البيروقراطية إذا لم تفعل ما تريده منها».

اكتفى زعيم المجلس بالابتسام.

«إذا كنتِ تريدين مني أن أقوم بمراجعة إعلان الحرب قبل أن ترسليه إلى شوتيت ، فيسرني أن ألقي نظرة عليه ، لا بد لي الآن من أخذ إجازة ، طاب يومك آنسة بينيسيت ، آنسة كيرسيث... آست».

هز رأسه ثلاث مرات ، مرة واحدة لكل واحد منا ، ثم ذهب.

نظرت إلى إيساي: «هل سيتهمك حقا بالقتل ؟».

قالت وقد خلا وجهها من التعابير: «لا أشك في ذلك ، لنذهب».

الفصل التاسع

سايرا

عندما استيقظت لأذهب وأتولى نوبتي، نادت عليّ تيكا، ورفعت حاجبها عندما نظرتُ إليها. كنتُ خارجة من حمام السفينة الصغير، وكنت أرتدي الملابس الداخلية والسترة التي ارتديتها بالأمس. لقد تجنبتُ عينيها أثناء البحث في غرفة تخزين السفينة عن الثوب الموحد للميكانيكيين. كانت الملابس على وشك النفاد، آملين أن نحصل عليها في أوغرا.

تنحنحت تيكا. كانت تتكئ على الحائط، شابكة ذراعيها، وكانت تغطي عينها المفقودة بتلك الرقعة السوداء. «لا أظن أنه يجدر بي القلق من أن ينتشر في يوم من الأيام نسل يحمل دماء كيرسيث نوفاك، صحيح؟». تثاءبت. «لأنني حقا لا أريد ذلك».

تذمرت وقلت لها «لا تقلقي».

عبست بعض الشيء وقالت: «هناك شيء يُدعى مانع حمل كما تعلمين».

هززت رأسي. «ما من شيء مضمون».

لقد تلاشى التعبير الساخر الذي كانت تظهره عندما كانت تنظر إليّ فبدت ملامحها جدية.

قلت موضحة: «هبتي»، ومددت يدي لأريها الظلال التي تتجول حول مفاصلي وتلسعني، «إنها أداة تعذيب، هل تعتقدين أنني قد أخاطر وأعذّب كائنا قد ينمو في أحشائي؟ حتى لو كان الاحتمال ضئيلا؟». هززت رأسي. «كوني على ثقة لن أخاطر».

فأومأت برأسها: «هذا في غاية النبل».

أضفتُ: «ليس الأمر كذلك... ولكن بالنسبة إلى شخص مثلي فلا يمكن أن يتطور الأمر معه إلى أكثر من علاقة ، ولا يجب على هذه العلاقة أن يكون لها ثمرة».

رفعت يديها إلى وجهها ، وتأوهت. وقالت ، بصوت مكتوم: «لم أكن أريد أي تفاصيل».

«حسنا ، ما دمت لا تريدين تفاصيل فلا تعاودي السؤال مرة أخرى أيتها العبقرية».

وجدت بذلة ميكانيكي مدفونة تحت كومة من المناشف ، وقفت لارتدائها. كانت الساقان طويلتين جدا ، لذلك كان عليّ أن ألفها. عدت إلى كومة الثياب للبحث عن ملابس داخلية.

سألتها: «كم نحتاج من الوقت لنصل إلى أوغرا؟ لأن الطعام سينفد منا عما قريب ، كما تعلمين».

وافقتني وقالت: «الطعام ، وورق الحمام بدأ ينفد حتى الماء المعاد تدويره تنبعث منه رائحة غريبة ، أعتقد أننا سنتخلى عن العديد من الوجبات الخفيفة ، لعدة أيام».

قلت: «إن كل الموجودات على هذه السفينة رائعة جدا». ووجدت زوجا من الملابس الداخلية كبيرة الحجم على أحد الرفوف ، وأمسكت كومة الملابس على صدري ، حيث كان الألم يحرق ظهري. «هل قمت بصنعها كلها؟».

أجابتني: «ساعدني جوريك». بدا عليها بعض الحزن «لست متأكدة أين هو الآن. كان من المفترض أن يرسل رسالة من فوا عندما يتأكد من أن أمه آمنة».

لم أكن أعرف جوريك بشكل جيد ، لكن يبدو أن روحه كانت نقية وخيّرة أكثر

مما كان والده المتمرد. لذلك لم أحاول طمأنتها ، فقد تبدو كلماتي عديمة المعنى.

قلت: «سنكتشف كثيرا من الأشياء عندما نصل إلى أوغرا. أعتقد أن طيفه بيننا».

هزت تيكا كتفيها بعدم مبالاة وقالت: «نوفاك ، اذهبي إلى منصة الملاحة ، لقد انتهت استراحتك».

كان الغموض سمة الأيام التالية. لقد أمضيت معظم الوقت نائمة في المطبخ حيث كنت أدس نفسي قرب المغسلة ، أو أجلس في كرسي الضابط الأول عندما يكون أكوس في نوبته. يبدو أن محيطنا مصمم ليجعلنا جميعا مجانين ، لكن الجميع لم يهتموا للأمر. كانت السماء مظلمة ، وبدون نجوم ، أو كواكب ، أو سفن. كانت مسطحة تماما ، وفي كثير من الأحيان كان عليّ التحقق من خريطة الملاحة للتأكد من أننا لم نكن متوقفين في مكاننا.

عندما لا أكون في مناوبتي جالسة على كرسي القبطان ، كنت أمضي معظم الوقت مع تيكا التي علمتني لعبة كانت تلعبها عادة بواسطة الحجارة متعددة الألوان في محاولة منها لصرف انتباهي عن هبتي. وبما أنه لا وجود للحجارة على السفينة استخدمنا قبضة من الفول من المطبخ ورسمنا النقاط عليها ، لتمييزها عن بعضها ، لقد قضينا معظم الوقت في النقاش ، ولكن تبين لي أن النقاش المشحون كان دليلا على الصداقة مع تيكا ، التي لم يمانعها أو يُعبر عنها أي منا في الوقت نفسه.

في بعض الأحيان ، كان أكوس ينضم إلينا قبل أن يذهب إلى النوم ، حيث كان يقترب مني كثيرا وأداعب أنفه بشعري ، لم يكن يقدم على ذلك إلا عندما يظن أن تيكا لا تعيرنا انتباها ، ولكنها كانت في الحقيقة تنتبه دائماً.

عندما كانت الفرصة تتاح لي ، كنت أمضي الليالي مع أكوس ، وأجد أماكن جديدة للتقبيل ، لقد كانت أوقات الحميمية مليئة بالضحك والتلوّي ، وخصوصا أنني كنت أتعلم كيفية اللمس ، فأنا لم يسبق لي أن لمست غيره ، وعلى الخصوص لمس وجهه ، وقد صعب

عليّ تعلم كثير من الأشياء دفعة واحدة. بالرغم من كوابيسه المستمرة إلا أنه لم يستيقظ أبدا صارخا، لكنه في كثير من الأحيان كان يستيقظ والعرق يغطي جبينه بسبب حزنه على أخيه الذي تحول إلى وحش. في الحقيقة، كنا نسرق لحظات السعادة والحميمية؛ تلك السعادة المبنية على تجاهل كل الأحزان والمآسي التي تحيط بنا.

لقد عملت بشكل جيد، حتى بان أوغرا أمامنا.

قالت تيكا، وهي تحدق إلى الثقب الأسود للكوكب الذي كنا نتجه إليه: «لماذا، هل سبق لأي كان أن استقر هنا؟».

ضحك أكوس وقال لها: «يمكنك قول الشيء نفسه عن ثوفي».

فقلت له: «لا تكرر ما قلته عندما نهبط».

«إنه أوريك وربما يكون لا شيء».

«صحيح».

أوريك تعني فارغ، ولكنه لفظها بتبجيل، ولم تكن إهانة، فالفراغ، بالنسبة إلينا، يعني الإمكانية، ويعني إمكانية الحرية.

ظهر أوغرا على شكل فجوة صغيرة داكنة بين النجوم، ثم تحولت الفجوة إلى ثقب، مثل انفلات جمرة وسقوطها على قطعة نسيج وإحراقه. يلوح أوغرا في الأفق فوق سطح السفينة، حيث يلتهم كل قطعة من الضوء في محيطه. تساءلت كيف عرف المستوطنون الأوائل أنه كان كوكبا.

عندها قال أكوس وبدا أنه يتثاءب: «لا أعتقد أن الهبوط سيكون سهلا».

«لا» ضحكت تيكا. «لن يكون. والطريقة الوحيدة لنتجنب التفتت إلى قطع صغيرة هي توقيف محركات السفينة والاعتماد بالكامل على السقوط الحر. ثم يجب أن أعيد

تنشيط محركات السفينة قبل أن نتحول إلى مصهور عند حدوث الصدمة». وضربت بيديها. «لذا فنحن جميعا نحتاج إلى ربط الأحزمة وتلاوة الصلاة ، أو أي شيء يجعلك تشعر بأنك محظوظ».

بدا أكوس شاحبا أكثر من المعتاد ، أما أنا فأخذت أضحك.

جاءت سيفا من خلفنا ، وقد شدت كتابا إلى بطنها. كان هناك عدد قليل من الكتب على متن السفينة ، لم أكن أعرف ما الغاية من الكتب على متن السفينة ، ولكن تلك التي تمكنتْ من إيجادها ، جلبتها إلى إيجية واحدا تلو الآخر ، إلى جانب طعامه. لم يسأل أكوس عنه ولا أنا ، وكنت أفترض أن وضعه لم يتغير ، وأن أسوأ أجزاء أخي تعيش فيه. لم أكن بحاجة إلى المزيد من التحديثات.

قالت سيفا: «الحظ هو ببساطة بنية تجعل الناس يعتقدون أنهم يتحكمون في بعض جوانب مصائرهم».

بدت تيكا وكأنها تؤمن بذلك ، ولكن أكوس نظر بعيدا.

قلت لها: «أو ربما تكون كلمة واحدة لما يبدو عليه القدر بالنسبة إلى الآخرين سوانا».

لقد كنت الشخص الوحيد الذي يرغب في مجادلة سيفا. كانت تيكا توقرها للغاية ، أما أكوس فقد بدا أنه يرفض أي نقاش حول الموضوع. ابتسمت سيفا وقالت: «لقد نسيتِ التحديق إلى المستقبل من هذه الزاوية بدلا من زاويتك».

إنها تبتسم بتكلف في وجهي في كثير من الأحيان. «ربما تكونين على صواب».

قالت تيكا: «ليربط الجميع الأحزمة ، أيتها الكاهنة أحتاج إليك في كرسي الضابط الأول. أنت تعرفين أكثر عن الطيران».

قلت: «مهلا».

قالت لي تيكا: «إن الهِبات تصبح مختلفة في أوغرا، ولسنا متأكدين من طريقة عمل هبتك، لذا ستجلسين في الخلف. اهتمي بأولاد كيرسيث».

كانت سيفا قد اصطحبت إيجية إلى مقعد هبوط بالفعل. كان مربوطا فيه ويحدق إلى الأرض. تنهدتُ، وشققت طريقي إلى الأسفل إلى السطح الرئيسي. جلست وأكوس قبالة إيجية، وسحبت الأحزمة على صدري ووركي. فقد أكوس السيطرة على أحزمته، لكنني لم أساعده، فقد كان يعرف كيف يفعل ذلك.

شاهدت تيكا وسيفا وهما تستعدان للهبوط، وهما تُفعّلان الأزرار ومفاتيح التبديل. بدا الأمر روتينيا بالنسبة إلى تيكا، وكان ذلك باعثا على الاطمئنان، على الأقل. لم أكن أرغب في السقوط في أجواء معادية مع قبطان مرتبك.

صاحت تيكا: «ها نحن ننطلق». وبهذا التحذير فقط، انطفأت جميع الأضواء في السفينة، وتوقف المحرك عن الدوران والأزيز. ضرب الغلاف الجوي المظلم نافذة الملاحة كموجة من مطر بيثا، وللحظات لم أستطع رؤية أي شيء، ولم أشعر بأي شيء، وكل ما رغبت به هو الصراخ.

لقد أمسكت بنا جاذبية أوغرا، وكانت أسوأ بكثير من عدم الشعور بشيء. شعرتُ أن معدتي وجسمي قد انفصلا فجأة، معدتي عائمة وجسمي يُسحب بقوة إلى الأرض. ارتجت السفينة، وأصدرت الألواح المعدنية صريرا عند صواملها، واهتز السقف والأرضية، فما كان مني إلا أن أطبقت أسناني، ومن شدة الظلام لم أستطع رؤية أي شيء، بما في ذلك التيارات التي تطوق ذراعيّ.

أما أكوس الجالس إلى جانبي فأخذ يشتم بثلاث لغات. لم أستطع التحدث، فقد أخذ وزن جسمي الثقيل يضغط على عظامي.

سمعت صوت انسحاق، ثم عاد المحرك للعمل مجددا. قبل أن تضاء الأنوار، كان الكوكب يضيء تحتنا. وكان الظلام لا يزال دامسا، ولا يمكن لأي من أشعة الشمس أو التيار أن يخترقا الغلاف الجوي لأوغرا، ولكنه مع ذلك كان مضاء بنقاط من الضوء. أضاءت لوحة التحكم في السفينة، واختفى الإحساس بهبوطها الرهيب، وذلك عندما أخذت السفينة تندفع إلى الأمام بدلا من الهبوط إلى الأسفل ثم الأسفل. ثم شعرت بالحر وبالألم الشديدين.

الفصل العاشر

أكوس

كانت سايرا تصرخ

وكانت يدا أكوس تهتزان جراء الهبوط ، ومع ذلك فك لا إراديا الأحزمة التي كانت تثبّته في مكانه. ما إن أصبح أكوس حرّا حتى أطلق نفسه من مقعده ، وركع على ركبتيه أمام سايرا. كانت الظلال قد ابتعدت عن جسدها في سحابة مظلمة ، مثلما فعلت عندما أجبرها فاس على لمسه في سجن المدرج ، حيث كادت تفقد حياتها. شدّت شعرها بيديها ، نظرت إليه ، وظهرت ابتسامة غريبة على وجهها.

أمسك بيديها. بدت الظلال وكأنّها دخان في الهواء ، لكنّها تراجعت مرة أخرى إلى جسد سايرا ، بدت وكأنها عشرات من الخيوط تنتشلها جميعها في آن.

اختفت ابتسامة سايرا الغريبة ، وهي تحدق إلى أيديهما المجتمعة.

سألته بهدوء: «ماذا سيحدث عندما نفلت أيدينا ؟».

أجابها: «ستكونين على ما يرام ، ستتعلمين كيفية التحكم بهذا. يمكنكِ فعل ذلك الآن ، تذكري ذلك دائما».

ضحكت.

قال: «يمكنني البقاء ممسكا بك قدر ما تشائين».

عندها قالت: «هيا بنا». بدت وكأنها تصطنع الابتسامة وتتظاهر.

لم يكن بإمكان أكوس إلّا أن يفكّر مرّة أخرى في شيءٍ قرأهُ في أحد الكتب التي وضعتها سايرا في غرفته على متن السفينة. كان عليه أن يقرأه من خلال مترجم، لأنه كان مكتوبا بلغة الشوتيت، وكان عنوان الكتاب «مبادئ حضارة الشوتيت ومعتقداتها».

لقد ذكر في الكتاب: إن أهم الخصائص المميزة لشعب الشوتيت هي قوة الشخصية – وقوة الشخصية هذه والثقة بالنفس لا تشير بالضرورة إلى تلك التصرفات الشجاعة التي تظهر في الأوقات الصعبة – بالرغم من أن هذا الشعب لا تنقصه الشجاعة. إن هذه الشخصية القوية متأصلة في دماء الشوتيت وفي لغتهم الإلهية. وتتجلى هذه القوة بالقدرة على الاحتمال في ظل الضغوط المستمرة وتتمثل في المثابرة وقبول المخاطر ورفض الاستسلام.

لم يكن هناك إثبات على ما قرأ أكثر مما يشاهد بأم عينيه في الوقت الحالي.

امتثل أكوس. في البداية، عندما عاودت التيارات الظهور، تشكّلت السحابة الدخانية حول جسدها مرة أخرى، لكن سايرا شدت على فكيها وقالت: «لا يمكن أن ألتقي بالأوغران وسحابة الموت هذه تحيط بي».

نظرت إلى عينيه، وأخذت تتنفس بعمق. بدأت الظلال تشق طريقها تحت جلدها، صرخت مرة أخرى، على مسافة صغيرة من وجهه. ولكن بعد ذلك، استنشقت الهواء، وفجأة اختفت السحابة بالطريقة نفسها التي ظهرت بها.

قال لها: «لقد عادت إلى ما كانت عليه من قبل، مثلما كانت عندما التقيتُ بكِ».

قالت: «نعم، إن هبتي على هذا الكوكب أقوى».

سألها: «هل سبق لك، أن كنت هنا».

هزت رأسها.

«لا. لكنني أستطيع أن أشعر بهذا».

«هل أنتِ بحاجة إلى مسكن للألم؟».

هزت رأسها مجددا.

«ليس بعد. عليّ التأقلم في بعض الأحيان».

كان تيكا تتحدث من منصة التحكم، باللغة الأوثرية «هنا سفينة النقل، القبطان سوروكتا يطلب الإذن بالهبوط».

أجاب صوت على جهاز الاتصال الداخلي. «مُنِح إذن الهبوط للقبطان سوروكتا في المنطقة اثنين وثلاثين، تهانينا بسلامة الوصول».

شهقت تيكا وهي تنهي الاتصال. «أراهن بأنه كان تمرينا نجحت فيه وفق أفضل المعايير، وأهنّئ الجميع أننا لا نزال على قيد الحياة».

قالت سيفا بامتعاض: «هل سبق أن قمتِ بها سابقا لتقولي إنها ناجحة وفقا لأفضل المعايير».

قادتهم تيكا إلى منطقة الهبوط رقم 32، في مكان ما بين عروق النور التي كانت تحييهم عندما اجتازوا الجو. شعر أكوس بصدمة صغيرة عندما لامست السفينة الأرض، عند وصولهم للنقطة المحددة للهبوط، على كوكب جديد، على أوغرا.

كان أوغرا لغزا لمعظم المجرات. وقد تناولته شائعات كثيرة، ومنها العبارة السخيفة «يعيش سكان كوكب أوغرا في الثقوب تحت الأرض» لذلك عندما خرج أكوس من السفينة، لم يكن يعرف من سيقابل ومن سيحيي، فعلى حد علمه، كانت أرض أوغرا جرداء.

كانت يده على وشك إفلات يد سايرا وهو يقف أسفل الدرجات وينظر. كانوا في

مدينة لا تشبه أي مدينة رآها على الإطلاق. كانت المباني صغيرة ، ومتوهجة بالأضواء الخضراء والزرقاء من جميع الأشكال والأحجام ، وكانت تنمو حولها وبينها أشجار بلا أوراق لامتصاص حرارة الشمس ، حيث كانت فروعها تلتف حول جذوعها ، بدت مثل أبراج ملتفة حول نفسها. كانت الأشجار طويلة جدا ، أطول من أي شيء آخر ، وكان تباين الخطوط النظيفة للمباني والمنحنيات العضوية للأشياء المتنامية غريبة بالنسبة إليه ، لقد كان التوهج بالرغم من ذلك أكثر غرابة.

لقد استطاع تمييز بعض النقاط الخافتة على أنها حشرات تتحرك عبر الهواء ؛ وأظهرت لوحات من الضوء انطباعات قاتمة من داخل المنازل. وفي قنوات نقل المياه الضيقة التي حلت محل بعض الشوارع ، كانت هناك خطوط من الألوان ، مثل الصبغة الملوثة ، وآثار حركة على الطريق وكأن بعض المخلوقات شقّت طريقها من هنا.

«أوغرا ترحب بكم». قال صوت أتى من الأمام. لم يستطع أكوس رؤية الرجل إلا من خلال الهالة البيضاء التي تحوم حول وجهه. كان يتكلم نوعا خاصا من لغة الشوتيت ، كان في منتصف العمر ، أبيض الشعر وقد جمعه خلف أذنيه. قال: «إذا شكلتم صفا قصيرا ، يمكننا أن ننوّه بوجودكم هنا ثم نرافقكم إلى قطاع شوتيت. لدينا فقط ساعة قبل أن تبدأ العواصف».

العواصف ؟ رفع أكوس حاجبه ناظرا إلى سايرا ، التي تجاهلته. لم تكن تعرف أكثر مما يعرف.

تقدمت تيكا الصف ، وأبلغت عن لقبها بنبرة قوية بدت عملية.

«سوروكتا» ، كّرر الرجل بينما كان يكتب اسمها في الجهاز الصغير الذي يحمله في يده. «كنت أعرف والدتكِ. حزنتُ للغاية لسماعي بموتها».

تمتمت تيكا شيئًا وهي تقدم ربما عبارة امتنان ، بالرغم من أنها لم تبدُ ممتنة.

تلتها سايرا التي قالت: «سايرا نوفاك».

توقف الرجل الذي يضغط على أزرار الجهاز ، لقد بدا خطيرا بفعل هالة الضوء التي تتوهج أسفل وجهه والتي تلقي ظلالا تملأ تجويف العين وأعمق تجعدات وجهه. أدارت ظهرها ، لتجعله ينظر إليها ، وإلى البشرة الفضية وإلى المعصمين المدرعين وصولا إلى حذائها البالي. لكنه لم ينبس ببنت شفة ، فقط كتب اسمها في جهازه ولوّح لها بيده لتمضي.

أبقت يديها بيد أكوس ، وامتدت ذراعها خلفها حتى لوّح هو أيضا.

تعثرت تيكا بهما ، وعيناها جاحظتان ومشرقتان.

قالت مبتسمة: «مذهل ، أليس كذلك ؟».

سألتها سايرا: «لم يسبق لك أن أتيت إلى هنا ، حتى من أجل رؤية أمك ؟».

«لا ، لم يُسمح لي قط بزيارتها». كان هناك شيء غريب في صوتها. «لم تكن آمنة. كانت مستعمرة المنفيين هنا منذ أكثر من جيلين ، بالرغم من استلام آل نوفاك السلطة».

سألها أكوس: «ألم يسمح لك الأوغران بالبقاء هنا ؟».

قالت تيكا: «يقولون إن أيّ شخص يستطيع البقاء حيا على هذا الكوكب له الحق بالبقاء فيه».

قالت سايرا: «لا يبدو الأمر خطيرا كما توقعت ، فلطالما تحدث الجميع عن صعوبة بقاء المرء حيا هنا ، ولكن لا أرى شيئا خطيرا هنا».

قالت تيكا: «لا تدعي المظاهر تخدعك ، كل شيء هنا معد للهجوم أو الدفاع بما في ذلك النباتات والحيوانات وحتى الكوكب بحد ذاته. وبما أن النباتات لا تستطيع الاعتماد على أشعة الشمس لتصنيع غذائها فإنها تأكل بعضها — وربما قد تأكل الأشخاص. احذري من أن تأكلك».

سأل أكوس: «هل النباتات آكلة للحوم؟».

هزت كتفيها وقالت: «هذا ما أعرفه، أو تأكل التيار، وهذا ما يفسر سبب قدرتها على البقاء حية هنا، إذا كان هناك من شيء فائض في أوغرا فهو التيار». ارتسمت على وجهها ابتسامة صفراء. «وكأن التهديد بالالتهام ليس كافيا... إنه لا يتحدث عن رذاذ عندما يتحدث عن عواصف».

عبست سايرا وسألت: «أليس الأمر غامضا؟».

«نعم!» ابتسمت ابتسامة عريضة. «من الجيد أن تكون لك اليد العليا والكلمة الفصل لمرة واحدة».

تقدمتهم تيكا إلى إحدى القنوات؛ كان عليهم أن ينزلوا بعض الخطوات للوصول إلى حافة الماء، وكانت جذور الشجرة متشققة. لمس أكوس بيده الجذور التي كان الزغب يغطيها وكانت هناك نباتات هنا.

عند حافة القناة كان هناك قارب طويل وضيق ينتظرهم، وكل صف من المقاعد يتسع لأربعة أشخاص. من خلال البريق خمن أنه مصنوع من معدن، كان القارب مظلما باستثناء التوهج الصادر من المياه الوردية أسفل القارب.

سأل تيكا: «ما هذا النور؟».

لم تجبه تيكا، بل أجابته المرأة التي كانت تجلس في مقدمة القارب والتي كان اللون الأبيض يغطي عينيها. في البداية، اعتقد أنه ربما كان هناك سبب لطلاء اللون الأبيض، ولكن كلما نظر إليها لفترة أطول، بدا له أنه طلاء تجميلي، مثل الخطوط السوداء التي اعتاد الناس في وطنه رسمها إلى جانب عيونهم، كل ما في الأمر هو أن اللون الأبيض يبرز بشكل أفضل في هذا الكوكب المظلم.

قالت: «هناك العديد من سلالات البكتيريا التي تعيش في مياه أوغرا وهي تضيء

بألوان مختلفة. إن المياه غير الملونة والداكنة هي الوحيدة الصالحة للشرب».

حتى الماء يمكنه الدفاع عن نفسه على كوكب أوغرا.

تبع أكوس سايرا إلى أسفل اللوح غير المستقر الذي ربط الحافة بالقارب، وصعد إلى مقعد للوصول إلى آخر. استقرت سايرا بجواره، فأمسك بمعصمها، حيث انتهى الدرع، وانحنى على حافة القارب للنظر إلى الماء. كانت خطوط اللون الوردي تتحرك – بكسل – مع تيار الماء.

حاول ألا يفكر في سيفا وإيجية اللذين يجلسان خلفهما، كانت عيناه تنظران بحذر بالرغم من غياب أي سبب للحذر، فكل ما في الأمر أن القارب غطس قليلا في الماء بفعل الوزن. لم يتمكن من تجنب إيجية على أوغرا مثلما كان على متن السفينة. لقد اجتمع على قارب واحد الثوفيون والشوتيت والأوغران.

جلست المرأة في المقدمة، وأمسكت بمجذافين ضخمين يتدليان من جانبي السفينة، وأخذت تجذف إلى الأمام، ولم يبدُ على وجهها أي علامات من الإجهاد؛ كانت قوية.

قطعت السفينة الماء كما يقطع السكين الساخن الزبدة.

«لا تضعي يديك في الماء».

سألتها سايرا: «لماذا؟».

فضحكت المرأة فقط.

ظل أكوس ينظر إلى الجانب وإلى تغير الألوان تحت سطح الماء. كان اللون ورديا في المياه الضحلة بالقرب من ضفة القناة، ولكن في المياه الأعمق كانت هناك بقع زرقاء تتخللها عروق أرجوانية اللون، أما المياه الأعمق فكانت حمراء.

قالت المرأة من أوغرا «هناك» وأشارت برأسها إلى شكل ضخم في القناة. في البداية اعتقدَ أكوس أنّه المزيد من البكتيريا، تبحث عن التيار. لكن عندما تجاوزوها، رأى أنه كان مخلوقا، بضعف حجم قاربهم وطوله. كان رأسه منتفخا أو افترض أنّه كان رأسا — وتنتشر عشرة مخالب على نهايات ريشه. كان قادرا على رؤيته بسبب تشبث البكتيريا به، مثل الطلاء الذي يبرز الجوانب الناعمة.

تبين أن المخالب تلتوي مع بعضها مثل الحبال، ورأى على وجهه فما كبيرا بحجم جذعه، محاطا بأسنان حادة وضيقة، فتجمد في مكانه.

قالت المرأة من أوغرا: «إن الجوانب السفلية من هذه القوارب مصنوعة من مادة حامية نسميها «سوجو». الحيوان — غلانسك — ينجذب إلى التيار، ويلتهمه. إذا وضعت يدك في الماء، فستلفت الانتباه إليك. لكن غلانسك لا يمكنه أن يشعر بنا ونحن في هذا القارب». وفور قولها ذلك، ومع التجذيفة التالية، ظهر الغلانسك مرة أخرى، وغاصَ عميقا، ليصبح مجرد وهج خافت تحت سطح الماء. قبل أن يختفي في غضون لحظة.

سألت تيكا المرأة: «هل تمتلكون منجما للسوجو هنا؟».

قالت المرأة: «لا يوجد شيء على هذا الكوكب الفقير، إننا نستورد السوجو من كوكب إساندر».

فسألها أكوس: «لماذا تعيشين على كوكب مصمم على قتلك؟».

ابتسمت المرأة من أوغرا في وجهه. «يمكنني أن أسأل الشوتيت السؤال نفسه».

رد عليها: «أنا لست من شوتيت».

«حقا؟». قالت بلا مبالاة.

في الوقت الذي وصلوا فيه إلى وجهتهم شعر بألم في ظهره، بسبب إجهاد الهبوط

الذي تبعه الجلوس على مقعد غير مريح في القارب. قادتهم المرأة من أوغرا نحو ضفة القناة، حيث كانت هناك قطع من الحجارة تتماشى مع الزغب الذي غطى جذور الشجرة التي رآها من قبل. بجانب الحجارة كان هناك نفق. قالت المرأة: «يجب أن نذهب تحت الأرض لنتجنب العواصف. يمكنكم استكشاف قطاع شوتيت لاحقا».

العواصف. قالتها بشكل موقر، ولكن ليس بشغف، لقد كانت هذه المرأة التي تتمتع بقوة خمسة رجال تخاف العواصف، وهذا ما جعل أكوس بدوره يخافها.

خرج من القارب بساقين مرتجفتين، وكان ممتنا لوجود شيء صلب يقف عليه. عاد لمساعدة سايرا، وبدا من الشكل الذي أصبحت عليه شفتاه وملامح وجهه أنه مرتبك.

قال: «اعتقدت أن فوا كانت منطقة خطرة والناس شرسين، لكنني أعتقد أنه يجب أن يكون الناس هنا قتلة حتى يبقوا على قيد الحياة».

قالت: «ربما كان هناك نوع مختلف من الشراسة. لا يترددون، لكنّهم يقاتلون دون براعة. إنه نوع من... شجاعة خرقاء. لا بد من نوع من الجنون، ليتمكن المرء من العيش هنا».

عرف أكوس، مستمعا لها، أنّها أمضت المزيد من الوقت في مراقبة سكان أوغرا أكثر مما تعترف به — وأنّها لم تدرك حتى أنه كان هناك أي شيء تعترف به، لأنّها افترضت أن جميع الأشخاص الآخرين كانوا فضوليّين كما كانت. ربما شاهدَت كل مقطع من كل فيلم قتالي عن سكان أوغرا استطاعَت الحصول عليه، بالإضافة إلى كثير من المواضيع الأخرى. تم تخزين جميع هذه الملفات في مقرّها على السفينة، حيث يقبع وكر معرفتها الصغير.

كانوا يسيرون في النفق، تتقدمهم امرأة أوغرا التي تصفّر لوحدها في المقدمة. لكن على بعد عشر خطوات، رأى أكوس ضوءا. بعض الحجارة في جدران النفق كانت متوهجة. كانت صغيرة، أصغر من قبضته، متوضّعة عشوائيا في الجدران والسقف.

صفّرت المرأة بصوت أعلى ، فأصبحت الحجارة أكثر توهجا. زمّ أكوس شفتيه ، مخفيا وجهه وهو يحاول أن يصفّر هو الآخر. فتحوّل الضوء في الحجارة بالقرب منه إلى لون أبيض ، وكان الدفء المنبعث منه شبيها بدفء ضوء الشمس. اهذا بديل عن ضوء الشمس ؟ كل شيء يمكن أن يحصل هنا ؟

نظرَ إلى سايرا. لقد أجفلت وبالرغم من الظلال التي كانت تنبض عبر مؤخّرة رقبتها ، إلا أنها كانت تبتسم له.

سألها: «ماذا ؟».

ردت عليه: «قد يقتلنا هذا الكوكب ، وبالرغم من ذلك أنت متحمس ومعجب به».

قال مدافعا عن نفسه: «حسنا ، أعترف. أنا لا أتوقّع أن يحبّ الآخرون الأشياء الغريبة والخطرة التي أحبها».

لفت ذراعها حول خصره ، كانت لمستها خفيفة ، لذلك لم يشعر بوزنها. اتكأ عليها ، ملقيا ذراعه على كتفيها. لقد عادت بشرتها بيضاء ما إن لمسها.

ثم سمع ضجة منخفضة ، ضجة شبيهة بكوكب يهدر ، وفي هذه المرحلة لم يكن مندهشا لسماع ذلك الصوت.

«تعالوا يا سكان الثلج». هذا ما غنته امرأة أوغرا ، بصوتها العذب.

وصلت إلى الأسفل وأدخلت إصبعها في شيء ما يشبه حلقة معدنية في الأرضية المظلمة. نفضت الغبار عن معصمها ، وفتحت بابا مخفيا في الأرضية ، فتناثر الغبار. لاحظ أكوس سلالم ضيقة اختفت في العدم ؛

حسنا ، لقد حان الوقت لإظهار بعض من همة الشوتيت.

الفصل الحادي عشر

سايرا

آخر مرة دخلتُ حشدا من الناس ، كانت وقت تظاهرت بقتل أخي ، وقتها كان الحشد يطالب بإراقة دمي.

قبلها كان قد سلخ جلد رأسي ، حيث كان المئات يهتفون له ويؤيدونه ويدعمونه. فجأة وبطريقة لا إرادية تلمست البشرة التي تغطي المنطقة الممتدة من حنجرتي إلى فكي وصولا إلى أعلى جمجمتي.

لا ، لم يكن لديّ ذكريات سعيدة مع الحشود ، ولم يكن من المحتمل أن أشكل ذكريات سعيدة هنا ، حيث ينتظرني منفيو الشوتيت في أوغرا.

كنا نهبط الدرجات المظلمة ، ونستشعر طريقنا بكعوب أحذيتنا وأصابعنا ، بعد ذلك انعطفنا في زاوية حادة ، لنجد أنفسنا في قاعة ذات أرضية خشبية ، ينيرها وهج ملابس أهل أوغرا التي ارتداها معظم الشوتيت ، لقد استطعت التعرف إليهم من خلال اللغة التي يتكلمونها.

لم يكن لملابس سكان أوغرا التي ارتداها الشوتيت هنا نمط مميز حقيقي ، فقد كان بعضها ضيّقا وبعضها الآخر فضفاضا ، بعضها مزخرفا وبعضها بسيطا ، ولكن التوهج كان سمة مشتركة بينها. لقد كان التوهج ينبعث من الأساور والخلاخيل والقلائد ، والأحذية والأحزمة والأزرار. مررت بأحد الرجال الذي يرتدي سترة خِيط على الجزء الخلفي منها خطوط حمراء ذات توهج خافت ، ولكن بالرغم من ذلك كانت ساطعة بعض الشيء. لقد نظر إليّ الجميع نظرة مخيفة ، كان من الصعب رؤية الوجوه ؛ فالإضاءة كانت آتية من أسفل

ملابسهم ، وأولئك الذين كانت بشرتهم قمحية مثل أكوس بالكاد كانوا يظهرون الضوء وهذه ليست ميزة في كوكب معادٍ مثل هذا.

كانت هناك مقاعد لمن أراد الجلوس ، وطاولات عالية لمن أراد الوقوف. وكان البعض يحملون كؤوسا فيها مادة نقية تشتت الضوء داخلها. شاهدت زجاجة تناقلتها الأيدي فمال الناس خلفها. جلس الأطفال في دائرة بالقرب من قدميّ ، يلعبون لعبة تستلزم تحريك أيديهم بسرعة ، في حركات دائرية ، وكان هناك ولدان أصغر مني بعدة مواسم يلعبان ويتقاتلان بالقرب من أحد الأعمدة الخشبية في القاعة الواسعة. كان هذا مكانا للتجمّع ، ولم أشعر بالشيء الكثير ؛ لم يكن هذا هو المكان الذي عاش فيه سكان شوتيت أو عملوا أو أكلوا ، بل كان مجرد مساحة لانتظار انتهاء العواصف. ظلت امرأة أوغرا غامضة حول ما تقصده بالعواصف. في الواقع ، لم يفاجئني ذلك.

امتزجت تيكا مع الحشد على الفور ، مطوقة بذراعيها أقرب منفي استطاعت التعرف إليه. في تلك الأثناء بدأ الناس بملاحظة وجودنا. لم تكن تيكا ، بجلدها وشعرها الشاحبين تحتاج أن يلاحظها أحد ، أما أكوس فكان أطول من معظم الناس في الغرفة ، وكان يستطيع الرؤية في كل الاتجاهات ، أما أنا فكنت ألمع ببشرتي الفضية وبالظلال التي تزحف على كامل جسدي.

حاولت أن أبقى هادئة بخلاف جميع الأشخاص الذين رأوني ، فقد كانوا يشيرون إليّ ويتمتمون ، لقد كانوا يفتقدون إلى أبسط قواعد الأدب والأخلاق.

كنت معتادة على مثل ردود الأفعال هذه ، فأنا سايرا نوفاك ، حتى الحراس في القصر كانوا يتراجعون غريزيا عندما يرونني. شددت قامتي جيدا ، أصبحتُ مستقيمة أكثر ، أطول ، وهززت رأسي عندما وصل أكوس إليّ لمساعدتي. لا ، من الأفضل السماح لهم برؤيتي كما أنا. من الأفضل الانتهاء من هذا الأمر.

تظاهرت أن لا مشكلة لديّ في التنفس.

«مهلا». قرصت تيكا مرفقي من فوق بذلة الميكانيكي الفضفاضة وشدّتني: «هيا، علينا أن نقدّم أنفسنا للقيادة».

سألتها: «ألا تعرفينهم؟». في تلك الأثناء كان أكوس يبحث خلفه عن أمه وأخيه، افترضت، أنه كان يتجنّبهما منذ أن هبطنا.

حاولت أن أتخيّل كيف كنت سأتصرف لو عادت والدتي إلى حياتي بعد أن تقبّلتُ أنني لن أراها في حياتي مرة أخرى. فكرتُ، كان لم الشمل سيجعلنا سعيدتين، وكنا لنسترجع تفاهمنا وتناغمنا السابقين. بالتأكيد لم يكن الأمر بهذه البساطة بالنسبة إلى أكوس، فقد كان هناك تاريخ من عدم الثقة يفصل بينهما، وحتى من دون هذا التاريخ لا أعتقد أن اللقاء سيكون أفضل مما كان. ربما كنت سأتجنّب إليرا تماما كما تجنّب هو أمّه.

وربما كانت لتتحدث بالألغاز وكنت سأتجنبها لأنني مستنزفة.

ما إن التقى أكوس بأمه وأخيه، حتى سرنا خلف تيكا إلى القاعة. حاولت منع نفسي من السير، رغم أن ذلك كان غريزيا لقد كانوا خائفين مني، لذا لم يتوجب عليّ مشاهدتهم خائفين بالصدفة.

قالت تيكا: «نحن بالقرب من قرية غالو، معظم قاطنيها الآن من منفيي شوتيت، ولكن لا يزال هناك بعض الأوغران الذين يعيشون هنا. معظمهم من التجار. قالت والدتي إننا جيدون في الاندماج — أوه».

احتضنت تيكا رجلا شاحب الوجه يحمل قدحا في يده، ثم صافحت امرأة حليقة الرأس، كانت تراقب الرقعة التي تغطي عين تيكا ولم تكلف نفسها عناء إخفاء سخريتها.

«سأعرفكَ إلى مرافقي لاحقا، هل تعرف أين هو أتريك؟ يجب أن أقدّمه إلى — آه».

تقدم رجل طويل القامة — بالرغم من أنه لم يبلغ طول أكوس — يربط شعره

الطول في عقدة، وفي ظل الضوء الخافت لم أستطع أن أحدد إن كان بنفس عمري أم أنه أكبر بعشر مواسم.

لم يسعفه صوته كثيرا. قال الرجل: «آه، ها هي ذي. كرباج رايزك الذي تحوّل إلى جلاد رايزك».

طوقني بذراعه، وبدا كما لو أنه يوجهني إلى مجموعة من الناس الذين يحملون أقداحا مملوءة بشيء لا أعرف ما هو، فابتعدتُ عنه بسرعة لدرجة أنه لم تُتح له فرصة تذوق طعم هبتي المؤلمة.

اندلع الألم عبر خديّ، فازدردت لعابي بصعوبة. «ادعوني بهذا الاسم مرة أخرى وسوف —».

«وسوف ماذا؟ هل ستؤذينني؟». ابتسم الرجل «سيكون من المثير أن أراكِ تحاولين ذلك. ثم سنرى ما إذا كنتِ جيّدة في القتال كما يقولون».

«بغضّ النظر عمّا إذا كنت مقاتلة جيدة أم لا، فأنا لست الجلاد الذي قتل رايزك».

قالت امرأة مسنة كانت ترتشف بعض الشراب من قدحها: «يا للتواضع. رأينا جميعا ما فعلتهِ في الأخبار، يا آنسة نوفاك. لا داعي للخجل حيال ذلك».

أجبتها قائلة: «أنا لستُ خجولة ولا متواضعة». شعرت بابتسامة بائسة ترتسم على شفتي. كان رأسي ينبض. «ولكنني تعلمت أن لا أصدق كل ما أراه على الشاشة، يجب أن تكوني قد تعلّمت هذا الدرس جيدا في المنفى».

كدت أضحك، وأنا أرى حواجبهم ترتفع وتنخفض بانسجام واستغراب. لمس أكوس كتفي، الجزء المغطى بالنسيج، واقترب من أذني. وقال: «خففي من وتيرتك، لا تصنعي كثيرا من الأعداء، سيكون لديك متسع من الوقت لاحقا».

حبست ضحكة، بالرغم من كل السوداوية التي حملتها كلماته، إلا أنها كانت تمثل وجهة نظر جديرة بالتقدير.

في البدء، كل ما رأيته بعد ذلك هو ابتسامة عريضة في الظلام، ثم اصطدم جوريك مع أكوس. بدا أكوس مرتبكا للغاية ليرد العناق في الواقع، لم يبدُ متحمسا بشكل خاص، بشكل عام، كنت قد لاحظت ذلك، ولكنه نجح في إعطاء جوريك تربيتة جيدة على كتفه أثناء انسحابه.

قال جوريك: «لقد استغرقتم وقتا طويلا للوصول إلى هنا، كنت قد بدأت أفكر بأن المستشارة اختطفتكم».

لا». قال أكوس. «في الواقع، لقد وضعناها في حجرة الهروب وأطلقناها في الفضاء».

«حقّا؟» رفع جوريك حاجبيه. «يا للعار لقد أحببتها».

سألته: «هل أحببتها؟».

قال جوريك: «آنسة نوفاك»، وهي يميل رأسه نحوي. قبل أن يستقيم ويدنو من أكوس. «نعم، كانت مخيفة بعض الشيء، ويبدو أنني أنجذب إلى تلك النوعية من الأصدقاء».

شعرت بالحرارة تسري في خدي عندما نظر إليّ قبل أن ينظر مجددا إلى أكوس. جوريك فكر بي كصديق؟ سأله أكوس: «كيف حال أمك؟ هل هي هنا؟».

ظل جوريك لبعض الوقت في فوا بعد إنجاز مهمتنا ليتأكد أن أمه ستنجو من الفوضى.

قال جوريك: «إنها بخير وأمان، لكنها ليست هنا. وقالت إن هبطت على أوغرا،

فلن تحاول العودة مجددا. إنها تراقب الأمور لنا في فوا. إنها برفقة أخيها وأولاده».

قال أكوس: «جيد». وحك الجهة الخلفية من عنقه، وخدشت أطراف أصابعه جلده على طول السلسلة التي كان يضعها حول عنقه، التي يتدلى منها الخاتم الذي أعطته إياه آرا كوزار. لم يكن يضعها من باب المودّة، كما أملت آرا وجوريك إنّما كان يضعها كعبء، وتذكير.

اختفت تيكا لبرهة، لكنها عادت الآن برفقة امرأة قوية البنية. مربوعة القامة وكان شعرها مربوطا إلى الخلف بجديلة مشدودة. كانت ابتسامتها دافئة بما فيه الكفاية، بالرغم من أنها، شأنها شأن الجميع، ركزت انتباهها عليّ ولم تنظر إلى أكوس.

قالت المرأة بعد أن مدت يدها: «آنسة نوفاك أنا ازا. أجلسُ في مجلسنا هنا».

نظرتُ إلى أكوس وسألته من دون أن أنبس ببنت شفة. فوضع يدهُ على الجلد العاري بين رقبتي وكتفي، وأخمد ظلالي. كنت أعرف، من دون أن أحاول، أنّني لم أكن قادرة على السيطرة على هبتي الآن، كما تعلّمتُ في مخبأ المتمردين في فوا. لقد عزز جو أوغرا من هبتي، وخاصة بسبب الأيام الماضية التي لم أنم فيها بشكل جيد. لقد كان الأمر مرتبطا بالطاقة التي كنت أحتفظ بها والتي يجب أن أطلقها كما حصل خلال هبوطنا على كوكب أوغرا.

صافحت يدها. ربما لم يكن أكوس قد لفت انتباهها من قبل، لكن قدرته على اخماد هبتي فعلت ذلك بالتأكيد. في الواقع، نظرَ إليه الجميع من حولنا وتحديدا إلى يده التي بقيت على جلدي.

قلتُ لازا: «ناديني سايرا من فضلك». كانت نظرة ازا غريبة، وحادة. عندما أفلتُ يدها، رفع أكوس يده عن رقبتي، فعادت ظلالي. كان خداه يشعان بالألوان، التي انتشرت إلى عنقه.

«وأنتَ ؟». سألته ازا.

قال بغاية الهدوء: «أكوس كيرسيث». لم أكن معتادة على الجانب الوديع منه ، ولكن الآن لم نكن محاطين باستمرار من قبل الأشخاص الذين اختطفوه أو قتلوا والده أو عذبوه بطريقة أخرى. ربما كانت هذه هي حقيقته اللطيفة ، والتي ظهرت في ظل هذه الظروف التي يمكن وصفها بأنها أكثر طبيعية من سابقتها.

كررت ازا: « كيرسيث ، من الممتع أنه طوال مدة وجود هذه المستعمرة في المنفى ، لم يمر عبر أبواب شخص يمتلك قدرا ، والآن لدينا اثنان».

قلت: «في الواقع أربعة فشقيق أكوس الأكبر موجود في مكان ما هنا ، وكذلك أمه وكلاهما من الكهنة».

ألقيت نظرة خلفهما فظهرت سيفا من بين الظلال ، كما لو أنني استدعيتها عندما تلفظت باسمها.

قالت ازا مندهشة: «كاهنان».

قالت سيفا: «ازا». وابتسمَت ابتسامة مفتعلة ، كنتُ متأكدة من أنها تعمدت أن تكون غامضة ونظرت بعيدا. أردفت سيفا: «شكرا لكم جميعا على إيوائنا. لقد سلكنا طريقا صعبا للوصول إلى هنا».

قالت ازا بحزم: «ستنتهي العواصف قريبا ، وسنكون قادرين على إيجاد مكان لكم لترتاحوا فيه». أصبحت ازا أكثر قربا «لكن يجب أن أسأل ، الكاهنة... هل يجب أن نكون قلقين ؟».

ابتسمت سيفا. «لماذا تسألين ؟».

عبست ازا وقالت: «يبدو أن استضافة كاهنين في وقتِ واحد.. ليس علامة جيدة

عن المستقبل».

أجابتها سيفا: «الإجابة عن سؤالك هي نعم. لقد حان الوقت للقلق بالفعل». وأكملَت بهدوء: «لكن الحال لن يتغير سواء بوجود كاهنة هنا أم لا».

أمالت رأسها ، وتقدمت امرأة أخرى من أوغرا ، ذات بشرة فاتحة ، منمشة ، كانت تضع أساور بيضاء جعلت بشرتها ناصعة. ساعدتني تلك الأساور على رؤية وجهها عندما التفتَت نحوي وهي تهمس في أذن أتريك.

قالت امرأة أوغرا عندما انتهت من الهمس. «آنسة نوفاك». كانت عيناها سوداوين كما عينيّ. تبِعَت الظلال التي أصبحت الآن تحضن عنقي مثل اليد التي تحاول أن تخنق ، وشعرتُ بالشيء نفسه. «اسمي إيسا ، وقد سمعت للتو من شخص في برجِ الاتصالات لدينا أننا تلقينا دعوة من مقر المجلس».

«لي ؟ «رفعت حاجبيّ. «بالتأكيد أنتِ مخطئة».

«تم بثّ التسجيل خلال موجز الأخبار على مستوى المجلس قبل بضع ساعات. ذلك أسرع ما يمكننا تلقّيه على كوكب أوغرا. لسوء الحظ ، هذا التسجيل لديه مهلة زمنية». قالت «الرسالة كانت من إيساي بينيست. إذا كنتِ ترغبين في الرد ، يجب أن تكوني مستعدّة للتصرّف على الفور».

«ماذا ؟». شعرت بأزيز في صدري ، مثل همهمة التيار ولكن أقوى ، أكثر عمقا. «يجب أن أردّ على الفور ؟».

«نعم». قالت إيسا. «وإلا لن تصل إليها في الوقت المناسب. إنّ تأخُّر اتصالاتنا أمر مؤسف ، ولكن لا توجد طريقة لتجاوزه. يمكننا أن نسجل لك من هنا وإرسال اللقطات إلى القمر الصناعي التالي ، والذي يغادر غلافنا الجوي خلال دقائق معدودة فقط. وإلا يجب أن ننتظر ساعة أخرى. تعالي معي من فضلك».

بحثت عن يد أكوس ، فمدها إليّ. أمسكتها بشدة ، وتبعنا إيسا عبر الحشد.

تلقت إيسا رسالة على شاشة على الجدار البعيد. كانت كبيرة بعرض ذراعيّ الممدودتين على وسعهما. أوقفتني على علامة على الأرض ، وأبعدت كل من كان يقف حولي ، بمن فيهم أكوس ، وأشعلت ضوءا غطى وجهي باللون الأصفر. كان ضوء الكاميرا التي ستسجل رسالتي ، حسبما افترضت.

علمتني والدتي بعض الأمور الخاصة بالدبلوماسية عندما كنت طفلة. وبعد وفاتها ، لم يزعج والدي ولا أخي نفسيهما في اكمال ما بدأته والدتي ، فقد افترضا أنني لن أحتاج أبدا إلى معرفة تلك الأشياء. حاولتُ أن أتذكر ما أخبرتني به: الوقوف باستقامة. التكلّم بشكل واضح. لا داعي للخوف من التفكير في الإجابة ، فالتوقف يجعلكِ تشعرين بأن الوقت أطول مما يشعر به الآخرون. كان هذا كل ما استطعت أن أتذكره. يجب أن يكون كافيا.

ظهرت إيساي بينيسيت على الشاشة أمامي ، أضخم مما هي عليه في الحقيقة. كان وجهها مكشوفا فلم يكن هناك من داعٍ للتخفي بعد أن قُتلت أختها ، كما ظننت ، ولم يعد بالإمكان الخلط بينهما الآن. كانت ندوبها بارزة إلا أنها لم تكن متوهجة. بالرغم من أن ما تبقى من وجهها كان مكسوا بالماكياج ، إلا أن الندوب تركت أثرا ، بناء على رغبتها ، حسبما افترضت.

كان شعرها الأسود اللامع مربوطا إلى الخلف ، وكانت ترتدي ثوبا عالي القبة. اعتقدت أنني لن أتمكن إلا من رؤية خصرها ، لأن الثوب كان مصنوعا من مادة سوداء سميكة بدت شبه سائلة.

كان هناك زر في منتصف عنقها يتوهج بلون ذهبي. وكانت هناك ربطة ذهبية حول جبينها ؛ تاج من نوع ما ، بالرغم من أن زينتها كانت أقل زينة رأيتها في حياتي. لم تكن مستشارة تريد أن تربط صورتها بالوفرة والثراء في كوكب أوثير. هذه المستشارة كانت قائدة أوسك ، شيسا ، والأهم من ذلك ، هيسا. قلب كوكب ثوفي.

يبدو أنّها بذلت جهدا كبيرا لعدم الظهور بشكل جميل أو حسّاس. كانت مندهشة ، وكانت عيناها مخططين باللون الأسود الدقيق ، وأخذت بشرتها لونها المعتاد كلون زيت الزيتون دون زخرفة أو تجميل سوى البودرة التي تستخدمها للحد من لمعانها.

بالمقابل ، كان قد مضى عليّ أسبوع لم أستحم به ، وكنت أرتدي بذلة فضفاضة.

رائع.

بدأتْ بالقول: «أنا إيساي بينيست ، المستشارة المستقلة لكوكب ثوفي ، أتحدث نيابة عن الكوكب الأم ثوفي».

عمّ الغرفة حيث كنت صمت مطبق. أمسكت قبضة الباب بجانبي بشدّة. والألم يتسابق في جسدي ، مندلعا في قدميّ ومنتشرا من خلال ساقيّ وحول بطني. حبست دموعي ، وأجبرت نفسي على التركيز ، ووقفت باستقامة قدر ما أمكنني.

وتابعتْ قائلة: «هذه الرسالة موجهة إلى خليفة ما يسمى عرش شوتيت. بعد أن تم تأكيد وفاة رايزك نوفاك ، من خلال قوانين خلافة الدم التي يتبعها شعب شوتيت نفسه ، يجب تسليمها إلى سايرا نوفاك قبل فجر اليوم ، والذي يصادف الساعة 6:13 صباحا».

«المواسم القليلة الماضية شاهدة على كثير من اعتداءات الشوتيت ، في إحدى هذه الاعتداءات ، قُتلت كاهنتنا الهابطة ، واختُطفت كاهنتنا الصاعدة. وقبل بضعة أيام فقط ، اختُطفت أختي ، أوريف بينيسيت ، في ساحة عامّة». يبدو أنها تدربت على ما قالته ، لأنها لم تتلعثم بأي كلمة ، بالرغم من أن عينيها كانتا تشتعلان خبثا. ربما كان هذا مجرد نسج من خيالي.

«أصبح من المستحيل تجاهل تفاقم هذه الأعمال العدوانية ويجب أن تُقابل بالقوة المناسبة». تنحنحَت بهدوء ، مجرد لحظة قصيرة من الإنسانية. «ما سأتلوه الآن هو شروط استسلام شوتيت إلى كوكب ثوفي».

البند الأول: سيحل الشوتيت جيشهم ، ويسلمون أسلحتهم إلى ثوفي.

البند الثاني: سيسلم الشوتيت سفينتهم المكتملة إلى مجلس الكواكب التسعة ، ويتخلون عن الإقامة في وحول المنطقة المعروفة باسم فوا ، ويبتعدون إلى الشمال من البحار الجنوبية.

البند الثالث: سيسمَح الشوتيت لقوات ثوفي والمجلس باحتلال شوتيت إلى أن يتم إعادة شوتيت إلى النظام والتعاون السلمي مع سلطة المجلس وثوفي.

البند الرابع: سيتوقف الشوتيت عن اعتبار أنفسهم دولة مستقلة ، وسيعترفون بالمقابل بالانتماء إلى أمة ثوفي.

البند الخامس: سيدفع الشوتيت التعويضات إلى جميع المرافق العامة والعائلات المتضررة من اعتداءات الشوتيت خلال المئة موسم الماضية ، على ثوفي وغيرها ، وسيحدد المجلس وسلطة ثوفي مقدار التعويضات لاحقا.

البند السادس: سيعود كل الشوتيت الذين يدعوهم حكم آل نوفاك بالمنفيين إلى ثوفي ويستقرون ، حيث سيعفى عنهم ويمنحون الجنسية الثوفية».

شعرتُ حينها وكأن قبضة أحكمت على كامل جسدي ، بحيث قبض عليّ كل إصبع بمفرده. بالكاد لاحظت آلام هبتي ، بالرغم من أن الظلال كانت تسير على طول بشرتي ، في أعمق سوادها وأثقله.

«ستردين على هذه الرسالة بقبول هذه الشروط ، أو سأعلن الحرب ، ومنذ الآن تتحملين مسؤولية إراقة أو حقن دماء شعبك» ، تابعت إيساي. «يجب أن يتم تلقي الرد بحلول الفجر المعتاد ، الذي يُقاس في هذا اليوم عند الساعة 6:13 صباحا ، وإلا اعتبري أنك ستفقدين حياتك ، وسننتقل إلى العضو التالي في سلالة عائلتك. انتهت عملية النقل».

اختفى وجه إيساي عن الشاشة. كان كل شيء صامتا من حولي. أغمضت عينيّ

وقاتلتُ من أجل السيطرة على جسدي. ليس هذا هو الوقت المناسب، أخبرت نفسي، حيث كان رأسي يعاني من الألم. الآن ليس الوقت المناسب لاحتلال مساحة في رأسي.

حاولتُ مرة أخرى أن أفكّر في دروس والدتي، لكنني لم أتمكن من التفكير بها. ميلان رأسها، ابتسامتها الباردة التي كانت ترسمها عندما كانت تريد أن يذبل أحد من الداخل إلى الخارج. جرّبت الطريقة التي كانت تستخدم بها صوتها الغنيّ الهادئ للحصول على ما تريده بالضبط. كان بإمكاني محاولة تقليدها، لكني لن أستطيع مجاراة براعتها بذلك. كنت أعرف بالفعل أنني لم أكن إليرا نوفاك.

كانت الشخصية الوحيدة التي تمكنتُ من تبنيها كرباج رايزك تلك، ولم أكن أرغب بشدة في أن أكون كذلك، ليس مرة أخرى أبدا.

سألتني إيسا: «هل أنتِ مستعدة للرّد، آنسة نوفاك؟ لديك بضع دقائق فقط».

لم أكن مستعدة للرد، ولست مستعدة للتصرّف كزعيم لبلد مقسّم لم يسبق له أن أظهر لي شيئًا سوى الاحتقار. كانت عيون من نُفوا بسبب قسوة أبي وأخي تنظر إليّ. كنت قلقة من الإهانة التي كانت موجهة إليهم بالتأكيد، وهم الذين يرونني أعامل كقائدة بالرغم من أنني في الحقيقة جزء من نفس العائلة التي عذبتهم واستبعدتهم.

لكن كان على أحدهم أن يفعل ذلك، والآن، ألقيت المهمة على عاتقيّ. سيكون عليّ أن أبذل قصارى جهدي.

فاستقمتُ وتنحنحتُ. وأومأت برأسي، فأومأت إيسا برأسها إليّ.

ركّزت على المشاهد أمامي، وأخذت أسجل صورتي وصوتي لإرسالهما إلى إيساي.

قلتُ لها: «هنا سايرا نوفاك، أمثّل القيادة الشرعية لأمة الشوتيت»، وبالرغم من أن صوتي كان يرتجف، فقد كانت الكلمات صحيحة. وكان الضوء الأصفر يحرق وجهي، وأنا أحدّق إلى الأمام.

«يرفض الشوتيت شروط الاستسلام، لأن العيش في ظل هذه الشروط سيكون أسوأ من إراقة الدماء التي أشرت إليها»، تابعتُ. «رايزك نوفاك مات، والجرائم التي ارتكبها ضد ثوفي، سواء بشكلٍ مباشر أو غير مباشر، لا تمثّل شعبه».

لقد استنفدت اللغة الرسمية.

فقلت بدلا من ذلك: «أعتقد أنكِ تعرفين ذلك، لقد سرتِ وسطنا وشاهدتِ كيف كنا نقاومه»، وتوقفت.

فكرتُ بما أردتُ أن أقوله. وقلت: «أمّة الشوتيت تطلب باحترام ووقف الأعمال العدائية حتى نتمكن من اللقاء والتشاور».

«الحرب ليست ما نريده. لكن إياكِ أن تخطئي، نحن أمّة واحدة، أمّة مقسّمة بالرغم من أننا بين كوكب أوغرا وكوكب أوريك، ويجب أن يتم التعامل مع هذه الأمة على هذا النحو». انتهت عملية النقل.

لم أكن أدرك إلى أن انتهيت، أنّي قد كشفت للتّو لإيساي بينيسيت عن موقع مستعمرة المنفيين التي كانت سرية في السابق بالنسبة إلى الجميع باستثناء سكان أوغرا. مع ذلك، كان الأوان قد فات على تغيير ذلك.

قبل أن يتمكن أي شخص من التحدث، رفعتُ يدي لألفت انتباه إيسا لي.

«هل يمكنني تسجيل رسالة أخرى؟ هذه الرسالة سيتم تسليمها فورا إلى أقمار فوا الصناعية».

تردّدت إيسا.

قلت: «أرجوكِ. لن تكون مؤذية».

قالت: «حسنا، ولكن يجب أن تكون قصيرة».

قلت: «ستكون الأقصر».

انتظرت أن تبدأ إشاراتها. هذه الرسالة يمكن أن أسّجلها من دون تفكير، من دون تمرين. عندما أومأت إيسا، أخذتُ نفسا عميقا، وقلتُ: «شعب فوا.. هنا سايرا نوفاك. أعلنَ كوكب ثوفي الحرب على الشوتيت. العدوّ قادم. أخلوا المكان إلى سفينة الإقامة المؤقتة على الفور. أكرّر، أخلوا المكان إلى سفينة الإقامة المؤقتة على الفور. انتهى النقل».

بعد ذلك، انحنيت إلى الأمام عند خصري، ثم وقفت باستعداد، وتنفست بصعوبة. شعرتُ بألم شديد، شعرت بأن ساقيّ لم تعودا قادرتين على حملي وأنني سأنهار، فهرعَ أكوس إلى الأمام، ممسكا كتفيّ أولا، ثم يدي.

أسندت نفسي إليه، شعرتُ وكأن رأسي اندمج بجانب جبهتي على كتفيه.

قال بهدوء: «لقد قمتِ بعملٍ جيد. لقد أبليت بلاء حسنا، أنا إلى جانبكِ، أنا إلى جانبكِ». عندما نظرت إلى كتفه، رأيت ابتسامات مؤقتة، وسمعتُ همهمات كانت تبدو تقريبا... موافقة وداعمة.

هل كان أكوس محقّا؟ هل قمتُ بعمل جيد بالفعل؟ لم أصدّق أن هذا كان صحيحا. كانت الحرب قادمة. وبغضّ النظر عمّا قاله أكوس، بغضّ النظر عمّا سيقوله أيُّ شخصٍ من الآن فصاعدا، كنتُ الشخص الذي حثّه إلى الأمام.

الفصل الثاني عشر

سيسي

قال آست وهو يلعب بحجر أملس في يده اليسرى: «هذه هي سايرا نوفاك». كنتُ قد لاحظتُ أن آست كان يتحرك دائما، سواء كان يقفز على ركبتيه أم يعضّ على حافة مشطه الملساء أو يحرك شيئا بين أصابعه. «هل هناك احتمال أن توافق على الشروط؟».

ضحكتُ لفكرة أن سايرا نوفاك — التي ظلت تقاتل حتى بعد أن سلخ أخوها جلد رأسها — ستسلم بلادها إلى كوكب ثوفي من دون نقاش. يا له من أمر مثير للسخرية.

قال آست مدافعا عن نفسه: «حسنا، كيف لي أن أعرف، فلم يسبق لي أن قابلتها».

قلتُ: «آسفة، لم أقصد أن أضحك عليك، فأنا أعرفها. إنها ستقاتل كل من يقف في طريقها».

ردت إيساي: «لا أتوقع استسلامها». بدا جوابها كما لو أنها تجلس في مكان قصي وليس في الغرفة نفسها معنا. إنها تجلس إلى طاولة صغيرة بجوار النافذة، بينما كنا نجلس في الجانب البعيد من سفينة المجلس البعيدة عن الشمس. كنا نرى من النافذة النجوم والفضاء والتيار، بدلا من صورة كوكب ثوفي. لقد بدت إيساي أصغر حجما وأصغر سنّا مما هي عليه. «لم يولد الشوتيت ليستسلموا. كان زعيم المجلس على حقّ، إنّهم حقا... غزاة. قد تعتقدين أنهم قليلون، وأنه من السهل التعامل معهم، ولكنّهم يواصلون المجيء والمجيء...».

اقشعرّ جسدي من كلمة غزاة. هذه ليست طريقة للتحدث عن الناس، حتى لو كانوا أعداء. هذه ليست الطريقة التي تتحدث بها إيساي عن الناس، حتى وإن كانت غاضبة.

استقامت، ووضعت يديها في حضنها.

قالت: «يجب أن أقرر ما هي خطوتي التالية، أفترض أنها ستكون إعلان الحرب».

مرر آست إبهامه على الحجر، هذا الحجر من كوكب، وكان عليه رقم بدلا من اسم، لقد أمضى معظم حياته بشيء ضخم مثبت على وجهه حتى يتمكن من البقاء على قيد الحياة، كما أخبرني. يجب عليكِ أن تجعلي أي وقت تحصلين عليه يستحق كل هذا العناء. لقد قال هذا الكلام عشرات المرات من قبل، كما لو أنه أقرب إلى بيان من الحوار غير الرسمي.

قال بعد أن صنع عدة دوائر بإصبعه: «أعتقد أنك بحاجة إلى أن تضربي بقوّة، إنّ سكان شوتيت لن يردعهم أي شيء أقل من ذلك. اضربيهم بقوّة أو لا تضربيهم البتة».

أخفضت إيساي رأسها كما لو أنها أصيبت بخيبة أمل، ولكنني أعلم أن الأمر ليس كذلك البتة، إنها فقط تحمل الكثير على عاتقها. إنها تشن حربها الخاصة، بالإضافة إلى الحرب التي يريدها مجلس الكواكب، وكذلك الحرب ضد الحزن الذي يعتمل في داخلها، والذي يمكنني رؤيته بكل وضوح، الأمر الذي جعلها تقول كلامها وتقدم على أفعال ما كانت لتقولها أو تقدم عليها في العادة.

قالت: «أستطيع أن أضرب مركز فوا، حيث يعيش معظم أتباع نوفاك ومؤيديه».

كان مركز فوا حيث كنا نسير للوصول إلى المسرح، وحيث حصلت على كوب من الشاي من أحد البائعين، الذي أخذ ينظر بغرابة عندما أعطاني إياه — ولكن لا يمكنها أن تضرب مركز فوا.

أشار آست إلى ذلك: «ستخرجين أتباع رايزك وستصدرين بيانا، إنها فكرة جيدة».

قلت: «إنها ليست هدفا عسكريا».

هز آست رأسه. «في الحقيقة ، ليس هناك أي مدنيين في شوتيت ، إنهم جميعا قتلة. أنا وإيساي نعلم ذلك أفضل من معظم الآخرين».

الهجوم الذي شنوه وأزهقت فيه روح والده كان هو نفسه الذي نقشت فيه الندوب على جسد إيساي ، كنت أعلم ذلك ، وكنت أعلم أيضا أنه هو نفسه الذي أودى بحياة أبويها وأصدقائها.

سألها: «ما هو السلاح الذي ستستخدمينه؟ مشاة الجيش لن تكون استراتيجية جيدة ضد الشوتيت ، بالنظر إلى مستوى مهارة المواطن العادي».

قالت إيساي بحزم: «ليس هناك من مواطنين في شوتيت ، إنهم في ثورة ضد الحكم الشرعي».

أجابها آست: «أنا أعلم».

عضت إيساي إصبعها غاضبة ، حفرت أسنانها بقوة في الجلد.

أردت أن أبعد يدها عن فمها «لا يزال يتعين عليّ أن أتأكّد من قيادة كوكب بيثار ، لأنني سأستخدم تكنولوجيتهم ، إنهم يسمونها انفجار مضاد للتيار. إنّها... فعّالة. يمكنني أن أستهدف المدرج حيث قتلت أوري ، وسينتشر الدمار إلى الخارج من هناك. سيكون تأثيره كاملا».

شعرت بضيق في التنفس ، ولهذا السبب جئتُ إلى هنا ، لإيقاف إيساي عن القيام بأمر ستندم عليه ، وللتأكد من أن ثوفي سيبقى على الطريق الصحيح. لذلك يجب أن أهدئها يجب أن أوقفهما قبل أن ينتقلا من التفكير إلى التنفيذ.

أطلقت هبتي في موجة متحركة عليهما ، فضربتهما في وقت واحد. ارتبك آست

جراء ذلك، علما أنه يبدو مرتبكا على الدوام، ولم يبدُ لي أن إيساي تأثرت أو شعرت بها.

أتخيّل مياه التيار تنزع الوزن من جسدها حتى تطفو، ثم تسحب على أطرافها، بلطف، نحوي.

قلت بهدوء: «هناك قوانين تجرم ضرب الأهداف المدنية من دون سبب». فنظرت إليّ إيساي بكسل، بعينين ذابلتين.

تابعت مقترحة: «هناك معسكر للجنود خارج فوا».

اعترض آست قائلا: «لا نعرف إن كان سيوجد أي شخص هناك، ففوا في حالة من الاضطراب الكلي. ربما ذهب الجنود إلى المدينة تنفيذا للأوامر. إن هاجمنا المخيم ربما لن تكون النتيجة أكثر من تدمير بعض المباني وتمزيق بعض الخيم».

لا تزال إيساي تعضّ ذلك الأصبع. فيظهر لون أحمر، إنّه ينزف الآن. لديها نفس الطاقة القويّة التي كانت تمتلكها قبل أن تقتل رايزك، ولكنها الآن فاقدة للتركيز.

قدّم لها آست مكانا لتدمره، ولكن بأي ثمن؟ سيكون الثمن حياة المدنيين من كبار السن رجالا ونساء، وأطفالا، ومعارضين، ومتمردين، ومرضى ومحتاجين؟ ناهيك عن التكلفة العاطفية التي سيتحملها الشخص الذي يأمر بهذا النوع من الدمار.

هيا، فكر.

قلت: «قتل الناس ليس هو السبيل الوحيد لتثبت الضربة فعاليتها».

قال آست: «نعم، بالتأكيد، دعونا نذهب وراء الأفكار المعنوية بدلا من الأهداف الخرسانية. هذا سيجدي نفعا».

«أدفع هبتي إلى الأمام مرة أخرى، موجة أخرى. ما تحتاج إليه إيساي الآن هو القليل من الهدوء والسلام. وبغض النظر عن مدى ارتباط آست وإيساي معا، إلا أنه لا

يستطيع منحها هذا الهدوء والسلام.

أما أنا فأستطيع.

قالت إيساي: «صه، آست». رفعت يدا، «حسنا، استمرا».

انتظرت أن تتحرر الغصة من عنقي. إنها تجعل آست هادئا عندما تحصل، ليس هادئا فقط، بل عاجزا عن الكلام. ولن تحدث فيه هذا التأثير حتى تتغير تعابير وجهه وتصبح جيدة عندها أستطيع متابعة الكلام.

قلت: «لماذا لا تضربين سفينة الإقامة المؤقتة».

«سفينة الإقامة». أومأت إيساي برأسها بعينين مشعتين. «أنتِ على حق. يمكننا ضرب السفينة. لقد عادوا للتو، لذا ربما لن يكون هناك طاقم على متن السفينة، فالخسائر في الأرواح ستكون ضئيلة، لكن رمزية النصر ستكون هائلة».

إنّه ليس حلّي، لكنه ليس حل آست أيضا. أعتقد أن هذا أفضل من لا شيء.

عبس آست، وعيناه ثابتتان تنظران إلى نقطة غير معينة في وسط المسافة. لم يتحرك لفترة من الوقت، لذا فإن الخنفساء الطائرة التي ترشده بنقراتها جلست على كتفه، حيث أخذت قرون استشعارها تتحرك بسرعة بالطريقة الآلية نفسها التي تتحرك بها عيناه.

قال: «إنها عملية رقيقة بعض الشيء».

قالت إيساي: «من الأفضل الندم على كونك في غاية الرِقّة بدلا من الندم على أنك في غاية القسوة». بدت جملتها المختصرة والحازمة وكأنها تقول: لقد انتهت المناقشة. سأتصل بالقائد، حسنا. «تأكّدي من أن لدينا صور مراقبة للسفينة التي لم تكن موجودة منذ نصف عام».

ابتسمت لي، كانت تعابير وجهها قاسية مقارنة بالراحة التي أشعر بها. هذا يعني

أن إيساي التي قتلت رايزك لا تزال هناك في مكان ما ، تنتظر لتضرب مرة أخرى. لا ينبغي أن أكون قلقة من ذلك ، حقا. هذا هو ما جذبني إليها في البداية ، وبعد كل شيء إنها قادرة ، وحاسمة. لم تكن بحاجة إلى أي شخص ليعتني بها ، على الأقل لم تكن بحاجة إليّ. لم تعترف أبدا بأنّها بحاجة إليه الآن. ولكنني أتحدث عن مفهوم التضحية من أجل العناية بشخص ما ، وهذا ما سأقوم به.

كنا نتناول العشاء معا ، آست ، إيساي ، وأنا. منذ الوقت الذي لم يستجب فيه آست لهبتي بشكل جيد ، توجب عليّ تعلم كيفية التعامل معه بالطريقة التي يتبعها الجميع ؛ التجربة والخطأ. لذلك في هذه المرة ، حاولت أن أسأله عن نشأته على السفينة مع إيساي ، ويبدو أن هذا جعله أهدأ.

أخبرني عن محاولة تعليم إيساي كيفية إصلاح المحركات ، وهو ما كان يفعله والده ، وكيف أنها لم تكن تريد القيام بأي شيء سوى نزع البراغي ، وكيف حاولت جعله ينضم إلى دروسها حول الآداب ، وأخبرني كيف كان يجعلها تضحك بشدة إلى درجة أنها استنشقت ذات مرة الشاي عبر أنفها عندما كانت تشرب وتضحك.

«لقد خرج من عيني» ، قالت وهي تضحك.

ببطء ولكن بثبات ، قررت: سأشق طريقي بينهما. ليس لأعترض الطريق ، ولكن للتأكد من أنّها تفعل الشيء الصحيح ، الشيء العقلاني. بدت رسالتها إلى القائد ثابتة بما فيه الكفاية ، وهي تضحك الآن ، وهي تحكي قصصا من ماضيها ، لكنّني لا أزال قلقة. بعد أن شاهدتُ شخصا يقتل رجلا بسكين مطبخ ، أصبح هناك كثير مما يدعو إلى القلق.

غادر آست بمجرد أن نُظفت الصحون ، وأنا بدوري استعددت للذهاب أيضا. إنها متعبة بالتأكيد من قرارات اليوم ، لكنها أمسكت بيدي وأنا أنهض ، وقالت: «هل تمانعين في البقاء قليلا ؟».

قلت: «بالطبع لا».

سارت بجوار النافذة ثم التفت عائدة.

حاولت مساعدتها، ولكن كما حصل عندما كانت في طريقها إلى زنزانة رايزك على السفينة، لقد خذلتني هبتي. إنّها تشدُّ شعرها، مهتاجة، فيتجعّد حول أذنيها. قالت لي بعد أنا قامت بعدة دورات في الغرفة: «هبتي تأتي مع تحدياتها أيضا».

اعتقدتُ لفترة طويلة أن موهبتها كانت بسيطة، مجرد رؤية ذكريات الآخرين بمجرد اللمس. لكن الأمر أكثر من ذلك. فهي تعيش مع الماضي الذي يجذبها دائما ويحاول حملها بعيدا. «منذ أن كانت أوري —» توقفت، ابتلعت غصتها، وبدأت من جديد. « تعثرتُ في الذكريات. وهو أمر جيد عندما تكون هذه الذكريات جيّدة، كما هو الحال مع آست، ولكنّها ليست جيدة دائما، وهي تأتيني في أحلامي».

ارتبكت وهزت رأسها.

قلت: «لماذا لا نتحدث عن شيء ألطف، حتى تنامي».

«لست متأكدة.... لا أعتقد أن هذا سيكون جيّدا». لا تزال تهزّ رأسها. «كنت أتساءل إذا كان... إنه أمر سخيف، ولكن —».

قلت: «أفصحي عن كل ما يمكنه أن يساعدك».

قالت: «تساءلتُ إن كنتِ تستطيعين السماح لي الولوج إلى ذكرياتكِ. إذا استخدمت هبتي لرؤيتها، ربما يمكنني الحصول على بعض السلام، لبعض الوقت».

«أوه». ترددت. فليس لديّ كثير من الذكريات الجيدة لتختار من بينها. إن ذكريات طفولتي حزينة، لأنها كلها مبنية على انتزاع إيجية وأكوس وأخذهما بعيدا، أو عن أبي وهو يحتضر. أما الذكريات اللاحقة فتتمحور حول سحب أمي من توهانها الدائم، وهي بدورها ليست ذكريات رائعة.

لم تعد الأيام جميلة إلا عندما التم شملي مع أوري ، ولكن تلك الفترة لم تكن طويلة لأنها ارتبطت بتعرفي إلى إيساي...

قالت إيساي: «أنا آسفة ، لم يكن عليّ أن أسأل ، إنه انتهاك للخصوصية».

قلت: «لا! الأمر ليس على هذا النحو ، كنت أفكر فقط في أن كثيرا من ذكرياتي الجيدة مرتبطة بكِ أنتِ وأوري ، ولم أكن متأكدة مما إذا كان ذلك سيكون مريحا».

«أوه». توقفت. «لا ، هذا جيد...». انتقلتُ إلى فراشها ، جلست على طرفه ، كانت الملاءة ناعمة ومطوية تحت الفراش. ربتت على المساحة المجاورة لها ، فجلست بشكل مائل بحيث يمكنها أن تنظر إلى وجهي.

قلت: «أعطني علامة».

ابتسمت: «علامة ، هذه إحدى كلماتي المفضلة في اللغة الهيسيّة».

بعدها أغمضت عينيّ ، حتى أتذكّر. الأمر لا يتعلق فقط بالتفكير في موعد لقائي بها ، أو عندما شعرت بأنني كنت حقا صديقتها – بل يتعلق بالتفاصيل.

تفاصيل مثل الرائحة التي كانت تعبق بالهواء ، ومقدار برودته ، وماذا كنت أرتدي ، وهذا ليس سهلا. كنت في المدرسة ، لذلك كنت دائما أرتدي الزيّ الرسميّ في المرات القليلة الأولى التي قضيناها معا ، وهو رداء سميك يغطّي ثيابي بحيث لا تتلوث بغبار النباتات وأوراق الأشجار المتساقطة التي تنمو في كل مكان....

قلت: «تفضّلي» أتذكّر رائحة تقشير تلك الفاكهة المالحة ، الخضراء والمنعشة.

لقد سبق لها أن طبقت هبتها عليّ ، عندما كنا نتعرف إلى بعضنا بشكل أفضل ، لذلك كنت أنتظر أن تلمس وجهي بيدها. أصابعها باردة ومتعرّقة قليلا ، ولكنها أصبحت دافئة بسرعة ما إن استقرت على فكي ، وانتقلنا سويا إلى ذكريات الماضي.

وقفت خلف حاجز مصنوع من الحبال وكان الحشد يضغط على ظهري. لم أكن أمانع ذلك حينها لأنه كان يشعرني بالدفء، ويحميني من الرياح والثلوج. لم يكن أمامي من حل سوى ضم أصابعي إلى بعضها تحت القفازات للحفاظ عليها دافئة، ولكنّي لم أشعر بذلك البرد، البرد العميق الذي يجعل أسنانك تصطك.

وقفنا هناك لفترة طويلة قبل أن تظهر السفينة فوقنا، وتنخفض، من دون أن تنحرف، إلى منصة الهبوط. كانت السفينة صغيرة ومتواضعة، سفينة نقل هيسا. كان الناس من حولي يشهقون عندما يميزونها؛ المعدن المبعج، فتحات الحرارة التي تحافظ على المحرك من التجمد. بالنسبة إلي بدا ذلك وكأنه رسالة: أنا واحدة منكم، مجرد ثوفية بسيطة.

هبطت سفينة هيسا، وفُتِح الباب، وخرجت امرأة ترتدي الأسود. كان وجهها مغطّى، بالطبع، من الأنف إلى الأسفل. لكنها لم تكن تضع نظارة واقية، كما كان يضع الجميع، لذلك كان بإمكاني رؤية عينيها الداكنتين، ضيقتي الفتحة، وتلك الرموش المغروزة في الجلد فوقهما. فرِح الجميع لرؤيتها لكنني لم أفرح، كنت أحاول معرفة إن كانت عيناي تريان جيدا. لقد كانت العينان عيني أوري اللتين لم أرهما منذ سنوات، نعم إنها هي، إنها أوري.

وبعد لحظة، خطت امرأة أخرى خلف أوري، وهي شقيقة المستشارة، وافترضتُ، أستطيع فقط أن أقسم بأنني كنت أراها اثنتين. كانت هي نفسها بالطول نفسه، والمعطف نفسه، وغطاء الوجه نفسه، ونفس العينين اللتين تنظران وتتمعنان بالحشد من دون أن تبديا أي مشاعر. سارت المرأتان جنبا إلى جنب نحو المبنى. لم تتوقفا عن الإمساك بالأيادي.

رفعتا أياديهما المغطاة بالقفازات. عيونهما أخفت الابتسامات التي لم نتمكن من رؤيتها. كانت مشيتهما على نسق سلس منتظم، لقد بدتا وكأنهما تسيران على عجلات وليس على قدمين. كانت الأخرى نشطة، ما جعل رأسها يتحرك إلى الأعلى والأسفل بينما هي

تتحرك. عندما تجاوزتاني ، سحبت نظارتي إلى أسفل حتى أتمكن من رؤية وجهيهما بشكل أفضل ، أنظر إذا كانت هذه أوري أم لا.

نظرت إليّ عينا إحدى المرأتين ، عندها تعثرت خطواتها ، وبعد قليل ، اختفت المرأتان.

في وقت لاحق من ذلك اليوم ، سمعتُ قرعا على الباب. كنت أعيش في مبنى المنامة بجوار المستشفى ، وكان يربط بين المبنيين جسر مغطى. أحيانا أميل جبهتي إلى الزجاج وأحدّق إلى حقول زهرة الجليد من هناك. يمكن أن أرى لطخات من اللون من هنا ، حيث مباني أوسوك متدلية من السماء كالثريّات.

كانت غرفتي صغيرة وتحتشد بالأشياء. أكثرها الأقمشة ، والأوراق ، أما الكتب فكانت ترفا على كوكب ليس فيه العديد من الأشجار. ولكننا صنعنا الورق من عجن سويقات نبتة زهرة الجليد ، وعالجناها بلبّ البتلة النقي لجعل الورق ناعما.

صبغناه بكل أنواع الألوان ، باهتة ومشرقة ، داكنة وفاتحة. أي شيء سوى الرمادي ، والذي كان كل ما نراه طوال الوقت. علّقت النسيج على طول الرفوف ، لإخفاء ما كان عليها ، وقمتُ بتعليقه على الجدران لتغطية الأماكن الذي تقشر فيها الطلاء. في الغالب غرفتي كانت مطبخا ؛ كان لديّ القليل من المواقد هنا وهناك مع شيء مطهو عليها ، وكان الهواء مليئا بالبخار أو الدخان. لم تكن غرفة نظيفة ، لكنها كانت دافئة.

مع ذلك ، لم تكن غرفتي مناسبة للضيوف الذين زاروني اليوم. مسحت يدي على المريلة وفتحتُ الباب ، لقد بلل العرق جبهتي وحاجبي. وقف رجل طويل القامة وضخم أمامي مباشرة ، كان يبدو فظا بعض الشيء.

قال الرجل: «سموّ عائلة بينيسيت تطلب شرف ضيافتكم». لم يكن الرجل ثوفيا. استطعت أن أخمن ذلك من خلال ترك أزرار قميصه مفتوحة عند عنقه. كان يرتدي ثيابا ذات لون رمادي باهت ، والذي يعني أنه يجب أن يكون من المجلس ، وأكدت لهجته

الرسمية ذلك. قلت: «آه» ، وكان ذلك كل ما استطعت قوله. ثم تدخّلت هبتي ، وهدأت الوضع ، لذلك لم أشعر بالقلق. «بالتأكيد ، مرحّب بها هنا ، وأنت أيضا».

ابتسم الرجل ابتسامة صغيرة.

وقال: «شكرا لكِ ، سيدتي ، لكن وظيفتي هي البقاء خارج الباب». تفحص شقتي للتأكد من أنها آمنة ، تجول من خلال كل غرفة وعيناه على كل ما عندي من الأشياء. حتى دسّ رأسه في الحمام للتأكد من أن أحدا لا يختبئ فيه حاملا سكينا ، أو هكذا افترضت. ثم خرج ، وأومأ إلى أحد بعيد عن نظري. كانت هناك امرأتان طويلتا القامة ، نحيلتان ، ترتديان فستانين أسودين مزررين حتى العنق ، وملثمتين.

تراجعتُ إلى الخلف للسّماح لهما بالدخول ، لكنني لم أحييهما. كل ما استطعت فعله هو التحديق إليهما. ثم تخطتني إحداهما لإغلاق الباب ، وابتسمت لي.

أستطيع أن أخمن من تكون من تجاعيد خدها. قالت: «سيسي» ، ثم عرفت ، أنا أعرف حقا ، إنها هي. قلتُ: «أوري» ، وتعانقنا عناقا دافئًا وتبادلنا الضحكات.

من فوق كتفها ، رأيت شقيقتها تسير عبر شقتي الصغيرة ، تمرر أصابعها على كل شيء تمر بجانبه. توقّفَت عند الرف ، حيث احتفظت بصور لعائلتي وراء غطاءٍ معلّق ، فالغطاء سيحول دون أن أنظر إليهم ، فالنظر إليهم كان يحرك أشجاني.

ابتعدتُ عن أوري ، التي أرادت بشدّة سحب غطاء وجهها إلى الأسفل.

بدت كما اعتقدتُ أنها ستكون ، ولكنها أكثر حدّة ، وأكبر سنا. كان شعرها الأسود يخرج مشعثا من تحت غطاء وجهها ، كالقشّ ، مربوطا بعقدة في مؤخرة رقبتها. كان فمها مائلا عند حوافه ، مجعّدا بفعل ابتسامتها العميقة. «لا أستطيع أن أصدق.. لا أستطيع أن أصدق أنك أخت المستشارة لا أصدق أنكِ هنا» ، هو ما قصدت قوله ، لكنني لم أستطع. «أنا آسفة جدّا».

نظرَت إلى الأسفل. «ألم يكن هناك طريقة أخرى. كيف أمكنكِ أن تكذبي عليّ طوال حياتنا؟» لكنني لم أقل ذلك، كنت أعرف أنني لن أستطيع قول ذلك.

لم أستطع قول أي شيء على الإطلاق، في الواقع. وضعت يدي على مرفقها أرشدها إلى الغرفة، نحو الوسائد التي كدّستها حول الموقد حيث وعاء الشاي.

كنت أدرس آثار أزهار الجليد.

سألتها: «إلى أين ذهبتِ؟».

أجابت: «إلى سفينة المجلس. حيث كانت إيساي تتعافى هناك».

نظرَت إلى أختها، كنتُ أعرف أن اسم المستشارة كان إيساي. كانت تجلس على الكرسي الوحيد في الغرفة، بالقرب من شقيقتها. طوت يديها في حضنها للحصول على السكينة للحظة أو اثنتين قبل أن تكشف عن عينيها وتشد غطاء وجهها بعيدا عن فمها وأنفها. كانت الندوب التي شطرت وجهها شريرة وجديدة، من خلال لونها الأحمر المشرق.

لم تكن جميلة.

لوحت إيساي بيدها أمام وجهها: «إنها تعني التعافي من هذه».

حاولت أن ابتسم. «يبدو هذا مؤلما».

امتعضت إيساي وقالت: «حسنا، أنتِ أكبر فرد في عائلة كيرسيث؟ أنت حديث الناس، في هذه الأيام. آل كيرسيث، الكاهنة، خائنة، و... حسنا، الشخص الذي يجب أن يكون حذرا مع السكاكين. الطفل الأول من عائلة كيرسيث سيستسلم للإعدام، أليس هذا مصيره؟».

شعرت بغصّة.

أخي ليس خائنا. سأكون غير مبالية بالسكاكين بقدر ما أنا جيدة في استخدامها.

اخرجي من شقتي ، من تظنين نفسك بحق الجحيم؟ لم أستطع قول أي من هذه الأشياء ، مع ذلك. قالت أوري: «إيساي!» بدا من نبرة صوتها أنها توبخها.

قالت: «أفترض أنه لا يجدر بي استحضار مواضيع غير سارّة بدون دعوة ، لكن هذا هو واقع من أنتِ ومن أنا ومن هي أختي. وأنا أحب أن أواجه الواقع».

قالت أوري: «أنت تتكلمين بوقاحة».

أخيرا قلت: «لا بأس. لقد مررت بأسوأ من ذلك». ضحكت إيساي ، وكأنها تعرف ما كنت أحاول أن أقول. يجب أن تكون قد تعلمت من قبل المجلس ، على الأقل لبعض الوقت ، وهم الخبراء في قول شيء يحمل معنيين في الوقت نفسه.

قالت بصوت منخفض: «كانوا سيحبونك في سفينة المجلس».

«إنها ذكريات جيدة ، وليست تلك التي تغضبينني فيها!».

سحبتني إيساي من الذاكرة إلى سفينة المجلس مرة أخرى ، ورغم أنها توبّخني ، كانت تضحك أيضا.

«أنا آسفة ، من الصعب السيطرة على ذلك!».

قلت مع ضحكة بسيطة. «كنتُ فظيعة معكِ». كانت عينا إيساي تلمعان بعض الشيء عندما تنظر إليّ بعد ذلك. لونهما جميل ، بني داكن مع بعض الدفء بدا داخلهما يوحي بالخير. «كيف أصبحتِ صديقتي؟».

قلت: «سأعود وأريكِ».

كانت رائحة التوابل تفوح من يديّ اللتين كانتا غارقتين فيها ، وغارقتين في عجينة بحجم رأسي. نفخت سحابة من الطحين حول وجهي وأنا أعجن العجين في الأسفل على الطاولة. لم أزر المنزل في كثير من الأحيان ، ولكنه كان وقت الخمول ، ولم أفوّت

مطلقا تفتّح الأزهار في هيسا ، لذلك كنت هناك لبضعة أيام.

كانت تجلس إلى الطاولة خلفي إيساي بينيسيت. وكانت قد رفضت الذهاب إلى المعبد مع أوري ، التي أرادت أن تسأل الكاهنة ، أمي ، عن شيء ما. لذا تركتها أوري هنا كما لو كانت طفلة بحاجة إلى أن تكون مراقبة بالرغمِ من أنها كانت تعلم أننا لا نحب بعضنا كثيرا. كان يوجد أمام إيساي كوب كامل من الشاي. يمكنني القول إنها لم تلمسه منذ أن قمت بإعداده لها قبل ساعة.

«حسنا» قالت ، بعد أن طويت قطعة العجين التي كنت أمدها ، ورفعتها عاليا قبل أن ألقي بها مجددا على الطاولة. «هل تأتين إلى المنزل كثيرا ؟».

قلت: «لا» ، وفوجئت بمدى جدّية الإجابة التي خرجت من فمي. عادة ، لم تسمح لي هبتي بالتحدث بهذه الطريقة إلى الناس.

«هل من سبب معين ؟».

توقفتُ. لم أكن متأكدة أنني أستطيع الإجابة عن سؤالها. معظم الناس لم يريدوا حقا أن يسمعوا عن مشاكلي ، حتى لو سألوا عنها ، ما يعني أنني حرفيا لم أتمكن من التحدث عنها.

كان لدى الحزن طريقة للقيام بذلك ، جعِل الناس متعبين. قلت: «هناك كثير من الظلال في هذا البيت».

قالت إيساي: «آه». وبعد ذلك فاجأتني بقولها: «هل تريدين أن تخبريني عنها ؟».

ضحكتُ: «هل تريدين أن تسمعي عنها ؟».

قالت باستهزاء. «يبدو أننا لسنا جيدتين في التحدث بعفوية ، نعم أريد أن أسمع عنها».

أومأتُ برأسي، وضربت قطعة العجين على الطاولة. لعقت بعض العجين النيّئ عن أصابعي قبل غسلها في الحوض، ومسحتها بقطعة قماش لتجفّ. ثم قدتها إلى غرفة المعيشة. كان رائحة الخميرة والتوابل تفوح في كامل البيت. وكان سروالي لا يزال يحمل بعضا من بصمات الطحين من أصابعي. فأشرت إلى جزء من أرضية غرفة المعيشة التي بدت مثل كل جزء آخر من الأرض، بالية وخشبية، وقلتُ: هناك. «هذا هو المكان الذي سقطت فيه جثته».

لم تسألني إيساي عمن كنت أتحدث. كانت تعرف القصة والجميع في ثوفي يعرفونها. وبدلا من ذلك، جلست في المكان الذي مات فيه والدي، ومرّرت أصابعها فوق الحبوب الخشنة.

وقفتُ هناك فقط، متجمدة في مكاني. ثم بدأت الحديث. قلت: «جلست بالقرب من جسده لساعات قبل تنظيفه، لقد توقّع جزء مني أن... يستيقظ مجددا، ربما كنت أظن نفسي في كابوس». أطلقتُ صوتا خفيفا، شيئًا صغيرا ومؤلما. «ثم اضطررت للتعامل مع ذلك. أن أغلّف جسده، وأن أعثر على دلو لملئه بالماء الدافئ. والحصول على حفنة من الخرق القديمة. تخيلي الوقوف هناك بجانب خزانة الأقمشة والملاءات في محاولة معرفة كمية الخرق التي سأحتاجها لتنظيف دماء والدي».

أشعر بغصّة ودموعٍ في عينيّ، لكن ليس من هبتي هذه المرة. لم أبكِ على شخصٍ آخر منذ أن تطوّرت هبتي.

بدأت إيساي بالصلاة. لكن لم تكن تلك الصلاة المريحة أو حتى الصلاة التي تُقال عندما يموت شخص ما. كانت مباركة، لمكان مقدّس.

اعتقدت إيساي أن المكان الذي مات فيه والدي كان مقدّسا.

ركعتُ إلى جوارها، راغبة في سماع صوتها بينما تشكّل الكلمات. كانت يدها ملفوفة حول يدي، وكان ذلك أكثر من غريب، لمس شخص لم أكن أعرفه، شخص لم

يعجبني قط. لكنها عصرت يدي بشدّة، كي لا أفلتها، وأنهت صلاتها بهدوء.

لا أزال أمسك بيدها.

قلتُ: «لم أكن قادرة على إخبار أي شخص بذلك من قبل، إن هذه القصة تؤلم الناس جدا، وتجعلهم يشعرون بعدم الارتياح».

قالت: «هذا لا يجعلني أشعر بعدم الارتياح». أصابعها الباردة تجتاح عظام وجنتي، ماسحة الدموع عنها، تضع خصلة من شعري خلف أذني.

قالت بهدوء وهي تمزح بلطف: «إن تعريفك للذاكرة الجيدة يحتاج إلى عمل أكثر».

قلت: «لم أبكِ منذ سنين، إلا عندما أكون لوحدي، لم يكن هناك أحد على الإطلاق ليهوّن عليّ، ولا حتى أمي. جميع المآسي في حياتي، يصعب على معظم الناس التعامل معها. لكن يمكنكِ التعامل معها. يمكنكِ التعامل مع كل ما أخبرتكِ به».

لا تزال يدها خلف أذني.

ثم مررت أصابعها عبر شعري، تدلّك التجعدات بأصابعها، فأقبّلها. مرّة واحدة: بنعومة، ولفترة وجيزة جدّا.

أقبّلها مرة أخرى، بشدّة، فتقبّلني هي الأخرى. مرة أخرى، وكأننا لا يمكننا التحمّل أن نكون منفصلتين. تجد يداي الخشنتان مؤخّرة عنقها، ونضغط سوية، منغمستين معا ومتشابكتين معا. ندفن أنفسنا عميقا في هذا الجيب الصغير من السعادة بقدر ما يمكننا الحصول عليها.

الفصل الثالث عشر

أكوس

لقد كُدس المنفيون فوق بعضهم في مساكن مؤقتة، وكانت الأسرّة عبارة كوات في الجدران مبطنة بالمعدن. لم يكن ترتيب الإقامة هذا دائما، وبحسب ما أظن سيستمر لأيام معدودة. هذا ما قيل للمنفيين عندما رأوا أسرّتهم.

كان السرير العلوي لسايرا، وبما أن الأسرة لم تكن واسعة بما يكفي لينام فيها شخصان، لذلك لم تكن هناك فرصة لتشارك السرير معها. تيكا الرشيقة والمتسلقة البارعة، كان سريرها أسفل سرير سايرا، أما سيفا وإيجية فخصص لهما السريران الأسفلان، وكان سرير أكوس الثالث فقد نام بين اثنين من الثوفيين واثنين من الشوتيت.

بالرغم من وجود صفيحة معدنية تفصله عن سرير تيكا، لا يزال يسمع صوت انزلاق الملاءة عندما تتقلب والتي أخذت تصدر صوتا مزعجا طوال الليل. عندما استيقظ وجد نفسه بجانب المرأة التي نامت في الخانة التالية منحنية على نصفها تحته. كان هناك شيء ما حول الطريقة التي تحركت بها، وقد لاحظ أكوس الطريقة التي تنحني بها ساقاها.

قالت المرأة بسرعة وهي تنظر إلى وجهه بقسوة: «يبدو أنني فقدت لمستي بما أنني أيقظتكَ». لقد كانت ترتدي زوجا من السراويل.

قال وهو يؤرجح ساقيه على حافة سريره وينزل إلى الأرض: «أنا أعرفك ربما التقيت بك من قبل». قبل أن يفرك أصابع قدميه على الأرض الباردة.

فقالت: «كنتُ أحد الشهود عندما حصلتَ على درعك. كنت أحد مراقبيك. أنت

كيرسيث».

كان الحصول على الدروع يتطلب ثلاثة شهود. لقد استغرق الأمر منه وقتا طويلا للوصول إلى فاكريز نوفاك، الجنرال، للموافقة على استدعائه لهم. سخر فاكريز من فكرة أن شخصا ليس من مواليد شوتيت يمكن أن يقتل مدرّعا. لقد كان يتحدث مع زوجه مالان وقال. إذا فشل، ماذا سيحصل؟ قال، مشيرا إلى أكوس. يثبت أن الثوفيّ لا يصلح لارتداء دروعنا. وإذا نجح في ذلك، فإن الفضل في ذلك يكون لك لأنك دربته بشكل جيد. في كلتا الحالتين، ستكون أنت الرابح.

عندها غمز مشيرا إلى أكوس. شعر أكوس بأن مالان يتفق مع فاكريز في أكثر الأحيان.

قالت المرأة: «من الجيد أنك أثبت نفسك، لقد تعاملت مع المدرع بطريقة غير تقليدية».

أومأت إلى معصمه، حيث كان يضع علامة على قتل حيوان كما وضع علامة لأي شخص آخر قتله. هو لم يغطِّ العلامات عندما نظرت المرأة إليها، كما يفعل أمام عائلته. لكنه أشار بإصبعه إلى العلامة التي تشير إلى فاس كوزار. لم يحسم حتى الآن قراره، أيجب عليه أن يعتبر هذه العلامة علامة انتصار أم جريمة.

تذمرت تيكا من السرير أعلاه وقالت: «كفى ثرثرة!». وألقت وسادتها، فأصابت رأس المرأة.

كان لدى أكوس ملابس احتياطية حصل عليها من منفاه وكانت تناسب مقاسه. في الليلة السابقة كان قد ارتداها، والآن رش بعض الماء على وجهه ليستيقظ، فجرى بعض الماء البارد على الجزء الخلفي من رقبته وسار نزولا فوق عموده الفقري. لم يكلف نفسه عناء تجفيفه. فقد أبقى سكان كوكب أوغرا مبانيهم دافئة.

عندما خرج متوجها إلى قاعة الطعام ، أدرك أنه للمرة الأولى منذ وقت طويل يسير من دون توجيه ، فلم يكن هناك أحد يخبره أين يستطيع أو لا يستطيع أن يذهب ، وللمرة الأولى لم يكن مطاردا ولم يحتج للاختباء. قرر مواصلة المشي ، وتجاوز قاعة الطعام ، وهي مستودع قديم قام سكان شوتيت بتجديده ، وتوجه نحو قرية غالو التي يقطنها الشوتيت والأوغران.

التقط بعض كلمات الشوتيت عندما مر بالقرب من أحد أكشاك السوق ، لقد سمع رجلا مسنا من الشوتيت يساوم بصوت ضعيف على سعر ثمرة من أوغرا تشبه شكل الدماغ وكانت متوهجة ، ولاحظ قطعة قماش تهزها إحدى النساء من النافذة وقد خيطت على شكل خريطة فوا.

لم تكن المباني مستقيمة ، وكانت الجدران متضررة بسبب ما تركه عليها الزمن من أثر. بعض الأبواب كانت مفتوحة ، تحاول أن تكشف قدر ما تستطيع ما بداخل المتاجر ، وكانت الأزقة ضيقة ، وبالكاد استطاع أكوس المرور فيها من دون أن تلامس كتفاه الجدران ، وكانت متاهة الأزقة تقود إلى مزيد من المتاجر المختفية خلف الصفوف الأولى.

لم تكن هناك أي علامات تدل على الطريق أو المتاجر ، فلم يكن أمام الشخص ليعرف ماذا يوجد بداخل المتجر إلا أن يقحم رأسه عبر واجهة المتجر أو بابه ويرى.

نصف الأشياء التي كانوا يبيعونها لم تكن مألوفة له على أية حال ، لكنه تمكن من أن يشعر أن سكان أوغرا أرادوا وأحبوا أن تكون أشياءهم صغيرة ومعقدة ، إن وُجدت.

شعر بالتوتّر ، وكأنّ شخصا ما سيقبض عليه وهو يمشي وسيعاقبه على ذلك. ولكن طوال الطريق كان يذكر نفسه بالجملة التالية لم تعد سجينا بعد الآن. يمكنكَ الذهاب أينما تريد. لكنه صعب عليه تصديق الجملة.

ثم اشتمّ رائحة في الهواء أطلقت في رأسه حنينا لذكرى من الأيام الخوالي ، لم يستطع أن يتحكّم بنفسه. توغّل في أحد الأزقّة ، ينظر إلى جانبيه حتى لا يمزق قميصه

بالحجارة الناتئة، تقدم، فانطلقت سحابة بخار من نافذة أمامه، وعندما اختلس النظر بين القضبان، رأى امرأة مسنّة منحنية أمام موقد، تحرّك شيئًا في وعاء حديدي. لقد تدلت من فوقها حزم من النباتات المربوطة بخيطان والمعلقة من أعلى السقف نزولا إلى الأرض، وحيثما نظر بعيدا عن النباتات وجد أرففا تحتوي على جرار تحمل رسوما من شوتيت، وتكدست على أحد الأرفف السكاكين والملاعق والأكواب الخاصة بالقياس والوزن وأوعية ممتلئة عن آخرها.

التفّتت المرأة، وما إن لمحته حتى حاول أن يتوارى عن الأنظار، ولكن سرعته خانته، فقد ضبطته عيناها الزرقاوان بالجرم المشهود، كانت عيناها مشرقتين كعيني تيكا، وكان أنفها مدببا، وكانت بشرتها معتدلة اللون مثل بشرته. ما إن ضبطته حتى صفّرت له من بين أسنانها المطبقة وقالت له:

«حسنا، تفضّل بالدخول، يمكنك أن تمد لي يد المساعدة وتحرك».

انحنى تحت إطار الباب. لقد شعر بأنه كبير جدّا بالنسبة إلى متجرها الضيق — هل كان متجرا؟ بالكاد كان طولها يصل إلى صدره، وكانت نحيفة، وكانت عضلات ذراعيها قوية بالنسبة إلى امرأة بسنها. اعتقد أنّه لا يوجد مكان للضعفاء هنا.

تناول الملعقة منها.

قالت: «حرّك باتجاه حركة عقارب الساعة. واكشط القاع، ولكن لا تحرك بسرعة». وعملا بنصيحتها أخذ يعمل باذلا قصارى جهده. لم يعجبه الصوت الذي كانت تصدره الملعقة المعدنية في قاع الإناء، لكن لم يكن أمامه خيار آخر. فلم يجد أي ملعقة خشبية بمتناول يده. من المحتمل أن تقتلك الأشجار إذا قمت بقطعها هنا.

سألته المرأة بصوت أجش: «ما اسمك؟». كانت قد توجهت إلى طاولة المطبخ الضيقة التي لا يتجاوز عرضها عرض وركيها، وكانت تقطع أوراقا لم يستطع أن يعرف ماهيتها. وفجأة رأى حزمة من أوراق السندس مباشرة أمام وجهه. فتساءل في نفسه من أين حصلت

عليها؟ هل يمكن أن تنمو على كوكب أوغرا؟ بالتأكيد لا.

أجابها: «أكوس».

سألها «من أين حصلت على أوراق السندس؟».

فقالت: «من الواردات، أتعتقد أن الطقس بارد بما يحول دون نمو أزهار الجليد هنا؟».

أجابها: «لا أعتقد أن الدفء أو البرد هو أكبر عقبة في الحقيقة، بل أعتقد أن غياب الشمس هو المشكلة».

فقالت بصوت أشبه بالأنين وبما يشبه القناعة: «إنهم لا يخاطرون بالطيران لجلب شحنات جديدة في كثير من الأحيان. أنتَ غير مهتم بمعرفة اسمي؟».

«لا – ليس الأمر على هذا النحو».

ضحكتُ. «أنا زينكا. لا تشعر بالإزعاج أو الإحراج، فأنا لن أوبخ شخصا يهتم بأمر النباتات أكثر من اهتمامه بمعرفة اسمي. فالأمر سيبدو فيه كثير من النفاق، تمهّل، ستخرّب الأشياء الهشّة إن استمررت بالتحرك بهذه السرعة».

نظر أكوس إلى يده. كان يحرّك بأسرع مما كان يريد.

أبطأ من حركة يده. من الواضح أنه كان عديم الخبرة في هذا الشأن.

سألها: «هل سبق وأن أحضرت الهاشفلور إلى هنا؟».

أجابته: «إنها لا تفيدني في شيء، لا أعرف كيف أتعامل معها، وكما تعلم لا يجب العبث بها».

ضحك: «نعم. أعلم ذلك. في موطني طوقت الهاشفلور بسياج لمنع الناس من

إيذاء أنفسهم».

سألته: «موطنك ، أين يقع ؟».

أدرك ما تلفظ به بعد فوات الأوان ، فهو لم يكن يرغب بإعلام أي كان أنه من ثوفي وأنه بصحة أشخاص غرباء. ولكن كان قد مرّ وقت طويل منذ أن التقى بشخص لم يكن يعرف بالفعل من هو.

أجابها عندما أيقن أنه لن يستطع الهرب من الجواب: «هيسا ، لم تعد مدينتي ، على ما أعتقد».

قالت «اسمك أكوس ، مع ذلك. هذا اسم من الشوتيت».

أجابها: «لقد قيل لي ذلك».

سألته: «حسنا ، ماذا تعرف عن أزهار الجليد ؟».

أجابها: «كان والدي مزارعا ، وقد علمتني أمي بعض الأشياء أيضا ، ولكنني لا أعرف أي شيء عما ينمو على أوغرا».

قالت: «نباتات أوغرا شرسة. إنّها تتغذى على النباتات الأخرى ، أو اللحم ، أو التيار ، أو عليها مجتمعة ، وإن لم تكن حذرا ، فستنتزع يدك من مكانها ، أو تمتصّك من الداخل إلى الخارج. إن الحصاد هنا أشبه بالصيد ، وهناك خطورة أخرى تتمثل في تسميم نفسك تقريبا في كل مرة تخطو فيها بخطوة في الغابة». ابتسمت قليلا. «ولكن يمكن أن تكون مفيدة ، إذا كنت تستطيع الحصول عليها. إنها تحتاج إلى طهي ، وهذا ما يجعلها تخسر بعضا من فعاليتها».

«ماذا تفعلين بها ؟».

قالت: «كنت أعمل على دواء من شأنه أن يثبّط التيار ، لأولئك الذين يملكون

هبة قوية جدا بالنسبة إليهم هنا ، كثير من الشوتيت يشعرون بأن هبتهم قوية لدرجة أنهم يتمنون الموت للتخلص منها. يمكنني الاستفادة من المساعدة ، إذا كنت مهتمّا بالتقطيع والتقشير والدقّ».

ابتسم قليلا. «ربّما ، ولكنّي لست متأكدا مما سأفعله أيضا أثناء وجودي هنا».

«أنتَ لا تنوي البقاء طويلا».

كانت تعني أنه لم يكن ينوي البقاء في أوغرا طويلا ، ولكن أكوس فهم سؤالها على نحو مغاير فهمه ، بمعنى ، كم من الوقت سيعيش قبل أن يلقى حتفه ؟ يوم ؟ سنة ؟ عشر سنين ؟ شعر وكأنه مخلوق في أعماق البحار ومعلق بخطاف يسحبه نحو السطح ، ليس بيده حيلة ، ينتظر أن يرفعه الخطاف من الماء ليموت.

أجابها: «لا يهم ما أنويه بعد الآن».

عندما وصل أكوس إلى قاعة الطعام كانت في غاية الهدوء ، كانت أصابعه ملطخة باللون الأخضر من بعض جذوع الأوغريّة التي كسّرها لزينكا. كانت القاعة هادئة ومزدحمة في الوقت نفسه ، الجميع يتدافعون حوله لكنهم لا يذهبون إلى أي مكان. كان يبحث عن سايرا عندما جاء جوريك إليه. كانت ذراعاها عاريتين من الكتف إلى الأسفل ، ربما قصّ الكمين الباليين مستعينا بأسنانه الحادة.

قال جوريك: «ها أنتَ ذا ، إلى أين أنت ذاهب ؟ الجميع يفقدون عقولهم».

مباشرةً ، شعرَ أكوس بالتعب لدرجة أنه أحس أنه سينهار هناك على أرضية قاعة الطعام ، على فتات الخبز المتروكة والمهملة على الأرض. «ما الذي يحدث ؟».

«لقد أرسل القمر الصناعي الأوغريّ مجموعة من الأخبار قبل بضع دقائق. سيبثّونها على الشاشات هنا في أقرب وقت ممكن. لكن يبدو أن هذا غير معقول». قال جوريك. «لم يقولوا الكثير ، لكنهم طاردوا سايرا ، ولا أعتقد أن ذلك لمجرد أن إيساي

بينيسيت تعتقد أنها قائدتنا».

مسح أكوس القاعة بعينيه بحثا عن سايرا قبل أن يجدها عندما لاحظ لمعان الجلد الفضي على رأسها، الذي كان منحنيا نحو ازا؛ إحدى قادة المنفى. كانت عاقدة الحاجبين، وهذا يعني أنها كانت هادئة، فهي عندما تكون عاقدة الحاجبين متجهمة تكون هادئة، وعندما تتوتر تصبح جامدة مثل التمثال، أما عندما تضحك فكان ذلك يشير إلى أنها هلعة، وبما أنها عاقد الحاجبين فهي... حسنا، لم يكن يعلم تماما. كان في طريقه إليها عندما أضاءت الشاشات – كانت هناك أربع شاشات في القاعة، كانت مجموعة إلى بعضها ومتدلية من سقف القاعة وكأنها ثريا – وبدأت في عرض اللقطات. في البداية كان موجز الأخبار العادي، ثم تحوّل إلى لقطة تُظهر وجه رجلٍ ما. كان ذا بشرة معتدلة، ووجه صارم حاد الملامح، نحيلا، هزيل الكتفين، لكنّه لم يبدُ ضعيفا، بل العكس. بدا وكأنه يسخّر كل طاقة جسده من أجل عضلاته، دون أن يدّخرها لأيّ شيءٍ آخر. وكان الأكثر غرابة من ذلك النمش الذي كان ينتشر عبر أنفه، حيث كان يافعا جدا ليمتلك مثل هذا الوجه الصارم والمسنّ.

شخصت أعين جميع من كانوا في قاعة الطعام.

قال: «أنا لازمت نوفاك، وأنا الزعيم الشرعي للشوتيت».

الفصل الرابع عشر

سايرا

لمعت شرارة وجه أبي أمامي.

وتأجّجت كل ذكرياتي.

لقد تسللت من عينيه إلى وجهي آلاف الذكريات ، بينما كانت عيناه تجولان في أرجاء قاعة الطعام ، ظهرت ذراعاه القويتان مشدودتي العضلات وظهرت عليها صفوف تلو صفوف من علامات القتل. كما برز من وسط جبينه وريد كان ينبض عندما يزعجه شخص ما. كانت تلك الصور هي التي أحملها في رأسي عنه ، والتي لطالما أبحرت في ذهني ، لكن أسوأها لم يكن على هذا النحو.

لم أرهُ أبدا في أسوأ لحظاته ، لأنني لم أكن أدعى إلى غرفة الإعدامات ، وهذه نعمة أدركتها الآن بالرغم من أنها بدت لي في الماضي وكأنها استبعاد. كان رايزك بخلافي يحضر عمليات الإعدام ، والاستجوابات ، والتدريب الوحشي الذي كان يخضع له جنود الشوتيت. فالجنود لم يعاملوا كأشخاص يمتلكون أرواحا يمكن أن تزهق بل كأشياء يمكن أن تستخدم لمرة واحدة ويتم التخلص منها بعد ذلك. وعندما أصبح أكبر ، أُجبر على المشاركة ، لتعلم فن الألم بالطريقة التي تعلم بها الآخرون الموسيقى أو اللغة ، وليبني لنفسه سمعة مرعبة مثل والدي.

لذلك ، كانت أسوأ ذكرياتي عن لازمت في الواقع متعلّقة برايزك ، أو بأمّي ، وها هي تظهر بمجرد أن ظهر.

الآن، كان لازمت نوفاك نفسه يحدق إلى وجهي من الشاشة فوق رأسي، فأجبرت نفسي على الوقوف صامدة. بالطبع، كان يحدق إلى الجميع، وليس إليّ، لكنني شعرت وكأنها المرة الأولى التي ينظر فيها إلى عينيّ، أردت أن أتحمّل الضغط تحت إمعان نظره ذاك.

ربما ليس أباكِ، صدح صوت في رأسي.

قال: «أنا لازمت نوفاك، وأنا القائد الشرعي لشوتيت».

لقد بدا أنحف من المرة الأخيرة التي رأيته فيها، وقد غزت التجاعيد وجهه، لكنه لم يتغير. كان قد بدأ بحلاقة شعر رأسه عندما بدا شعره يتساقط، وكانت جمجمته ناعمة باستثناء العظام التي تبرز على كلا الجانبين في زوايا حادة. لم تكن العضلات المفتولة حول ذراعيه والدرع الذي يرتديه قادرين على إخفاء كتفيه النحيلتين. كان جلده مسمرا وظهرت عليه علامات تغيّر المناخ ولم يكن أسمر كما كان؛ لقد بدا مثل شخص معتدل البشرة سفعته أشعة الشمس الحادة طيلة فصول متتالية. وقد أضفت لحيته، التي بالكاد كانت نابته، قساوة على وجهه.

لم يكن يرافقه في الرحلة التي قيل إنه مات فيها سوى رايزك وفاس. لقد كانوا في مهمّة منفصلة، مهمّة سرّيّة وهي العثور على كاهنة والإمساك بها. فمنذ أن علم والدي عن قدر أخي، أوّل طفل لعائلة نوفاك سيموت على يد عائلة بينيسيت، كان دائم البحث عن مخرجٍ، لقد كانت كل رحلة إقامة فرصة جديدة لملاحقة كاهنة.

في رحلة الإقامة هذه، تعرضوا لهجوم من قبل القوات المسلحة المحلية، كانوا يفوقونهم عددا، ما اضطر رايزك وفاس إلى الفرار. لم يكن هناك جثة، ولكن الآن تبين أن رايزك لم يقل الحقيقة.

تساءلتُ إن كانوا قد تعرضوا للهجوم أصلا. أين كان لازمت كل هذه السنين؟ لم يكن بإمكانه الاختباء. ما كان ليسلّم قوّته بإرادته. لا بد أنه كان مسجونا في مكان ما. ولكن

كيف تحرر من سجنه ؟ ولماذا عاد الآن ؟

تنحنح لازمت ، وبدا صوته هادرا مثل الصخور الضخمة المتدحرجة على منحدر. «يجب أن يتم تجاهل كل ما قالته المرأة التي قتلت زوجتي وابني ، لأنها ليست زعيمة الشوتيت استنادا إلى قوانين الخلافة لدينا».

تحولت العيون إليّ من جميع الزوايا ، ثم نظرَتْ بعيدا مرّة أخرى. قلت لنفسي لا يهم ما يقوله. لكنني تذكرت يدي المتشققة تمسك ذراع أمي بإحكام ، لتدفعها بعيدا ، وترتجف. لم أقتل رايزك ، لكنني لم أستطع أن أدّعي أنني بريئة من موت أمّي.

لم أستطع أن أدّعي أبدا أنني بريئة مرة أخرى.

«أنا أتحدث باسم شعب شوتيت ، الشعب الذي احتُقر وأُهين لمئات السنين ، واستخفت به كواكب المجلس. هذا الشعب الذي بالرغم من كل الازدراء المستمر الذي تعرض له ، أصبح شعبا قويا مهاب الجانب. لقد لبينا كل متطلبات المجلس: استقررنا على كوكب ، وما زلنا مهمَلين. لقد شكّلنا جيشا عظيما ، وما زلنا مُهملين. لقد حظينا بعائلة مقدّرة ، تحدّث بها جميع الكهنة في النظام الشمسي ، وما زلنا مُهملين. ولكن الآن ولت أيام تجاهلنا وإهمالنا».

بالرغم من خوفي منه ، شعرت بشيء في داخلي. فخر في شعبي ، وثقافتي ، ولغتي ، وأمّتي ، والتي لم أتوقّف عن الإيمان بها ، بالرغم من أنني لم أكن أوافق على الأساليب التي اعتادت عائلتي القيام بها. لقد انتعشتُ بكلماته حتى عندما كنتُ خائفة مما يقصده بتلك الكلمات ، وعندما نظرت حولي ، شعرت بأنني لم أكن الوحيدة. هؤلاء الناس كانوا من المنفيين ، أعداء نوفاك ، لكنهم لا يزالون شوتيت.

قالَ: «نحن نرفض شروط سلام المستشارة بينيسيت. لا يمكن أن يكون هناك سلام بيننا ما دام الاحترام غير موجود ، وبالتالي فإن أكثر الطرق فعالية هي العمل ضدّ السلام. وبناء عليه ، يجب أن تعتبر رسالتي هذه بمثابة إعلان حرب ضد ثوفي ، بقيادة

المستشارة إيساي بينيسيت. سنلتقي مرة أخرى في المعركة، يا آنسة بينيسيت».

ثم أخذت الشاشات تنقل لقطات من مكان آخر، لقطات من قمم تريللا العالية، حيث كان الضباب يرتفع إلى درجة عالية ويتحول إلى سحاب.

كل من حولي في قاعة الطعام كانوا هادئين على نحو غريب وكأن على رؤوسهم الطير.

كنا في حرب.

«سايرا». كان صوت أكوس مريحا، ومألوفا جدا.

قلتُ بشيء بين حازوقة وضحكة: «كان هذا والدي».

قال: «رجل طيب، كلام لطيف جدا، ألا تعتقدين ذلك؟».

هزمتني النكتة مرة أخرى، وأعادتني إلى الحاضر. لقد تبدل الوضع بعدما تكلم لازمت، فالهدوء الذي كان يعم المكان انقلب صخبا. كانت تيكا تخوض جدالا ساخنا مع إتريك، عرفت ذلك لأن إصبعها كان موجها إلى وجهه. وكانت ازا مع رهط من الأشخاص بدوا أنهم خطيرون، وكانت يدها تغطي نصف وجهها.

سألني أكوس بهدوء: «ماذا يحدث الآن؟».

أجبته وأنا أهز رأسي «أتظنّ أنني أعرف؟ أنا لا أعرف حتى ما إذا كنت أنا وأنت نعد منفيين. أو إذا كان لازمت يعد المنفيين شوتيت».

«ربما نحن نشكل كيانا مستقلا، أنت وأنا».

قال جملته تلك، ولمعت بارقة من الأمل في عينيه.

إذا لم أكن منفيّة، إذا لم أكن حتى من شوتيت، فإن بقاءه معي لم يكن علامة

على خيانته الحتمية. منذ زمن طويل كان آل نوفاك والشوتيت مترادفين في ذهنه، إن فصله لي عن الشوتيت كانت الغاية المنشودة. لكنني لم أتمكن أن أكون أصغر، وعلاوة على ذلك، لم أكن أريد أن أكون.

قلت: «أنا من الشوتيت، كنت وسأظل».

بدا مندهشا في البداية، ابتعد عني. لكن ردّه جاء سريعا، وحادّا: «حسنا، لماذا تشكين بي عندما أخبرك أنّني دائما ثوفي؟».

لم يكن الأمر نفسه. كيف يمكنني أن أشرح أنه ما ينطبق عليّ لا ينطبق عليه؟ «الآن ليس وقت هذا النقاش».

«سايرا»، قال مرة أخرى، ولمس ذراعي، كانت لمسته رقيقة كما كانت دائما.

«الآن هو وقت هذا النقاش. كيف يمكننا أن نتحدث عما سنفعل وإلى أين نحن ذاهبان إذا لم نتحدث الآن عمن نحن؟».

كان لديه وجهة نظر.

كان لأكوس طريقته لسبر أغوار الأشياء، لقد كان أكثر حدة مني، بالرغم من أنني كنت أكثر قساوة بكلماتي. ركّزَت عيناه الرماديتان الرقيقتان على عينيّ.

لسوء الحظ، لم نمتلك موهبة التركيز بمقياس متساوٍ. لم أستطع التفكير في كل ما سمعته. أشرت برأسي اتجاه الباب، وأومأ أكوس، تبعني إلى خارجِ قاعة الطعام ودخلنا شارعا هادئا. استطعت رؤية القرية من فوق كتفه، ونقاط خافتة من أضواء حفلات الرقص في كل القرية، كانت الأضواء مختلفة الألوان. بدا الأمر مريحا تقريبا، ولم أكن أظن أن مكانا مثل أوغرا يمكن أن يكون بهذا الشكل.

قلتُ وأنا أنظر إلى وجهه: «لقد سألتَ من نحن الآن».

«أعتقد أننا بحاجة إلى أن نتحرك أبعد من ذلك ونسأل: هل نحنُ فعلا نحن».

سألني بحدة مفاجئة: «ماذا تقصدين؟».

قلت: «ما أقصده هو هل نحن معا، أما أن أحد الأشخاص الذين كانوا يتتبعونك في فوا... مهمتي أن أعيد أسرك، بعد أن فررتَ من أخي؟».

قال: «لا تجعلي الأمر يبدو معقدا عندما لا يكون كذلك. هذا منصف».

«منصف؟» وضحكتُ. «ما الذي مر في حياتك، وجعلك تعتقد أن هناك أمرا قد يكون منصفا؟ رجاء أخبرني، أخبرني هل أنا شيء تختاره بمحض إرادتك أم لا؟».

تقبّل الأمر، اعتقد، لأنني كنت أعرف الإجابة. كنت على استعداد لسماع ذلك، حتى أنني أتوق إلى ذلك، لأنّني كنت أُعدّ نفسي منذ قبلتنا الأولى لهذا الرفض. لقد كان الرفض نتيجة طبيعية لما كنت عليه من وحشية، ألم أكن أنا الملزمة التي تقضي على كل من يقف في طريقي — طريق رايزك — لا سيما إن كان ما يقف في طريقه أكوس بالذات.

قال ببطء: «أنا ثوفي، سايرا. لن أعارض أبدا بلدي، مسقط رأسي، إذا شعرت أن أمامي خيارا».

أغمضت عينيّ — لقد كان الأمر مؤلما — أسوأ بكثير مما كنت أتوقّعه.

ومضى يقول: «لكن والدتي كانت تقول، واجه القدر، لأن كل شيء آخر هو وهم. ليس هناك مجال لمحاربة شيء لا مفر منه».

أجبرت نفسي على فتح عينيّ. «لا أريد أن أكون سبب معاناتك».

قالَ لي: «لم أقصد بكلامي ما فهمته». استجمعت شتات نفسي. لمرة واحدة، لم يكن الألم الذي يلف حول كل طرف مني لعنة عليّ بالرغم من أنه ليس هدية. لم يكن هدية، ولكن مجموعة أخرى من الدروع.

«أنتِ الوحيدة التي تجعل من حياتي محتملة». قال ذلك وقد توترت فجأة كل عضلة في جسمه، ذَكّرني كيف كان يعدّ نفسه في كل مرة جاء فيها فاس.

بدا كتلك المرّة عندما كان يحرس نفسه ضد الألم. «أنتِ النقطة المضيئة من الأمل. أنت يا سايرا، قبل أن أعرفكِ، فكرت في...».

رفعتُ حاجبيّ.

أخذ نفسا عميقا، وبدت عيناه الرماديتان تلمعان كالزجاج. «قبل أن أعرفكِ». بدأ مرّة أخرى، «لم أكن أنوي العيش بعد إنقاذ أخي. لم أكن أرغب في خدمة آل نوفاك. لم أكن أريد أن أسلّمهم حياتي. لكن عندما ظهرت أنتِ.. يبدو أنّه مهما ستكون النهاية، فإنها تستحق العناء».

ربما، بالنسبة إلى شخص آخر قد يبدو هذا الكلام لطيفا أو على الأقل يعبر عن واقع الحال. ولكن بالنسبة إلينا لا يمكن لأي شخص أن يتجنب قدره، وكان هذا هو بيت القصيد.

فهل كان الأمر سيئا للغاية؟ ربما لا. بالنسبة إلى شخص آخر.

لسوء الحظ، لم أكن شخصا آخر.

قلت له: «أنت تقول إن كنت ستُقتل على كل حال فأنت تفضل أن يُقطع رأسك على منصة التقطيع الناعمة».

«هذه...». بدا عليه الإحباط. «هذه أسوأ طريقة لتفسير ما قلته».

«نعم، هذه طريقتي. لا أريد أن أكون الهدية التي يحصل عليها أحد عندما يكون قد فقدها بالفعل.

لا أريد أن أكون حتمية سعيدة. أريد أن يتم اختياري، أريد أن أكون مطلوبة».

«هل تعتقدين أنّني لا أريدكِ؟ ألم يكن كلامي واضحا؟ ما زلت أفضّلكِ على عائلتي يا سايرا، وتفضلي لك لا علاقة له بالقدر». لقد كان غاضبا الآن، عمليا كان غاضبا لدرجة بدت كلماته وكأنها تنهال عليّ. جيد. كنت أرغب في القتال. كان القتال شيئًا يمكنني القيام به، وهو شيء تدربت على القيام به مهما أصبحت الأمور صعبة. كان القتال هو الشيء الجيد الذي أبقاني في مأمن.

«كيف عرفت؟ لا يمكنكِ قول نعم إذا كنتِ لا تشعرين بأنّ لديك خيارا!. هذا الأمر لا يتعلّق بي، بل يتعلّق بانعدام الأمان الخاص بكِ». تحدّث بانفعال وحرارة في وجهي. كنا قريبين جدّا من بعضنا ولكن أي منا لم يتراجع.

«أنتَ لا تعتقد أنّ أي شخص قد يرغب بكَ، لذلك يجب ألا أكون قادرة على فعل ذلك. أنتَ تأخذ شيئًا جيدا بعيدا عن نفسك لأنك لا تعتقد أنّك تستحقه».

«لأنّه لم يكن أحد يريدني أبدا أن أشعر بهذه الطريقة!».

كنتُ أصرخ تقريبا. كان هناك أناس يتجولون في الأنحاء، وتوقفوا عندما ارتفع صوتي فجأة، لكنّني لم أهتمّ لذلك. لقد دفعني مرارا وتكرارا، في كل مرة لم يقل فيها ما كنتُ أريده أن يقوله، أنّه اختارني، لأنّه أراد ذلك، وأنه كان يعرف ذلك، أن القدر لا علاقة له بالموضوع.

كل ما أردته هو أن يكذب، وأن أصدّقه. لكن لم يكن عليّ أن أكون كاهنة لأرى أنه من بين كل الاحتمالات المستقبلية التي كانت موجودة، لم يكن هناك احتمال ممكن. أنا لن أصدق كذبة. وآكوس لن يخبرني أبدا بواحدة منها.

قلت له: «أنا أحبك. ولكن لمرة واحدة في حياتي، أريد أن يختارني شخص ما. وأنت لا تفعل ذلك. لا يمكنك».

شعرت بتغير المزاج، في الوقت الذي ابتعدنا فيه عن بعضنا، بدا أكوس مفجوعا

فجأة ، كما لو كان قد ملأ يديه ، وجاء أحدهم وأخذ كل شيء يحمله. شعرت بنفس الشعور ، باليدين الخاليتين.

فقال: «لا يمكنني تغيير طريقة حدوث الأشياء. لا يمكنكِ أن تلوميني على ذلك».

«أنا أعلم». كان محقا ، وهذا هو السبب في عدم وجود أي جدوى من النقاش بعد الآن. فقد بدأتُ المحادثة بمطالبة بالصدق ، لكن الصدق لم يكن بحاجة إلى أن يأتي منه ، كان يجب أن يأتي مني. كان قدره محتما ، وطالما كان قدره ، لم يكن يهتم بي بالطريقة التي أحتاجه أن يهتم بها. ولم أكن أعرف سوى أنني احتجت إليه لأنه شجعني على محاولة تقدير نفسي بمستوى أعلى. لذلك كنا عالقين في الشبكة نفسها ، والسبب والتأثير والاختيار والمصير كلها كانت أمور تعقد الأمر بدلا من أن تحله.

قلت: «حسنا ، أنتَ سوف تبقى هنا ، لأنّ قدرك أن تبقى معي ، وسأبقى هنا ، لمساعدتهم على معرفة كيفية التعامل مع والدي. وأنت وأنا...».

بهدوءٍ تام قال: «سنكون ما نحن عليه».

«صحيح». شعرت بحرقة في عينيّ. «حسنا ، أنا بحاجة للتحدّث معهم حول لازمت. هل يمكنك العثور على تيكا والتأكد من أنها على ما يرام ؟».

هزّ رأسه ، وأومأت برأسي. مشينا معا إلى قاعة الطعام ، حيث كان الجميع لا يزالون يتجمعون حول الشاشات التي تعرض الآن التمويه المتموج للحرارة فوق رمال تيبس.

الفصل الخامس عشر

سايرا

قررت أن المشكلة مع أوغرا كانت الظلام. حسنا ، هذا كان واضحا.

لكنه كان نوعا مختلفا عن الظلام الموجود في أي مكان ، حيث يمكنك تشغيل مصباح ورؤية كل شيء في الغرفة. ولكن هنا بغض النظر عن الأضواء التي تعلقها على ملابسك أو المثبتة على الحائط ، فإن الظلام يزحف ويلتهم ما أمامه.

بالرغم من أن الجميع في قلب العاصفة ، أخبرني جوريك أن الأكثر موثوقية وقوّة بين المنفيين يرتدون بعض الأشياء التي تتوهج ، وبالرغم من الفوانيس المتدلية من سلاسل طويلة ، مثل الأغصان من السقف ، ما زلت أشعر أنني محاطة بالظلال.

لقد دعيت إلى هذا الاجتماع بفضل جوريك. بالرغم من أنني كنت قد تصرفت كقائد عندما دعوت إلى القيام بذلك ، لقد كنت مهمشة قليلا بينهم. لكنني عرفت عن عائلة نوفاك أكثر من جميع الناس المجتمعين في هذه القاعة ، لذلك وقفت هنا ، خلف جوريك ، أشعر بألمٍ مبرح مما تبادلناه أنا وأكوس من حديث لنصغي باهتمام لمناوشات المنفيين.

لقد قلت له إنني أحببته. أحببته! ما الذي كنت أفكر فيه ؟

ضربني جوريك على كتفي. لقد بدا متحمسا لتلك الأزياء الأوغرانية التي يرتديها ، والتي كانت مطرزة بقطع لامعة خضراء بعرض اصبعين ، لم ألحظ اللون الأخضر إلا بعد لحظات ، فقد كانت عيناي تجولان في أرجاء الغرفة ، محدقتين بسيفا وإيجية كيرسيث.

كانوا كهنة ، على أيّة حال ، مؤمنين مخلصين بالأقدار ، ساعين وراء الحكمة

الغامضة ولن يستطيعا أن يقدما شيئا للشوتيت.

قلت: «عذرا» وتنحنحتُ.

«ماذا قلتِ ؟» رفعت ازا حاجبا ونظرت إليّ. يبدو أن كلّ ما فاتني كان مهما.

أجبتْ: «سألتكِ ما إذا كان بإمكانكِ أن تقدمي لنا أي توجيهات بشأن ما إذا كان والدكِ سيلاحقنا هنا على أوغرا أم لا».

أوه ، لقد كانت خبرتي المفترضة عن والدي هي التي جعلتني أستحق وجودي في هذا الاجتماع ، وقد حان الوقت الآن لاستخدامها. هززتُ رأسي. «إنه أفضل من يعرف أنه يجب ألا نخوض حربا على جبهتين ، لا سيما عندما تكون الأهداف متباعدة للغاية. أنا متأكدة من أنه لا ينظر إلى المنفيين على أنهم هدف يستحق اهتمامه ، لذا سيركز على ثوفي».

لقد شعرت بألم ؛ كان نصفي خاليا من الألم ، بينما كان نصفي الآخر يتألم بسبب صياغتي الخرقاء. تمهّلي في صنع الأعداء ، تذكرت ما سبق لأكوس أن همسه في أذني ، شعرت بشفتيه على صوان أذني.

قالت ازا: «جميل» ، كلام قويّ. «شكرا لكِ على هذه البصيرة ، آنسة نوفاك».

«يجب أن نقتله». انطلقت الكلمات من فمي دون سابق إنذار. نظر الجميع إليّ ، وشعرت بالامتنان للظلال السوداء التي تلطخ جلدي ولظلام أوغرا التي ساعدتني على إخفاء خجلي.

أضفتُ كفكرة متأخرة: «نعم علينا قتله ، إنّه يشكل خطرا أكبر على شوتيت من مستشارة كوكب ثوفي».

«سامحيني لقولي ذلك». أتى صوت ساخر من مكان ما بالقرب من ازا ، قادما من رجل ذي وجه مظلّل ولحية خشنة. «لكن هل تقولين لنا حقا أنه ينبغي لنا أن نركّز انتباهنا

على رجلٍ واحد فقط بدلا من إعلان الحرب الذي أبلغنا به؟».

سألته: «رجل واحد فقط؟». ازداد الغضب، وشعرت بالنيران تتقد «من أخطر: المستشارة أم لازمت؟ هل مستشارة ثوفي هي التي لاحقت الناس لأجيال لأنهم لم يكونوا موالين لها أم لازمت؟ هل مستشارة ثوفي هي التي احتفظت بالمقل في الجرار أم لازمت؟ المشكلة تكمن في لازمت والحل يتمثل بقتله، وبعدها نتعامل مع المشكلة التي تسببها المستشارة؟».

«كيف تجرئين على ذلك؟». قال الرجل الملتحي، وهو يخطو بسرعة نحوي، «كيف تجرئين على التحدث بهذه الطريقة المتعجرفة عن الأهوال التي ارتكبها والدك؟ كيف تجرئين على الوقوف هنا».

لقد تقدمت لملاقاته وسط المسافة الفاصلة بيننا، بشكلٍ واضح أمام الناس. كنت مستعدّة، مستعدة للقتال، ومستعدة للصراخ. كنت قد رأيت والدي يعود من الموت، ولم أكن أعرف ماذا أفعل بكل ما شعرت به، ما عدا ضرب هذا الرجل تماما على وجهه المليء بالشعر.

أتى صوت رائع وواضح من يميني. يعود بالطبع، إلى الكاهنة المقيمة لدينا تقول: «هذا لن يجدي نفعا».

جاءت سيفا لتحول بيني وبين منافسي المحتمَل، ويداها مخبأتان في كميها.

قالت للرجل: «تصرف كشخص بالغ، من فضلك، وكذلك أنتِ آنسة نوفاك».

كان حدسي يخبرني بأن أفيق، كرهت أن أتنازل، لكنني أدركت أن ذلك سيجعلني أبدو أكثر توترا، لذلك منعت نفسي من الانفعال.

خاطبت ازا سيفا سائلة إياها: «هل تستطيعين أن ترشدينا أيتها المستشارة؟».

أجابتها سيفا: «لست متأكدة بعد، الأمور تتغير بسرعة».

«ربما يمكنكِ فقط أن تخبرينا ما إذا كان علينا أن نركز طاقتنا على لازمت نوفاك أو على ثوفي». ألحّت ازا.

نظرت سيفا إلى وجهي قالت: «ثوفي هو أكبر تهديد لكِ».

فسألتها: «ويجب أن نثق بكِ؟ من دون معرفة ما هو هدفكِ؟».

قالت لي ازا موبخة: «يجب أن نخاطب الكاهنة باحترام».

فقلتُ: « إنّ مهمة الكاهنة هي العمل من أجل المستقبل الأفضل لكوكبنا».

لكن مستقبل من هو الأفضل بالضبط؟ ثوفي، أو شوتيت؟ وإذا كان مستقبل شوتيت، فهل هذا هو أفضل سبيل للمنفيين في شوتيت، أو الموالين لعائلة نوفاك؟».

«هل تشيرين إلى أنني أعامل ثوفي على نحو أفضل؟». عبست سيفا في وجهي وقالت: «ثقي بي، آنسة نوفاك، كان بإمكاني دفن أقدار عائلتك، والطلب من سائر الكهنة تجاهلها كذلك، لو ظننت أن في ذلك مستقبلا أفضل لكوكبنا، لكني لم أفعل هذا. وبدلا من ذلك، سمحتُ لعائلتكِ باستخدام وضع «مصيرهم المحبّذ» الجديد من أجل تبرير الاستيلاء والسيطرة على حكومة شوتيت. إن عدم تدخلي هو بسبب تساؤلي لماذا تولت عائلتك السلطة في المقام الأول، لأن ذلك كان ما يجب فعله، لذا لا تفكّري في اتهامي بالانحياز!».

حسنا. كان لديها وجهة نظر.

قلتُ: «إذا تجاهلتم جميعا والدي الآن، فسوف تندمون. أعدكم بذلك».

«هل هذا تهديد يا آنسة نوفاك؟». سألني الرجل الملتحي.

«لا!» لم يكن هناك شيء يخرج بشكله الصحيح. «إنها حتمية. أنتَ تسألني هنا

لأخبرك عن عائلتي ، حسنا ، لقد فعلت ذلك. إن ثوفي قد يدمر شوتيت ، لكن لازمت سيدمر روح شوتيت».

استطعت تقريبا أن ألحظ عيونهم وهي تنظر إليّ. ربما كان عليّ أن أختار كلمات أقل مأساوية ، لكنني كنت أقصدها. كان من الصعب الشرح لشخص يخشى من أن يواجه شيئًا أسوأ من الموت. كان ذلك لازمت نوفاك.

الفصل السادس عشر

أكوس

سأل جوريك أكوس: «أما زلت نائما؟». بعد أن ظهر وجهه بالقرب من أكوس بطريقة ما، بالرغم من أن سرير أكوس أو في الحقيقة – فجوته في الجدار – كان مرتفعا عن الأرض. لا بد أن جوريك كان يقف على حافة سرير آخر.

لم يكن أكوس نائما، فقد استيقظ منذ أن بدأت الضجة التي أحدثها استيقاظ الآخرين، وهم في طريقهم إلى القاعة. لقد استيقظ ولكنه لم يكن قد نهض بعد، لأن النهوض يعني رش الماء على الوجه والرقبة، وتمشيط الشعر، وتغيير الملابس، وتناول الطعام، وغيرها من الأمور التي لم يكن يهتم بشأنها.

أردف أكوس وهو يفرك وجهه براحة يده وسأل: «لنفترض أنني لم أستيقظ، هل أكون بذلك مهملا لواجب لا أعرف بشأنه؟».

أجابه جوريك عابسا: «لا. لا أعتقد ذلك. لكن سايرا كانت تتجادل مع المنفيين منذ الصباح، واعتقدت أنك معها، فأنتما لا تفترقان تقريبا».

شعر أكوس بالذنب. كان الواجب الوحيد الذي لا يزال لديه هو إبقاء سايرا بعيدة عن الألم، ولم يكن يفعل ذلك بشكل جيد في الآونة الأخيرة، بالرغم من أن هبتها كانت أكثر سوءا هنا.

قال أكوس: «حسنا، لن أستطيع النهوض وأنت تقف في طريقي، هل يمكنك أن تفسح لي الطريق؟».

ابتسم جوريك ، وقفز على أحد الأسرة السفلية. فوضع أكوس ساقيه على جانب السرير ، وقفز بكل وزنه على قدميه. وسأل: «أما زلتم لا تريدون ملاحقة لازمت ؟».

أجابه جوريك: «لا نزال نعتقد أن ثوفي يشكل خطرا أكبر بكثير من لازمت ، ويجب أن نركز طاقاتنا هناك. بالإضافة إلى أننا لا نعرف حتى كيفية الوصول إليه ، أو أين هو ، أو كيف نخترق الحماية الخاصة به».

فقال أكوس: «حسنا ، ربما يمكننا العثور عليه من خلال البحث عن جدار الجنود. فهذا المظهر لا نراه كل يوم ، صحيح ؟».

أجفل جوريك وقال: «لا تبدو على ما يرام اليوم يا كيرسيث».

فتذمّر أكوس ، وانتعل حذاءه قائلا في نفسه: غسل الوجه ، وتمشيط الشعر ، وتناول وجبة الإفطار. توجه إلى إحدى المغاسل التي كانت في الوسط ووضع رأسه تحت الصنبور.

أسند نفسه إلى حافة المغسلة ونظر إلى انعكاس صورته على المرآة وتنهّد. لقد بدا سيئا وأكثر شحوبا من المعتاد ، وبدت الدوائر سوداء حول عينيه ، وظهرت آثار كدمات قديمة من شجاره مع فاس عند زاوية عينه وفكّه. وبرز النمش مثل البثور الصغيرة في جميع أنحاء أنفه ، لقد مرر أصابعه عبر شعره عدة مرات ليسطحه ، ثم لمس مكان الكدمة على فكه. وتخيل قبضة فاس ، وشكل قبضته وهي قادمة نحوه.

كان يشعر بألم مبرح في معدته ، كما لو كان على وشك التقيؤ.

سأله جوريك: «هل أنت بخير ؟».

أجابه: «أنا بخير ، سأذهب لصنع بعض مسكنات الألم لسايرا».

فقال جوريك: «حسنا». وقطب حاجبيه.

طرق على إطار باب متجر زينكا. كانت منحنية على طاولة، وتغرس شيئًا يشبه كلا من الملعقة والسكين في لب ثمرة من كوكب أوغرا. ومع كل غرزة جديدة تحدثها كانت الثمرة تومض بالضوء، مثل الفانوس القديم.

قالت زينكا مخاطبة الثمرة: «لا تكوني مأساوية، كان لديكِ حياة طويلة جيدة».

فقال أكوس لها: «لا يمكنكِ لومها لمحاولتها البقاء على قيد الحياة».

لم تجفل زينكا، بل نظرت إليه مقوّسة حاجبها. «لقد خسرَت معركتها في سبيل البقاء. فعندما تكون على الغصن، تكون ساخنة، وتحرق كل من يحاول أن يلمسها وإن كان يضع قفازا. وبما أنها هنا الآن، فهذا يعني أنّ حصادها كان مكسبا جيدا».

قال لها: «وهل نحن جميعا نقبل أقدارنا؟».

«أي نوع من الأسئلة هذا؟ أنت تبدو وكأنك متصوّف من أوغرا». ونظرت بعيدا، ما أوضح له كيف تشعر تجاه متصوفي أوغرا.

فقال: «أو مثل أمي الكاهنة».

قالت زينكا: «آه، كلنا نصبح مشابهين لوالدينا، في نهاية المطاف». وغرست السكين في الثمرة مرة أخرى. «ماذا تريد، أيّها الثوفي؟».

أجابها: «أريد حيّزا لتخمير مسكن للألم، و... الوصول إلى المكونات».

فقالت متهكمة: «هل تريد أن أضع لك القمر أيضا في جرّة؟».

«أيمتلك أوغرا قمرا؟».

«نعم، وهو صغير بما يكفي لوضعه في الجرة، لكي أكون صادقة». تركت الفاكهة من يدها، والأداة التي كانت تستخدمها لجرف لبّها.

أجابها أكوس: «أنا على استعداد للعمل من أجل امتياز استخدام المساحة الخاصة بك».

فقالت: «حسنا ، لكن إذا أثبتت أنك كسول أو عديم الفائدة ، فأنا أحتفظ بالحق في إلغاء هذا الامتياز في أي وقت».

فقال أكوس: «موافق».

كلفته بمهمة طحن الأسنان المستخرجة من زهرة شديدة الشراسة وتحويلها إلى مسحوق. وقالت: «عندما تسحق هذه الأسنان ، يمكن أن تكون مفيدة للدورة الدموية». واجه أكوس صعوبة في التركيز على المهمة أمامه ، لكن يديه كانتا قادرتين على العمل بما فيه الكفاية وذلك بسبب سنوات الخبرة.

في وقت لاحق من ذلك اليوم ، قامت بجمع بعض البذور في يديها لتريه كيف تتوهّج ، وبأيّ لون. انحنى فوقها في المحل الصغير ، مختلسا النظر إلى أصابعها ، فشعر وكأنه طفل مرة أخرى ، وكان يتألم للغاية وشعر وكأن عليه التوقف مؤقتا عن التنفس.

كانت العلامة الحقيقية الوحيدة للوقت في أوغرا هي تضاؤل الضوء الحيوي وهو المزود الطبيعي الوحيد للضوء ، أو العواصف التي تضرب الجدران في الأماسي. لم يكن يعرف طول المدة التي قضاها في سحق الأسنان قبل أن تخبره زينكا أنه يمكنه أن يبدأ في صنع مسكن الألم.

ثم وقفت بالقرب من كتفه ، تراقبه وهو يقيس نسب المكوّنات. أحضر بعضا من الهاشفلور الخاصّة به ، لكن مخزونه منها كان ينفد تدريجا.

عندها أخرجت زينكا بعض الأزهار من مستودعها ، وهزّت الجرة في وجهه.

فقال لها: «اعتقدت أنكِ قلتِ أنكِ لا تملكين الهاشفلور».

فقالت: «لا ، قلتُ لم أكن أعرف كيفية استخدامها. إلى جانب ذلك ، لا يمكنك الاعتراف للغرباء بأن لديك سمّا خطيرا في متناول اليد».

فقال: «هذا منصف بما فيه الكفاية» ، وواصل العمل.

الفصل السابع عشر

أكوس

أصبح أكوس يذهب إلى متجر زينكا في الصباحات ، قبل أن يستيقظ الآخرون. وكان يلاحظ أن سرير سايرا فارغ دائما ، وكانت الملاءات مبعثرة بالقرب من أسفل السرير ، وكأنّها ركلتها وهي نائمة ، هذا إن كانت قد نامت على الإطلاق ، فأكوس لم يكن متأكدا من أنّها قادرة على نيل قسط من الراحة ، لأن هبتها كانت تتجلى بأوضح صورها. لم تكن المسكنات التي يحضّرها لها بفعالية تلك التي كان يحضّرها لها في فوا ، لقد كان يعاني من مشكلة في التركيز.

كلما وصل أكوس إلى متجر زينكا وجدها تعمل. لم يكن لديها الكثير من الأحاديث – كانت تخبره بما يجب عليه تحريكه ، أو تقطيعه أو تقشيره ، وبعد ذلك تختار أحد المكونات من أوغرا لتخبره عنه.

في يوم من الأيام أخبرته عن لبّ ثمرة فاكهة لا تنمو إلا في أشد الشهور حرارة. وفي يوم آخر ، عرضت عليه كيفية إزالة الأجنحة من خنفساء ميتة دون استفزازها لتبخّ السمّ بعد موتها.

في كثير من الأحيان كان العمل الذي يقوم به بعيدا عن صلب العمل الذي أتى من أجله ، فقد أمضى بضعة صباحات يطلي الجهة الخارجية للسلال المنسوجة من مواد تحفظ محتوياتها طازجة ، والتي تذهب إلى مزارعي أوغرا حتى يتمكنوا من تناول الغداء في منتصف النهار.

لا يزال أكوس غير متأكد كيف يعرف الشخص أن منتصف النهار قد حل ، في

مكان لا تشرق فيه الشمس أبدا.

توقّع أكوس أن يشعر بغياب الشمس عند نقطة أو أخرى، ومن وقت إلى آخر استطاع ملاحظة ذلك، كما لاحظ درجة حرارة الهواء. لكنه لم يعانِ من غياب الشمس أكثر مما عانى من ارتفاع الحرارة. لقد كان مجرد شيء استفز ذهنه، وولّد مزيدا من الأسئلة الجديدة.

كانت زينكا صامتة في معظم الوقت، فهي لم تكن تتكلم إلا لتطلب منه القيام بشيء معين. ولكن ذات يوم سألته السؤال الذي انتظر أن تسأله إيّاه منذ أن التقى بها للمرة الأولى: «كيف تعيش بين الشوتيت مع أنك ولدت في هيسا؟».

كاد أكوس أن يقطع إصبعه وهو يقول: «كنت عدوّا لرايزك نوفاك، كنت أسيرا».

ضحكت زينكا قليلا. «هذا لا يفسّر الكثير، أليس كذلك؟ نحن جميعا أعداء عائلة نوفاك هنا. فمنا من كان مخطوفا أو سجينا أو مبتور اليدين، كلنا عانينا من النوفاك». طقطقت بأسنانها وبدت وكأنها تزمجر. «إن كونك عدوا لنوفاك يجعلك أكثر صلة بالشوتيت بعكس ما تظن».

فقال: «أحاول أن أفهم، لماذا تصرّون جميعا على أن الشوتيت يجب أن يكون مختلفا. لقد ولدت في ثوفي، أنا ثوفي الأصل، ألا يبدو هذا المثال بسيطا؟».

فقالت زينكا: «إن الأمر دائما أكثر تعقيدا من ذلك، أكنت شوتيت أم لا». قالتها بليونة غريبة في صوتها لم يسمعها من قبل. «هل تعتقد أنك لن تكون ثوفيا إلا إذا ولدت على أحد جانبي خط وهمي على الأرض أو في مكان آخر؟».

«لا، ولكن —».

قالت: «لطالما كنا من دون موطن ومن دون كوكب، وكان مجرى التيّار هو موطننا، كان أكثر من مجرّد قطعة من الصخر، أو سفينة. ولكننا كشعب، ربما نكون أكثر

ارتباطا بهويتنا من الآخرين، لأننا لطالما كافحنا من أجل البقاء، نحن نقاتل من أجل وجودنا، وانتمائنا، ونحن لن نستسلم إلا عندما يستسلم الطرف الآخر».

وقف أكوس ساكنا، وشعر للحظة أنه كان يغرق في بحر كلماتها. كانت إيساي قد قالت شيئًا مشابها قبل بضعة أسابيع، وذلك عندما لمست وجهه وأخبرته أنه ينتمي إليها، وأنه ينتمي إلى كوكب ثوفي. لكن ما قالته تغير بعد مقتل أوري. لا يمكن قول الشيء نفسه عن الشوتيت الذين ادعوا انتماءه إليهم من دون أن يعرفوه، ومن دون أن يروا إن كان متقبلا للأمر، وكل ما كانوا يبحثون عنه هو بضع قطرات من الدم تجري في عروقه.

أخذ نفسا عميقا.

فقالت له: «تعالَ. دعني أركَ شيئًا».

أخرجته من المتجر – ولم تغلق بابه – وقادته إلى الغرفة المجاورة، كان باب الغرفة يتأرجح على مفصله، فانصدم بما رآه.

كان المكان الذي أدخلته إليه غرفة معيشتها، وكانت شديدة الشبه بمتجرها، مع كل الفوضى وجرار المكونات وحزم الأعشاب المتدلية من السقف المنخفض. كان هناك سرير في إحدى الزوايا وكانت الملاءات مجعدة، وكان هناك مكتب على طول الجدار مع كتاب مفتوح عليه.

أمسكت زينكا بالكتاب وأعطته إيّاه. كان كثير عدد الصفحات مما حال دون إغلاقه بشكل محكم؛ فما أن أمسكه حتى انفتح بين يديه. وجد على أول صفحة رآها رسوما لنباتات وجذور وأزهار مجففة وكان إلى جانب الرسوم نص مكتوب بخط صغير ومحشور، بأحرف من لغة الشوتيت لم يستطع قراءتها. لم يكن هناك وقت لمعرفة المزيد عنه.

سألها: «ما هذا؟».

فأجابته: «هذه يومياتي. إنّي أتتبّع جميع النباتات التي أجدها، لقد كنت أقوم

بذلك منذ كنتُ صغيرة. في بعض الأحيان ألصق النباتات على صفحات الكتاب لأجففها وأحتفظ بها ، ولكن في معظم الأحيان كنت أقوم برسمها. لقد فعلت ذلك في كل رحلة كنّا نقوم بها ، لذلك لديّ نباتات من كل كوكب هناك. هذه نباتات الصفصاف الناعمة ، تنمو بشكل متفرق على قمم تريللا. إنها ليست جيدة للأدوية ، لكن خصلاتها تفوح منها رائحة جميلة ، لذا فهي جيدة للحشو في حذائك لإبقاء رائحته جيدة».

ابتسم أكوس ، وقلب إحدى الصفحات السميكة. في الصفحة التالية كان هناك نباتات من أوغرا سبق له أن رآها – ثمرتها منتفخة تبدو كأنها شخص ذو خدين منتفخين ، وتنمو جذورها الرئيسية إلى الأسفل وهي أكبر بكثير من النبتة بحد ذاتها.

قالت: «هذه النبتة هي فوما ، عصارتها أفضل مقوٍ للجسم رأيته حتى الآن ، حتى أنها أكثر قوة من السندس في موطنك. يجب عليك الاحتفاظ بمثل هذه اليوميات. إنّ المكانين اللذين كنت فيهما معروفان بأنهما يمتلكان أكبر نطاق نباتي في النظام الكوني ، لذلك يجب أن يكون لديك يوميات حتى لا تنسى أيا منها».

أخذت الكتاب منه ووضعته على المكتب ، ثم بدأت تبحث عن كتاب في كومة الكتب بجوار المكتب. عندما لم تجد ما تبحث عنه ، انحنت بجوار السرير ، وسحبت صندوقا آخر من الكتب ، فوجدت كتابا أحمر ، حجمه بحجم راحة اليد ، قدمته له.

كان شيئا بسيطا ، لكنه شعر برعشة من الخوف عندما أخذه منها ومرر أصابعه على الغلاف. لفترة طويلة لم يجرؤ على امتلاك شيء مثله ، لأنه قد يتم سلبه منه. لقد كانت كل صفحة من هذا الكتاب تشير إلى مكان يمكنه أن يذهب إليه ، أو شيء يمكنه أن يراه. لقد كان أمام احتمالات جديدة كانت بالنسبة إليه بمثابة أعباء بعد كل ما مر به.

قالت له: «فارغ. املأه فهذا سيجعل لحياتك هدفا».

فقال عابسا: «أنا لست من دون هدف».

ضحكت زينكا. «حسنا ، ربما تكون في معظم الأحيان من دون هدف ، ولا تكون مدركا لذلك ، واليوم يبدو لي جليا أنك من دون هدف».

فتح فمه ليشرح ، فأمسكَت بيده وقالت: «أنا لا أسأل ، أنا فقط أقول لك ما أراه».

لمس براحة يده غلاف كتاب اليوميات الفارغ. أراد أن يملأه ، أو بالأحرى رغب بفعل ذلك. أراد أن يتذكر وجود أهداف في الحياة ، بالطريقة التي كان عليها قبل اختطافه ، وحتى بعد اختطافه كان لديه هدف إنقاذ إيجية ، وإعادته إلى البيت ، ومساعدة سايرا. لكن الفراغ الذي كان قد امتلأ بالنيران ، والمساحة التي عرف فيها الرغبة والقيادة والإصرار ، كانت فارغة الآن ، وقد خبت النيران.

عندما لم يكن أكوس يكد في عمله في متجر زينكا ، كان مع جوريك ، في قاعة الطعام ، لأنه يبدو أن جوريك كان دائما في قاعة الطعام ، لم يكن بالضرورة هناك ليأكل ، بل لعقد الاجتماعات. كان يتواجد هناك أحيانا لساعات في كلّ مرّة ، يروي قصصا ويحث الآخرين على إخبارها ، يقرع بالملاعق ، ويصرخ موجها الإهانات على سبيل الدعابة كلما مر شيء في الحديث لم يعجبه.

بعد عدة أيام ، أدرك أكوس أن الربط بين النكات وقرع الملاعق والقصص كانتا عبارة عن محادثات أخرى حول أوغرا أو فوا أو المجلس. هذه كانت الطريقة التي جمع بها جوريك المعلومات من خلال التظاهر بأنه الشخص المتاح للناس للتحدث إليهم. كان من السهل الجلوس معه ، لأنه لم يكن يطلب أي شيء ، حتى انتباه أكوس.

بدا أنه يعرف أن أحاديثه المستمرة كانت لطيفة ، بالرغم من أنه لم يسأل أكوس عن رأيه فيها. وظلّ ينتظر أن ينفد صبر جوريك بسبب «فهو لم يكن لديه هدف» ، كما سمّته زينكا ، لكنه لم يحدث بعد. قال جوريك: «حسنا يا كيرسيث ، لقد أعطيتني فكرة رائعة».

قال أكوس: «لست متأكدا كيف يعقل ذلك. لم تأتني فكرة لامعة منذ سنين».

«في العادة كنت لأتجادل معك، لكنك أنت الشخص الذي أراد أن يسحب سايرا نوفاك من مدرج مكتظ ليس فيه إلا حبل وبعض الأمل». توقّف، بحيث يمكن لأكوس الشعور بالتأثير الكامل للقافية، فأنَّ أكوس ثم تابع جوريك: «لم أقل إنك من أعطيتني الفكرة بل أنت من أوحيت لي بها».

«ما هي».

قال جوريك: «لقد قلتَ إنّه يجب علينا أن نبحث عن جدار من الجنود لمعرفة أين لازمت. لذا أرسلت رسالة إلى والدتي، التي لاحظت تركيزا أكبر من المعتاد للجنود حول عزبة نوفاك. وهي تظن أنه إذا أردت الحصول على معلومات لا بد من إرسال شخص ما إلى هناك». رفع حاجبيه مّرة، مرتين، ثلاث مرات. «احزر من سيذهب إلى فوا؟».

شعر أكوس بثقل في معدته. فقال: «أنتَ ستذهب؟».

«نعم، بالنظر إلى اسمي الذي يوحي بعلاقة ورابط مع فاكريز نوفاك». توقف جوريك قليلا.

أومأ أكوس برأسه: «نعم، ستذهب وستكون مع أمك في فوا».

فقال جوريك: «سأكون هناك، على أية حال. لا يمكن لموضوع الحرب هذا أن يستمر إلى الأبد، أليس كذلك؟».

لم يشر أكوس إلى أن سبب عدم استمرار الحروب إلى الأبد هو أن الكثير من الأشخاص انتهى بهم الأمر ميّتين.

قال أكوس: «إنها فكرة جيدة، متى ستذهب؟».

قال جوريك: «بعد أسبوع أو نحو ذلك. عليّ الانتظار للحصول على وسيلة نقل أوغريّة هل تعرف أنهم يقومون بتصدير الحشرات الميتة إلى كوكب أوثري؟ إن هذا المكان

غريب حقا».

كانت زينكا قد أخبرت أكوس أن تصدير أوغرا الأساسي كان خلاصة من العديد من السموم والإفرازات لكوكب أوثري. كان بعضها لأغراض طبية، ولكن معظمها كان يستخدم في منتجات مثل كريم البشرة ومستحضرات التجميل.

قال جوريك بصوت منخفض: «الكاهنة قادمة، لقد فات الأوان بالنسبة إليك لتهرب، آسف».

تنهد أكوس.

قالت سيفا وهي ترمي بنفسها وتجلس على المقعد المقابل له: «لقد كنت تتجنبني منذ فترة». وجلست قبالة أكوس.

كانت غريزته الأولى هي إنكار ذلك، لكن ذلك لم يجدِ نفعا مع والدته. فبمجرد أن تقرر أنها تعرف شيئًا ما، لن يؤتي النقاش معها فائدة، حتى لو كانت مخطئة. لطالما أراد أن يخبرها أنه ليس من الضروري أن تعرف كل شيء لأنها كاهنة.

فقال أكوس: «هذا لأنكِ تقضين كل وقتكِ مع إيجية، وتنقلين الحكمة إلى المنفيين، ولقد سمعتُ عن كل ما يمكنني أخذه منه، والحكمة بشكل عام».

تذمّر جوريك وأبعد طعامه.

«لقد منحنا المنفيون بيتا صغيرا لنستخدمه كهيكل مؤقت، لكنهم يخافون التشاور معنا بقدر ما كنت أتوقع، لذلك نحن بعيدون عن الانشغال. وبالنسبة إلى إيجية، حسنا... أقنعته أن يبدأ معي مرة أخرى، كما لو كنا قد التقينا للتوّ». قالت، وهي تحرّك الحبوب المهروسة في صحنها بسرعة أكثر. عندما كان من الممكن تحريك ملعقة بانتباه، كانت تفعل ذلك. «لم لا تحاول القيام بالشيء نفسه معه».

فقال أكوس: «أنا لا أجيد ألعاب التظاهر».

فقالت: «وأنا أيضا ، بالرغم من أنني أعتقد أن لديّ ميزة إضافية تتمثّل في أنّني رأيت مستقبلا ربما يكون فيه إيجية ممسوح الذكريات بعكس ما تقوله عن أنها غُيّرت». فأدرك أنها كانت كاهنة بكل شيء بها. لقد استحوذت عليها هبتها.

من الصعب عدم لوم الكاهنة عندما تسير وراء هبتها ، ولكن بالوقت نفسه ، إنها لا تعرف كيف يشعر الناس اتجاهها واتجاه هبتها المتطفلة ، إنها تسير وراء هبتها ، ومستعدة لأن تغير وجهة نظرك عن وجودك بحد ذاتها لأن هبتها تقول لها ذلك.

كانت هبته تعمل عكس ذلك. في بعض الأحيان كان ينسى هبته بالرغم من أنها موجودة.

فقالت سيفا: «لا تذهب أرجوك». وأمسكت بيده.

فقال: «ماذا؟ لم أكن ذاه__».

ثم وضع إيجية صحنه بجانب سيفا. لم يكن فيه سوى ثمرة. تذكّر أكوس عندما كان إيجية يضع في فمه كل ما يجده في المطبخ ، قبل أن ينهي العشاء بقطعتين من الخبز ، هذا الصحن شبه الفارغ يشير بما لا يدع مجالا للشك أن أمورا كثيرة قد تغيرت.

شدت سيفا على يد أكوس وقالت: «سأحتاج إلى مساعدتكم في لحظة».

في نفسه الوقت ، فقدت عيناها وعينا إيجية التركيز. وبعد فترة وجيزة.

بدأ كلاهما بالصراخ.

الفصل الثامن عشر

إيجية

لا يزال الأمر غريبا ، ألا تشعر بضربات قلب من حولك ، لكننا نتكيّف مع ذلك. والآن أصبح الأمر أسهل مع وجود جهة واحدة فقط للتعامل معها.

ومع ذلك ، عندما نستيقظ في منتصف الليل في كوة في جدار بكوكب أوغرا ، نشعر بنوع من الوحدة.

وعندما نراه ، عندما نرى أكوس هذا ، لم نكن متأكدين إن كان عدوّا أو أخا. هناك أجزاء منا تتأمل ذكريات ضبابية لمطاردته في الحقول ، أو الضحك معه على مائدة العشاء ، وهناك أجزاء أخرى منا تنظر إليه على أنه مثير للمشاكل ، وهو عامل لا يمكن توقعه في خطة يجب أن تظل قابلة للتنبؤ بها.

في الواقع ، لقد أدى إلى إحداث خراب بيننا ، ملهما بخيانة سايرا ، وتسهيل هروبها ، ودفعها نحو المتمردين والمنفيين على حد سواء. لكنه فعل ذلك لنا بقدر ما فعله لتدميرنا ، ونحن نحمل دائما هاتين القوتين المتعارضتين في حالة توتر. نحن نتحسن في عقد الأمور في حالة توتر — تاريخان ، اسمان وعقلان. «نحن» نصبح أكثر من «أنا».

نحن نراقبه ، يد الكاهنة تمسك يده ، وصحن الفاكهة ذاك أمامنا لإرضاء شهية واحدة ، عندما تحدث. رعشة مفاجئة مثل الخطاف الذي يصطاد ضلعا ويسحبه بلا رحمة.

لكنه ليس القفص الصدري لهذا الجسم الذي تم سحبه ، بل كياننا الموحّد ، وإيجية ورايزك ، وشوتيت والثوفيون ، كلنا.

عندها أصبحنا كسفينة. ليست سفينة نقل صغيرة أو وسيلة نقل مسافرين بل سفينة حربية، طويلة وضيقة، ملساء من الأعلى والأسفل، لكنها منحدرة على الجانب مثل واجهة الجرف. نهبط عبر طبقة كثيفة من السحب؛ بيضاء، وباردة، وبخارية. عندما نخترق طبقة السحب، تبدو الكثير من الأراضي التي تحتها شاحبة أيضا، ومسافة شديدة البياض يتحوّل لونها إلى اللون البيج والذهبي والبني بينما تصبح الأرض دافئة أكثر على طول خط الاستواء.

بعدها نحن لسنا سفينة، بل طفل صغير، يقف بالقرب من حافة سطح طيني. نصرخ لأبينا بينما يهبط الشكل المظلم ويلقي بظلاله على المدينة. مدينة مليئة بمزيج من الناس، جزء منا يعترف، مدينة فوا. نسأل والدنا: «هل هي سفينة الإقامة؟»، في الوقت الذي أتى للوقوف إلى جانبنا.

«لا»، يقول والدنا، ونختفي مرة أخرى.

نحن لسنا طفلا بل عامل صيانة يرتدي بذلة العمل المرقّعة عند الركبتين، وكلتا يديه محشورتان في لوحة أجهزة القياس، وأداة بين أسناننا بينما نشعر بالجزء الأيمن والضغط حول البطن والفخذين ونحن نتدلى من المرساة في الأعلى على وجه معدني. نحن على سفينة الإقامة، جزء منا يقترح إجراء إصلاحات.

يسقط ظلّ علينا، فنميل برؤوسنا لرؤية الجانب السفلي الناعم من السفينة. اسمها مكتوب أسفلها بلغة لا نعرفها ولا نستطيع قراءتها، لكننا نعرف أن هذه السفينة ليست شوتيّة.

نحن امرأة بوشاح ملفوف بإحكام حول رقبتها، متجمّع تحت ذقنها، نركض نحو سفينة الإقامة ويد طفل مشبوكة بيدنا. نحمل كيسا ثقيلا على كتفٍ واحدة. إنّه سهل بوجود الملابس على أكتافنا، ولكن زاوية كتاب تخترق جانبنا مع كل خطوة أخرى. فنقول للطفل: «هيا، سنكون آمنين على متن السفينة، هيا».

نحن امرأة أصغر سنا تحمل شاشة في يدها، واقفون عند أبواب المبنى بينما نتعارك مع مجموعة من الناس تزاحم الآخرين في طريقهم إلى داخل السفينة. نتشبّث بمقبض على الحائط للبقاء ثابتين بينما الناس يدفعون ويدفعون ويدفعون. فنصيح بأحد الشبّان خلفنا: «كم عدد الذين تم إخلاؤهم حتى الآن؟».

فيصيح الرجل: «بضع مئات!».

ننظر إلى السفينة الكبيرة المظلمة، فتفتح مجموعة من الأبواب في أسفل بطنها، وأبواب أخرى. كان هناك قاطع ضخم من المعدن ينسحب إلى الأعلى، فتظهر بوابة مفتوحة فوقنا مباشرة. لقد حان الوقت للسفينة أن تحوم فوق سفينة الإقامة، التي تطفو على جزيرة معدنية عبر البحر من فوا حتى نتمكن من إصلاحها وتحسينها في الوقت المناسب للإقامة القادمة.

نطالب قائلين: «هل يقومون بتوزيع السفن؟». بالرغم من أننا نعرف أن الرجل الذي يقف وراءنا ليس لديه إجابة.

فيسقط شيء ما من الفتحة المستطيلة، شيء كبير وثقيل ويتوهج كالشمس.

ثم يصبح مشرقا، كضوء يعمي الأبصار.

نحن الطفل على السطح مرة أخرى، نشاهد الضوء الشديد البياض والحارق، والذي يحيط بالسفينة ويخرج مثل أشعة الشمس. لكن الأشعة ليست مستقيمة، بل هي مثل الجذور، مثل الأوردة، مثل الأصابع الداكنة التي تحمل وجه الخائنة سايرا نوفاك لأنها قتلت قائدنا.

ينتشر السطوع عبر المحيط، يحمل المياه بعيدا فتتبعثر، مشكّلة أمواجا ضخمة، نحو شواطئ فوا. يحترق السطوع عبر السحُب، ليصل إلى أعلى مستوى ممكن من طبقات الجوّ. إنه جدار من الضوء ينهار فجأة، مثل يدين تصفّقان معا.

ومن ثم تأتي الرياح – كانت الرياح عاتية تصم آذاننا وتجعلها تطنّ ، إنها رياح قوية جدّا لدرجة أنها كادت تقتلعنا من مكاننا ليس بعيدا جدّا ، ولكن بضع أقدام إلى الأمام ، ترتطم في سقف الطين ، فيندفع فوقنا ويفقدنا الوعي.

نحن المئات من القلوب البطيئة الآن.

الفصل التاسع عشر

سايرا

وقفتُ مع المنفيين الشوتيت ننظر إلى الشاشات في قاعة الطعام، وجميعنا محشورون معا. أعداء وأصدقاء وعُشّاق وغرباء، كنا واقفون كتفا لكتف، نشاهد سفينة الإقامة المؤقتة وقد مُزِّقت إلى أشلاء.

كانت تعبّر عن مئة شيء، عن تاريخنا وعن حريتنا. إنها سفينة مقدّسة، ومكان عمل، ورمز، ومشروع. إنها طوق نجاة.

ووطن.

بينما كنتُ أشاهد الصور وهي تُعرض مرة بعد أخرى، فكّرت بإخلاء خزانة أمي من كل ملابسها وأحذيتها التي كانت في معظمها صغيرة وبالغة الأنوثة بالنسبة إليّ لكي أرتديها وأنتعلها. لقد وجدتُ أسرارا مخفية في جيوب ملابسها وعلب أحذيتها: رسائل حب من أبي، عندما كان رجلا أكثر لطافة، وقوارير بأسماء مختلفة لمسكنات الألم، وأغلفة للأدوية التي كانت تتناولها للهروب من ظروفها السيئة، ووشاحا ملطخا بطلاء للشفاه، من إحدى العلاقات الغرامية. إنها قصة حياتها المليئة بالأخطاء، تُروى من خلال لطخات وقصاصات ورق.

وأنا ملأتُ ذلك المكان بقصتي الخاصة، وفرني المُلطّخ بالبقع، والبذلات المُدرّعة التي لمعتْ عندما احتكّتْ بها المصابيح التي ربطتُها فوق سريري، والمشاهد الفيلمية المتلاحقة من العوالم الأخرى، وأبطالها وهم يرقصون ويتقاتلون ويبنون ويُصلحون. لم تكن تلك مجرد أشياء، بل أطواق نجاة عندما يصعبُ عليّ البقاء في جسدي من شدّة الألم.

إنها عزائي عند اليأس.

كانت السفينة أيضا هي المكان الذي وقعتُ فيه بالحب.

وقد اختفت الآن.

عندما عُرِضت المشاهد الفيلمية للمرة الرابعة، شعرتُ بأصابع فوق أصابعي. فسحبتُها بشكل غريزي، لعدم رغبتي بنقل هبتي التيارية إلى شخص آخر، لكنّ اليد أصرّت على التمسك بيدي. فالتفتُ لأرى تيكا إلى جانبي، وعيناها مغرورقتان بالدموع. لربما أرادت أن تشعر بألمي، أو ربما أرادت أن تواسيني. على أية حال، تمسّكتُ بيدها، مُحتفظة بمعظم هبتي التيارية لنفسي، بقدر ما استطعتُ إلى ذلك سبيلا. استمرتْ قبضتها لثانية أو اثنتين، لكنّ ذلك كان كافيا. وقفنا وشاهدنا الصور وهي تُعرض مرة أخرى، ولم نُشح نظرنا. فيما بعد، ضغطتُ بوجهي على وسادتي وبكيتُ بحرقة. تسلّق أكوس إلى سريري ولفّ جسده حول جسدي، وسمحت له بذلك.

قلتُ له: «لقد طلبتُ منهم إخلاء المكان، فأنا سبب وجود الكثير من الناس على السفينة».

قال أكوس: «لقد حاولتِ المساعدة، كل ما فعلتِه هو محاولة المساعدة». لم يكن الكلام مُطمْئنا. فلم يكن مهما ما يحاول شخص ما أن يفعله، المهم هو النتيجة، والنتيجة هنا هي موت المئات. لقد كنت مسؤولة عن تلك الخسارة.

لو كان العالم مُنصِفا، لكان يجب أن أسمُ حياة كل واحد منهم على ذراعي، لكي أحملهم معي إلى الأبد. لكن ليس عندي ما يكفي من الجلد لذلك.

ضمّني أكوس إليه بشدة أكثر، فشعرتُ بنبضات قلبه على ظهري، وعاودت البكاء مجددا بحرقة مرة أخرى. غرقتُ في النوم وأنا أضغط بقطعة من القماش الرطبة على وجهي.

الفصل العشرون

سيسي

«الرمز 05032011 ، مؤكد. تابع».

أنت تضع اللحظات في ملف صغير داخل عقلك لأنك تعلم أنها مهمة ، وما تقوله إيساي بينيسيت كإشارة لبدء الهجوم على فوا هو إحدى تلك اللحظات. إنها تقولها بوضوح ، ومن دون تردّد. ما فعلتْه هي أنها تراجعت عن الطاولة التي كانت تتحدث منها إلى القائد ثن ، ثم توقفت ومشت مبتعدة ، دافعة عنها يد آست الممدودة.

لم يستغرق بدء الهجوم كثيرا. فقد تحركت آلة التفجير المُضادة للتيار التي أعارنا إياها كوكب بيثا لكي نطير باتجاه ثوفي على متن سفينة خاصة مُصمّمة لهذه الغاية فقط. لقد كان طاقم السفينة من البيثار ، لكنّها تتبع للقائد ثن ، قائد قوات ثوفي المسلحة الذي يقوم باتخاذ قرار الحرب في واقع الأمر ، طبقا للقانون الثوفي.

أتخيّل أبواب الكوة تُفتح بلمسة منه ، والسلاح – الطويل والرفيع ذو الحواف المربّعة – يسقط ويسقط ويسقط.

قمت وإيساي وآست بمراقبة ذلك من أماكن إقامتنا. سفينة المجلس تواجه الشمس ، ولذلك كانت الجدران قاتمة ، ظهرت فيها صورة لشيسا ضمن دوامات الثلج ، ظهرت ندف الثلج الصغيرة في المشهد المصور بين حين وآخر ، ولذا كانت الصورة مشوشة معظم الوقت ، بندف بيضاء داخل سماء الليل الداكنة. لكني أرى الأبنية بينها تبرز من خلال الغيوم مثل قطرات مطر معلّقة في الزمن. شيسا ليست الوطن ، لكنها المكان الذي ذهبت إلى المدرسة فيه ، حيث وجدتُ حياة بعيدة عن أمي وعن توقعاتها الدائمة ، لذا ، لا

يزال لذلك المكان حيز في قلبي. شيسا هي ما أنظر إليه عندما تُعرض صور الأخبار على الشاشات ، لقد رأيت وميضا ناجما عن تحطم سفينة الإقامة المؤقتة قبل أن أُغمض عينيّ. كبتت إيساي صوتا أقرب إلى الزعيق.

قال آست: «ما الذي يجري ؟». في الحقيقة ، لم تكن الخنفساء الروبوتية قادرة على مساعدته ليرى ما يُعرض على الشاشة.

قالت إيساي: «كان هناك أناس حولها ، هل رأيت ؟ لماذا تواجد أناس حولها ؟».

رفعت الصوت في الوقت المناسب لأتمكن من سماع نشرة الأخبار: «تفيد التقارير الأولية بأن عدة مئات من الشوتيت كانوا حول المركبة ، وذلك خلال قيامهم بإخلاء المدينة —».

أطفأت الشاشة.

قالت إيساي وهي تشهق: «عدة مئات ، عدة مئات —».

هز آست رأسه. «توقفي عن ذلك يا إيساي. لايزال عدد الضحايا في حدّه الأدنى».

قلت مكررة ما قاله: «في حدّه الأدنى». هذا كان جل ما استطعت التفوه به. لقد أشارت تقديرات القائد ثن إلى أنّ الضحايا نحو ثلاثين. وليس مئات. قال آست وهو يحدّق إليّ: «بالطبع ، في الحد الأدنى ، مقارنة بما يمكن أن يكون ، ولهذا السبب اقترحتِ سفينة الإقامة المؤقتة ، أتذكرين ؟».

هناك سيل من الكلمات في عقلي — مئات ، ورجال ، ونساء ، وأطفال ، وشيوخ وصغار ، ومتوسطو عمر ، ولطفاء ، وقساة ويائسون ، وأناس وأناس وأناس — لكني أوقفت تدفق السيل ، كما تفعل يدان تطبقان على حشرة من أجل قتلها. أنا أفضل في هذا مما ينبغي أن أكون ، بعد كثير من المآسي التي سمّمت ذكرياتي. أنا أحيا بهذا الشكل.

لم أرد على آست ، فقد مللتُ من الطريقة التي يلكزني بها. أنا أسحبُ هبتي بقدر ما أستطيع ، على أمل أن تشعر إيساي ببعض الضيق ، فتوقفه.

إنها تواجه دوامات الثلج ، وذراعاها مشبوكتان. وأبنية شيسا في الصور المتحركة مُضاءة باللون الأخضر والأرجواني والزهري. تُذكّرني بالحلي الرخيصة التي يبيعونها في سوق هيسا عندما يبدأ البزار ، من أجل أن يعلّقها الناس على نوافذهم لجلب الحظ.

اهتزت كتفا إيساي ، وارتعشت بالكامل ، فارتطمت إحدى يديها بالزجاج في الوقت الذي حاولت فيه أن تثبت نفسها ، وقفت وآست محاولين أن نواسيها ، بالرغم من أنني كنت على ثقة أنه لن يعرف أن يواسيها مثلي تماما.

انحنى آست متيحا لي رؤية أحد جانبي وجهها ؛ إنها تضحك.

قالت وهي تشهق وتلف ذراعها حول بطنها: «كل أولئك... الناس... سقطوا بغمضة عين!».

بدا الرعب على وجه آست ، لكني أعرف ما كان يجري ، فقلت: «إيساي. خذي نفسا عميقا».

«كل أولئك...». ركعت إيساي وأخذت يداها اللتان كانتا تنزلقان على الزجاج تصدران صريرا.

توجهت نحو الحمام ، وبللت منشفة بالماء البارد حتى أُشبعت ، ثم عدت بها إلى إيساي ، وقد تقطر منها الماء على الأرض. وجدت إيساي جاثمة على الأرض إلى جانب النافذة ، وكانت تُناوِب بين الضحك والبكاء الممض.

وضعت المنشفة على الجزء الخلفي من عنقها بينما مررت يدي الأخرى على ظهرها. في تلك الأثناء ، بدا أن آست قد استوعب خطورة ووخامة ما جرى — أعتقد أنه استوعب متأخرا بعض الشيء — فحث باجا على التقدم إلى الأمام بصافرة. جثم إلى جانبنا صامتا. إنها

أكثر مرة نقترب فيها من بعضنا ، إننا نتشارك نفس الهواء.

قالت متذمرة: «كل أولئك الناس».

راقبت رد فعل آست بينما كنت أنشر هبتي التيارية مثل غلالة غطتنا ثلاثتنا. للمرة الأولى ، لم يعترض.

في الوقت الذي جلسنا في ثلاثتنا بالقرب من النافذة قالت: «إنني أفتقدها».

جذبت يدها ووضعتها على خدي ، حاولت أن أنقل إليها ذكريات عن أوري النائمة على طاولة مطبخنا ، والحبر يلطخ وجنتها من رسمة تفصيلية موضوعة على الطاولة تعود لزهرة الهاشفلور ، كان أبي ينظر إليها بحب وهو يرتشف الشاي ، وأمي تطقطق في لسانها وقد بدت البسمة مرتسمة على عينيها.

انحنى أبي ليطوقها بذراعه ، ثم حملها إلى غرفة المعيشة. كنتُ أراقب ساقيها الطويلتين وهما تتأرجحان على وقع خطواته.

قالت أمي لي: «حسنا ، رغم كل شيء ، نحن ندعوها غرفة أوري بالفعل».

بهدوء غادرت الذكرى ذهني وذهن إيساي ، بالرغم من أنني كنت لا أزال أثبت يدها بين راحتي يدي ، فابتسمت لي.

أعتقد أني أُبقيها متماسكة.

وماذا يحدث عندما لا يعود بإمكاني فعل ذلك ؟



2

كيرتا. اسم في اللغة الأوغرانية:

«ذلك الذي تحطّم ليُصبح شكلا جديدا»

الفصل الحادي والعشرون

سيسي

كاد الهبوط إلى أوغرا أن يقتلني.

تطلّب الأمر مني بعض الجهد – وبعض الاستخدام الحريص لهبتي التيارية – لكني أقنعتُ إيساي بأن تدعني أذهب إلى المنفيين الشوتيت لكي أبدأ محادثات السلام. يمكننا العمل معا من أجل إسقاط لازمِت ، فالمنفيون ليسوا أعداءنا ، كما أنّ أهدافهم تنسجم مع أهدافنا. استلزمت كلماتي بعض الوقت لكي تترسّخ ، وحتى الآن ، لاتزال إيساي متشكّكة ، لكنها على الأقل وافقت على أن تدعني أشرح الوضع.

بعد سبعة أيام من الهجوم على فوا ، تأمن لي مكان على مركبة تنقل طعاما إلى أوغرا. انحشرت في مقعد بين صندوق فاكهة ضخم تمّت هندستها وراثيا في أحد مختبرات كوكب أوثير ، وبرّاد محشو بلحوم طيور من تريللا. الطاقم من تريللا – أنا لا أتكلم لغة تريللا – ولذا لا يمكنني المشاركة عندما يتمازحون مع بعضهم. إن لغة تريللا رتيبة النغمة ، ولذا لا يمكنني حتى التظاهر بأن هذه اللغة التي لا أفهمها شبيهة بالموسيقى. إنهم يبتسمون لي بين الحين والآخر ، ولذا أعرف بأنهم لا يُعيرونني أي اهتمام ، لكنّ ذلك ليس مفاجئا. لا أحد يهتم لشأني ، حتى لو أنهم لم يعرفوا السبب تماما.

في وقت ما ، قال لي قبطان السفينة – العريض من الكتفين حتى الساقين والذي بدا لي من خلال الفتحة أعلى قميصه أنه كثيف شعر الصدر – بلغة أوثيرية ركيكة: «اربطي حزام مقعدك! الآن!».

ربما من حسن الحظ ، أنه لم يخبرني أحد بما ينبغي أن أتوقعه ، لأنني لو كنت

أعرف ما كان سيحدث لربما ما كنت لأتابع بالرحلة ، هذا إن لم أطلب العودة بي.

انطفأت كل أضواء السفينة في الوقت نفسه ، ما إن عم الظلام حتى بدأت أصرخ ، لم أعد قادرة على التنفس ، وأيقنت أنني سأموت لا محالة بين كومة اللحم هذه بينما كانت السفينة تهبط ، تمسكت بكل ما أوتيت من قوة بالأحزمة ، التي كانت تشد على صدري إلى الحد الذي شعرت فيه بالخدر في يدي ، ربما كان الخدر بسبب الشد أو الخوف. آخر ما فكرت فيه أنه لن تتاح لي فرصة التحدث إلى أمي مرة أخرى.

بعدها ، عاد النور مجددا ، ورأيت أفراد الطاقم يحدقون إليّ ببلاهة ، وأخذوا يضحكون ، حاولت مشاركتهم الضحك ، لكنني لم أستطع ، فقد كانت أنفاسي مقطوعة ، وكنت ألهث.

لم يمر وقت طويل قبل أن نصبح واقفين على التراب الأوغراني.

قالت لي امرأة أوغرانية اسمها إيسا ببطء: «إيسا»— عندما بدا لها أنني لم أفقه ما قالته في البدء — وهي تقلني إلى المنفيين في قارب صغير أخذ يشق الماء مثل سكين. إنها تتكلم اللغة الأوثيرية مثلما تعدّ حبات الفاصولياء ، بمعنى أنها تُخرج الكلمات واحدة بعد أخرى ، لكنها اللغة الوحيدة التي نتشاركها والتي كنا من خلالها نتبادل الترهات إلى أن وصلنا إلى اليابسة مرة أخرى.

سارت بي عبر الشوارع الوعرة لإحدى القرى حيث يعيش الشوتيت والأوغران جنبا إلى جنب. عرفتني إيسا إلى الأشياء — كشك مصنوع من حجر مصقول هي تحبّه ، المكان الذي تشتري منه بقالتها ، والدمى المنحوتة التي سبّبت لها الكوابيس وهي طفلة ، ولكنها لم تشرح لي كيف يعرفون ما هو «الليل» هنا ، عندما كانت إيسا تتحرك كانت الأساور التي تطوق معصمها تخشخش.

سألتني: «أيهم أخوكِ ؟».

قلت: «ذاك الفارع الطول فاتح البشرة. لقد أتى مع سايرا نوفاك».

قالت: «أوه! الشاب الضخم».

قلت مرتبكة: «ضخم؟ كلا إنه نحيف».

فقالت: «كلا، كلا. ليس ضخما بالجسد. إنه يحمل عبئًا. ربما استخدمت كلمة لا تعبر بدقة عما قصدته».

«أوه». أنا لم أفكّر أبدا بأخي بتلك الطريقة. فذلك الرجل الطويل والخطير الذي قاتل للخروج من أحد مستشفيات شيسا ومنه إلى أحد سجون المدرج لا يبدو أنّه مُتأثر بأي شيء — بدا أسرع وأخف من كل شخص معه. لكن ربما أنا لا أستطيع رؤيته بالفعل. هناك نوع معين من الرؤية يأتي مع عدم معرفة شخص ما طيلة حياتك، وإيسا تمتلك هذه الرؤية.

قالت إيسا: «سآخذك إلى حيث يجتمعون، ربما تجدينه هناك».

قلت: «هذا جيد، شكرا لك».

قادتني إلى أحد المستودعات القديمة الذي كانت الصدوع تغطي جدرانه الخارجية، كان هناك يافطة مثبتة أعلى الباب لم أستطع قراءتها ربما لأنها مكتوبة بلغة الشوتيت.

دخلنا المستودع، من خلال ما تعلمت أن أتوقعه بدا مكانا خاصا بالشوتيت. كانت كل الطاولات مُبعدة إلى جانب الجدران، وجلس الأشخاص عليها أو إلى جانبها بمجموعات على شكل حلقات.

بينما كنا نمضي قدما إلى داخل المستودع، أخذ الأشخاص يدقون بوتيرة متسارعة وبصوت مرتفع جدا، ولم أستطع التركيز على أي شيء في تلك الأثناء، عندها نظرت إلى الوسط.

إنها سايرا نوفاك ، بشعرها الطويل المجدول خلفها ، ترمي بجسدها على رجل عملاق. إنها رشيقة وقوية ، مثل سكين رُمِيتْ بيد ماهرة. أمسكها الرجل الضخم — ولا بدّ أن يكون ضخما ، ليجعل امرأة بقامتها تبدو رقيقة للغاية — ثم حملها فوق كتفه ورمى بها بعيدا.

شهقت عندما رأتها تسقط على الأرض المغطاة بالبسط ، ومع ذلك بدت صلبة بما يكفي كي لا تُصاب بأذى. لكنها تدحرجت وكأنّ جسدها مصنوع من المطاط ، وابتسمت ابتسامة عريضة ، وبدت العزيمة في نظرات عينيها. إنها الطريقة التي نظرتْ فيها إلى رايزك نوفاك قبل أن يسلخ الجلد عن جمجمتها ، وهكذا بدتْ إيساي قبل أن ترتكب الجريمة مباشرة.

صرخت ورمت نفسها نحوه مجددا ، فهدر الجمهور ، واستمر الوضع على ما هو عليه لبرهة ، رأيتها تستجمع قوتها وتستعيد زخمها اللذين يفترض بهما أن يزعزعا خصمها ، فلم يعرف إلى أين ينظر أو كيف يصد هجومها الذي بدا عديم الفعالية ، فأمسك بها ، وحاصرها ، لكنها تمسكت به ، فلفت جسدها عليه ، مطوقة إياه كما تطوق السلسلة العنق ، لقد شدت بكل ما أوتيت من قوة بساقيها على عنقه ، وبدا أنه يختنق.

عندما ربّت على إحدى ساقيها ، تركته وانزلقت إلى الأسفل ، فهدر الجمهور مجددا. في تلك الأثناء ، توجهت إلى جانب المستودع ، لتشرب من صنبور عند الحافة.

قالت إيسا: «إنهم يفعلون هذا طوال الوقت الآن. ولست أدري ما الهدف من ذلك ، هل ينوون مقاتلة الثوفيين رجلا لرجل ؟».

عندما لاحظتني سايرا ، خبت شرارات عينيها. بدوري لاحظت الخدوش والكدمات أعلى وأسفل ذراعيها العاريتين ، ربما تعود لعراكات سابقة. اقتربت مني من جهة إيسا.

قالت إيسا لها: «لقد طُلِب مني ضمان أمن الآنسة كيرسيث بينكم ، أرجو أن لا تصعبي الأمر عليّ».

وقفت سايرا على مرمى حجر منا، وظننت للحظة أنها ستبصق عليّ، إلا أنها سألتني بنبرة آمرة: «ما الذي تفعلينه هنا؟». رفعت إحدى يديها وأضافت: «لا تجرّبي تلك الهبة التيارية القذرة معي».

الأمر تلقائي للغاية لدرجة أنني لم أتخيل أنني أستخدم هبتي، فتراجعت بقدر ما أستطيع. فدفنت ظلالها التيارية نفسها تحت جلدها مرة أخرى، وبدت كشبكة داكنة تغطيها بالكامل، وكزت على أسنانها.

«أنا هنا من أجل —» توقفت عن الكلام. فأنا لا أريد أن أكشف نفسي. «أنا هنا لكي أرى عائلتي، مفهوم؟».

قالت: «أنت غير مرحب بك هنا، أم أنّ إعلان الحرب قد شتّت انتباهك؟».

تمنيت — ولم تكن المرة الأولى — لو أنّ بإمكاني توجيه هبتي الخاصة نحوي، وإراحة نفسي، على الأقل لبرهة. لكن ليس بإمكاني تخفيف عبء الذنب، فقد ساعدتُ إيساي في انتقاء هدفها. قبل أن أصل إلى هنا، شعرتُ بالثقة لأني فعلتُ شيئًا جيدا، نظرا للخيارات التي كانت لديّ — فقد أقنعتُها بعدم ضرب فوا مباشرة، أليس كذلك؟ لقد أنقذتُ عددا لا بأس به من الناس، من خلال استعمالي لهبتي التيارية وانتقائي الذكي للكلمات.

لكني الآن، أقف بين أناس فقدوا أعزاء على قلوبهم، أفرادا من عائلاتهم وربما أصدقاء لهم، لقد كنت أقف في مكان خاص بهم ترتفع قيمته إلى حد القداسة. حسنا، كيف لي أن أشعر بأني فعلتُ شيئًا جيدا؟ كيف لي أن أعتقد بأنّ أولئك الناس مختلفون بأي شيء عن شعبي، هل هناك ما يستحق المزيد من العنف والخسارة؟

لا أستطيع، ولا أريد.

لكني سأفعل ما يجب عليّ فعله، مثل أي شخص آخر تماما. قلت: «أخبريني أين أجد أكوس وحسب».

فقالت وهي تستنشق الهواء عبر منخريها: «أكوس، تقصدين خادمي الأمين، الذي صمم على الموت فداء لي؟». أغمضت عينيها للحظة قبل أن تتابع: «بالطبع، أعرف أين أجده. إنه في الطريق».

الفصل الثاني والعشرون

سايرا

كل شيء مؤلم ، لكني لم أعد أهتم. حسنا ، كنتُ أهتم ، لأنّ لا أحد يريد أن يكون متألما. كانت هذه غريزة البقاء ، لكن ما دام عقلي الواعي قادرا على تخطّي حالتي الجسدية ، فأنا أتقبّل الألم ، وأدعه يسري داخلي. كنتُ مبللة بالعرق ومرهقة ومستعدة للمزيد. لأي شيء يجعل الأمر أسهل كي أكون هذا الشيء المُلتهب والمُتلوّي الذي أصبحتُ عليه.

لم أرغب بأخذ سيسي كيرسيث إلى المكان الهادئ الذي اعتبره أكوس ملكا له عشية بدء الهجوم ، متجر المرأة العجوز المقابل لأحد الأزقة في غالو. كان هناك الكثير منه (من أكوس) في ذلك المكان ، عند القدور التي تغلي وفي صوت السكين فوق لوح التقطيع.

عندما خرجت وسيسي وإيسا من الكافتيريا ، بصقتْ شابة ذات شعر قصير مجعّد وكثيف ، على الأرض بجانب قدميّ. ودعتْني بكلمة أوروزو.

الترجمة الحرفية هي «خيال مرآة» ، لكنّ المعنى الحقيقي للكلمة هو أنّ شخصا ما قد أصبح شخصا آخر ، أو أنه مشابه جدا له بحيث لا يمكن تمييزه عنه. ولذا ، بعد الهجوم على فوا ، اعتاد كثير من المنفيين على تسميتي «أوروزو» — خليفة رايزك ولازمت وعائلة نوفاك. كانت تلك طريقتهم في تحميلي مسؤولية خسارة كل تلك الأرواح خلال عملية الإخلاء الفاشلة ، بسبب حماقتي. ليتني لم أرسل تلك الرسالة التي طلبت منهم فيها الهرب ؛ لكن للأسف لا يمكن إعادة عقارب الساعة إلى الوراء.

سرت بسرعة ، لا تستطيع سيسي وإيسا مواكبتها ، كي لا أتيح مجالا للتحدث معهما ، لقد كانت سيسي تقف إلى جانب المرأة التي دمرت منزلي ، لن أستطيع أن أغفر لها

أو أنسى ما اقترفت يداها.

كان أكوس منحنيا فوق إحدى القدور عندما وصلتُ إلى المتجر، يغمس أحد أصابعه في ذلك الشيء الذي يحضّره؛ يُرجح أنه مسكّن آلام، مؤديا ما يفترضه واجبه الوحيد تجاهي هذه الأيام. لعق طرف إصبعه، ليتذوّق ما صنعه، ثم شتم بصوت عالٍ باللغة الثوفية.

سألته المرأة: «هل أخطأتَ مجددا؟». كانت تجلس على أحد الكراسي تقشّر شيئًا ما فوق وعاء بجانب قدميها.

قال بعصبيّة: «إنه الشيء الوحيد الذي أجيده، ومع ذلك لا أستطيع القيام به بشكل صحيح». نظر إلى الأعلى باتجاهي، فاحمرّت وجنتاه ثم قال: «أوه، مرحبا».

«أنا هنا من أجل —»، توقفتُ عن الكلام قليلا ثم أضفتُ: «شقيقتك هنا».

تنحيّتُ جانبا، لكي تظهر أمامه. وقفا متقابلين بصمت لبرهة، أطفأ النار أسفل القدر، ثم عبر الغرفة ليحتضنها. وبدورها احتضنته.

سألها بلطف: «ما الذي تفعلينه هنا؟».

«أنا هنا لأبدأ محادثات سلام مع المنفيين».

زفرت الهواء من منخري. لم تكن مهمتها تافهة وحسب — كيف لنا أن نعقد محادثات سلام مع أمّة دمّرتْ سفينة الإقامة المؤقتة؟ — لكنها كذبتْ عليّ بشأن ذلك أيضا.

أضافتْ موجّهة كلامها لي: «آسفة لأني كذبتُ عليكِ. فقد اعتقدتُ أنك ستضربينني، ولذا التمست أكثر الأعذار ملاءمة لكي أكون هنا».

قال أكوس: «لن تضربك سايرا أبدا».

الطريقة التي قال فيها ما قاله — من دون تردد أو شك — جعلتْ صدري يضيق

من الألم. لقد كان الوحيد الذي يظن بي خيرا.

قالت المرأة العجوز وهي تنحني جهة قدميها: «إذا كنتم ستقفون هنا وتثرثرون جميعا، فافعلوا ذلك في مكان آخر، متجري صغير جدا، ولا أستطيع تحمّل مثل تلك الترهات».

قال لها أكوس: «آنا آسف لأنني أهدرت مكوّناتك يا زينكا».

أجابتْه زينكا بلطف: «لقد تعلّمتُ الكثير من محاولاتك الفاشلة، وكذلك من تلك الناجحة. اذهبوا الآن».

استدارتْ نحوي بوجهها الهادئ، ثم نظرت إليّ نظرة تقدير، وقالت لي على سبيل التحية وأنا أغادر باتجاه الزقاق: «آنسة نوفاك».

أومأتُ لها برأسي ومشيت.

لقد كان الزقاق ضيقا، مما حتم أن نسير خلف بعضنا، تقدمتنا إيسا وكان أكوس الأخير. ومن فوق كتف إيسا رأيت سيفا وإيجية ينتظراننا عند الشارع المرصوف وراء الزقاق. تظاهرت سيفا بأنها تهتم بالأسماك الصغيرة المتوهّجة في الكشك الأقرب إليها، والمحفوظة داخل أسطوانات طويلة مليئة بالماء، لكنها لم تستطع خداعي، لقد كانت تنتظرنا.

نظر إيجية بعصبيّة من فوق كتفه. كان شعره مجعّدا خلف أذنيه الآن، وقد نما بما يكفي ليُظهر قوامه الطبيعي. ثمة شريط رفيع مخيط أعلى كتفي قميصه، يلمع بلون أزرق باهت. لقد اعتمد معظم الناس هنا بعض مكونات اللباس الأوغراني، لكي يبدوا مرئيين في الظلام، بخلافي.

أعلم أنّ لا مكان لي هنا، في اجتماع لم شمل عائلة كيرسيث هذا — الذي ربما نسّقه الكهنة — في حال كان حضور سيفا وإيجية يعني ما كنتُ أفكّر به. هممتُ بالمغادرة، أي الاختفاء وسط الليل الدائم، لكنّ أكوس كان يعرفني تماما، شعرتُ بيده وهي تضغط

على ظهري، كانت ضغطة سريعة، لكنها أرسلتْ قشعريرة عبر كل جسدي.

وقلت أيضا، افعل ذلك مرة أخرى.

وكذلك قلتُ في نفسي، لا تفعل ذلك مجددا أبدا.

قال بلغة الشوتيت وبصوت منخفض: «آسف، لكن — هلّا بقيتِ هنا؟». تعانقت سيسي وسيفا خلفه، وكانت يد سيفا تداعب خصلات شعر سيسي المجعدة برقّةٍ ذكرتني بأمي. توسلتني عينا أكوس الرماديتان كي أبقى، لقد صرفتُ انتباهي عنه خلال الأسبوع الذي تلى الهجوم، رافضة معظم أشكال التطمينات التي قدّمها، ما لم تكن على شكل مُسكّن آلام، لم أستطع البقاء بالقرب منه الآن، فأنا أعلم أنه هنا لأنه يؤمن بقدره وليس لسبب آخر. لكنه جعلني ضعيفة، ولطالما جعلني كذلك.

قلتُ: «حسنا».

قالت سيفا لسيسي التي كانت تنظر إلى إيجية: «أَمِلَ أن تأتي». أبقى نفسه بعيدا عن الآخرين، وهو ينتزع الجلد الميت حول أظافره. كانت وقفتْه وحركاته تشبه تلك التي تعود لأخي الراحل. كانت... مثيرة للقلق.

تابعتْ قولها: «اعتقد إيجية أنّ الأمر مرجّح، إنه مجرد مبتدئ، لكنّ حدسَه قوي، ولذا أتينا لتسهيل مسار معين».

قلتُ وذراعاي مشبوكتان لكي أُخفي قبضتي يديّ: «آه، أنت تعترفين بذلك هذه المرة؟».

لمستْ أطراف أصابع أكوس أحد مرفقيّ، فأبعدتْ عني الألم، إلا أنني منعت نفسي من النظر إليه.

أجابت سيفا: «نعم». كان شعرها مكوما أعلى رأسها بخصلات مجعدة، وثبت

دبوس الخصلات وسط رأسها ، ولمعت الأحجار الكريمة عند طرف الدبوس بلون زهري باهت «تعالي ، نحن مطلوبون في مكان آخر».

قال إيجية مُخففا من وطأة العبارة: «ربما». فكرّرت سيفا الكلمة قائلة: «ربما».

قلتُ لها: «أنتِ لا تجعلينني أرغب بقضاء مزيد من الوقت مع الكهنة».

ظهرتْ ابتسامة على شفتي أكوس.

أجاب إيجية بلا مبالاة: «وكم هي مؤسفة خسارتنا ، أنا متأكد».

حدّقتُ إليه. لم يسبق لي أن سمعت إيجية كيرسيث يقول نكتة ، ولا سيّما على حسابي.

لم يكن هناك وقت للرّد السريع ، لأني التفتُ ورأيتُ منظرا يُنذر بالخطر: الملامح العامة لإحدى سفن النقل الأوغرانية. كانت حوافها مبطّنة بأنابيب ضوئية بيضاء ، لكنّ الظلام الدائم جعلها مسطّحة ، فبدا الشيء كله مثل وجه أحد الوحوش المعلّقة في الهواء. أصبحت الأجنحة المطوية للخلف أذنين ، وكانت فتحة الهواء تحت هيكل المركبة الأمامي مثل فم ، وبدا الذيل بمثابة قرن وحيد.

تقدّم إلينا أحد الأوغران وهو يرتدي بذلة طيار. كانت بشرته بنية قاتمة ، لكنّ عينيه كانتا قزحيتي اللون ، مثل حراشف سمكة. فهما تجمعان الضوء من حولهما ثم تعكسانه بلون فضي برّاق. كنتُ متأكدة بأنّ هذا تعبير عن هبته التيارية ، بالرغم من أن الغموض كان يحيط بماهية هذه الهبة.

إيسا التي كانت تقف في مكان ما جهة اليمين ، قالت شيئًا بالكاد كان مسموعا ، ربما كانت تعويذة باللغة الأوغرية.

الفصل الثالث والعشرون

أكوس

حاول أكوس تكوين فكرة عن السفينة الأوغرانية في الظلام، لكنّ ذلك كان صعبا. عندما هبطوا في البداية فوق أوغرا، اعتقد أنّ السماء كانت دائما بلون واحد، ولكنها لم تكن كذلك بالفعل؛ كانت أحيانا بلون أسود مخملي، وأحيانا بلون أسود شاحب، وفي أحيان أخرى بلون قريب من الأزرق. أما الآن، والسماء مدلهمة إلى أقصى حد، فلم يكن لها أثر، وليس هناك سوى الضوء الذي استخدموه من أجل تحديد شكلها.

تقدّمت إيسا وقالت: «مرحبا باري».

لم يكن من السهل معرفة إن كانت إيسا ودودة أم لا، لكنّ الأكيد أن شيئًا تغيّر فيها. كانت تعرف هذا الشخص.

قال الأوغراني: «إيسا. فاجأني حضورك».

قالت: «لقد أُرسِلتُ لكي أكون سفيرة شعبي إلى الشوتيت». جزم أكوس أن هناك شيئًا غريبا في هذين الشخصين، فهما يتحدثان بإلفة، ربما كانا عاشقين، «وأنا متفاجئة لوجودك هنا؟».

أجابها باري: «لقد أتيت إلى هنا مع اثنين من كهنة ثوفي ولكن ربما كان قدومي ضربا من الحماقة».

شعر أكوس بسايرا تتحرك أسفل يده، وبدت نافدة الصبر، بالتأكيد، كانت قد فتحتْ فمها مسبقا.

قالت: «هلّا قلت لنا ماذا تريد؟ فنحن هنا في اجتماع عائلي».

قال باري بابتسامة عريضة: «آنسة نوفاك. إنّ ردّ فعلك مُتوقّع، فما أريده هو ما تريده كاهنة أوغرا. لقد استدعتْكم - جميعكم - وتتمثل مهمتي في إيصالكم إليها. إنها في الجانب الآخر من أوغرا، على أطراف البريّة، ولذا يجب أن نطير إلى هناك لكي نصل في الوقت المحدد».

قال أكوس في نفسه، بالطبع، دون أدنى تعبير عن الازدراء. لقد أتتْ أمه وإيجية إلى القرية - حيث لم يذهبا إليها أبدا تقريبا - لهذا السبب بالتحديد. كان يكره ذلك الإحساس، فكل خيوط القدر تتجمّع وتتشابك في عُقدة واحدة. في المرات السابقة التي شعر فيها بمثل هذا الإحساس كانت النتيجة مقتل والده، أو قتل فاس - فاس، وجهه يلمع بحبيبات العرق، وثمة كدمة على زاوية عينه، من ذا الذي يعرف سببها؟ -.

قالت سايرا: «وإذا لم تكن لدينا رغبة بالذهاب؟».

أجاب باري: «لا أعتقد أن من الحكمة رفض الذهاب، فوفقا للقانون الأوغراني، ينبغي الامتثال لاستدعاءات الكهنة. وكونك إحدى منفيات الشوتيت، أنت مُلزمة بالامتثال لقوانيننا العليا، ما لم ترغبي بالتنازل عن وضعك كلاجئة».

نظرتْ سايرا إلى أكوس.

«الكهنة»، قالها وهو يهزّ كتفيه لأنه لم يكن هناك ما يُقال.

بصراحة، كانت السفينة الأوغرانية مذهلة من الداخل.

فهي تنبض بالحياة بطريقة لم يرها أكوس أبدا، ولم يكن يعتقد أنّ سفينة ما يمكن أن تكون كذلك. الهيكل معدني، لكن هناك نباتات تنمو في كل مكان، بعضها خلف الزجاج، وبعضها في العراء. لقد ميّز اثنتين منها، مما علّمتْه إياه زينكا، بالرغم من أنه رآهما ذابلتين، أو على شكل رسوم، أو مفرومتين. بدت واحدة من النباتات خلف الزجاج مثل كرة

تامة إلى أن تفتّحتْ بتلاتها المُسنّنة والسميكة، لتكشف عن الأسنان نفسها التي تعلّم طحنها ليصنع منها مسحوقا.

ذهبتْ سيسي إلى إحدى النباتات – إحدى شجيرات الكرمة المزهِرة التي التفّتْ حول واحدة من دعامات السفينة – وكأنها جُذِبتْ إلى هناك بمغناطيس. فامتد إلى إصبعها لولب أخضر داكن والتف حوله بلطف. أسرع أكوس إلى جانبها، ونقر على اللولب لكي يجبره على التراجع.

قال لها: «من الواضح أنّ تلك اللوالب تبدأ التمدد بشكل ودي ثم تصبح شرسة، لكن إذا تجاهلتِها فهي لا تفعل شيئًا بالعادة».

قالت سيسي: «هل تحاول كل النباتات هنا أن تقتلك؟».

أجاب: «كلها تقريبا. بعضها يحاول أن يتودد إليك لكي تدافعي عنها ضد النباتات الأخرى».

قال باري وهو يمشي متجاوزا إياهما: «ستلاحظ أنه لا حيوانات على كوكب أوغرا، وهذا لأنّ النباتات متطورة جدا. هناك أنواع كثيرة من فصائل الحشرات، من أجل تكاثر الحياة النباتية، لكننا الحيوانات الوحيدة ذات الدم الحار التي تمشي على هذا الكوكب».

جلس باري في مقعد القبطان. لم يكن هناك مساعد طيار أو ضابط أول يمكن لأكوس رؤيته، باري فقط ومجموعة كبيرة من الأزرار والمقابض. لكنّ إيسا جلست في المقعد المجاور له.

كان هيكل الطائرة الأمامي كبيرا بما يكفي ليتّسع لهم جميعا، في مقاعد المنصة ذات الأحزمة الواقية. نظرا لأنّ أكوس كان يعرف نزعة الكوكب للقتال ضد أي شيء، وفي كل مكان، فقد اعتقد أنهم بحاجة لأكثر من أحزمة لحمايتهم، لكن لم يسأله أحد.

قالت سايرا وهي تشدّ نفسها بالحزام: «هل أوضحت الكاهنة سبب رغبتها بجرّنا

إليها؟». أنهتْ ربط حزامها، ثم بدا أنها مدّت يدها دون وعي منها لمساعدة سيسي على ربط حزامها. جلس أكوس في المقعد المجاور لها، في نهاية المنصة.

أجاب باري: «ليس لي أن أسأل عن ذلك».

قالت إيسا: «ليست الكاهنة...». صمتتْ قليلا وهي تبحث عن معنى الكلمة باللغة الأوثيرية. فسألتْ بلغة الشوتيت: «كيف تقولون (صريحة)؟».

ردّد أكوس الكلمة باللغة الأوثيرية نيابة عن سيسي.

قالت سيفا: «ليس من مهمة الكاهنة أن تجيب على أسئلة كهذه. لدينا مهمة واحدة فقط، وهي حماية هذه المجرة. فليس منوطا بنا التدقيق في المعلومات غير المهمّة التي يجدها الناس الآخرون ضرورية».

انتفضت سايرا قائلة: «أوه، تقصدين معلومات غير مهمة مثل (أنتَ يا ابني الأصغر، سوف تُختطف غدا)؟ أو (إيساي بينيسيت على وشك قتل أخيك، يا سايرا، ولذا ربما تريدين أن تتصالحي معه)؟».

قبض أكوس على ساقه لكي يُثبّت نفسه. أراد أن يخبر سايرا بأن لا تستخدم ألمه كسلاح ضد والدته، وأراد أن يخبر أمه بأنّ سايرا محقة. لكنه شعر أنه مثقل جدا باليأس من ذلك لدرجة أنه استسلم قبل أن يبدأ.

انتفضت سيفا قائلة: «أنت تطلبين معرفة أشياء من الكاهنة الأوغرانية ولكنك ستكتشفينها خلال اليوم، وأنتِ غاضبة لأنه لم يتم إخبارك بما تودين معرفته بالضبط عندما تريدين معرفته. لا بدّ وأنك تجدين هذا محبطا، لأنه لا يلبي كل حاجاتك على الفور!».

ضحكت سايرا وقالت: «في الحقيقة، أنا فعلا أجد ذلك محبطا». ظنّ أكوس إنها على هذه الحال منذ الهجوم على سفينة الإقامة المؤقتة. فهي مستعدة لقتال ما، ولا يهم ما ينتج عنه، أو مع من يكون. لطالما كانت سايرا مبالغة بردود أفعالها، وقد أحبّ ذلك فيها.

لكنّ هذا كان مختلفا، وكأنها ترمي بنفسها، مرة إثر مرة، على جدار بأمل أن يُحطّمها في نهاية المطاف.

قال باري: «الرجاء التزام الهدوء! فأنا لا أستطيع التركيز بينما أنتم جميعا تتجادلون».

ترنّحت السفينة واهتزت وهي ترتفع عن الأرض. هدرت المحركات، فارتعشت شجيرات الكرمة والنباتات الأخرى وتطايرت أوراقها وكأنها في مهب الريح. راقب أكوس شجيرة الكرمة المزهرة وهي تلتف بشدة أكبر حول دعامتها، كما انكمشت النبتة خلف الزجاج على نفسها وتوهجت بلون برتقالي كعلامة تحذير.

قال باري بينما كانت السفينة تطير إلى الأمام: «سوف نطير فوق العواصف لكي نتفادى أضرارها. سيكون الأمر قاسيا».

لم يستطع أكوس تجنب فضوله. فهم كانوا يختبئون من «العواصف» كلما أُطلِق جرس الإنذار منذ وصولهم إلى أوغرا – بدا الأمر كذلك في كل يوم تقريبا. لكنه لايزال بانتظار سماع وصف حقيقي عما كانت عليه العواصف بالضبط.

لم يكن طيران السفينة سلسا كما هو بالنسبة إلى سفينة من سفن الشوتيت. فقد اهتزت وارتعشتْ، كما أنها كانت بطيئة بحسب معلومات أكوس. لكنهم ارتفعوا عاليا بما يكفي لدرجة أنه تمكّن من رؤية مجموعات صغيرة من القرى المتوهّجة، ومن ثم البقعة اللامعة والكبيرة لبوكجو، عاصمة أوغرا، حيث الأبنية كانت طويلة بما يكفي لتجعل الأفق متعرجا.

انعطفت السفينة وهي ترتفع بعيدا عن الحضارة الأوغرانية ومنها إلى الظلام الواسع الذي شكّل الغابات الجنوبية. ثمة كثير من الأشياء المتوهجة هناك، كما في كل مكان آخر، لكنها مغطاة بمساحات خضراء كثيفة، من ذلك الارتفاع كان من الصعب رؤية أي شيء سوى الفراغ.

اهتزت السفينة ، وهذا ما جعل أكوس يقبض على يد سايرا دون تفكير. لم يكن يقصد الضغط بشدة ، لكن نظرا لضحكتها ، فهذا ما كان يفعله. اختفى المنظر الواضح الذي كانوا يعرفونه عن سطح أوغرا ، واستُبدِل بدوامات كثيفة من الغيوم. وعندئذٍ ، في الأعلى ، يندمج اللون مع الضوء ، كما هي الحال عندما تمر سفينة الإقامة المؤقتة عبر الدفق التياري.

خيط برق أزرق ، اخترق طبقة الغيوم ، ثم انتشر في الأسفل. فارتطم رأس أكوس بجدار السفينة بشدة لدرجة أنه تمكن من سماع أسنانه تصطك. ثم وميض آخر ، بلون أصفر هذه المرة ، بدا أنه سيحدث بجانبهم تماما. باللغة الأوغرية صرخ باري وإيسا على بعضهما. سمع أكوس صوت تجشّؤ وكأنّ أحدهم – على الأرجح إيجية ، فلطالما كان مُصابا بالغثيان الناتج عن الحركة – يتقيّأ.

وكما وعد باري ، فقد تحرّكوا مباشرة فوق العاصفة التي جعلتهم يتدافعون جميعا لكن السفينة لم تتأثر. لقد جعلته رائحة التقيّؤ اللاذعة ، يشعر وكأنه سيتقيّأ أيضا ، لكنه حاول السيطرة على نفسه. وحتى سايرا التي كانت تحب الأمور التي تجعل الناس الآخرين خائفين جدا ، بدا أنها عانت بما يكفي ، فقد كزّت على أسنانها رغم أنه كان يهتم ببهبتها التيارية.

استغرق باري وقتا طويلا قبل أن يعلن أنهم سيهبطون ، فتنفسّت سايرا الصعداء. انتبه أكوس لتحرك السفينة نحو الأرض ، باتجاه غابة كثيفة بدتْ بالنسبة إليه مشابهة لأي مكان آخر.

لكن عندما اقتربوا ، بدت الأشجار وكأنها تتباعد ، لتفسح المجال أمام مجموعة من الأبنية المُضاءة من الأسفل ببحيرات من المياه المتوهجة – مُشبعة بالبكتيريا ذاتها التي جعلت الأقنية حول غالو تُضيئ ، كما افترض أكوس. وخلافا لذلك ، فقد كانت أبنية خشبية صغيرة ذات سقوف عالية ومدبّبة ، موصولة بممرات بدت متلألئة بعكس الخلفية القاتمة لسواها. كانت بقع الضوء تتحرك بطريقة متقطعة في كل مكان ، مقتفية أثر طرق الحشرات الطائرة.

حطّت السفينة فوق مكان الهبوط.

إنهم الآن في معبد أوغرا.

الفصل الرابع والعشرون

سايرا

انحنيتُ لكي ألمس الطريق تحت أقدامنا. كان من الحجر الناعم والمُسطّح – أبيض اللون، وهو لون غير مألوف في أوغرا. هذا المكان مليء بالأشياء المتوهجة، في الحدائق والبحيرات، والتي ترفرف في الهواء.

قادنا باري إلى البناء الأكبر. هبطنا أسفل أحد التلال، ولذا يجب أن نتسلق لكي نصل إلى أي مكان، فقد افترضتُ أن الكاهنة كانت تعيش في الأعلى. بدا الهواء منعشا بعد الرعب الذي عشناه داخل سفينة النقل – لن أرغب أبدا بالسفر أثناء عاصفة أوغرية مرة أخرى – فأخذتُ أتنفس محاولة مجاراة خطوات إيسا، بينما الآخرون خلفي.

عندما مررنا داخل إحدى الحدائق – كانت معظم النباتات مُبعَدة عنا بسياج شبكي معدني يمرّ عبره تيار – انتبهتُ إلى أنّ إيسا كانت تقول من خلفي بنبرة خوف مُسيطَر عليه: «باري».

التفتُ إلى الخلف لأرى خنفساء ضخمة، بطول راحة يدي تقريبا، تزحف على خد أكوس. ثمة علامات زرقاء براقة على أجنحتها، وكان الهوائي الخاص بها براقا ومتحركا. وهناك خنفساء أخرى على عنقه وثالثة على ذراعه.

قالت له إيسا: «ابق ساكنا، وليبتعد الجميع عنه».

قال باري: «اللعنة».

بدوره قال أكوس: «أظنّ أنّ هذه الحشرات سامة». بالكاد استطاع ابتلاع ريقه

فسُمع صوت تفاحة آدم الخاصة به تفرقع.

قالت إيسا: «سامة جدا. نحن نبقيها هنا لأنها تكون براقة جدا عندما تطير».

أضاف باري: «وهي تتجنّب أي شيء يشكّل ممرا قويا للتيار، مثل... الناس. معظم الناس».

أغمض أكوس عينيه.

خطوت إلى الأمام متجهمة بعض الشيء. فأمسك باري بذراعي لكي يوقفني، لكنه لم يتحمل لمسي، فتراخت قبضته، وتابعت المشي. بقيت أقترب وأقترب إلى أن وقفتُ أمام أكوس تماما، وأنفاسه الدافئة تصطدم بجبهتي. رفعتُ إحدى يديّ لألوّح بها فوق الخنفساء التي على وجهه، وللمرة الأولى، فكّرتُ بهبتي التيارية على أنها شيء ربما يحمي بدل أن يؤذي.

تمدّدت إحدى اللوالب المتعرشة السوداء من بين يديّ — امتثالا لأمري، امتثالا لأمري — ووخزت الخنفساء من الخلف. فابتعدتْ عنه، وذهبت الأخريان معها. فتح أكوس عينيه. فحدّقنا إلى بعض، ولم نتلامس، بالرغم من أننا كنا قريبين من بعضنا إلى درجة أني أستطيع رؤية النمش على جفونه.

سألته: «هل أنت بخير؟».

فأومأ برأسه.

قلتُ: «حسنا، ابقَ قريبا مني، لكن لا تلمس جلدي، وإلا ستحولنا إلى مغناطيس للحشرات السامة».

عندما التفتت، التقت عيناي بعيني سيفا. كانت ترمقني بنظرة غريبة، وكأني قد ضربتُها تقريبا. شعرتُ بوجود أكوس خلفي، قريبا مني. فضغط على قميصي بإصبعين فوق

منتصف ظهري تماما.

قال إيجية: «حسنا، كان هذا مثيرا».

كان ذلك نوعا من الكلام الذي يمكن لرايزك أن يقوله.

فأجبته بشكل تلقائي: «اخرس».

ثمة غرف واسعة وجميلة على التل. مساحات كبيرة، والأثاث مغطى بأقمشة واقية، كما أنّ ألواح الأرضيات الخشبية ملوّنة بنماذج مختلفة، ومزخرفة بتصاميم هندسية ذات ألوان خضراء هادئة وزهرية باهتة. كان الهواء الأوغراني الدافئ ينساب بسهولة عبر الأماكن التي نمشي فيها، وكانت معظم الجدران مبنيّة بشكل يمكن طيّه. لكنّ باري لم يأخذنا إلى أيّ منها.

بل أخذنا إلى سلسلة من الأبنية حيث سنبيت ليلتنا. قال: «تريد الكاهنة رؤية كل واحد منكم على حدة، ولذا سوف يستغرق الأمر بعض الوقت. هذا مكان هادئ، فاستفيدوا من هذه الفرصة لكي تستريحوا».

سألته: «من سيذهب أولا؟».

أجاب وهو يُميل رأسه نحو والدة أكوس: «الزميلة المبجّلة للكاهنة، سيفا كيرسيث، بالطبع».

قالت سيفا: «هذا يشرفني». ثم مشيا معا، وتركانا أنا وأكوس وإيجية وسيسي وإيسا.

قلتُ لإيسا: «هل يجدر بنا معرفة أي شيء؟ أظن أنك اعتدتِ على العيش هنا؟ ويبدو أنك تعرفين كثيرا عن الوضع بقدر باري».

قالت: «نعم. لقد سبق لي ولباري أن عملنا هنا ذات مرة، قبل أن أُبعَث لأكون

سفيرة». انتقلت للحديث بلغة شوتيت فقالت: «لا أظن أن لديّ ما قد تفيدكم معرفته سوى أنّ الكاهنة بعيدة أكثر بكثير مما تبدو عليه مبدئيا ، وإذا أرادت أن ترى كل واحد منكم على حدة ، فهذا لأنّ لديها شيئًا مختلفا لتقوله لكل واحد منكم».

كرّر أكوس هذا الكلام لسيسي باللغة الثوفية. لم يسبق لي أن رأيت سيسي على هذا النحو ؛ لم تكن خائفة تماما بل متوترة وكأنها تسعى لاستجماع قواها.

لم يسبق لي أن فكرت بقدر سيسي قبلا ، لكنني الآن أفكر: سيموت الطفل الأول لعائلة كيرسيث.. سوف يموت بحدّ السكين.

كانت الأبنية الصغيرة التي أخبرنا باري أنه بإمكاننا الإقامة فيها ، تحيط بحديقة على نحو دائري وكل الجدران مفتوحة ، ولذا كان من السهل معرفة من أتى ومن خرج. لم تعد سيفا من عند الكاهنة ، لكنّ باري أتى ليأخذ إيجية الذي كان يشعرني على الدوام أنني في حضرة رايزك مجددا.

انضم أكوس إليّ في الحديقة ، بعد التأكد من عدم وجود خنافس قاتلة تطير في الأرجاء. ومع ذلك ، بقي قريبا مني ، وأقرب مما يكون في العادة.

سألتُه: «برأيك ، ما الذي تريد قوله ؟».

تنهّد — فشعرتُ بتنهيدته على شعري — قبل أن يجيب: «لا أعرف. لم أعد أحاول معرفة ماذا سيقول الكهنة لي».

ضحكتُ وقلتُ: «أجزم بأنك مللتَ منهم».

أجاب: «نعم مللتُ». اقترب مني أكثر ، فلامس صدره ظهري وأقحم أنفه في شعري ، قبل أن يميل إلى الأسفل ، فتمكنتُ من تحسّس أنفاسه على مؤخرة عنقي. كان من السهل الابتعاد عنه. فهو لم يكن يعانقني ، بل بالكاد يلمسني في الواقع.

لكنه بذلك يساعدني ، فأنا لم أكن أرغب بالتحرك.

قال: «لقد مللتُ من كل شيء ، وأنا منهك طوال الوقت».

تنهّد مرة أخرى ثم قال: «الابتعاد عنك يتعبني».

شعرتُ بالسكينة ، فاندفعتُ للخلف لكي أضغط عليه بجسدي ، ثمة جدار من الحرارة ينساب على طول ظهري. وضع يديه على وركيّ ، وزحفت أصابعه تحت حاشية قميصي بما يكفي ليُخفف ألمي. قلت في سري عندما شعرت بقبلته على عنقي ، خلف أذني تماما ، دعِ الخنافس السامة اللعينة تأتي.

كان هذا يستدعي ألما أكبر ، وكنت أعرف ذلك. فقَدُره لن يدعه يختارني ، وحتى لو لم يكن هذا هو الحال ، أنا أشكّ بأنّ بئر حزنه العميقة ستدعه يختار أي شيء على الإطلاق. لكني تعبتُ من فِعل ما هو جيد بالنسبة إليّ.

لقد قبّلني في المكان الذي يلتقي فيه عنقي بكتفي ، وبقي لسانه يتذوق طعم جلدي المالح على الأغلب من شدّة التعرّق. رفعت يدي ودفنت أصابعي في خصلات شعره ، وفي لحظة جذبته نحوي ، واستدرت برأسي لكي تتمكن شفتاي من الالتقاء بشفتيه وتتحد الشفاه في قبلة. طقطقت أسناننا ، في العادة كنا نتراجع ونضحك ، لكن أيا منا لم يكن في مزاج يتيح له الضحك ، جذبته من شعره ، فضغطت يداه بشدة أكثر حول وركيّ حتى إنني تألمت ولكنني كنت مرحّبة بهذا الألم.

منذ أن تلاشت الأوهام بيننا ، ومنذ أن دُمرت سفينة الإقامة المؤقتة ، وأنا أدفن نفسي تحت تلال من الغضب ، ولكن الأمر مختلف الآن فها أنا أدفن نفسي تحت تلال من الرغبة به ، والرغبة في أن أصبح مثله ، والتمسك بجسده كلما استطاعت يداي إلى ذلك سبيلا. لقد أخبرتُه مع كل لمسة من أصابعي ارغبني ، اخترني. ارغبني.

للحظة نظرت إلى الوراء لأنظر إليه ، إلى أنفه المستقيم والنمش المبعثر. كانت

بشرته بلون الحجر الرملي ، أو بالأحرى بلون المسحوق الذي يستخدمه الناس لمنع بشرتهم من اللمعان ، وكذلك بلون المغلفات التي استعملتها والدتي يوما لترسل الرسائل. كانت عيناه مثبتتين على عيني ، بلونهما الأشبه بلون عاصفة تدور فوق فوا ، لقد كانتا تحملان التوجس نفسه ، ربما كان حتى هذه اللحظة يظنني سأتوقف ، لكنني خيبت أمله ، فاندفعت إليه مجددا ، قبل أن أتمكن من التوقف.

مشينا متعثرين نحو إحدى الغرف ، وخلعنا أحذيتنا. ثم سحبتُ إحدى الستائر في المكان المفتوح على الفناء الخارجي ، لكني في الواقع ، لم أكن آبه إذا ما رآنا أحد ، لم أكن آبه لو دخل علينا أحد ، أردتُ فقط أن آخذ وآخذ وآخذ كل ما قد يمنحني إياه ، وأنا أعرف أنها قد تكون المرة الأخيرة التي أطلق فيها العنان لنفسي.

الفصل الخامس والعشرون

سيسي

لقد كانت قاعة التنبّؤ – حيث ذهبت للقاء الكاهنة الأوغرانية – كبيرة وضخمة كما توقعت ، وكما يوحي اسمها. وهي شبيهة بقاعة معبد هيسا ، حيث اعتدت زيارة أمي وهي تعمل.

لكن القاعة الأوغرانية لم تكن زاهية كقاعة هيسا. فالجدران مكسوة بألواح من الخشب الداكن. وثمة تصاميم أنيقة تأخذ شكلا ما افترضتُ أنه نباتات أوغرانية ، منحوتة ومنقوشة على الخشب. تبدو وكأنها تتلوى وتندفع أمامي مباشرة.

ثمة نوافذ شفافة قريبة من السقف ، لا بدّ وأنها تُضاء من الخلف ، لأنها تتوهج بضوء غير طبيعي بالنسبة إلى كوكب أوغرا نفسه. الغرفة ضيقة وطويلة ، وفيها تماثيل تبعد عن بعضها مقدار ذراع تقريبا. بعضها مُشكّل بعناية مثل النقوش التي على الجدران ، والأخرى قاسية ومُشوّهة ، لكن القاسم المشترك بينها أنها مهددة. معظم الأشياء في أوغرا مُهددة.

وقفت الكاهنة أمام أحد أطول التماثيل المصنوع من ألواح معدنية تنحني باتجاه السقف ويلتف بعضها حول بعض. كلها مصقولة من جانب وغير مُعالجة من الجانب الآخر ، وهي مُثبّتة مع بعضها بصواميل كبيرة بحجم قبضة يدي. كانت الكاهنة قد شبكت يديها ، وكانت حافية القدمين وترتدي رداء كهنوتيا أزرق اللون ، لقد كانت أكثر بدانة من أمي وأقصر. نظرت إليّ مبتسمة.

قالت: «سيسي كيرسيث ، أنا فارا. تعالي وانظري إلى هذا».

بادلتها الابتسامة ووقفت إلى جانبها ، ونظرت إلى التمثال. نظرت من باب اللياقة والتهذيب ، فأنا لا أصلح للنظر إلى الأعمال الفنية.

«لقد بُني هذا التمثال منذ حوالي ثلاثين موسما ، عندما بدأت مدينة بوكجو بالتوسع. كان الناس غاضبين لأننا نفقد بعضا مما يسميه الناس (التواضع الأوغراني). الإيمان الأوغراني التقليدي هو أنّ كوكبنا يحطّ من شأننا – يُذكّرنا بوجود بعض الأشياء التي لا نستطيع التغلّب عليها». هزت فارا كتفيها وتابعت: «هناك أمور ينبغي أن لا نحاول التحكم بها».

رمقتني بنظرة ذات مغزى ، ولم أعرف كيف أتصرف. غريزتي تقول لي أن أهدّئ من روعها. فأجرّب الماء ، وهو الأكثر فائدة من بين أنسجتي ، لكني أعرف أنّه لا يُقدّم الكثير لها. تساءلت عن الشيء الذي يجعل الأوغران مرتاحين ؟ الريح ، أم دفء النار ، أم نعومة بطانية ما ؟ دققت في بعض الأشياء داخل عقلي قبل أن أجد شيئًا أعتقد أنه يبدو صائبا ؛ شعور الزجاج البارد تحت راحة يدك.

رفعت فارا أحد حاجبيها وقالت: «لطالما تساءلتُ عن ماهية الشعور بذلك. إنه لشيء قوي ، بأن أتأثر بهبتك. من السهل جدا الاستسلام لتأثيرها».

قلت: «آسفة. لم أقصد أن –».

قالت فارا وهي تحملق بعينيها: «كفى يا فتاة. بإمكانك خداع الناس الذين لا يعرفونك كفاية ، ولكنك لا تستطيعين خداع كاهنة من جيلي ، كنا نرى رؤى لك منذ الولادة. أنا أعلم أنّ تحكّمك أكثر تطورا من معظم الذين يستطيعون التأثير على هباتهم. وأعلم أيضا أنك تحاولين القيام بعمل صالح ، عندما تستخدمين هبتك على الناس. لذا دعينا نتحدث عن إيساي بينيسيت ، يا سيسي».

طريقتها في عرض وجهة نظرها وترتني ، وكل ما يمكنني قوله للدفاع عن نفسي علق في حنجرتي. أومأت برأسي ، لأنّ هذا كل ما استطعت فعله لأريها أني سمعتُ ما قالتْه.

سألتني: «هل يهمك أمرها حقا؟ أم أنك تتلاعبين بها فقط لتحقيق مآربك الخاصة؟».

قلت وبالكاد خرجت الكلمة من فمي: «مآربي —».

«نعم، أعرف — إنك تفعلين ما تعتقدين أنه أفضل. لكنّ الحقيقة هي أنك تتخذين قرارات بشأن مستقبل هذه المجرة بصورة منفردة، ولذا فهي مآربك، وليست مآرب أي أحد آخر».

لا أحب أن أفكّر بما أقوم به مع إيساي على أنه تلاعب. فالأمر ليس بتلك البساطة. ليت فارا تعلم كم تُقلقني إيساي أحيانا، وكم كان سهلا عليها قتل رايزك، وإصدار أمر الهجوم على الأبرياء في فوا، وكم تكون نظرة عينيها متوحشة عندما تدع نفسها تختفي وراء الغضب، وكم تبدو هادئة عندما أجعلها تتراجع. إنها بحاجة إليّ. وهذا يردّني إلى سؤال فارا الأصلي — إن كنت أهتم بأمرها حقا.

قلت: «في الحقيقة، يهمني أمرها، فأنا أحبها، لكني أشعر أيضا بالقلق عليها. في عالم منصف، قد يكون لها مكان لكي تشعر بحزنها، لكننا في الواقع لا وقت لدينا كي ندعها تحلّ مشاكلها بطريقتها الخاصة، في ظل حرب قائمة».

لوت فارا شفتيها المجعدتين إلى الجنب وقالت:

«ربما أنت محقة. في هذه الحالة، يجدر بي أن أطلب منك أخذ الحيطة والحذر من الشخص الذي رأيته في بعض أحداثك المستقبلية — صبي الميكانيكي. آست».

سألتها: «هو يشعر بالهبات التيارية أليس كذلك؟ ويبدو أنه دائما يعلم متى أستخدم هبتي، حتى عندما أكون حريصة فعلا».

أجابت فارا: «يبدو الأمر كذلك. وهو يزداد شكّا بك أكثر فأكثر. وأعتقد أنه غاضب أكثر بكثير لأنّ إيساي لا تعبّر عن شكّها».

أومأت برأسي وقلت: «شكرا لك على التحذير».

كررت فارا وهي تُمسك بيدي وتضغط عليها بشدة: «كوني حذرة يا فتاة». ثم ضغطت أكثر بقليل. إنّ بؤبؤيها كبيران – شأنها شأن كل الأوغران ، بما أن هناك القليل من الضوء في كل مكان – لكني أستطيع رؤية حلقة خضراء رفيعة حولهما تؤطر عدستيهما.

لاتزال تضغط بشكل أقوى وتقول: «ولا تثقي بالأوثيريين. ولا تدعيها توافق على الأمر. أيا يكن ما تفعلينه».

لم أفهم ما رمت إليه ، لكني أعلم أنها تريدني أن أومئ برأسي ، ولذا أفعل ذلك.

الفصل السادس والعشرون

أكوس

كان الوقت متأخرا في تلك الليلة عندما طلبتْه الكاهنة أخيرا – أو بالأحرى ، طلبتْهما ، لأنها أرادتْ رؤيته وسايرا في الوقت نفسه.

في وقت سابق ، كانا قد غرقا في النوم وهما متعانقان معا ، مع ضوء النباتات في الحديقة الذي يُضفي وهجا ناعما من خلال الستارة التي سحبتْها سايرا. كان الجلد الفضي على جانب رأسها باردا فوق صدره ، حيث أصرّت على الاضطجاع لكي تصغي إلى ضربات قلبه.

لم يكن يعرف ما حلّ به في الحديقة ، وهو يشدّها إليه ويعلم أنّ ذلك أناني ، وأنه لا يستطيع إعطاءها ما أرادتْه ، بسبب إصرارها. كان عليه أن يصغي إليها ، وربما حتى أن يُنهي العلاقة معها نهائيا ، لأنه لا خلاص له من قدره ولا مجال لإقناع أي منهما بأنّ الأمور ستكون كما هي لو أنه لم يكن يترقّب الموت في خدمة عائلتها.

لكنّ الشوق إليها فتح ثغرة في دائرة اللهب الذي استقر في عقله خلال الأسابيع القليلة الماضية ، وكان مرتاحا جدا لإحساسه بشيء ما لدرجة أنه لم يكن لديه الجرأة على إخماده. لقد شعر بالرغبة فيها ، حتى عندما كانا يتصارعان عن قرب. كأنه ليس هناك ما يكفي منها ، ولن يكون أبدا.

لم يكن بإمكانه الإمساك بيدها وهما يمشيان – فهذا سيجذب الخنافس وحسب ، ولم يكن متلهفا لتجنّم إحداها على وجهه مرة أخرى – لكنه بقي قريبا منها ، لكي يتمكن من الشعور بها. كانت ظلالها التيارية تتحرك بشكل أسرع ، وتثب فوق عنقها وتختفي تحت ياقة

قميصها. تمنى لو كان بإمكانه أن يقدم لها أكثر من مسكّن الآلام العادي الذي أعطاه لها قبل أن يغادرا.

قادهما باري إلى أعلى التلة ، لكن ليس إلى القاعة الكبيرة التي تُشع ضوءا من داخلها – إلى المستوى الأدنى للمكان ، حيث تميل السقوف إلى حدٍ قريب جدا من رأسه ، ويُسمع صوت صرير الألواح الأرضية مع كل خطوة. كان عليه الانحناء لكي يمر عبر أحد المداخل ، ويجد نفسه داخل ما بدا أنه يشبه مطبخا. وقفتْ امرأة ليست أكبر بكثير من أمه هناك ، ويداها غارقتان داخل كومة من العجين. كانت ذراعاها مليئتين بالنمش وشعرها أشيب ومجعدا ، وذا قَصّة قصيرة حول رأسها.

ابتسمت لهما عندما دخلا ، مع كل الدفء الذي تعلّم عدم توقّعه من الكهنة الذين يبدون على الدوام قساة وغير منطقيين.

قالت: «سايرا ، أكوس ، مرحبا بكما ، أرجو أن تتفضلا بالجلوس».

أشارت إلى المقاعد المقابلة لطاولتها. فعل أكوس كما قالت ، لكنّ سايرا بقيت واقفة على قدميها ، وذراعاها مشبوكتان.

سألتْ أكوس: «هل تشعر براحة أكبر ويداك مشغولتان ؟ فأنا أعرف أنّ لديك ميلا لصنع أنواع من الإكسير. هناك كثير من الأشياء هنا للفرم».

قال وقد احمرّ وجهه: «كلا ، شكرا لك».

سألتْ سايرا بفظاظة ، كما هو عهدها دائما: «هل لديكِ اسم ؟ أو ينبغي لنا أن نناديك ب.(الكاهنة) وحسب ؟».

أجابتْ: «آه ، اعذريني على فظاظتي. اسمي فارا. أحيانا أنسى أنّ الناس الذين أعرفهم لا يعرفونني بدورهم. هل بإمكاني القيام بشيء لكي أجعلك أقل عدوانية يا عزيزتي ؟». أومأت برأسها لسايرا ثم أضافت: «أو هل أنتِ مرتاحة بالبقاء على ما أنتِ

عليه ؟».

ظهر تجعّد بسيط على خدّ سايرا ، وهذا يحدث عندما تكتم ابتسامتها.

قالت: «حسنا ، سأجلس ، لكن لا تُكثري الحديث بهذا الشأن».

أجابت فارا بينما كانت سايرا تجثم على طرف المقعد بجانب أكوس: «ما كنتُ لأفعل ذلك». حتى وهما جالسان كانا أطول من فارا القصيرة والبدينة. هناك شيء مألوف فيها.

سأل أكوس: «هل أنتِ من أقرباء إيسا بطريقة ما ؟».

أجابت: «ملاحظة جيدة يا عزيزي ، نعم ، إنها ابنتي. بالأحرى... تشبه والدها بالشكل. طويلة القامة والأطراف. والباقي أخذتْه مني». أخذت قطعة من العجين ووضعتْها في فمها.

قالت وهي تبتلع العجين: «الآن ، أنا واثقة من أنكما تتساءلان عن سبب عدم ارتدائي للملابس الأوغرانية التقليدية واللقاء بكما في قاعة التنبّؤ مثل كاهنة بالغة التهذيب».

قال أكوس: «لقد خطر هذا في بالي».

قالت فارا وهي لاتزال ترسم تلك الابتسامة اللطيفة على شفتيها: «لن أتوقع أقل من ذلك من ابن كاهنة ، حسنا ، في الواقع ، دعونا نُبقي هذا بيننا ، لكني أكره تلك القاعة. تجعلني أشعر بأني قصيرة. وكذلك تفعل العباءة ، فقد صُنِعتْ من أجل الكاهن السابق ، وكان أضخم مني بكثير. إضافة إلى ذلك — اعتقدتُ أنه نظرا لطبيعة ما ينبغي لي مناقشته معكما ، ربما تفضّلان مكانا أكثر راحة».

شعر أكوس فجأة وكأنه مغمور بماء بارد. نظرا لطبيعة ما ينبغي لي مناقشتُه

معكما.

قالت سايرا بسخرية: «حسنا، إنها ليستْ أخبارا جيدة». في معظم الأحيان عندما تلجأ سايرا إلى السخرية فهذا دليل على أنها تموت من الخوف. كما أنها قد تمسك بحافة المقعد حين تشعر بالخوف في أحيان أخرى.

تنهدت فارا وقالت: «أوه، نادرا ما تكون الحقيقة كذلك، يا فتاتي العزيزة. ما في جعبتي لكما هو شيء نسمّيه (كيرتا) — هل يعرف أي منكما الكلمة؟».

هزّ أكوس وسايرا رأسيهما.

«بالطبع لا. فمن يتكلم الأوغرانية سوى الأوغران؟». ضحكت فارا ضحكة خافتة. «كما ترون، نحن نفكّر بالكهنة على أنهم ينقلون المستقبل وحسب، وهذا جلّ ما نفعله، نعم». جلبت أسطوانة معدنية ضخمة عن أحد الرفوف خلفها، واستخدمتْها من أجل مدّ العجين ثم أضافتْ: «لكنّ الماضي هو الذي يؤدي إلى المستقبل — يبقى مخفيا في الغالب، ويشكّل حياتنا بطرق لا نفهمها. لكن يجب عليه أحيانا أن يشقّ طريقه بقوة في الحاضر من أجل تغيير ما هو آتٍ».

قطّعت العجين إلى ثلاثة أجزاء كبيرة، وأخذت تفركها بين يديها حتى أصبحتْ طويلة ورفيعة، مثل ذيول. وعندها بدأت بتجديلها معا.

قالت: «كيرتا، هي نبوءة تجعل عالمكما يدور حول محوره. إنها حقيقة عميقة، ما إن تعرفاها، ستُغيّر مستقبلكما لا محالة، بالرغم من أن التغير حصل سابقا، والمعرفة لن تقدم أو تؤخر».

أنهتْ العجينة المجدولة ووضعتها جانبا متنهدة. جلستْ وهي تنفض الدقيق عن يديها ثم اتكأت على ذراعيها وقالت: «في حالتكما، تأتي هذه الكيرتا على شكل اسميكما. لقد قضيتما عمركما كأكوس كيرسيث وسايرا نوفاك، بينما في الحقيقة، أنتما أكوس نوفاك

وسايرا كيرسيث».

أبعدتْ ذراعيها عن الطاولة ، وأسندتْ ظهرها إلى الخلف. وجد أكوس صعوبة في التنفس. أما سايرا فقد أطلقتْ ضحكة رنّانة.

الفصل السابع والعشرون

سايرا

وضعتُ يدي على فمي لأكتم الصوت ، كان ضحِكا فظيعا وقسريا ليس فيه أي مرح.

سايرا كيرسيث.

لم تكن المرة الأولى التي فكّرت فيها بالاسم. لقد حلمتُ بذلك حلم يقظة مرة أو مرتين ، بأن أتخلى عن اسم نوفاك وآخذ اسم أكوس ، يوما ما ، في مستقبل مثالي عندما نتزوج. من المتعارف عليه لدى الشوتيت ، أنه بإمكان الأشخاص ذوي المراتب الدنيا تغيير أسمائهم عند الزواج ، لكن بإمكاننا إيجاد استثناء لذلك ، لكي يُخلّصني من العلامة التي كنتُ أكرهها. أصبح اسم سايرا كيرسيث بالنسبة إليّ ، رمزا للحرية ، بالإضافة إلى وهم جميل عذب المذاق.

لكنّ فارا لم تكن تعني أنّ اسمي كان سايرا كيرسيث من خلال زواج افتراضي بعيد. لقد قصدتْ أنّ اسمي هو سايرا كيرسيث الآن.

لم يكن الجزء الصعب هو الاعتقاد بأني لم أكن سايرا نوفاك. فقد شككتُ بذلك منذ أن أخبرني أخي بأنني لا أشاركه دمه ، وربما حتى منذ الوقت الذي لم يتمكن فيه دمي من فتح القفل الجيني الذي استخدمه من أجل إبقاء غرفه آمنة. لكنّ الاعتقاد بأنني أنتمي للعائلة نفسها التي ربّتْ أكوس على طيبة القلب ومعرفة الأزهار الجليدية ، كان ذلك أمرا مختلفا كليا.

لم أكن أجرؤ على النظر إلى أكوس. فلم أكن متأكدة مما سأراه عندما أفعل.

أبعدتُ يدي عن وجهي ، وقلت وأنا أكتم ضحكة أخرى: «ماذا ؟ ماذا ؟».

أجابت فارا: «كانت سيفا لتخبرك القصة بشكل أفضل. لكن لسوء الحظ هذه المهمة تقع على عاتقي الآن ، لأنّ مستقبل أوغرا على المحك. عندما وُلِدتَ يا أكوس ، من إليرا ولازمت نوفاك ، لم ترَ سيفا سوى طرق قاتمة أمامك. وعلى غرار ذلك ، وُلِدتْ سايرا من سيفا نفسها وأوسيه كيرسيث ، ورأتْ سيفا طرقها قاتمة أمامها أيضا. لقد فقدت الأمل بكليكما. وعندها حصل شيء لم يحدث منذ فترة طويلة ؛ لقد برز احتمال جديد. في حال قاطعتْ بين طرقكما – إذا بُدّلتْ أماكنكما – ستنفتح احتمالات جديدة ، واحتمالات قليلة – قليلة جدا – ولن يكون الهلاك من نصيبكما. ولذا تواصلت مع إليرا نوفاك ، وهي امرأة لم تلتقِ بها من قبل ، ولن تلتقي بها مرة أخرى أبدا ، لكي تُقدّم الحل لها. من وافر حظها أنّ لازمت لم يكن قد رأى ابنه بعد. ولحسن الحظ أيضا أنّ السلالات في عائلتيكما متنوعة جدا بحيث أن أي مزيج من الصفات وتدرجات الألوان في البشرة لن تثير الاستغراب. التقيا بعد الحد الفاصل تماما ، عند العشب الريشي الذي يفصل شوتيت عن ثوفي ، وتبادلا طفليهما ، بحيث يمكن لكل من الطفلين أن يحظى بفرصة لتغيير طريقه القاتم». قالت بنبرة ختامية: «قيل للازمت إنه قد بُلّغ بمعلومات خاطئة عن جنس المولود. لقد أُعدِم الرسول الذي نقل الخبر ، لكنّ لازمت تقبّلك كابنة له ، يا سايرا ، واستمرّ كل شيء كما تمنّتْه سيفا».

كنتُ أسيرة تخيُّلي لتلك اللحظة ، وأنا أُسَلِّمُ طفلة في القماط ليدي إليرا نوفاك ، حيث العشب الريشي يتمايل في خلفية المشهد. فانتزعتُ نفسي من الخيال فجأة وأنا أشعر بالغضب الشديد.

قلتُ وأنا أُوجّه أحد أصابعي إليها: «أنت تخبرينني بأنّ أمي سلّمتْني لكي أُربى على يد مجموعة من الوحوش ، وأنا ، ماذا؟ يُفترض بي أن أكون مُمتنّة ، لأنّ ذلك كان لمصلحتي ؟».

أجابت فارا والهدوء بادٍ في عينيها: «ليس منوطا بي أن أخبركِ كيف يجب أن تشعري ، بل أخبركِ ماذا حدث».

شعرتُ بأني مثل قِدر يغلي ، وكل الغضب والهيستيريا يفوران داخلي ، بشكل لا يمكن كبحه. أردتُ أن أنتزع تلك النظرة الهادئة من عينيها ، أو أن أضحك في وجهها ، أردتُ أن أتحرك ، قبل كل شيء آخر ، لكي أهرب من الألم الذي أصبح يتسابق الآن عبر كل إيزيت من جلدي ، ويغطيني ببقع سوداء اللون.

عندما تجرأتُ أخيرا على النظر إلى أكوس ، كانت ملامحه جامدة وكان ساكنا بالكامل. كان ذلك مثيرا للأعصاب.

قالت فارا: «أنا واثقة من أنه ليس عليّ أن أوضّح لك بأنّ هناك بارقة أمل واحدة بين كل هذا ، وهي قدراكما».

«قدرانا» ، كرّرتُ كلمتها وأنا أشعر بالغباء: «ماذا بشأنها ؟».

أجابت فارا: «هناك سبب لعدم تسمية الأقدار للأسماء ، الطفل الثاني لعائلة نوفاك سوف يعبر الحد الفاصل. والطفل الثالث لعائلة كيرسيث سوف يموت في خدمة عائلة نوفاك. يا فتاتي العزيزة ، أنتِ هي الطفل الثالث من عائلة كيرسيث. وأنا أشكّ بأنّ قدركِ قد تحقق مسبقا».

قمتُ باستعراض كبير من خلال وضع إصبعين على جانب عنقي لكي أتحسس النبض. «يا لسخافتي ، لاعتقادي بأني لم أمتْ في خدمة —».

جرحتُ نفسي.

لكنّ ذلك لم يكن صحيحا أليس كذلك ؟

حاول أخي إجباري على تعذيب أكوس ، هناك في السجن تحت الأرض حيث

احتجزنا وأجبرنا على الركوع. لقد سحبتُ كل هبتي التيارية إلى داخلي ، ووثقتُ بقوتي لكي تبقيني على قيد الحياة. لكنّ تلك القوة تداعتْ ، للحظة واحدة فقط ، بما يكفي فقط لكي أُعتَبَرُ في حالة موت. توقف قلبي ، ثم بدأ يخفق من جديد. لقد عُدت.

لقد متُّ من أجل عائلة نوفاك ، متُّ من أجل أكوس.

حدّقتُ إليه ، بتعجّب. ذلك القدر الذي كان يخشاه ، القدر الذي سمح له بأن يُحدّد مصيره منذ أن سمعه للمرة الأولى من شفتي أخي... كان قدري. وقد تحقق.

الفصل الثامن والعشرون

أكوس

لقد زالت كل الصفات التي لم تكن حقيقية.

- خائن وكيرسيث وثوفي -

لم ينبس ببنت شفة منذ أن دعتْهما الكاهنة للانضمام إليها لشرب كأس من الشاي ، ورفضتْ سايرا ذلك. الحقيقة ، هي أنه فقد كل كلماته. حتى أنه لم يعرف بأي لغة يجب عليه أن يتكلم. لم تعد التصنيفات التي اعتاد عليها — مثل الثوفية ، لغة وطنه وشعبه ، الأوثيرية ، لغة سكان العالم الخارجي ، والشوتيت ، لغة أعدائه — صالحة بعد الآن.

بدا أنّ سايرا تعرف أنه لا يستطيع التكلّم. ربما لم تفهم الأمر ، وكيف لها أن تفهم ؟ لقد أضاءت مثل مادة اشتعال عندما أخبرتْهما فارا الحقيقة ، كانت مرنة عاطفيا ، إذ بإمكانها إخراج نفسها من حالة الهيجان بالسرعة التي ترمي بنفسها إليها. لكن مع ذلك ، لم تتمكن من فهمه ، ولم تضايقه أيضا.

كل ما فعلتْه هو لمْسُه بتردد ، على كتفه ، وهي تقول: «أنا أعرف ، فأنا لم أُرِد مشاركة الدم معهم أيضا». وكان هذا كل شيء ، أليس كذلك. كان لديها تاريخ مشترك مع عائلة نوفاك ، وهو يشترك معهم بالدم. لقد عانى من ضغوط شديدة حتى يكتشف أيا منهما هو الأسوأ.

لم ينم. بل أخذ يمشي في الممرات حول المعبد ، ولا يتكبّد حتى عناء تجنّب النباتات الخطرة التي تنمو في كل مكان ، أو الخنافس التي يمكن أن تقتله بعضة واحدة. لم

يكن يعرف معظم الأشياء التي تنمو ، بل بعضا منها ، وكان يبحث عنها فقط لكي يعطي لنفسه شيئًا آخر يفكر به ، لفترة قصيرة من الوقت وحسب.

كانت الخنافس تأتي وتذهب ، ماعدا واحدة ؛ خنفساء صغيرة جثمتْ في راحة يده ، ترفرف بأجنحتها المضيئة وتهز الهوائي الخاص بها. جلس على صخرة في إحدى الحدائق لكي يحدّق إليها. لقد ذكّرتْه ، لسبب ما ، بالمخلوق المُدرّع الذي قتله كي يحصل على جلده. كان هناك في الحقول خارج فوا ، حيث تتجول المخلوقات المُدرّعة. لقد استغرق بعض الوقت ليدرك أنها لن تهجم عليه. كان التيار هو الذي يثير غضبها ، وليس هو ، إنه مُهدّئ بالنسبة إليها ، كما هو بالنسبة لسايرا.

ربما كانت هذه الخنفساء مثلها ، تتجنب أولئك الذين ينقلون التيار لأنّ الطاقة أقوى بكثير من أن تحتملها. كان النموذج المرسوم على ظهرها مثل حبر مسكوب ، ليس له شكل معين. أضاءت بلون أخضر مائل للزرقة ، إنه ضوء مريح. بعد قليل من الوقت لم تعد تزعجه أرجلها الصغيرة المتشبثة به والتي تُشعره بالدغدغة ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى خطر كماشاتها الكبيرة. كانت وحشا صغيرا ، مثله تماما. ليس بإمكانها منع كيفية ولادتها.

كان وحي الكاهنة مثل قطعة ورق مُجعّدة تتفتّح أكثر فأكثر. في البداية ، أظهرت له الأشياء التي لم يعد عليها بعد الآن. ومن ثم أظهرتْ له الأشياء التي هو عليها: واحد من الشوتيت. وفرد من عائلة نوفاك.

كان الرجل الذي أخذ منه كل شيء — الأب والعائلة والأمان ، والوطن — هو أخوه. والرجل الذي كوّن رايزك — لازمت. كان والد أكوس. لايزال حيا ، ولايزال مقلقا جدا بالنسبة لسايرا — سايرا الثابتة التي لا تتزعزع — التي كانت ترتعب من منظر وجهه لوحده.

سأل الخنفساء التي على يده: «ماذا أفعل الآن ؟».

قال صوت باري من خلفه: «من المؤكد أنّ ذلك الشيء لن يستجيب لك. لكني لا أدّعي فهم الهبة التيارية للآخرين».

التفت أكوس إلى الخلف بسرعة، ولحسن الحظ لم تتحرك الخنفساء التي على يده، فقال: «لا تقترب أكثر، إنها خنافس قاتلة». قال باري: «يبدو أنها تحبك. مهما تكن ماهيتك، فإنها غريبة جدا».

أومأ أكوس برأسه. هذا لم يكن شيئًا مطروحا للجدال.

وقف باري أمامه – على مسافة آمنة – ويداه في جيبيه ثم قال: «لا بدّ وأنها أخبرتْك شيئًا صعبا».

لم يكن أكوس متأكدا من أنّ صعبا هي الكلمة المناسبة لذلك. زحفت الخنفساء من إبهامه إلى كمّ قميصه، وكماشاتها تطقطق بصوت مسموع. على أمل ألا يكون ذلك هو ما تفعله قبل أن تهجم. لكنّ أكوس لم يعتقد أنها ستهاجمه.

قال باري: «أنت تعلم بأنّ هناك كثيرا من الناس داخل النظام الشمسي يعتقدون بأنّ الكهنة هم من النخبة الذين يُقدّمون الأقدار لعائلات معينة فقط. هذه الأقدار تبدو مثل استعراض غير ضروري للمحاباة بالنسبة إلى الناس الذين لا يفهمون كيف تعمل الأقدار، وكيف أنها لا تسمح لأي كاهن باختيار أي شيء على الإطلاق. لكن أولئك الذين لديهم أقدار يعرفون أكثر».

لمعتْ عينا باري عندما توهجت إحدى الورود في الحديقة، التي عكستْ لونا برتقاليا.

قال: «القدر هو قفص، وعندما تتحرر من ذلك القفص، بإمكانك أن تختار وتفعل وتذهب... أي ما تحبه. بإمكانك، في بعض الأحوال، أن تعرف أخيرا من تكون».

استغرق أكوس في التفكير بشأن من هم أقرباؤه فلم يكن لديه وقت للتفكير بالاقدار، رغم أنه كان يعرف بأنه في المكان الذي يذهب تفكير سايرا إليه. ربما يجب عليه أن يكون فرحا لأنه لم يعد من المُقدّر له أن يموت بعد الآن، لكنه كان متعلقا بذلك كثيرا

لدرجة أنه صعب عليه التأقلم. كان الأمر وكأنه يحمل وزنا لمدة طويلة جدا حتى أنه نسي كيف يكون الوضع من دون ذلك الوزن ، والآن بدأ يشعر بأنه خفيف للغاية ، بدا له الأمر وكأنه يستطيع التحليق في الهواء.

وقدره الحقيقي ؟ الطفل الثاني لعائلة نوفاك سوف يعبر الحد الفاصل. حسنا ، لقد فعل ذلك من قبل ، وعبَرَ مساحات الأعشاب الريشية التي تفصل ثوفي عن شوتيت. لقد فعل ذلك أكثر من مرة. ولذا فقط تحقق قدره ، لقد كان باري محقا. فباستطاعته اختيار أي شيء ، وفعل أي شيء ، ويذهب إلى حيث يشاء. وإلى أي مكان يريد الذهاب إليه.

ثمة ما خطر في باله عندما سمع الصرخة ، العالية والمزعجة. هناك عويل معها ، ومن ثم صراخ بصوت منخفض. ثلاثة أصوات ارتفعت اعترافا بالألم ، ثلاث كاهنات.

كان يعرف ماذا يعني ذلك الآن: حصل هجوم آخر. هربت الخنفساء من معصمه بينما كان يركض نحو التلة إلى الغرفة حيث ينام أخوه. سحب الستائر الكبيرة جانبا ليرى إيجية وهو يجلس على الفراش ، وأصابعه متشابكة داخل خصلات شعره المجعد وهو يئن. لقد مضى وقت طويل منذ أن رأى أكوس إيجية في حالة مزرية للغاية ، قميصه ملتف حول جذعه ونصف وجهه عليه علامات تجعيد جراء كيس الوسادة.

تردّد أكوس عند طرف الغرفة. لماذا أتى إلى هنا ، بدل أن يذهب إلى غرفة أمه ؟ لقد فقد إيجية الذي كان مصمما كثيرا على إنقاذه ، وأصبح يعلم الآن أنّ ما تبقى من إيجية لم يكن حتى من أقربائه على أية حال ، إذا ما الذي جعله يعود للوراء ؟

رفع إيجية رأسه وثبت عينيه على وجه أكوس ثم قال: إنّ أبانا يهاجمهم».

قال أكوس: «أنت مشوّش الذهن يا إيجية – أبونا هو –».

قال إيجية وهو لايزال يتأرجح إلى الأمام والخلف ويمسك برأسه: «لازمت. شيسا. لقد هاجم شيسا».

لمس أكوس كتف إيجية وقال: «كم عدد القتلى؟»، فابتعد أخوه – أخوه؟ – عنه.

«كلا، لا تفعل ذلك، أنا بحاجة إلى أن أرى –».

سأله أكوس بنبرة آمرة: «كم عدد القتلى؟»، رغم معرفته العميقة بأنّ ذلك ليس مهما سواء أكانوا بضع أو عشرات أو –.

أجاب إيجية: «مئات من القتلى». عندئذٍ، انفجر إيجية باكيا، وجلس أكوس على طرف السرير. كلا، ليس مهما أن يكون عدد القتلى مئات. فطريقه نحو المستقبل يبقى كما هو.

الفصل التاسع والعشرون

إيجية

قالت سيفا لنا: «يجب أن تجدوا أساليب لإخفاء أنفسكم وإلا ستتحقق الرؤى. سوف تعلقون في كل الاحتمالات ولن تتمكنوا من عيش حياة كريمة».

أجبْناها: «هل سيكون ذلك سيئًا جدا؟ أن تعيش ألف حياة مختلفة بدلا من حياتك؟».

زمّت عينيها وهي تنظر إلينا، هذه المرأة التي كانت أمّنا، إنها كاهنة وغريبة في آن معا. لقد أصدرنا أمرا بموت زوجها، وعانينا من مرارة فقدان ذلك الرجل بأنفسنا. كم كان ذلك غريبا، أن نكون مسؤولين عن ذلك القدر الكبير من الألم، وأن نعاني جراء إحساسنا بالمسؤولية، كل ذلك في وقت واحد. بينما كانت هوياتنا تندمج أكثر فأكثر، شعرنا بالتناقضات الموروثة في كياننا بصورة أعمق. لكن لم يكن بإمكاننا تغير الوضع، فالتناقضات موجودة، ويجب أن تُقبَل.

قالت: «أيا يكن الذي خلقكم، فقد خلقكم لغاية، ومن المؤكد أنه لم تكن لديه غاية في جعلكم وعاء لتجارب الآخرين، بل لتكن لكم تجاربكم الخاصة».

هززنا أكتافنا بلامبالاة، وعندها أتتْ الصور.

نحن داخل جسد رجل؛ قصير وبدين، يقف أمام عربة مليئة بالكتب. رائحة الغبار والصفحات تعبق في الهواء، والرفوف ترتفع فوقه. إنه يضع مُجلّدا ثقيلا فوق درج يبرز من الرف، والمفاتيح في أحد الأجهزة التي يحملها. ينغلق الدرج باتجاه الرف حيث يُفترض

بالكتب أن تذهب ؛ ثمة رواية أعلى رأسه جهة اليسار.

يتنهد، ثم يمشي إلى نهاية الممر، لكي ينظر خارج النافذة. المدينة – التي نعرف أنها شيسا، في ثوفي – تحتشد بالأبنية المرتفعة عن الأرض، وتبدو حقول الأزهار الجليدية من تحتها مثل مجموعات من الألوان وسط الثلج، تبدو الأبنية وكأنها تتدلى من الغيوم!. وفي الجهة المقابلة من الطريق ثمة بناء زجاجي متعدد الطبقات ماسي الشكل يتوهج بلون أخضر في الليل، ومضاء من الداخل، وإلى يساره ثمة شيء ضخم ومُقوّس يتوهج بلون أبيض ناعم، مثل الأرض التي تحته.

إنه مكان جميل. إننا نعرفه.

نحن لم نعد رجلا بعد الآن. نحن امرأة، قصيرة ترتجف داخل سترة قاسية لدرع من شوتيت.

سألت الرجل الذي يقف إلى جانبها: «لماذا قد يعيش أحد ما في هذه البلاد اللعينة؟». اصطكت أسنان الرجل بصوت مسموع.

أجابها الرجل وهو يهز كتفيه: «من أجل الأزهار الجليدية».

تثني قبضتها في محاولة منها لاستعادة الإحساس بأصابعها.

أردف الرجل: «اصمتي».

في الأمام، ثمة جندية من الشوتيت تضغط بأذنها على أحد الأبواب. تُغمض عينيها للحظة، ثم تتراجع إلى الخلف، وتشير إلى الآخرين كي يتقدموا، بعنف ضربوا الباب بأسطوانة معدنية – عدة مرات – لكي يفتحوه عنوة. انخلع القفل، وارتطم بالأرض الإسمنتية، ثمة غرفة تحكم وراء الباب، مثل قمرة الملاحة لإحدى سفن النقل. كُبِتت صرخة، وحصل اندفاع إلى الأمام.

نحن نقف إلى جانب نافذة ، يد تضغط على زجاج بارد ، والأخرى تسحب ستارة إلى الخلف. تقع فوقنا مدينة شيسا ، مجموعة من العمالقة تغطينا دائما. عندما كنا أطفالا كانت تلك الأبنية النابضة بالحياة تُسلينا ، من دون تلك الأبنية كانت السماء لتبدو جرداء قاحلة ، وما كنا لولاها لنحب السفر.

لا تتحرك الأبنية ، ولا حتى في ظل أعتى الرياح. يعزى ثباتها للتكنولوجيا البيثارية التي تُبقيها – وتتحكّم بها من خلال أبراج صغيرة على الأرض – أعلى حقول الأزهار الجليدية. نحن لا نفهم كيف تعمل. نحن نعمل في الحقل. لانزال ننتعل الأحذية – ذات الخطافات في نعالها التي تحول دون انزلاقنا على الجليد – منذ الصباح ، ولا تزال أكتافنا متقرحة من نقل المعدات.

بينما كنا نراقب ، تحرك المستشفى – مكعب أحمر برّاق فوقنا –

اهتز ،

وهوى.

إنه يسقط. شهقنا من هول ما رأينا ، بدا الأمر وكأن شيئا وقع في دلو من الماء ، بدت حركته بطيئة ، بالرغم من أن ذلك كان مخالفا للحقيقة فالسقوط لم يكن بطيئا ، بينما كان يسقط كان يرفع ندف الثلج بشكل معاكس لاتجاه سقوطه ، وبعد ذلك اصطدم بالأرض.

نحن طفل في سرير داخل أحد المستشفيات. جسدنا قصير ونحيل. شعرنا ملتصق بمؤخرة عنقنا – الجو حار هنا. القضبان ترتفع على جانب السرير ، وكأننا ولد صغير ، لا يمكن الوثوق بنا كي لا نسقط ونحن نيام.

يهتز السرير أسفلنا ، فنجفل ، ونتمسّك بالقضبان.

لكنّ السرير ليس من يتحرك ، بل الأرضية هي التي تتداعى تحتنا. تنساب المدينة بعيدا ، خارج النوافذ وحسب ، ونحن نتمسّك بالقضبان ، وأسناننا تصطك – وعندها نصرخ

تشدّ المرأة من أهل شوتيت – نحن – على أحزمة درعها ونحن نركض. لقد ثبتنا الأحزمة بإحكام ، وهي تحز على جوانبنا ، وتمنعنا من التحرك بالسرعة التي نبتغيها.

لم تكن أصوات الأبنية وهي تسقط تشبه أي شيء سمعناه من قبل. أصوات سحق ، وتحطم وصراخ ، وعويل واندفاع الهواء حول الأبنية ، ضجيج يصم الآذان ، نضع أيدينا على آذاننا نركض ، نحو سفينة النقل ، نحو الأمان.

نرى شكلا قاتما يقذف نفسه فوق سطح المستشفى.

ركُبنا مدفونة في الثلج. الرجل الذي كان يقف إلى جانبنا ، يقول أشياء لا نستطيع سماعها. خدودنا حارة. ندرك بفزع أنّ وجه المرأة من شوتيت مُبلل بالدموع.

هذا هو العقاب الذي أمر به لازمت نوفاك. لكنه عقاب مرعب.

يقول جندي آخر: «هيا! علينا الرحيل!».

لكن كيف السبيل إلى ذلك ، كيف يمكننا الرحيل وترك هؤلاء الناس الذين يحتاجون إلى مساعدة ؟

كيف يمكننا أن نمضي قُدُما ، ونحن نرى هذه الخسائر البشرية ؟

كيف يمكننا أن نمضي قُدُما ؟

الفصل الثلاثون

سايرا

في تلك الليلة ، غادر أكوس ليتنزه في الحدائق ، فوجدتُ نفسي وحيدة. لقد جعل الهواء الأوغراني الرطب خدي مبللين ، أردتُ أن أغسل وجهي. تعثّرتُ في طريقي إلى الحمام ، كنت أشعر بالألم ، فأسندتُ جبهتي على الجدار وأنا أفتح صنبور الماء. لطالما كانت أصابعي تؤلمني أكثر من أي مكان آخر في جسدي ، ولطالما تجمعت الظلال التيارية عند أطرافي وكأنها تتلهف للفرار.

نثرتُ الماء على وجهي ، ثم جففته بقميصي. قلتُ في نفسي ، سايرا كيرسيث ، في محاولة مني لتجربة الاسم. لم يبدُ لي اللفظ مستساغا ، وكأني كنتُ أحاول ارتداء ملابس أحد غيري. لكنّ وجودي في هذا المكان ، والبطانيات لاتزال مرمية حيث كنا أنا وأكوس نائمين معا ، بدا غير مستساغ أيضا. كنتُ شخصا آخر عندما استرحْنا هنا ، ووضعت أذني على صدره.

فجأة شعرتُ بالحاجة للخروج ، للتحرك. مشيتُ إلى سفينة باري ، في الجانب الآخر من التلة ، بعيدا عن الحدائق ، لكي لا ألتقي بأكوس. فُتِحتْ كوة السفينة بضغطة على أحد الأزرار ، فأضاءت الأنوار الداخلية ، وقادتني إلى أحد المقاعد قرب كل نباتات أوغرا المُحتجَزة.

كنتُ أجلس هناك ، أمام النبتة التي بدت مثل فم ضخم ، ورأسي بين يديّ ، عندما فُتِحت الكوة مرة أخرى. رفعتُ رأسي ، وأنا متأكدة من أن القادم كان أكوس ، لكي نتمكن أخيرا من التحدث بشأن ما سمعناه. لكنها كانت سيفا.

وليس أكوس.

لم تُغلق الكوة، وكان بإمكاني سماع طنين الحشرات وهمسات الريح، بينما كانت تقف محدقة إليّ. حدقت إليها، وشعرت بمقدار الألم الذي يعتمر بداخلي لفكرة تخليها عني وأنا لا أزال في القماط، سكنت لأحتوي الألم، لم يصدر مني أي ارتعاش أو أنين حتى إنني لم أبدُ متوترة، لم أرغب بإرسال أي إشارة إليها عما بداخلي. لم أُرِد أن ترى أنّ بإمكانها إيذائي.

أخيرا سألتني: «هل تكلمتِ مع فارا؟».

قومت جلستي، ودفعت جديلتي خلف كتفي.

أجبتها وقد ارتعشت قليلا بفعل الظلال التيارية التي كانت تتسارع على وجهي: «بالطبع، شكرا على ذلك، بالمناسبة، ما من شيء يمكن أن يكون أشد تأثيرا عليّ من أن يخبرني غريب أنك نبذتني وأنا في القماط».

عندما شرعت تقول: «يجب أن تعرفي —»، وقفتُ على قدميّ، وانتفضتُ قائلة: «نعم، أرجوكِ، أخبريني ما يجب أن أعرف، هل يجب أن أعرف عن شعورك وأنت ترمينني بين يديّ عائلة من الوحوش؟ أو الكذب على ابنك طوال حياته؟ هل يجب أن أعرف لماذا قمت بذلك؟ ألأجل ثوفي، أو شوتيت، أو التيار اللعين؟ نعم، هذا كل ما أريد أن أعرفه حقا — كم كان هذا قاسيا بالنسبة إليك».

فجأة شعرتُ بالقوة، بدوت كهضبة من العضلات. لم تكن ضعيفة — كانت تتمتّع بقوة صلبة — لكن لم تكن بنيتها مثل بنيتي المتينة عند الوركين والكتفين. كان بإمكاني القضاء عليها بلكمة واحدة، لقد كان هناك جزء من عقلي يريد أن يحملني على محاولة لكمها، ربما ذلك الجزء من عقلي الذي يعود لنوفاك، ذلك الجزء الذي ما كان ليوجد لو أنها أبقتني آمنة بدلا من مقايضتي.

بقيتْ سيفا بجانب الكوة، تحت أضواء الممر الصغير خلفها. كان شعرها مجمعا فوق أحد جانبي رأسها، مشعث، كأنها لم تسرحه منذ أيام. بدت منهكة جدا. لم أهتم.

سألتها: «ماذا رأيتِ؟ ماذا رأيتِ في مستقبلنا ما جعلكِ تقايضيننا؟ ما الذي يحتمل أن يكون على هذا القدر من السوء، الذي دفعك لأن تسلميني إلى عائلة نوفاك بدل أن تدعيني أعاني جراء ذلك؟».

أغمضتْ عينيها، ووجهها مشدود، فشعرت بالبرد يزحف عبر ظهري.

قالت وهي تفتح عينيها: «لن أخبركِ. فمن الأفضل أن تكرهينني على أن تعرفي ما رأيت أنه سيحل بك وبأكوس، كوني على ثقة أنني اخترت أفضل الممكن، الخيار الذي يمتلك أكبر عدد من الاحتمالات».

همست سائلة: «من الذي أعطاك الحق لتقرري مسار حياتي؟».

فردت: «لو عاد بي الزمن مرة أخرى إلى الوراء سأتصرف كما تصرفت سابقا».

فكرت مجددا وقلت: «ابتعدي عني».

«سايرا —».

قلتُ: «لا، ربما كنت تستطيعين فعل ذلك وأنا طفلة لكن لا سلطة لك اليوم عليّ».

وقفتُ. وبينما كنتُ أمشي باتجاه الكوة، لأتجاوزها، تغيّر وضعها. فقد انهارت بصورة غريبة عند المدخل، ومال رأسها إلى الأسفل، وتناثر شعرها حول وجهها.

وعندها رفعتْ صوتها بصرخة مُروّعة.

وبعدها رأت شيئًا فظيعا.

في البدء، وقفت أمامها أستمع إليها، لقد توغل صوتها عميقا في جمجمتي، فجلست إلى جانبها هي تنزلق من الجدار نحو الأرض، لم أجلس لمواساتها، بل رغبة بمعرفة ما رأت.

لم تهدأ قبل مرور بعض الوقت، وحل صوت شبيه بصوت المختنق محل الصراخ، لم أسألها أي شيء لعلمي أن السؤال قلما يجدي نفعا مع سيفا. ظلالي التيارية تحترق داخل بطني، فانتظرت، وأنا جاثمة هناك في الظلام.

مر وقت طويل قبل أن تتكلم حتى إنني شعرت بالخدر في قدمي. قالت لاهثة: «لقد هاجم لازمت شيسا».

أول ما خطر ببالي – رغم أنّ ذلك أخجلني بعد مرور لحظة من الوقت – كان: وماذا في الأمر؟

لقد هاجمتْنا ثوفيه أولا. رغم أنه من المُقلق التفكير بوجود قوة مسلحة تأتمر بأوامر أبي، لقد كانت حربا، ومن الطبيعي أن يعاني طرفا الحرب من ويلاتها.

لكني لم أنسَ كيف شعرتُ عندما تحطّمت سفينة الإقامة المؤقتة فوق فوا. أينما كان أكوس، فهو على وشك الإحساس بالشيء نفسه. ورغم غضبي من أعدائنا، إلا أني لم أستطع أن أتمنى ذلك لشخص أحببته.

تركتُ سيفا هناك، المرأة التي منحتني الدم ثم تخلّتْ عني. ليس لديّ ما أواسيها به ولم يكن لدي رغبة بذلك. عدوتُ بسرعة فوق الممر الحجري الأبيض إلى الحدائق لكي أبحث عنه. لكنّ المكان كان خاليا، والخنافس تطن دون إزعاج. فركضتُ إلى الغرفة حيث نمنا، كان السرير خاليا أيضا.

أخذت أنتقل من غرفة إلى أخرى، بحثا عن سرير سيسي الذي وجدته أخيرا، وكان خاليا بدوره، ولكنني وجدت إيسا في الغرفة التي يفترض أنها لسيفا.

كان شعرها الأحمر يتدلى مبللا على وجنتيها، وكأنها أنهتْ حمامها للتو. قالت: «أنا آسفة».

قلتُ: «على ماذا، على الهجوم؟». كان أمرا غريبا بأن تعتذر لي بسببه.

سألتني: «هجوم؟». لم تكن تعلم بعد. «أي هجوم؟». هززتُ رأسي وقلت بتململ: «منذ لحظة. على ماذا تتأسفين يا إيسا؟ أنا بحاجة لأجد أكوس الآن».

أجابت: «لقد رحل».

شعرتُ وكأني ربما أحترق، مثل واحدة من شجيرات الكرمة القاتلة في غابات أوغرا، التي تنفجر بلمسة طائشة.

قالت إيسا: «لقد غادر باري منذ لحظات مع سيسي وأكوس. كانوا ينوون مغادرة أوغرا على السفينة نفسها التي سيكون على متنها جوريك كوزار، والمتوجهة إلى فوا، فجر اليوم».

قلتُ: «لم يتركوا خبر». لم أكن أسأل.

قالت: «أتمنى لو كنتُ أعرف أكثر. لم يخبرني باري بأي شيء. وأعلم أنه لا بدّ وأنك تشعرين بالاضطراب —».

لكني لم أكن مضطربة. ربما كنتُ لأضطرب لو كنت طبيعية، ولو أني ترعرعتُ تحت أي اسم آخر.

لقد تحرر أكوس من قدره، ومن التزامه بي. ولهذا رحل، ذهب إلى الوطن. لم يكلف نفسه عناء ترك رسالة وداع، أو مجرد توضيح، لكرباج رايزك؟ سيكون ذلك مراعاة كبيرة لشعوري. أكثر بكثير من أن يتوقعه شخص مثلي.

جلستُ بمشقة على الصندوق بجانب سرير سيفا. وظلالي التيارية تندفع بكثافة

في أنحاء جلدي.

لقد رحل.

وكنتُ لوحدي مجددا.



أوروزو. اسم في اللغة الشوتيتية:
«انعكاس، كما في إحدى المرايا»

3

أوروزو. اسم في اللغة الشوتيتية:

«انعكاس ، كما في إحدى المرايا»

الفصل الحادي والثلاثون

سايرا

انسال العرق داخل زاوية شفتي. فتحسستُ طعم الملح ثم أخذت أجري. كانت تلك مخاطرة، لكني اعتقدتُ أنّ بإمكاني مفاجأته بقوة لم يكن مستعدا لها.

كان خصمي طويلا ونحيلا. إيترك، الشخص الذي سمّاني «كرباج رايزك» في الملجأ وقت العواصف عندما وصلتُ أولا، وكان يصر على الاسم كلما رآني. لكنه الآن، كان مجرّد كتلة من الأطراف واللحم. رميتُ بجسدي عليه، موجهة مرفقيّ للأسفل، نحو معدته.

لم تكن مدرسة العقل – إلميتاهاك – لتوافق على مخاطرتي. تقول التعليمات، ينبغي المخاطرة فقط عندما لا يتوفر هناك أي خيار آخر. كانوا على حق في هذه الحالة. فقد أخطأت التقدير.

انهالت ذراع إيترك مثل عارضة خشبية على صدري وكتفي، فوقعتُ على ظهري. وهدرت الجماهير كلها من حولي فرحا.

سخر واحد من الجمهور قائلا: «انزفي يا أوروزو!».

صرخاتهم جعلتني أستعيد إحدى الذكريات. الركوع على منصة مع سكين على عنقي، وأخي على أهبة الاستعداد فوقي، والغضب والخوف يمتزجان في عينيه. شعبي يدعوني «خائنة»، ويهدر مطالبا بإراقة دمي. بدأ الجلد الفضي في رأسي يدغدغني.

ظلوا يهدرون مطالبين بدمي، وحتى هنا، في أوغرا. لا يزالون يعتبرونني واحدة من عائلة نوفاك، ولا يزالون يفضلونني ميتة.

نظرتُ إلى الأعلى نحو الجدار ، حيث إيترك ، كنت على وشك أن أسدد الضربة القاضية ، فقد كنت أعرفه حق المعرفة ، كان يدعوني بالحليفة ، ويقاتلني على أساس أننا نمارس الرياضة ، بينما في أعماق نفسه يريدني أن أتألم.

لذا ، دنوت منه ، ووضعت يدي برقة وأنوثة خلف رأسه وقلت: «هيا دعني أتألم أكثر». فما كان منه إلا أن تراجع وسقط بعد أن اختل توازنه – لقد كانت لمستي ذات مفعول كالسم – زحفت فوقه وثبّتُه بمرفقي ، لكني توقفتُ قبل أن أضربه ، ارتفع حاجباي.

قال إيترك ، والجمهور يطلق صيحات الاستهجان: «حسنا ، حسنا ، أنا أستسلم». كانوا قد ملّوا من مشاهدتي وأنا أفوز. ملّوا من مشاهدة أحد أفراد عائلة نوفاك يفوز.

لم يكن مهما بالنسبة إليهم أنّ دم لازمت لم يكن يجري في عروقي ، وأني ربما حتى لم أكن في الأصل واحدة من شوتيت.

هل كان الأمر يهمني ؟

لاحقا عندما طلب مني قادة المنفيين الشوتيت تمثيل شعبي أمام القيادة الأوغرانية ، فكّرتُ كيف كنتُ أشعر ، وظهري على الأرض ، بأولئك الناس الذين يهتفون لأجل إيلامي وهزيمتي.

كانوا يكرهوني. لم يتقبّلوني. لم يكونوا يريدونني أن أمثّلهم.

قالت لي آزا قائدة المنفيين بيأس: «إنّ الشخص الأكثر تقليدية من بين القائدين الأوغران الاثنين ، يُقدّر القانون عاليا ، وأنتِ الوريث الشرعي للسلطة. لذا نحن بحاجة إلى أن تساعدينا يا سايرا».

نظرتُ إليها – شعرها مترهل جراء الرطوبة الأوغرانية ، وثمة دائرة داكنة تحت عينها المتبقية تفضح ضعفها – وفجأة ، لم يكن الشوتيت هم الحشد المجهول الذي أحاط بي أكثر من مرة. كانت هي تمثّل شوتيت ، وجوريك. وحتى إيما. الناس الذين سحقهم

صاحب السلطة، تماما كما فعلتُ أنا. الناس الذين كانوا بحاجة لهذا الشيء الصغير من أجل المقاومة.

أنا أدين بذلك لهم. فأنا من طلبت إخلاء المكان. وأنا من زلّ لساني بأنّ المنفيين كانوا في أوغرا. كنتُ أحمل إرث عائلة نوفاك، بالرغم من أن دماءهم لم تكن تجري في عروقي، لقد كنت أدين بذلك، على الأقل نتيجة للخطأ الذي ارتكبته.

قلتُ: «حسنا».

قلتُ لصورتي المعكوسة: «أبدو سخيفة». أو في الواقع، قلتُ ذلك لتيكا، التي وقفت خلفي مكتوفة الذراعين.

كنتُ أرتدي سترة يلامس طرفها الأسفل كاحلي وكتفاها مستدقتان، ومُزرّرة بإحكام فوق صدري. لكنها كانت مدروزة بخيط متوهج، ما جعلني أشعر بأني سفينة أوغرانية أكثر مما أنا إنسانة. أضاءت الياقة – المصنوعة من قماش مضيء كليا – وجهي من الأسفل، وجعلتْ ظلالي التيارية تبدو مريعة عندما تتدفق عبر جلدي.

لقد ضاع ما تبقى لي من تحكم كنتُ أحتفظ به عندما هبطنا فوق أوغرا أول مرة، وكأنّ أكوس أخذه معه عندما رحل.

قالت تيكا: «لقد أرادت آزا التأكد من أنك تبدين كجزء من سلطة عليا، حتى لو أنك لم تكوني كذلك فعلا. والآن أنت كذلك. كما يبدو الجميع هنا مثيرون للسخرية، ولذا أنت في المكان الصحيح».

كانت تُلمح إلى نفسها. فهي ترتدي مثل ردائي، إلا أنّ سترتها كانت رمادية وتنسدل إلى ركبتيها بدل كاحليها. كذلك ارتدتْ سروالا يناسب سترتها، وجمعت شعرها خلف رأسها برباط حريري. أما شعري فكان مجدولا وملقى فوق أحد كتفيّ، في الجانب الآخر للجلد الفضي.

كنا على وشك حضور اجتماع مع ممثلي أوغرا في كوجو ، عاصمة أوغرا. لقد دعونا لمناقشة «طلب» — في الحقيقة كان أمرا — قدمته حكومة ثوفيه ، بعدم تقديم أوغرا مأوى للمنفيين الشوتيت بعد الآن ، إثر الهجوم على شيسا.

شعرتُ بالسوء. فما كان لثوفي أن تطلب من أوغرا مثل هذا الطلب لو أنني لم أخبر إيساي بمكاننا. كانت ظلالي التيارية كثيفة وسريعة ، ولم يكن اللباس الضيق يشكّل عاملا مساعدا. لكن لا أُنكر أنّه أظهر جمال قامتي.

قلتُ لتيكا وأنا أشيح بوجهي عن المرآة: «هل ستذهبين دون أن تضعي شيئًا على وجهك ؟ تعلمين أنه بإمكانك على الأقل أن تُلطّخي شيئًا حول عينكِ».

أجابت: «لم أحاول ذلك قبلا ، إلا وانتهى بي المطاف كالحمقاء».

قلتُ لها: «دعيني أحاول مساعدتك ، فقد علمتني والدتي بعض المهارات عندما كنتُ صغيرة».

كنتُ قد عثرت على قلم أسود صغير لتحديد خط رموشي في أحد المتاجر في غالو. وحاولتُ أن أُساوم عليه مع امرأة أوغرانية ذكية كانت تُدير المكان ، لكنها تظاهرت بعدم فهم لهجتي ، فما كان مني سوى الاستسلام وشرائه بالسعر الذي طلبته.

نزعتُ غطاء القلم ثم وقفتُ أمام تيكا ، وانحنيتُ لكي يصبح وجهانا بالمستوى نفسه. لم يكن بإمكاني الاتكاء عليها ، ولذا وضعتُ يديّ فوق بعضهما لكي أثبتهما.

قالت تيكا: «أنتِ تعلمين أنه بإمكاننا التحدث عن الموضوع. كيف غادر بهذه الطريقة؟ على الأقل كان بإمكانه أن يودعك؟ بإمكاننا التحدث عن ذلك ، إذا... أنت تعلمين ، إذا كنتِ تريدين ذلك».

على الأقل كان بإمكانه أن يودعك. لقد قرر إنني لا أستحق أن أعمل بأبسط قواعد اللياقة.

قلتُ وأنا أشدّ على فكي: «كلا، لا يمكننا التحدث».

إن تكلمت، كنت سأصرخ، ولكن هذا الرداء الضيق الذي يضغط على أضلاعي لم يكن يتيح لي الصراخ. إنه السبب نفسه الذي جعلني أتجنب التحدث إلى سيفا وإيجية اللذين ما كانا يفارقان بعضهما وكانا في تشاور دائم مع المنفيين حول المستقبل. لم يكن بإمكاني تحمّل ذلك الإحساس.

بضربات قصيرة وخفيفة، مع بعض التوقّف – بما أنّ هبتي التيارية كانت ترتفع وتنحسر مثل المد والجزر – خططت جفن تيكا باللون الأسود، واستخدمتُ الطرف الآخر من القلم لمسحه.

أتذكر لقائي الأول بها، يوم كانت تود طعني لا أن تدعني أقرب منه كما هي الحال، لكن الأمر مختلف الآن فقد كانت ترغب بالتقرب مني بقدر رغبتي بالتقرب منها.

فتحتْ عينها. بدتْ زرقتها أكثر بريقا مع الإطار الأسود حولها. كانت تضع على عينها الأخرى ما تُطلق عليه «عصابة العين الفاخرة» كانت نظيفة وسوداء اللون، ومثبّتة على وجهها بشريط بدلا من رباطٍ مطاطي.

قلتُ: «ها قد انتهينا ومن دون ألم تقريبا».

نظرتْ إلى انعكاس صورتها على المرآة ثم قالت موافقة: «تقريبا». وعرفت أنها أحبت ما صنعت يدي.

حاولتُ عدم التفكير بأكوس، أو تخيل الأحاديث التي كان يمكننا أن نتبادلها بشأن ما أعانيه. بالكاد كنتُ أستطيع احتواء غضبي من ثوفي، ولم أكن بحاجة إلى شيء يؤجج النيران أكثر.

لكن أثناء السفر إلى بوكجو، سمحتُ لنفسي بلحظة من الضعف قبل أن أؤنب نفسي.

بينما كانت السفينة تنساب بين الأبنية الطويلة – أطول من أي أبنية موجودة في فوا ، ومن تلك التي سقطت في شيسا – تخيّلتُ نظرة الحيرة التي كانت ستعتلي وجهه لو أنه رآها.

كنتُ سأقول شيئًا مثل ، لقد سمح الأوغران بالحفاظ على نسبة معينة من الأشجار عندما بنوا بوكجو ، ولهذا لاتزال تبدو مثل غابة من تحتنا.

كان ليبتسم كعادته إعجابا بسعة المعرفة التي أحتفظ بها جانبا.

لكنه لم يكن معجبا بي بما يكفي ليقدّم لي توضيحا لعينا قبل –

كفى ، قلتُ لنفسي ، والدموع تنفر من عينيّ. إنني أشعر بالألم في كل مفاصلي. ما كان بوسعي التساهل في هذا.

هناك عمل يجب أن يُنجز.

حطّت السفينة فوق أحد المباني وسط بوكجو ، التي كانت قريبة من بعضها لدرجة أنه بإمكاني استراق النظر إلى مكاتب الغرباء وأماكن العيش وأرى كيف زيّنوها.

عندما فُتِحت كوة السفينة ، ارتعشتُ قليلا ، لأنّ الرياح كانت قوية ومن الواضح أننا كنا في مكان أعلى مما اعتقدت ، نظرا لانخفاض درجة الحرارة. وضع أحد العمال في محطة الهبوط ممشى آلي عند الكوة. لم يكن هناك درابزين أو نظام أمان مرئي ليُبقي المرء فوقه. مشى قبطاننا الأوغراني البدين عليه بخفة راقص. تبعتْه إيسا ، وكنت على مقربة منها ، أُجبِر عيني على النظر للأعلى وأُركِز على المدخل.

لو كان أكوس هنا ، لأمسكتُ بيده ، لذا عبرتُ بمفردي.

لقد حُكم الأوغران من قبل شخصين أحدهما سيما والآخر امرأة – سيما هي كلمة من لغة الشوتيت وتعني أن الشخص لا يحمل صفة الأنثى ولا الذكر – وكما كنت أعرف

ينقسم ساسة أوغرا بين فصيلين أحدهما منفتح على التغير بخلاف الآخر. وهما يحكمان معا بالتناوب ، ويقدم كل منهما مرشحا كل عشرة مواسم. فكرت أن هذا النمط من الحكم مستحيل التطبيق ، لكن الوقائع تفيد بعكس ذلك فهذا النظام معمول به منذ مئتي عام.

عرّف القائد من نوع سيما عن نفسه بروخا ، لديهم قَصّة شعر بلون رمال أورِك ، وكثير من النمش على بشرتهم ، مع شفاه رقيقة ومزمومة. كانت المرأة — التي دعتْ نفسها لوشا وهي تُمسك بذراعي وتُسلّم عليّ — أطول ، وأكثر بدانة ، وبشرتها أكثر قتامة بعدة درجات من بشرتي. كان أسلوب تحديد رموشها يُضفي بعض الضوء على عينيها من الأعلى وهو ملائم لها.

عندما كنا واقفين قبل بدء الاجتماع قال لي روخا: «أنت سايرا نوفاك». كانت لوشا تتحدث مع إيسا وآزا من خلفي — عرفتُ ذلك لأنّ ضحكتها الرنانة ظلّت تملأ رأسي بسعادة لم يكن بإمكاني الشعور بها.

قلتُ: «هكذا يقال». لأني لم أستطع أن أتمالك نفسي.

ضحك روخا وقال: «أنتِ أطول مما كنتُ أظن ، أعتقد أنّ أي شخص يبدو قصيرا إلى جانب رايزك نوفاك».

قلتُ له مُصحّحة كلامه: «كان يبدو». هذا مجرد خطأ نحويّ بالنسبة إليّ ، وعلى سبيل المجاملة لشخص لم يكن يتحدث الشوتيتية كلغة أم. لكنّ وجوههم لم تبدِ أي علامة من علائم الاكتراث.

قال: «آسف للغاية ، فقد فقدتِه منذ وقت قريب جدا».

أجبتُه: «ما كنتُ لأقول إني فقدتُ أي شيء».

رفع روخا أحد حاجبيه. النمش على جفنيه أجبرني على التفكير بأكوس ، فانتشرت شبكة من الظلال التيارية فوق محجر عيني ، جعلتني أجفل.

قال روخا: «لا أستطيع أن أعرف إن كنتِ تمزحين أم لا».

أجبتُه بشكل لاذع: «ينبغي لذلك أن يُسعدك. فالأوغران يحبون الغموض أليس كذلك؟». حدّق روخا إليّ وكأنه في حيرة من أمره، بينما كانت لوشا تبدأ الاجتماع.

قالت لوشا: «دعونا نتكلم بصراحة». وعندها زفر روخا.

غضّنت لوشا أنفها وهي تنظر إليه، مثلما قد يفعل طفل مع شقيقه. كنتُ أعلم أنها الأكثر تقليدية بين الاثنين، ولذا كان لديها ميل للوعظ والرسميات. كتمتُ ضحكة بينما كان روخا يغمز لي بعينه في الجهة المقابلة للطاولة القليلة الارتفاع. كنا نجلس على كراسٍ حولها. والقماش الثقيل الذي يغطيني من العنق حتى الكاحل يلمع بالخيوط المضيئة التي تجمعه مع بعضه.

قالت آزا: «حسنا، نحن متفاجئون برغبة أوغرا بطردنا في الوقت الذي تعايشنا فيه معا بشكل مريح لمدة طويلة على هذا الكوكب».

قالت لوشا وهي تتنهد: «ما كنا لنفكر بالقيام بذلك لو لم يكن الضغط مصدره ثوفي التي تحظى بدعم المجلس، وثوفي تحشد الدعم والحلفاء الأقوياء، تفيد مصادرنا الاستخبارية أن المستشارة في طريقها إلى أوثير في هذه اللحظة بالذات».

نظرتُ إلى تيكا التي بدت منزعجة مثلي. في حال تحالفت ثوفي مع أوثير، يكون أمر الحرب قد انتهى عمليا، لن يقف أحد ضدّ أوثير، ما لم يكن هناك قضية أهم من الحيلولة دون إبادة الشوتيت.

حسبما أعلم، أوثر هو أقوى وأغنى كواكب المجرة، كان مشهورا بموارده الطبيعية، ولكن مع التقدم الذي حققه الشوتيت انتقلوا من التعدين والزراعة واهتموا بالتكنولوجيا، ولا تزال أبحاثهم التطويرية تجري على قدم وساق لدرجة أنّ كل التقدم الذي حصل في مجال الطب والسفر عبر الفضاء، وتكنولوجيا الغذاء، أو وسائل الراحة

الشخصية ، أتى من أوثير. وأي كوكب يفسد علاقته مع أوثير يفقد إمكانية الوصول للأشياء التي نعتمد عليها جميعا – بما في ذلك الشوتيت –.

سألت تيكا: «لماذا يقوم أعضاء المجلس بدعم ثوفي بدل الوقوف على الحياد ، كحالهم دائما ؟ فجأة ، لم يعد هذا (نزاعا مدنيا) كما كانوا يصرون لأكثر من عشرة مواسم ؟».

أجابت آزا: «لقد شعروا بضعفنا. ومن دون شك ، إنهم ينظرون إلى ذلك كمسعى للتنظيف. تخلّصوا من القمامة الشوتيت. اجعلوا أشلاءهم تتناثر في الفضاء».

استمتعتُ بالغضب الكائن في صوت آزا ، والمشابه لغضبي إلى حد بعيد. قالت لوشا في محاولة منها للتخفيف من حدة الأمر: «أظن أنك تبالغين في ما تقولين ، من المؤكد أنّ المجلس لن يتدخّل في أي نزاع ما لم يعتقد أعضاؤه –».

بدا صوت آزا صادما وهي تقاطع لوشا قائلة: «تابعي قولي لي لماذا ، قولي لي لماذا لا يُعتَبر الهجوم على أبرياء يهربون إلى سفينة الإقامة المؤقتة جريمة حرب ، بينما اعتُبِر الهجوم على الأبرياء في شيسا كذلك. أليس هذا لأنّ الأطفال الثوفيين يُعتبرون أبرياء ، بينما لا يُعتبر الأطفال الشوتيت كذلك ؟ أليس هذا لأنّ الناس الثوفيين يُعتبرون مُنتجين ، بينما يُصنّف الشوتيت باحثين متوحشين عن الأشياء المفيدة ؟».

تدخل روخا وقال بصوت أجش: «أفترض أنك لا تدعمين أفعال لازمت نوفاك ضد ثوفي ، ففي النهاية أنتِ أصدرتِ بيانا يدين الهجوم لدى سماعك به مباشرة».

قالت آزا: «وأنا أؤيد ذلك البيان. فقد جنّد لازمت نوفاك معه جيشا من المؤيدين لابنه الراحل. ولا علاقة لنا بأفعاله ضد شيسا ، نحن بالتأكيد لم نكن لنفعل شيئًا بهذه الوحشية. لكنّ ذلك لا يعني بأنّ ثوفي لا تستحق نوعا من القصاص جراء ما فعله أهلها بنا».

لم يكن عليّ أن أكون خبيرة في هذه الأنواع من الاجتماعات لكي أعرف أنّ هذا الاجتماع لم يكن يسير بشكل جيد. فقد كان أسلوب التواصل المُفضّل للأوغران مثل

مطرقة تضرب فوق مسمار، والأمر نفسه بالنسبة للشوتيت. في الواقع، لدينا قواسم مشتركة في ثقافتينا؛ كنا نقدّر المرونة، ونحتل الكواكب التي تتحدانا، ونبجّل الكهنة....

لو أمكنني أن أريهم كم كنا مترابطين، لربما وافقوا على مساعدتنا.

قلت بنبرة عالية وقد أملت رأسي إلى أحد الجانبين لكي أبدو وكأني مرتبكة بشكل حقيقي: «لماذا يكرهوننا؟».

تجهّمت آزا في وجهي قائلة: «ماذا تعنين ب.لماذا؟ لطالما كرهونا! كما أنّ حقدهم لا أساس له!».

قالت تيكا وهي تومئ برأسها: «لا وجود لحقد من دون سبب إنهم يكرهوننا لأنهم يعتقدون أننا متخلفون. لأننا نتبع الدفق التياري، ونحترم الكهنة».

قلتُ: «والكهنة، بتسميتهم لأقدار عائلة نوفاك، أكّدوا على مكانة الشوتيت في المجرة. لكنّ المجلس لم يصغِ إليهم، ولم يمنحنا السيادة. إنهم يريدون تحديد سلطة الكهنة، وليس تعظيمها عبر احترام الأقدار. ولهذا يكرهوننا، بسبب احترامنا للناس أنفسهم الذين يريدون سلب السلطة منهم».

قالت لوشا: «هذا ادعاء جريء، وربما يقول بعضهم إنه تخوين، للتلميح أنّ المجلس يريد تجريد الكهنة من سلطتهم».

قلتُ: «الخيانة الوحيدة التي أعترف بها هي خيانة الكهنة. وأنا لم أرتكب أبدا تلك الجريمة ولو لمرة واحدة. لا يمكن قول الشيء نفسه عن المجلس».

قالت آزا: «منذ موسمين، كانت أوغرا على شفير الحرب لأنّ المجلس أراد نشر أقدار العائلات ذات الأقدار على الملأ، أليس كذلك؟ لقد قرأتُ النص. وأنت يا لوشا، أغضبك ذلك».

قالت لوشا بصرامة: «لم أرَ داعيا لتجاوز التقاليد».

قالت تيكا: «ذلك القانون المتعلق بإعلان كل الأقدار أمام الرأي العام من دون مبرر، أدى إلى اختطاف كاهنة من كوكبنا، وأسفر عن الحرب نفسها التي نحن في خضمّها الآن. لقد زرع المجلس بذور هذه الحرب من خلال تحدّيه للكهنة. والآن يريدون سحقنا بسببها؟».

لم أكن أعرف ما إذا كانت تحقق أي تقدّم. فأنا لستُ جيدة بقراءة الوجوه. ومع ذلك أصرّت تيكا قائلة: «أي كوكب يؤمن بالقدر يُهدّد المجلس. لقد بدأ الأمر معنا، لكن لا تظنوا أن الأمر سينتهي عندنا. تيبيز، وزولد، وإيساندر، وأوغرا، كل الكواكب المؤمنة بالقدر يحيق بها الخطر. إذا كان بإمكانهم تسميتنا متخلفين وتنظيم حرب للتخلص منا، فبإمكانهم أن يفعلوا الأمر نفسه معكم. يجب علينا جميعا أن نقف معا إذا كنا نريد أن نُبقي سلطتهم محدودة، كما ينبغي أن تكون».

حاولتُ قراءة لغة جسد روخا ولوشا — لم أكن ضعيفة جدا بهذا الخصوص — لكنّ هذا كان صعبا من دون فهم الثقافة الأوغرية بشكل أفضل. كانت يدا روخا مطويتين بعناية فوق الطاولة أمامه. وذراعا لوشا مكتوفتان. بالتأكيد هذه ليست إشارة جيدة في أي ثقافة.

تنحنحتُ قائلة: «لديّ فكرة».

التفتَ الجميع نحوي، بالإضافة إلى تيكا بفمها المتغضّن. فتابعت: «قابلتُ إيساي بينيسيت، مستشارة ثوفي. فقد أمضتْ أياما مع المتمردين الشوتيت عندما كانت في فوا. كما أرسلتْ للتو شخصا إلى أوغرا ليتكلم عن تحالف ما. هي تعلم أننا لسنا مثل لازمت نوفاك. مشكلتها ليست مع الشوتيت بل مع النظام الحاكم، ونحن وإياها لدينا المشكلة عينها. ونحن متفقون حول تلك النقطة».

قالت لوشا بنبرة آمرة: «تقولين في البداية إنّ المجلس يشن هذه الحرب، وبعد ذلك، إيساي بينيسيت وحسب؟ فأي واحد منهما؟».

قلتُ: «كلاهما. فالمجلس يستخدم إيساي بينيسيت لسبب ما ؛ يريدون اتباع القانون. لن يهاجموا من دون سبب. لذا ، إذا لم تُرِد ثوفي الهجوم علينا ، فليس للمجلس وسيط يشنون الحرب من خلاله ، ويتبدّد النزاع. استرضي إيساي ، ونحن نسترضي المجلس. الإطاحة بلازمت سيرضي إيساي».

قالت تيكا: «دعيني أخمّن. أتقترحين اغتياله».

لم أكن متأكدة كيف أُجيب ، ولذا لم أحاول.

قالت: «أنتم النوفاك تتلهفون دائما لإراقة الدماء».

انتفضتُ قائلة: «أرفض أن أختار أحد الحلول المعقّدة فقط لأنه يترك يديّ نظيفتين. كنتُ أحثّكم جميعا كي تأخذوا لازمت نوفاك على محمل الجد منذ أن ظهر وجهه للمرة الأولى على الشاشات في أرجاء المجرة. إنه متنفّذ ويُمسك بنصف الشوتيت بقبضته. إذا مات ، بإمكاننا استعادة شعبنا والتفاوض بشأن السلام. سيكون السلام مستحيلا إلى أن يموت».

أدركتُ أني كنتُ أجلس مثل أمي ؛ بظهر منتصب ويدين مطويتين ، وساق فوق أخرى عند الكاحلين. ربما لم تكن أمي بالدم ، لكني حملتُ من صفاتها في داخلي أكثر مما حملتُ من الكاهنة التي قايضتني لأجل القدر. لم أتوقف عن كوني واحدة من آل نوفاك. ولم يكن ذلك مريحا غالبا ، لكن في هذه الحالة ، حيث القوة مطلوبة ، لم أكن أستخف بها.

قال روخا: «أظن أنّ هناك حلا يناسبنا جميعا. آنسة نوفاك ، بما أنّ هذه فكرتك ، سنجري الترتيبات اللازمة التي تتيح لك تقديم حلك للمستشارة بينيسيت شخصيا من خلال خط اتصال آمن. وفي الوقت الراهن ، سنتناقش — الشوتيت والاوغران معا — مع تيبيز ، وزولد ، وإيساندر. لكي نستكشف خياراتنا وحسب. لوشا ما رأيك ؟».

قالت لوشا وهي تضرب الطاولة أمامها بأحد أصابعها: «النقاش فقط. ونقاش سرّي.

لا نريد للمجلس أن يعتقد أننا نخطط لنوع ما من التمرد».

قالتْ آزا: «يمكننا إرسال مبعوثينا على متن سفن توصيل حالما يخرجون من غلاف الكوكب الجوي. بالكاد يهتم المجلس ب. أوغرا – لن يتحققوا من دفاتر حسابات رحلتكم».

قالت لوشا: «حسنا ، نحن متفقون. آنسة نوفاك ، سنجري الترتيبات اللازمة التي تتيح لك التحدث إلى مستشارة ثوفي خلال أسبوع».

تحسّستُ نبضي بأطراف أصابعي. كنتُ بحاجة للوقت ، وقت أكثر مما أستطيع طلبه – هل بإمكاني القيام بالأمر بنجاح ، نظرا لما حصل عندما قمتُ بمحاولة اغتيال رايزك ؟

ذكّرتُ نفسي بقولي ، إذا لم يكن بإمكانكِ فعل ذلك ، فلا أحد يستطيع ، إذا لم يكن بإمكانك فعل ذلك ، سننتهي ، لذا فالمحاولة تستحق.

وقفتُ ، ثابتة اليدين والقدمين ، ولكنني كنت أشعر بكل شيء إلا بالثبات.

الفصل الثاني والثلاثون

سايرا

عدت وتيكا إلى الشقة الصغيرة التي خصّصتْها لنا آزا. كانت غرفة واحدة ، بفرن عرضه نصف الذي كنت أستخدمه في سفينة الإقامة المؤقتة وحمّام لا يمكننا أن نقف فيه معا في الوقت ذاته. مع ذلك ، يوجد طاولة صغيرة حيث كنتُ أقرأ في وقت متأخر من الليل ، عندما تُدير تيكا ظهرها للضوء وتنحني على أحد الصناديق في الزاوية التي تحتفظ فيه بأدوات وأسلاك وأجزاء كومبيوتر ، وتقوم ببناء أشياء صغيرة ، عربات صغيرة ذات عجلات يتم التحكم بها عن بعد ، أو حُلية متدلية تطلق شررا عندما تهب الريح.

خلعتْ سترتها حالما عبرت الباب ، ثم رمتْها على السرير ، وكان كماها مقلوبين من الداخل إلى الخارج. كنتُ أكثر حرصا على سترتي ، فقد فككت بعناية كل زر من أزرارها المعدنية بكلتا يدي. كان الخيط المضيء محاكا حول كل عروة زر ليحفظها من التمزّق ، لقد كانت سترة متقنة الصنع وأملت الاحتفاظ بها.

كانت تيكا بجانب طاولتي ، تلمس بأصابعها الصفحة التي تركتُها مفتوحة وإلى جانبها دفتر ملاحظات صغير.

قرأتْ تيكا بتجهّم: «عائلة كيرسيث هي واحدة من أقدم العائلات ذات الأقدار — ويُقال إنها الأولى ، رغم أنها لم تُبدِ الكثير من الاهتمام في المجادلة حول هذه النقطة أبدا. فمن النادر ، إذا حدث ، أن قادتْهم أقدارهم إلى المناصب القيادية ، وإنما إلى التضحية أو على ما يبدو ، إلى مصائر عادية ، وهو أمر لايزال أكثر غموضا». «هل تقومين بترجمة هذا من اللغة الأوغرانية بنفسك ؟».

أجبتُها وأنا أهزّ كتفيّ: «أنا أحبّ اللغات».

«هل تتكلمين الأوغرانية؟».

«أحاول تعلمها، يقول بعض العلماء إنها أكثر شاعرية من معظم اللغات ففيها الكثير من الأصوات المتناغمة أو القريبة من التناغم. أنا شخصيا، أفضّل لغة الشوتيت للشعر، لأني لا أستمتع بالقوافي، لكنني...». كانت تحدّق إليّ «.... أستمتع بالتحدّي الذي بداخلها. ما بكِ؟».

قالت: «أنتِ غريبة».

قلتُ لها: «لقد أنهيتِ لتوك صنع آلة تُصدر أصوات نقيق، وعندما سألتُكِ عن الفائدة المرجوة منها، قلتِ (أصوات نقيق)، وتقولين إنني أنا الغريبة؟».

ابتسمت تيكا قليلا وقالت: «حسنا».

أعادت تركيزها إلى الكتاب. أعرف أنها كانت على وشك أن تسألني لماذا أُترجم المقطع الذي يدور حول عائلة كيرسيث، وربما عرفتْ أني أعرف أيضا، لأنها في الواقع لم تطرح السؤال أبدا.

قلتُ: «ليس الأمر كما تظنين. فأنا لا أتقصّى عنهم بسببه. كل ما في الأمر...».

أنا لم أخبر أحدا عما قالتْه لي فارا. إن انتماء دمي إلى عائلة كيرسيث بدا مثل سر يجب الحفاظ عليه. ففي النهاية، كان اسم نوفاك هو الذي جعلني مفيدة للمنفيين الآن. ومن دونه، لربما يتخلصون مني.

لكني ارتكبتُ جرائم أمامها كانت أكثر سوءا لا تبرر أنني أحمل الاسم الخطأ، ومع ذلك بقيتْ هنا. كانت فكرة الوثوق بشخص آخر في الماضي تخيفني. لكني لم أكن أشعر بذلك الخوف الآن.

قلتُ: «لقد أخبرتْني الكاهنة بشيء ما».

وأخبرتُ القصة لتيكا.

«حسنا، أنتِ تقولين لي إنه لا يُزعجك بتاتا أن يكون أكوس منجذبا لفتاة تشتركُ بالجينات مع شخص يعتقد أنه أختُه». كانت تيكا منهمكة على الأرض بتكسير قشرة أحد أنواع الجوز المشوي الأوغراني من أجل أن تتخلص من خصائصه السامة، بالطبع – بأظافر أصابعها.

قلتُ: «سأكرر لك. أنا وهو لسنا قريبين على الإطلاق! ولا بأي شكل من الأشكال!».

كنتُ متكئة على طرف السرير ويداي فوق ركبتي المثنيتين.

قالت تيكا: «ما من شيء مهم، أنتِ لا تخططين فعلا لارتكاب جريمة قتل بحق أبيكِ. بما أنّ لازمت ليس والدك في الحقيقة».

قلتُ: «أنتِ فعلا تركزين على قضية صلة الدم».

قالت وهي تتنهد: «حسنا، حسنا، ربما ينبغي علينا البدء بالتخطيط لعملية الاغتيال هذه، إذا ما كان لدينا أقل من أسبوع قبل أن تتحدثي مع إيساي».

قلتُ وأنا أرفع حاجبيّ: «نحن؟ أنا التي تطوعتُ لهذه المهمة الغبية، وليس أنتِ».

«من الواضح أنك ستحتاجين إلى مساعدتي. لسبب واحد، أنك لن تستطيعي الطيران بمفردك والعودة إلى ثوفي؟».

«بإمكاني قيادة سفينة».

«أثق بقدرك، ولكنني حقا لا أثق بأنك ستستطيعين اختراق الغلاف الجوي

لأوغرا».

قلتُ: «حسنا. أنت محقة أنا بحاجة لربان للسفينة».

قالت: «وأنت بحاجة إلى شيء آخر ألا وهو معرفة مكان وجود لازمت، والتسلل إلى ذلك المكان خلسة، واكتشاف الطريقة التي يجب أن تغتاليه فيها، بالإضافة إلى تدبير طريقة فرارك». اعتدلت في جلستها، ثم أخرجت لبّ الجوزة ووضعتْه في فمها وأضافت: «تقبلي الحقيقة، أنت بحاجة إلى مساعدة، ولن تتمكني بمفردك من جمع المتطوعين، أعتقد أنه لا يخفى عليك عدم تحمس المنفيين لك».

قلتُ: «أوه، حقا، لم أنتبه لذلك».

قالت تيكا ملوحة بيدها أمامي: «حسنا، إنهم أغبياء من تلك الناحية. لا عليك سأكون من يجند لك الأشخاص الذين ستحتاجين إليهم، فهم يحبونني».

«لا أستطيع أن أتخيل السبب».

رمت القشور عليّ، وأصابت خدّي. كنت أشعر بمزاج جيد، لقد مر وقت طويل لم أشعر بمثله.

في وقت آخر من تلك الليلة، وبعد ساعات من الحديث حول خطة الاغتيال، غرقتْ تيكا في النوم بكامل ثيابها. نظّفتُ القشور – التي كانت تغطي الأرض – واستأنفت قراءة وترجمة كتاب العائلات ذات الأقدار.

لقد أثارتْ رؤية كلمة كيرسيث مكتوبة باللغة الأوغرانية، الحرارة في عينيّ. فالتقطتُ قلمي، بين الفينة والأخرى كنت أتوقف كي أمسح الدموع عن عينيّ أو المخاط من أنفي.

تظاهرتُ أمام تيكا، أنني كنتُ أُترجم هذا من الكتاب لكي أعرف أكثر عن عائلتي،

تلك التي لا علاقة لها بأكوس.

لكنّ الحقيقة المؤسفة أنني كنت لا أزال متيمة به.

الفصل الثالث والثلاثون

أكوس

قبل بضعة مواسم ، جره جنود رايزك نوفاك إلى مدينة فوا ، وأوسعوه ضربا ، وكان أخوه المذعور في أعقابه. كاد يختنق بسبب الهواء الدافئ والمشبع بالغبار ، وقتها لم يكن معتادا على الجماهير ، أو الضحكات العالية للناس الذين يتجمعون حول أكشاك الطعام ، أو استلال الأسلحة بشكل عرضي أثناء المناقشات.

إنه يمشي الآن ، وإحدى يديه تستقر على مقبض الخنجر الذي أخفاه عند جانب خصره ، متلثما بقطعة قماش أخفت أنفه وفمه ، وقص شعره ليزيد من التمويه وليتجنب أن يتعرف إليه من يتخفى عن عيونهم. في الحقيقة ، كان من المستبعد أن يتعرف إليه أحد فكل الذين مر بجانبهم كانوا منهمكين في أمورهم الخاصة مسرعين في خطاهم ، فلم يعره إلا قليل من الناس الانتباه.

لم يكن هناك حشود في الشوارع ، فأولئك الذين يمشون ، يمشون ورؤوسهم مطأطأة ، وكان الجنود الذي يرتدون دروعا موسومة بختم نوفاك يجوبون الشوارع ، وحتى تلك الأكثر فقرا في أطراف المدينة حيث هبط أكوس من سفينة النقل الصغيرة التي حملتْه إلى هنا. كان نصف المحلات الصغيرة مغطى بألواح من الخشب ، أو أنّ أبوابها مغلقة بسلاسل معدنية. من الواضح أن أعمال سلب ونهب جرت عقب موت رايزك — وهذا ليس مفاجِئا — لكنّ الأمور بدت تحت السيطرة الآن. بل مسيطر عليها بشكل كامل خصوصا مع جلوس لازمت على العرش.

بدأ أكوس بالتعرّف إلى الطرق في أنحاء فوا ، على الأقل ذلك الجزء من فوا الذي

كانت آرا – والدة جوريك – وجوريك يعيشان فيه. إذا كانت المدينة مُنظّمة على شكل دوائر مركزية حول قصر نوفاك، فإنّ آرا وجوريك كانا يعيشان مع خال جوريك في واحدة من الحلقات الوسطى، وهو المكان المثالي للاختفاء. كانت الشقق متكدّسة إلى جانب بعضها، وكل منها بطراز مختلف، مُشكّلة متاهة. لقد ضلّ أكوس طريقه داخل فناءين ذلك الصباح عندما غادر، واضطر إلى الرجوع إلى حيث بدأ في كل مرة.

أرسلتْه آرا إلى السوق لكي يبحث لها عن طحين لتخبزه، لكنه عاد خالي الوفاض. في السوق ألفى شاشة لعرض الأخبار داخل أحد الأكشاك، ولذا ذهب إلى هناك ليرى إذا كان هناك أي خبر عن أوغرا.

لقد غادر أوغرا ولم يقل شيئًا لسايرا، وهو يعرف أنّ ذلك سيجعلها تكرهه وهذا ما يسعى إليه. إذا كرهتْهُ، فلن تبحث عنه. ستفترض أنه عاد إلى ثوفي، فتدعه وشأنه.

بقيَ أكوس مُركّزا على الطريق الذي يمشي فيه بدلا من التركيز على ما هو حوله. فقد مرّ بصف من الناس، طويل جدا لدرجة أنه لم يتمكن من رؤية ما كانوا ينتظرونه إلى أن اجتاز حيّين اثنين، وعندها رأى مكتبا متهالكا عليه حرف شوتيتي يعني «دواء». إنه مركز صحي. وفي نهاية أحد الأزقة المجاورة، كان هناك ولدان يتقاتلان على زجاجة فيها شيء لم يعرفه أكوس.

لقد تأذى كثير من الناس جراء الهجوم، وكان هناك نقص في اللوازم الأساسية مثل المُعقّمات والجلد الفضي. كان الناس ينتظرون بشكل دائم قرب المراكز الصحية حتى وقت متأخر، ربما على أمل الاقتراب أكثر إلى ما يحتاجونه. ومع ذلك كان آخرون يشترون «أدوية» من السوق السوداء التي إما لم تكن تفيد بشيء أو أنها تجعل الأمور أكثر سوءا. لحسن الحظ، لم تتأثر آرا وعائلتها بالانفجار.

وجد أكوس جدار النقوش الذي استخدمه كنقطة علاّم. كانت الألوان برّاقة، لكنّ معظم الرموز بقيت غير مفهومة بالنسبة إليه، رغم أنه عرف أنها ترمز إلى نوفاك، وهي تبرز

في الوسط. طرق الباب الخشبي الذي تجاوزه للتو، وهو ينظر يمينا ويسارا ليتأكد أن أحدا لا يتعقبه. لايزال بإمكانه سماع صوت عراك الولدين في الزقاق الذي خلفه.

كان منزل شقيق آرا محشوا بالخردوات، مثل كثير من منازل الشوتيت، فكل الأثاث مصنوع من أشياء أخرى مجموعة مع بعضها بعض. مسكات الجوارير في المطبخ مصنوعة من أجزاء تخصّ العوامات، ومقابض الفرن كانت مسكات مخلبية من روبوتات الألعاب التي يتقاتل بها الأطفال الشوتيت.

كانت آرا كوزار تجلس مع جوريك إلى طاولة قليلة الارتفاع في الجانب الآخر من الغرفة، وعلى كتفيها شال أزرق لامع. أصبح لجوريك لحية طويلة مُكتملة على وجهه، مع بعض الفراغات، ويرتدي درعا عليه ختم نوفاك تحت كتفه. بدا متعبا، لكنه مع ذلك أبدى ابتسامة لأكوس عندما دخل الغرفة.

قال أكوس لآرا: «أنا آسف يا سيدة كوزار — لا يوجد طحين. ولا أخبار من أوغرا أيضا. أظن أنّ آلة نوفاك الدعائية تزداد قوة».

قالت آرا بسخرية: «عندما ناديتني في البدء بالسيدة كوزار بدوت لطيفا، لكنك عندما أكملت جملتك أشعرتني بالقلق. اجلس. أنت بحاجة لتناول شيء من الطعام».

تمتم وهو يجلس مقابل جوريك قائلا: «أنا آسف». أنزل اللثام إلى حدود عنقه ومرّر يدا فوق شعره القصير، لايزال متفاجِئا بمدى قِصره. كان خشنا من الخلف. وسأل جوريك: «كيف حال القصر؟».

أجاب جوريك: «مُمل، لقد رأيتُ جانب وجه لازمت اليوم. كما أنّ معظم الحرس من ذوي الرتب العالية متمركزين قرب غرف رايزك الآمنة — أنت تعلم، تلك التي لم يتمكن دم سايرا من إدخالنا إليها. لكنه دخل من الباب الخلفي اليوم».

احتفظ أكوس بتلك المعلومة، إلى جانب كل شيء آخر سمعه عن لازمت منذ

وصوله إلى فوا ، والذي لم يكن كثيرا. كان الناس ينظرون إلى لازمت على أنه بطل أسطوري وليس مجرد رجل. لذا كان ما تداولونه عنه أقرب من الحكايات الشعبية والأساطير منه إلى الحقائق.

أدخل أكوس يدا في جيبه ، وأخرج بعضا من بتلات الهاشفلور الجافة. كان يمضغ الكثير منها في هذه الأيام ، وهذا ما سيجعل مخزونه منها ينفد عما قريب. لكنّ التوتر في فكّه وكتفيه كان يسبب له وجعا في الرأس ، وهو بحاجة لأن يكون قادرا على التفكير ، إذا أراد أن يواجه ما سوف يأتي لاحقا.

كان هنا ، في فوا ، ليغتال لازمت نوفاك. وهذه ليس بالمهمة السهلة.

قال أكوس: «أريد التكلم معك بأمر».

قال جوريك: «كنتُ أتساءل متى سنتكلم».

وضعتْ آرا طبقا أمام أكوس. لم يكن هناك الكثير فيه — قطعة خبز ، وبعض اللحم المجفف ، وبعض الفواكه المُخلّلة. نفضتْ فتات الخبز عن أصابعها وجلست بجوار ابنها.

قالت آرا وهي تنقر جانب أنف ابنها موبخة إياه: «ما يقصده جوريك هو أننا نحب استضافتك هنا ، لكننا نعلم أنك لا تفعل أشياء دون أسباب وجيهة. وعبور المجرة ليس شيئًا صغيرا».

فرك جوريك أنفه.

قال أكوس: «الناس في أوغرا ، لا يمكنهم الانتظار لوقت طويل لا بد أن يقوم أحد ما بالعمل القذر».

قالت آرا: «لكنّ أولئك الذين بإمكانهم البقاء آمنين ، يجب أن يفعلوا ذلك».

هزّ أكوس رأسه وقال: « وإذا قلت لك إن القدر يفرض عليّ أن أقوم بالعمل القذر».

قال جوريك: «أنا أُسمّيه خيارا. وخيارا غبيا».

قالت آرا: «أظنك غادرت حبيبتك – وأمك وأخاك – من دون أن توضح لهم ما أنت مقدم عليه».

قال أكوس: «لا يحتاج أخي وأمي توضيحا لكي يعرفا ما أنا مقدم عليه، والأمر نفسه ينطبق على سايرا، لقد خطّطت لأسابيع كي ترسلني بعيدا دون أن تخبرني شيئًا عن الموضوع. فلا يمكنها أن تنظر إلى الأمر بطريقة مختلفة؟».

قالت آرا: «إنني لا أقول إنها تستطيع النظر إلى الأمر بطريقة مختلفة، ولكن هذا لا يبرر أن ما قامت به أو ما قمت أنت به هو عين الصواب».

قال جوريك: «لا توبخيه يا أمي. فمنذ أن ولد وهو يوبّخ نفسه».

قال أكوس: «وبخيني كما تشائين، وخاصة لأني على وشك السؤال عن شيء لن تحبيه».

تسللتْ ذراع جوريك فوق الطاولة، فسرق بعض اللحم من طبق أكوس.

قال أكوس: «أريد منك أن تُدخلني من الباب الخلفي لقصر نوفاك».

اختنق جوريك بقطعة اللحم التي كان يمضغها الآن، مما دفع آرا لكي تضربه بقبضتها على ظهره.

قالت آرا وهي تزم عينيها: «ما الذي ستفعله ما إن تصبح في الداخل؟».

أجاب أكوس: «من الأفضل لكِ أن لا تعرفي».

قال جوريك بعد أن ابتلع لقمته: «أكوس ، ثق بي. حتى أنت ، تلميذ سايرا نوفاك ، لا يمكنك مجاراة قدرات لازمت ، إنه لا يعرف معنى الشرف حتى أنه لا يستطيع أن يكون شريفا ، إن اكتشف وجودك في القصر سيحولك إلى طبق من الحساء اللعين».

قال أكوس: «لن يقتلني».

قال جوريك بغضب: «لماذا ، بسبب طلعتك البهية ؟».

أجاب أكوس: «لأنني ابنه».

حدّق جوريك وآرا إليه بصمت.

دفع أكوس طبقه إلى الأمام نحو جوريك وقال: «هل تريد قطعة الخبز ؟».

الفصل الرابع والثلاثون

أكوس

تجرد أكوس من الرداء الثقيل الذي ارتداه للوصول إلى هناك ، ورماه في أحد الأزقة. فلن يفيد هذا الرداء بشيء إلا في تأخيره عن بلوغ هدفه ، فقد كان ظلام الليل كفيلا بستر تحركاته.

أبقى وقع خطاه هادئا بقدر ما استطاع ، وسار إلى جانب السور العالي خلف قصر نوفاك. لايزال يتذكر التحديق في هذا الجدار عندما كان سجينا ، يُعلّم سايرا كيفية صنع مسكّنات الآلام. كان ذلك طريق خروجه: الذهاب عبر المداخل المخفية. والوصول إلى إيجية. والخروج عبر البوابة الخلفية ، باستخدام الرمز الذي أرتْه إياه سايرا دون أن تقصد.

كان بإمكانه فتح آلية القفل بنفسه وإدخال أصابعه فيها ، لمنع مرور التيار ، لكنّ مخاطر القبض عليه كانت عالية جدا. فغالبا ما يتغيّر الحرس. ولذا ، وقف بجانب الباب الخلفي وانتظر جوريك ليفتحه بدلا من ذلك. لقد تطلب الأمر نقاشا طويلا قبل أن يتمكن من إقناع جوريك بمجاراته في ما يسعى إليه. لم يتناقش مع جوريك فقط بل مع آرا. كانا يشكّان ، بالطبع ، بما كان يفعله أكوس هنا ، ولم يريدا منه أن يجازف. اعتقدا بأنّ ذلك كان تبجحا أو غباء أو اضطرابا صريحا.

في النهاية ، ما إن ذكر أكوس جوريك بما فعله من جميل له حتى لانت عريكته ووافق. فهو لم ينسَ أمر تلك الحلقة التي التفّتْ حول عنقه ، والعلامة الدقيقة على ذراعه. كان جوريك يدين له بخدمة ، خدمة كبيرة.

فُتح الباب الضخم ، وظهر رجل فضيّ اللون: حذاء ، ودرع ولحية غير مكتملة ،

وعينان داكنتان وبراقتان.

أمال جوريك رأسه مومئًا، فدفع أكوس الباب بما يكفي لكي ينسل من خلاله. ما إن أُغلق الباب من خلفه، حتى أدرك أكوس أن أوان التراجع قد فات، وبالرغم من اقتناعه أن ما يقدم عليه ضرب من الجنون إلا أنه تابع التقدم من دون تردد.

كما هو مُتفق عليه، أوصله جوريك إلى المطبخ. وجد أكوس حافة اللوح الجداري الذي سوف يُدخله إلى ممرات القصر المخفيّة، وما إن دفع اللوح حتى اجتاحته رائحة عفونة مألوفة فعاودته ذكريات أليمة، عن الذعر واليأس والتفاؤل عندما كان يسير عبر هذه الممرات وإيجية يتبعه كظله. والحرارة التي سرت في داخله يوم تبع سايرا عبر ذات الممرات إلى الاحتفال، يوم أخبرته تلك الأنثى بأن سايرا متيمة به وإن تظاهرت بالعكس.

لقد أُعجب بها، ثم أحبّها، ثم تركها.

سحبه جوريك إليه ليُعانقه عناقا خاطفا وثابتا، قبل أن يترك أكوس لوحده في ظلمة الممر.

توقفَ بجانب الزوايا حيث تنفصل الجدران ليتحسّس الرموز التي تعلّمها من سايرا. X تعني طريق مسدود. ودائرة بسهم للأعلى تعني سلالم صاعدة، ودائرة بسهم للأسفل تعني سلالم هابطة. وكان هناك رقم بداخل كل دائرة يشير إلى الطابق.

لقد سلك هذه الممرات وتحسس الجدران بالطريقة نفسها عندما كان في طريقه لإنقاذ إيجية. وما عليه الآن إلا اتباع الطريق نفسه، وعندها سيصل إلى الغرف ذات الأقفال الجينية التي أربكت المتمردين عندما أتوا إلى هنا لقتل رايزك. لم يُفلح دم سايرا بفتح الأقفال، لكنّ دم أكوس سيفتحها، ما لم تكن فارا تعبثُ بهما.

وصل أكوس إلى المخرج الذي استخدمه عندما أخرج إيجية. كان يعلم أنه يُشغّل الحساسات نفسها التي جعلتْ محاولة هروبه تفشل في ذلك اليوم المشؤوم، لكنّ هذا لم

يكن مهما ، فهو لم يكن يحاول التحرّك دون أن يُنتبه إليه هنا. ترك اللوح الجداري مفتوحا خلفه وتجاوز الباب الذي كان باب إيجية ذات مرة وهو يشعر برعشة خفيفة.

حتى في الظلام ، كان هذا الجزء من المنزل ضخما. ثمة خشب داكن ، أسود تقريبا ، فوق الأرضيات وعلى الجدران ، وأجهزة إضاءة مليئة بحشرات فينزو التي كانت هادئة الآن وهي نائمة أثناء الليل ، ومزهريات مزخرفة وتماثيل مصنوعة من المعدن أو الحجر المصقول تتخللها عروق ملونة ، أو زجاج منقوش. لم يكن بإمكانه تخيّل نفسه يركض عبر تلك الصالات وهو طفل ، ويكشط الألواح الخشبية بأصابعه. ربما لم يكن مسموحا له أن يركض أو يلمس الجدران ، أو يسقط فوق أخيه وهو يضحك ، أو أي من الأشياء التي جعلتْ سنوات طفولته غنية وحيوية.

وصل إلى الباب الآمن الذي كان متأكدا تماما أنه يؤدي إلى غرفة رايزك القديمة ، ثم رفع يده فوق آلية القفل. كانت أصابعه ترتجف.

أدخل يده في القفل ، فجفل من الثقب الذي أحدثه القفل في أصبعه.

صوت طقطقة ، وفُتح الباب.

إن كان لديه ذرة شك في أنه من عائلة نوفاك فقد زال الشك باليقين الآن.

الفصل الخامس والثلاثون

سايرا

ربما لم تكن الفكرة الأمثل بالنسبة إلى تيكا أن تقترب مني أثناء الفطور، قبل أن يبدأ دماغي عمله.

كنتُ منهمكة بتناول طبق الحبوب والفاكهة ومراقبة إيجية الجالس قبالتي على بعد طاولتين وطبق طعامه أمامه. كان يتصرف بغرابة يعبث بالحبوب بملعقته، ويُخرج الأكثر قتامة منها، ويضعها في خط على طول حافة صينيته. عندما رأيتُ إيجية للمرة الأولى قبل عدة مواسم، وهو يتنفّس بصوت عالٍ داخل قاعة الأسلحة أمام أخي، كان طويلا وممتلئ الجسم، وبدا قويا رغم أنه لم يكن بدينا. لكنّ إيجية هذا، كان يتناول القليل من فطوره ولا تزال وجنتاه غائرتين.

قالت تيكا: «أوه، لماذا تحدّقين كثيرا بكيرسيث؟».

وقفتْ أمامي، فحجبت رؤيتي للكاهن الجديد جزئيا. لكني لم أُشح بنظري، وبقيتُ أراقبه.

قلتُ: «لقد أخبرتني أمي ذات مرة، أنها اعتادت على تأنيب رايزك لكونه صعب الإرضاء في مسألة الطعام. لم يكن يأكل سوى الفاكهة والقليل من أشياء أخرى. ومهما وضعتْ أمامه، لم يكن يأكل إلا القليل. كانت تأمل بأنه سوف يتخلص من تلك المشكلة عندما يكبر، لكن...» هززتُ كتفيّ وأضفت: «لا أظنه تخلص منها أبدا».

قالت تيكا: «حسنا، هل أعطاكِ أحد الأوغران بعضا من سم كزوفرا؟ فقد سمعتُ

أنه يُشوّش العقل».

قلتُ: «كلا. لم يحدث شيء، لا بأس». نظرتُ إليها وأضفت: «تعلمين، عندما تقفين بهذا الشكل تبدين أقصر».

قالت تيكا: «اخرسي. لقد وجدتُ لك بعض المتطوعين. اتبعيني».

تنهدتُ، وأخذتُ معي طبقي. كان شريط حذائي لايزال مفكوكا، ولذا كان يتطاير مع كل خطوة أخطوها. قادتْني تيكا إلى إحدى الطاولات في الزاوية، حيث جلس شخصان آخران: إيسا، والرجل الذي صارعتُه قبل عدة أسابيع، ذاك الذي يعقد شعره عند قمة رأسه. إيترك.

قال لي: «مرحبا بكِ يا كرباج». لم يكن وجه يعبّر عن عمره، بشرة ناعمة، وعينين داكنتين تلمعان بالمكر. لم أستلطفه.

قلتُ لتيكا: «كلا، لن أعمل مع هذا الأبله».

قال وهو يضحك: «اسمي إيترك».

قالت تيكا لي: «أصغي إليّ، ليس لدينا ترف الاختيار فالمرشحون للعمل المعني لا يقفون بالطوابير، فضلا عن أن إيترك يعرف أشخاصا يمكنهم أن يزودونا بما قد نحتاج إليه في فوا، بالإضافة إلى مكان للهبوط فيه».

قلتُ لإيسا: «وأنتِ. أنتِ الأوغرانية. لماذا تريدين التورّط بكل هذا؟».

أجابتْ إيسا: «بالنسبة إليّ أستطيع أن أضع خدماتي في قيادة السفن بخدمتك، أما عن سبب تورطي في الأمر، فهو لأنني عشت لمواسم عديدة مع أشخاص أثرت تصرفات لازمت نوفاك على حياتهم، وإن استطعت القيام بأي شيء لدحره فلن أتوانى».

نظرتُ إليهم مليا. تيكا، بشعرها الأشقر الذي جعدته الرطوبة الأوغرانية. وإيسا

التي طوقت معصمه بأساور براقة للغاية، وحدّدتْ عينيها بقلم مضيء، الأمر الذي جعلهما تبرقان على نحو غريب. أخذ إيترك ينظر إليّ جيئة وذهابا بعينيه الداكنتين. هل كان هذا هو الطاقم الذي سأمضي به عائدة إلى فوا، مزهوّة بالنصر؟ حسنا. كان هذا أفضل ما سأحصل عليه. قلتُ: «حسنا، متى نغادر؟».

أجابت تيكا: «سأتأكد من مواعيد الانطلاق، لكن من الأفضل أن يكون ذلك خلال هذا الأسبوع. فالوصول إلى أورك سيستغرق عدة أيام، وما أن ندخل الغلاف الجوي سأرسل رسالة إلى جوريك في فوا، الذي سيزودني بتقييم أفضل للوضع، وهناك سيقوم إيترك باتصالات مع معارفه، ولكن كل ذلك متوقف على مغادرتنا، فمن هنا لن نستطيع القيام بأي شيء».

قلتُ: «اتفقنا».

قال إيترك: «مهلا. ما الذي يؤهلك لتكوني مسؤولة عن هذه المهمة بأي حال من الأحوال؟».

أجبتُه: «أنا أفضل منك في كل شيء».

حرّكت تيكا عينيها وقالت: «إنها تعرف الهدف يا إيترِك. هل تريد اقتحام فوا لتقتل شخصا لا تعرفه ولا تفهمه على الإطلاق؟».

هزّ إيترِك كتفيه وقال: «بالطبع لا».

قالت تيكا: «فليستغل الجميع هذا الأسبوع في التحضير، شخصيا سأبدأ بتجهيز السفينة منذ الآن، أعلم أننا بحاجة إلى طعام».

قلتُ وأنا أفكّر بما استخدمتْهُ إيساي لقتل أخي: «وربما بعض سكاكين مطبخ جديدة».

غضّنتْ تيكا أنفها ، وكأنها تذكرت الشيء نفسه ، فقالت: «بالتأكيد».

«تعلمون خطورة المهمة. لذا من المستحسن أن تودعوا أحبتكم قبل الرحيل».

قال إيترِك: «أظن أنك مفعمة بالتفاؤل أليس كذلك ؟».

قلتُ له: «هل تتوقع أن يكون قائد فريق الاغتيال مسرورا ؟ إذا كان الأمر كذلك ، فأعتقد أنك في المكان الخطأ». وضعتُ طبق فطوري الذي لم أنهِ سوى نصفه على الطاولة ، وسحبتُ السكين ، اتكأتُ على الطاولة ووجّهتُها إليه ثم قلت: «بالمناسبة ، إذا ناديتني (كرباج) مرة أخرى ، سوف أقصّ تلك العقدة الغبية التي على قمة رأسك مباشرة».

لعق إيترِك شفتيه وهو ينظر إلى سكيني ، ثم قال أخيرا: «اتفقنا يا سايرا».

الفصل السادس والثلاثون

سيسي

راقبت الهبوط عبر غيوم أثير الكثيفة ، وكأني حتى أبعد مما أنا الآن ، أنجرف عبر الفضاء وأنظر إلى كامل الكوكب أسفلي. لقد شعرتُ بذلك منذ أن افترقت طرُقُنا أنا وأكوس ، بين أوغرا وثوفي. لم يشأ أن يعود معي إلى مقر المجلس ، وأنا لم ألمه ، ولذا ذهبتُ في سفينة النقل التالية التي تتبع للمجلس عند أحد المواقع القمرية وتركتُه يستقل السفينة آلية الملاحة للعودة إلى الوطن. في الحقيقة ، أنا أغبطه ، فهو يتسكع في أرجاء مطبخنا الدافئ ، ويخزّن الأحجار النارية في موقدنا الكائن في فناء الدار.

أتى آست ليقف إلى جانبي ، مكتفا ذراعيه.

نحن على متن سفينة كبيرة تابعة للمجلس ، من النوع الأملس والجميل الذي يحتفظون به للكهنة والحكام والملوك. لا يمكنك رؤية أي من الأجزاء الداخلية للسفينة — كلها مخفية وراء ألواح مصنوعة من معدن باهت يبدو أبيض اللون تقريبا. لقد تعثّرتُ في وقت سابق ، وعندما لمست بيدي أحد الجدران لكي أحافظ على توازني ، تركتُ بصمة ليدي. تساءلتُ من يُلمّع كل هذه الجدران ؟

ارتديت وآست أفضل ما لدينا ، أو أفضل ما جعلتْنا إيساي نرتديه. أنا أرتدي فستانا ذا كُمّين طويلين ، — ولذا أبدو ثوفية ، على ما أعتقد ، لأنّ الأوثيريين ليسوا مصممين على تزرير كل شيء حتى أعلى العنق مثلنا ، أما آست فيرتدي سروالا وقميصا بياقة. وربوت الإرشاد يئزّ حول رأسه ، ويُطقطق لكي يتمكن من سماع موقعه.

قالي لي: «إنّ إيساي تفعلها مرة أخرى. اذهبي وعالجيها».

أقول: «لا أستطيع إيقافها كل الوقت. فهذا يصيبني بالإنهاك».

منذ الهجوم على شيسا ، كانت إيساي تقرأ عن كل شخص مات في الهجوم عبر شاشتها المحمولة ، وأبقتني على اطلاع بآخر المعلومات التي قرأتها. شِب أولدوث ، عمره أربع وثلاثون. كان أبا لولدين يا سيسي ، مات وزوجته ، وأصبح أولادهما يتامى. وبقدر ما قلتُ لها إنها لا تستطيع الانشغال بالأرواح التي زُهِقت للأبد ، إلا أنها لم تُبعد نفسها عن ذلك. قالت إنها أحبّت الغضب الذي تمدّها به تلك الأسماء. فقد كان يُذكّرها بما ينبغي عليها فعلُه. أنا متأكدة تماما من أنها تعبت من الحزن على أوري ، وهي بحاجة إلى شيء آخر تُركّز عليه ، لكني لم أقل ذلك.

يقول آست ببرودة: «في الواقع أنا لا يهمني أن تكوني مُنهكة ، ألا أتظنين أنّ هذا يُنهكها ؟ أنتِ تعلمين أن راحتها أكثر أهمية من راحتك».

أردت شتمه ، لكنّ هبتي التيارية أوقفتني. لذا ، اكتفيت بتجاهله ريثما تخمد ثورة غضبه.

مرت السفينة عبر طبقات الغيوم ، ولم أستطع منع نفسي من الاقتراب من الزجاج. فأنا لم أذهب إلى أوثير من قبل.

تغطي المدن معظم سطح هذا الكوكب. وهناك بضع حدائق كبيرة تنمو فيها الحياة البرية للكوكب – معظمها ضعيفة ، ولهذا السبب لا يهتم الأوثيريون بها كثيرا – لكنّ ما تبقى هو زجاج ومعادن وحجر. تمتد الممرات الزجاجية في هذا الطريق وذاك ، وتربط بين المباني ، والعوامات الصغيرة الناعمة أكثر جمالا من تلك التي نطير بها في ثوفيه ، وهي تتحرك بسرعة داخل وخارج الأنابيب المعدنية التي تتحكم بحركة المرور.

لذا من الصعب أن أوضّح لنفسي ، نظرا لكل تلك الفوضى الاصطناعية ، لماذا كوكب أوثير جميل. ربما بسبب سمائه الزرقاء ، وأشعة الشمس التي تلمع على المباني بألوان ذهبية وخضراء وزرقاء وبرتقالية. وربما بسبب تلك الحدائق الصغيرة والأنيقة التي

تُظهر كل الأشجار والأزهار ذات الألوان المختلفة، والنباتات الجميلة التي لا نظير لها في كل الكواكب. لكن هناك شيئًا جميلا في مدى ازدحام هذا الكوكب، إنه نوع من الإنتاجية المُبهجة.

أمسكت بيدي راحة يدي الأخرى وأنا أمشي في القاعة، لكي لا ألمس أيا من الجدران. كانت إيساي في غرفة الجلوس، جاثمة فوق حافة إحدى الأرائك الرمادية. من النافذة الممتدة من الأرض إلى السقف كان يمكن رؤية أوثير، ولكنها لم تكن تنظر من النافذة، بل كانت تنظرإلى الشاشة التي تحملها بين يديها.

هزت رأسها وقالت: «آرثي سيمنس. أربعون سنة. كانت تزور ابنها في المستشفى بعد العملية الجراحية. ماتا. لقد قصفوا مستشفى يا سيسي. لماذا استهدفوا مستشفى؟».

قلت: «لأنّ لازمت نوفاك شرير. كنا نعلم هذا من قبل، ونعلمه الآن، ولن ننسى ذلك أبدا».

أملأ الغرفة بماء مُهدّئ، وأجعله يصل إلى كاحليها.

قالت: «ليس هو من قام بذلك بمفرده، فاللوم يقع على كل من رافقه من الشوتيت ولم يقم بشيء للحيلولة دون هذه المأساة».

قلت: «إننا نهبط». هي ليست على خطأ، لكنّ قولها لذلك بمشاعر حادة يجعلني متوترة. أتخيّل نفسي أنغمس في الماء إلى خصري، وأمرر أصابعي عبر الماء.

«متى موعد الاجتماع؟».

قلت «خلال العشاء. يبدو أنهم لا يحبون اجتماعات العمل التقليدية هنا».

فقالت: «أنتِ لا تريدين أن تدعي أي شخص يُركّز على القضية المطروحة. وبدلا من ذلك، يجب عليك أن تُبهريهم لكي يفعلوا كلّ ما تقولينه مهما يكن».

قلت: «بالضبط». نهضت من مكانها، وبدت على وئام مع نفسها، وضعت الشاشة جانبا، وعبرت الغرفة ووقفت أمامي.

قالت وهي تلمس وجهي بأصابعها: «هل عاود آست الصراخ بوجهك؟ بدا منزعجا عندما غادر. لا أعلم لماذا يصبّ جام غضبه عليكِ».

هززت كتفي. فهذا أفضل ما يمكنني فعله.

فوعدتني: «سأتحدث إليه مجددا، أنا أثق بكِ، ويجب أن يثق بك، بالرغم من أنه لا يحب هبتك التيارية، ولكنني أعرف لماذا تستخدمينها».

ابتسمت. ولكنها لم تبادلني الابتسامة، تعرف دائما متى ولماذا أستخدُمها. لكن من الجيد أنها تعتقد ذلك.

الفصل السابع والثلاثون

أكوس

بدت رائحة الغرفة خلف القفل الجيني مثل الفاكهة. ترك أكوس الباب يُغلق خلفه وهو يتنفّس الأريج. لم تكن هذه غرفة رايزك ؛ كانت مكتبا. لقد كانت رائحة الفاكهة منبعثة من قشور خضراء متغضنة موضوعة على الطاولة. ألفى إلى جانبها شاشة في حالة سبات فوق كدسة من الأوراق ، كانت الكتب مكدّسة هنا وهناك ، لم يستطع قراءة أغلب عناوينها فهي لم تكن باللغة الأوثيرية ، ولكنه عرف أنها كتب تاريخية.

كانت السجادة تحت قدميه سميكة ، والوقوف عليها مريح. هناك آثار أقدام مطبوعة عليها ، جيئة وذهابا ، وكأنّ شخصا كان يخطو هنا من فترة ليست طويلة. ثمة شجرة صغيرة تنمو داخل أصيص في الزاوية ، ولون جذعها داكن مثل لون ألواح الأرضيات. تعود أصول هذه الشجرة إلى مجموعة الغابات في شمال فوا ، لقد انتبه إلى أن أوراقها صلبة ومتينة.

شعر أكوس بضغط على رأسه ، فتجاهله. مشى نحو الخريطة المُعلّقة على الجدار خلف الطاولة ، إنها خريطة للنظام الشمسي. كان كوكبهم ملحوظا تحت اسم «أورِك» وليس «ثوفي» ، فعرف أن الخريطة رسمها أحد الشوتيت ، وعليها علامات دقيقة على الأطراف تشير إلى الحدود التي وصل إليها الشوتيت. كانت أوسع مما توقع أكوس. لم يخطر بباله أبدا ، بشكل أو بآخر ، أنّ الشوتيت قبل أن يصبحوا محاربين باحثين عن الأشياء المفيدة كانوا مستكشفين.

مجددا شعر بالضغط في رأسه فتوقف. سمع شيئا. حركة ما ، ربما شخصا يمشيا

في غرفة أخرى، أو في طابق آخر.

كلا، إنها ليست حركة — شهيق. وزفير.

امتشق أكوس سكينه، وتحرّك بسرعة في المكان وذراعه ممدودة. كان هناك رجل طويل يتّكئ على الجدار وراءه.

لازمت نوفاك.

قال لازمت: «إنّ هبتي التيارية لا تؤثر عليك».

جف حلق أكوس.

أجبر نفسه على أن يقول: «لا يوجد هبة تيارية تؤثر عليّ». أول كلمات قالها لوالده على الإطلاق.

ابتعد لازمت عن الجدار. كان يحمل سكينا تيارية خاصة به. وكما راقب أكوس، كان يوازنها في راحة يده ويغزلها، ثم يُمسك بها من القبضة. إذا، لقد تعلّم رايزك تلك العادة الصغيرة من والده.

قال لازمت: «هل دخلت بتلك الطريقة إلى هنا؟».

هزّ أكوس رأسه. اقترب منه لازمت أكثر، فابتعد أكوس جانبيا تاركا مسافة بينهما. شعر وكأنه في الحلبة مرة أخرى، يحارب رجلا آخر حتى الموت. لكنه الآن أقل جاهزية بكثير لهذه المعركة مما كان عليه مع فاس أو سوزاو.

ما كان عليه أن يأتي إلى هنا أبدا. لقد أدرك ذلك الآن. مجرد النظر إلى لازمت وجها لوجه، وذلك الخواء في عينيه.... جعله يدرك أن هناك خطبا ما، خطبا لم يكن بإمكان أكوس إدراكه.

قال لازمت: «أعترف بأني أُصِبتُ ببعض الارتباك، لأني الشخص الوحيد الذي

بإمكانه الدخول إلى هذه الغرف. ولكنني بالرغم من معرفتي أن أحدا أدخلك إلى القصر إلا أني أعرف أن أحدا لا يستطيع إدخالك إلى هنا».

قال أكوس: «دمي من أدخلني إلى هنا».

تضيّقت عينا لازمت. فاقترب أكثر. لم يعد لأكوس أي مجال خلفه، ولذا تحرّك مجددا والسكين لا تزال ممدودة. نظر لازمت إلى السكين بفضول — ربما لم يكن معتادا على رؤية سكين تيارية من دون ذلك الذيل الأسود الذي يربطها بيد الشخص.

قال لازمت بهدوء: «بدأت أشك، عندما كبُرت ابنتي الصغيرة، بأنها لم تكن ابنتي حقا. اعتقدتُ أنّ أمّها لم تكن مخلصة لي، لكني أعرف الآن أنّ الأمر ليس كذلك. فهي بكل بساطة لم تكن طفلتنا».

لم يستطع أكوس تفسير سبب عدم صدمته أو على أقل تقدير سبب عدم فزعه.

سأله لازمت وهو يغزل سكينه التيارية: «ما اسمك؟».

أجابه: «أكوس».

قال لازمت: «هذا اسم شوتيتي جيد. أفترض أنّ زوجتي هي من اختارتْهُ لك».

قال أكوس: «لا أعرف فلم يسبق لي أن قابلتها».

استمر لازمت بالتقدم قبل أن يندفع نحوه. كان أكوس مستعدا، فقد توقّع ذلك منذ أن رأى الرجل بجانب الجدار. لكنه لم يتوقع ان يكون لازمت بهذه السرعة إذا انقضّ عليه وأمسك بيده ولواها بشدّة فلم يكن أمامه من خيار سوى إفلات السكين. أثمرتْ تدريبات أكوس، فقد باغته مُدّعيا الضعف بلكمةٍ على خصره. فشهق لازمت من الألم، وقبضته لاتزال تشدّ بإحكام حول معصم أكوس، ثم ركله على ركبته بقوة. عندها تركه لازمت وتعثر قليلا في مشيته.

اندفع لازمت مجددا نحو أكوس وثبته على الجدار واضعا السكين التيارية على رقبته. تجمّد أكوس. كان متيقنا أن لازمت لن يقتله على الأقل قبل أن يسمع منه تفسيرا، لكن في الوقت الحالي وبينما السكين على عنقه تزعزع يقينه.

قال لازمت بعفوية: «من المؤسف أنك لم تعرفها. فقد كانت امرأة رائعة». رفع يده الأخرى ومرّر طرف إصبعه على جانب أنف أكوس، ومنه إلى عظم خدّه.

قال لازمت: «إنك تشبهني فأنت طويل وتمتلك النمش المروع نفسه لكنك لست عريضا بما يكفي. ما لون عينيك؟».

أجاب أكوس: «رمادي»، وشعر بأنه مُجبر على إضافة كلمة: «سيدي» في نهاية الجملة، رغم أنه لم يكن متأكدا من السبب. ربما ذلك بتأثير السكين الذي على عنقه والقوة الغاشمة التي يضغط بها الرجل على الجدار.

قال لازمت: «لقد كتب خالي قصائد حب حول عينيّ خالتي البراقتين. لقد قامت أمي بقتلهما معا. لكني واثق من أنك سمعت تلك القصة من قبل. فأنا أعرف أنها شائعة عند الشوتيت».

جهد أكوس ليُبقي صوته ثابتا فقال: «سمعتُ بذلك».

تركه لازمت، لكنه لم يبتعد كثيرا، لذلك لم يتمكن أكوس من مدّ يده لالتقاط السلاح الذي على الأرض.

قال لازمت: «هل تعلم إن كان ابني ميتا؟». قطّب حاجبيه وأضاف: «أفترض أني أقصد ابني الآخر».

أجاب أكوس: «نعم، إنه ميت. جثتُه في الفضاء».

«أعتقد أنها جنازة محترمة» غزل لازمت سكينه مرة أخرى ثم أضاف: «وهل أتيتَ

لتقتلني ؟ سيكون ذلك ضمن التقليد العظيم في عائلتنا ، أنت تعلم. أمي قتلت أشقاءها. وابنتي المُفترضة قتلتْ أخاها. وابني البكْر افتقر إلى الجرأة لكي يقتلني لقد اكتفى باحتجازي داخل زنزانة لعدة مواسم بدلا من ذلك. لكن أنت لديك بعض العلامات ، ولذا ربما أنت لست ضعيف الإرادة كثيرا».

أطبق أكوس يده حول معصمه لكي يغطي علامات القتل هناك. كانت غريزة بدتْ أنها تربك لازمت الذي أشاح ببصره عن المنظر.

لم يعد أكوس واثقا كيف ستجري الأمور ، كان يعرف أنّ لازمت يجب أن يموت ، بناء على الطريقة التي تفاعلت بها سايرا عند رؤيته لوحده ، وكل ما سمعه منذ ذلك الوقت. لكنه لم يكن متأكدا في أعماقه ، أيمكنه أن يقتله أم لا. لايزال غير متأكد. ولكنه لم يكن ليعترف بذلك للازمت.

قال أكوس: «كلا ، لم آت لقتلك».

فسأله لازمت: «حسنا ، لماذا أتيت ؟ لقد جازفت كثيرا لكي تأتي إلى هنا. أفترض أنّ لديك سببا ما».

أجاب أكوس: «أنت السبب ، فأنت آخر من تربطني به صلة الدم. هل هذا سبب ؟ إنه سبب غبي ، إذا كان سببا».

قال لازمت: «ما هو الدم بالضبط ؟ مجرد مادة ، مثل الماء أو رماد النجوم».

قال أكوس: «إنه أكثر من ذلك بالنسبة إليّ. إنه — هذه اللغة. إنه القدر».

«آه!» ابتسم لازمت ابتسامة ماكرة ثم أردف: «حسنا ، أنت تعلم الآن بأنّ قدر سايرا الصغيرة المُمِل لحد الألم يعود إليك. (الطفل الثاني من عائلة نوفاك سيعبر الحد الفاصل)». تقوّس حاجباه وأضاف: «وأفترض أنك ، كأحد أبناء شوتيت ، لم تعبر الامتداد الواسع للعشب الريشي الذي يفصلنا عن أعدائنا الثوفيين».

كان لازمت يُحلّل شخصيته ، ويطرح فرضيات. لم تكن صحيحة ، لكنّ أكوس لم يرَ حاجة ليُصحّح له معلوماته. ليس الآن ، على أية حال. فكلما كانت معلومات لازمت عنه أقل ، كلما كان ذلك أفضل.

تابع لازمت بقوله: «أنتَ تتكلم بأسلوب شخص متدني المنزلة. ربما تعتقد أني سوف أُرسلك إلى ثوفي مع جيشي ، لغاية أسمى ، وسأرفع من منزلتك».

أبقى أكوس تعابير وجهه محايدة ، رغم أنّ فكرة الزحف إلى ثوفي ، وشنّ حرب لا لشيء سوى الحصول على منزلة اجتماعية أعلى جعله يشعر بالاشمئزاز.

قال لازمت: «أظن أن مساعدتي لك تتوقف إن كنت تعني لي شيئًا أم لا ، أعلم أنك تستطيع القتل ، وهذه نقطة في صالحك ، لا يمكنك أن تتصور كم أرهقني تدريب رايزك لقد تقيأ بعد أول عملية قتل ، وكان هذا مقرفا ، ومنعتني زوجتي من تجربة الأمر مع سايرا ، بالرغم من أنني سمعت أن قدراتها باهرة».

نظر أكوس إليه وهو يرمش بعينيه. ماذا تقول لرجل كان يقف أمامك ليقول إن كانت حياتك تعني له أم لا.

لمس لازمت طرف سكينه بذقنه وقال: «يبدو أن لديك مهارات قتالية هزيلة. أنت جريء ، رغم أنك لست حكيما في أفضل الأحوال ، وغبي في أسوئها. هبتك التيارية تثير اهتمامي ، لكنها... مثيرة للقلق في بعض جوانبها. أخبرني عن العلامات التي لديك يا فتى».

ذلك الجزء من أكوس الذي كان معطلا ، مثل محرك سيئ ، بدأ بالضجيج مجددا.

قال أكوس: «تظنّ أنك ستعرف شيئًا مفيدا عني بناء على من قتلتْ وكيف ؟ ماذا بشأنك أنت – ماذا إذا حكمتُ على قيمتك بناء على حقيقة أنّ ابنك الضعيف الإرادة نجح باحتجازك في مكان ما لعدة مواسم ؟».

تضيّقت عينا لازمت.

قال: «لقد تدرّب ابني على يديّ أمه لكي يفوز بإخلاص بعض الجنود الموضوعين في مواقع استراتيجية. إنّ القدرة على كسب قلوب الناس هي قدرة لم أمتلكها من قبل أبدا. لقد أبقوا سجْني سريا وكانوا يهتمون بي عن بعد لكي لا أستطيع استخدام هبتي ضدهم. لكنّ الفوضى التي حصلت في فوا بعد اغتيال ابني أدت إلى فقدان السلطة في بعض القطاعات، فانتهزتُ فرصتي وهربت. كل حرّاسي السابقين هم موتى الآن. أحتفظ بمقل عيونهم في إحدى الجرار لكي تُذكّرني بضعفي. كان فشلي هو الذي أدّى إلى أسري، وليس نجاح ابني». تراجع ثم أضاف: «والآن أخبرني بالأسماء التي تحملها على ذراعك أيها الفتى».

أجاب أكوس: «كلا».

قال لازمت: «بدأتُ أسأمُ منك. كن على ثقة أنني إذا سئمت لن يكون الأمر في صالحك، عندها سأقتلك بكل سهولة حتى من دون هبتي التيارية».

قال أكوس: «آخر حياة أزهقتها كانت لفاس كوزار».

أومأ لازمت برأسه ثم قال: «هذا أمر مثير للإعجاب. أنت تعلم، بالطبع، بأني أستطيع التحقق من موته في سجلات الحلبة وأكتشف الاسم الذي استخدمتَه؟». اقترب أكثر مجددا، ووضع سكينه بينهما ثم قال: «لا بدّ أيضا وأنك أدركت بأنّ الكثير من الحراس بانتظارك خارج هذا الباب. لن تغادر هذا المكان على قيد الحياة. وبالنظر إلى الطريقة التي دخلتَ بها هذه الغرفة، في منتصف الليل، وبيدك سكين، فأنا بالكاد سأسمح لك بأي شكل من أشكال الحرية ضمن هذه الجدران. وهذا يعني أنك ستكون مسجونا هنا، وسيتسنّى لي متسع من الوقت لأكتشف كل شيء أحتاج معرفته عنك.

قال أكوس: «أُدرِك كل هذه الأمور. لكني لم أقاتل فاس في الحلبة. لقد قتلته أثناء الفوضى عندما مات ابنك. ليس هناك سجل عن موته في أي مكان».

ابتسم لازمت وقال: «وأنت لديك أكثر من علامة على ذراعك. كم هذا مُشجّع، أن أُدرِك أنك ليست غبيا تماما. هنيئًا لك يا أكوس نوفاك. أنت لست شخصا مملا».

اندفع لازمت وفتح الباب قبل أن يتمكن أكوس من التحرك قيد أنملة. امتلأ المكتب الصغير بحراس مدرّعين.

قال لازمت: «خذوه إلى غرفة آمنة. لا تؤذوه إنه من دمي».

مضى أكوس بهدوء ، وتعابير لازمت الجوفاء تتبعه طوال الطريق إلى الحفرة.

الفصل الثامن والثلاثون

سايرا

اضطررتُ لمغادرة جالو الآمنة نسبيا والمُحتلة من قبل المنفيين الشوتيت والعودة إلى بوكجو من أجل النقاش مع إيساي بينيسيت. ذلك النقاش الذي وعدتُ القادة الأوغران بأني سأجريه، كمقابل لتأخير ترحيلنا. وبكلمات أخرى، كان المستقبل المباشر للشوتيت يقع على كاهلي.

لم أكن اشعر بالضغط أو أي شيء من هذا القبيل.

في بوكجو، وتحديدا في الغابة التي خارج حدود المدينة مباشرة، هناك برج عالٍ مبني داخل جذع شجرة ضخمة للغاية، وهو المكان الوحيد الذي بإمكان المرء فيه أن يبث إلى خارج الكوكب. ألححت أثناء الرحلة على مساعد لوشا لكي أحصل على معلومات عن سبب كون ذلك ممكنا، ولماذا في ذلك الموقع وليس في أي مكان آخر، وكل ما كان يعرفه هو أنّ ثمة «بقعة رخوة» في غلاف أوغرا الجوي هناك.

سألتُ: «هل هذا مصطلح علمي، (بقعة رخوة)؟».

قال الرجل: «من الواضح أنه ليس كذلك. هل أبدو عالما بالغلاف الجوي بالنسبة إليك؟».

أجبتُه: «تبدو مثل شخص لديه دماغ ويعيش فوق هذا الكوكب. كيف يمكن ألا تكون محبا للاستطلاع؟».

لم يكن لديه جواب. لذا، نهضتُ وبدأت أمشي في محيط السفينة، وأتوقف عند

كل نبتة خلف الزجاج لكي أُدقق فيها. كان هناك فاكهة متموجة مثل الدماغ تتدلى من عروق متينة، وعناقيد من الأوراق البنفسجية المُدبّبة التي فيها صفّان من الأسنان في أطرافها، وفطريات صغيرة لها شكل نجم منفجر وتتوهج بلون بنفسجي وتلتصق على جلدك إذا لمستها، وتستنزف العناصر المُغذية من جسمك. تساءلتُ إن كان هناك نباتات لم تكتشف في أعماق الأدغال؟

وصلنا إلى البرج أثناء النهار، والسفينة تلامس علامة الهبوط وتتهادى بين غصنين ضخمين. وقفتُ خارج السفينة، أُحدّق إلى الشجرة العريضة وإلى البرج المبني داخل جذعها الفارغ. لم يسبق لي أن رأيت نبتة بهذا الحجم – كان محيطها يساوي محيط إحدى ناطحات السحاب في فوا، لكنّ تلك بنتْها إيدينا، وليس طنين الحياة الطبيعية التي قال بعضهم إنه أتى من التيار.

عبرتُ المنصة التي تصل بين مكان الهبوط والبرج. تأرجحتْ قليلا بسبب وزني، فالسلكان المعدنيان هما الشيء الوحيد الذي يمنعني من السقوط، أصبح فمي أكثر جفافا مع كل خطوة، لكني أجبرتُ نفسي على متابعة التحرك. أظهر لي مساعد لوشا ابتسامة معرفة بينما كان يتحدث مع الحارسة التي بجانب الباب.

قبل الدخول إلى غرفة البث فتشت كيفما اتفق؛ بدتْ الحارسة غير راغبة بلمسي، وأنا لم أُطمئنْها – وأنا أصعد عدة مجموعات من السلالم. توقفتُ عند أعلى الدرج لكي أمسح شعري – الذي أصبح الآن رطبا – بالجزء الداخلي لأحد كُميّ قميصي، ثم تبعتُ مساعد لوشا إلى الداخل.

كانت غرفة البث مزدحمة بالناس الواقفين بجانب شاشات المراقبة، والمنحنين فوق لوحات من المفاتيح والأزرار، والذين ينتزعون أجزاء من الزغب من البساط الدائري في وسط الغرفة. ثمة كاميرات ثابتة تتدلى بالمقلوب من السقف في وسط المكان تماما. كان البساط داكنا ولا نقوش عليه – افترضتُ أنه موجود من أجل تخميد الصوت، لأنّ أي سطح عاكس يمكن أن يسبب صدى. كان هذا أعلى طابق في البرج، ولذا تشرف نوافذه على قمة

الشجرة ، حيث الأوراق الضخمة – أكبر مني – تتأرجح على الزجاج ، وهي سوداء تقريبا ، ومليئة بعروق مغطاة بالطحالب. قال لي أحد السيما طويل الشعر والذي بدا لي أنه يحمل كومة من الغيوم: «آه ، ها أنتِ ذا». إنها نوع من العبارات يقولها شخص لشخص آخر يعرفه مسبقا ، لكني لم أكن أعرفه ، ولذا حدّقتُ باستغراب إلى أنّ قدّم لي تفسيرا.

قال بالأوثيرية: «لم أكن متأكدا إن كنت تعرفين كيف توجّهين وجهك أم لا. ويبدو أنّ كل ما تحتاجين إليه هو بعض الغبار لكي لا تلمعي. جيد».

وضع ذلك الشيء الأبيض على وجهي ، فاندفع الغبار الباهت على شكل غيمة حولي ، فعطست. أمسك بمرآة لكي أتمكن من رؤية أنّ المسحوق جعل وجهي غير لامع.

قلتُ: «شكرا لك».

قال: «قفي فوق الإشارة X ، إنهم يرحبون بسفينة المجلس الآن».

قلتُ: «هذا جيد» ، بالرغم من أنني لم أعتقد في حقيقة الأمر أنه كذلك. ففي نهاية المطاف ، كنتُ على وشك التحدث مع امرأة تعتقد بأني متواطئة في جريمة قتل أختها التوأم. وأنا سأطلب منها التعاون ؟

لم تكن الأمور تسير بشكل جيد ، ومع ذلك ، شققتُ طريقي إلى العلامة X فوق البساط ، ونظرتُ إلى الكاميرات. ضغط شخص قرب الجدار على زر عدة مرات لكي يُخفّض مستواها ، فأصبحت بمستوى عينيّ. أُنزِلتْ إحدى الشاشات أمامي لكي تُريني إيساي بينيسيت ، عندما تظهر. الآن كانت الشاشة فارغة وبيضاء اللون ، بانتظار أن تُملأ بصورة ما.

بعد مُضيّ فترة قصيرة من الوقت ، أعلن مساعد لوشا أنهم أجروا الاتصال مع أوثير ، وهم على وشك البث. بدأ يعد بشكل تنازلي باللغة الأوثيرية ، وعندها أومض أمامي وجه إيساي بينيسيت المشوّه مباشرة. توجّه الألم عبر يديّ ، وتعاظم بين براجمي التي شعرتُ وكأنها تتكسّر. فنفرت الدموع من عيني.

للحظة حدقت إليها وحدقت إليّ. بدت... بحالة غير جيدة. أضعف مما كانت عليه عندما رأيتُها في المرة الأخيرة ، وأصبح الجلد تحت عينها بنفسجيا ، رغم طبقات الماكياج التي من المؤكد أنها وضعتْها لتغطية ذلك. لكن خلف تلك العلامات الواضحة ، كان هناك شيء... غريب. ثمة توحش في نظرتها لم يكن موجودا قبلا ، وكأنها على وشك أن تنهار.

لقد كانت نسخة مشوهة عن المرأة التي قتلت المئات من شعبي وبدت عيناها تودان الفرار.

قلتُ أخيرا ، وفكّي متوتر: «المستشارة بينيسيت».

أجابت بصوت رسمي متقطع: «آنسة نوفاك. أفترض أنه لا ينبغي لي أن أقول (الملكة) ، بما أنّ شعبك لا يستطيع الاتفاق على حاكم ، أليس كذلك ؟».

قررت أن لا أُخبرها بأنه حتى المنفيين لا يريدونني كقائدة — وأنهم ينادونني ب. أوروزو ، «الخليفة» ، وأنهم كانوا يلومونني بسبب الناس الذين قتلتْهم هي ، وأني أقف هنا فقط من أجل تصحيح بعض أخطائي. لكني شعرتُ بأنّ تلك الحقائق تنبض داخلي مثل قلب آخر. أنا لم أكن ملكة.

قلتُ: «شعبي مُنقسم ، كما قد تعرفين في حال نظرتِ إلينا بأي نوع من الاحترام. وبالنسبة لشرعيتي ، فأنا واحدة من وريثيْن ممكنيْن للسلطة. يمكنكِ التعامل مع الوريث الآخر ، إذا كنتِ تفضّلينه».

نظرتْ إليّ للحظة ، وكأنها كانت تفكّر بالأمر. لكنّ الاستسلام كان باديا على وجهها. فبالرغم من عميق كرهها لي ، كنتُ الوحيدة من عائلة نوفاك التي تُقدّم الأمل لأي من أمتيْنا في السلام.

تنحنحتْ إيساي ثم قالت: «لقد وافقتُ على هذا الاتصال لأني كنتُ متأكدة من أنك تحملين لي عرضا جديرا بالاهتمام لأفكّر به. أقترح عليكِ أن تُقدّميه قبل أن أقرّر بأنّ هذا

لا يستحق وقتي».

انتفضتُ قائلة: «أنا لستُ هنا لكي أستجديكِ. إذا كنتِ تفضّلين الاستمرار بطريق التدمير المستشري الذي تنتهجينه، ففي الحقيقة ليس هناك شيء باستطاعتي قوله لإيقافك، ولذا —».

قالت بضحكة جافة: «طريق التدمير المستشري الذي أنتهجه أنا». ثم أطلقت ضحكة طويلة ومجلجلة: «المئات من شعبي —».

قلتُ بصوتٍ عالٍ: «قتلهم أبي ومناصروه. ولا علاقة لي ولا لأي من الأشخاص الموجودين هنا بالأمر».

انتفضتْ قائلة: «ولو كنتِ مكانه، لكنتِ فعلتِ... ماذا؟ أنتِ تنسيْن، لقد التقيتُ بكِ يا سايرا نوفاك. وأنا أعرف موهبتك في الديبلوماسية».

قلتُ: «لكنتُ اخترتُ هدفا عسكريا، طبقا لقوانين مجرتنا. وبالطبع، كنتُ أيضا لأنتظر من أجل التفاوض على شروط سلام معقولة بدلا من ضرب المئات من اللاجئين الهاربين بأسلحة بيثارية متقدمة —».

قالت وقد هدأ صوتها فجأة: «لم أكن أعلم بوجود لاجئين على متن السفينة».

لقد فكّرتُ ذات مرة بأنّ إيساي تُذكّرني بالصخر، في قساوته وخشونته. وهي صخرة الآن، أيضا، يمكن أن تتفتت بسهولة إلى شظايا. ارتعش جسدها قبل أن تتابع كلامها، وكأنّ لحظة التحطّم تلك لم تحدث على الإطلاق.

قالت: «قدّمت لكِ شروط الاستسلام كما تذكرين. وأنتِ رفضتِها».

قلتُ وقد ارتجف صوتي من شدة الغضب: «ما قدّمته، كان مُهينا وغير لائق، وأنتِ تعرفين تمام المعرفة أننا لن نقبل به».

حدّقتُ إلى الكاميرا بدلا من التحديق إلى صورتها في الشاشة، رغم أني أستطيع رؤية تعابيرها القاسية.

قالت أخيرا: «ما الذي تعرضينه، يا آنسة نوفاك».

انتفضتُ قائلة: «ما أريده منكِ أن تسحبي هذا الطلب القاضي بجعل الأوغران يطردوننا من كوكبهم، لأن ذلك سيُجبر أعداء لازمت نوفاك القدماء على العودة إلى منطقة القتال. وبالمقابل، سوف أقتله».

قالت بنبرة جافة: «لِمَ أنا لستُ مُتفاجئة من أنّ الحلّ الذي تُقدّمينه يتضمن القتل».

قلتُ: «إنّ أصالة إهاناتكِ مذهلة حقا. من دون قيادة لازمت لهم، سنقمع زمرة جنوده بسهولة. وسيسيطر المنفيون على شوتيت، وعندها يمكننا التفاوض بشأن السلام بدلا من قتل بعضنا بعض».

أغمضتْ عينيها. انتبهتُ أنها فعلتِ الكثير لكي تبدو أكبر مما كانت عليه في العمر، تماما كما فعلتُ أنا. كانت ترتدي سترة مُفصّلة على طراز هيسا التقليدي، سوداء ومُزرّرة بشكل قطري على طول صدرها، وتنتهي عند جانب عنقها. وشعرها مشدود للخلف بإحكام. كما أعطتْها النُدب أيضا، نضجا لا يملكه معظم الناس في عمرنا. قالوا إنها نجتْ من شيء ما وتحمّلتْ شيئًا لم يكن يجب عليها أن تتحمله. لكن بالرغم من ذلك، كانت شابة، وأرادت لكل هذا أن يتوقف.

إن لم ترد أن تفهم ما الحقته من أذى بي وبشعبي، إلا أنني متأكدة أنها مثلي، تريد وضع حد لما يجري.

قالت وهي تفتح عينيها: «يجب عليّ أن أتخذ ما يلزم من إجراءات، لأن مستشاري وشعبي وحلفائي يطالبون بذلك».

قلتُ: «حسنا، امنحيني الوقت وحسب. بضعة أسابيع».

هزّت رأسها وقالت: «لقد سقط مستشفى هيسا من السماء. أولئك الناس الذين كانوا بحاجة للمساعدة، والناس الذين —». اختنق صوتها، فتوقفت عن الكلام.

قلتُ بحسم: «لا علاقة لي بالأمر».

لقد أدركتُ في وقت متأخر جدا، أنه ربما لم يكن الآن الوقت المناسب الذي يجب أن أصرّ فيه على براءتي. لربما كان بإمكاني إبداء بعض التعاطف أكثر.

لكنها دمّرت سفينة الإقامة المؤقتة. وهاجمتْنا. إنها تستحق الغضب.

لكن لربما سأكون أفضل حالا مع الرحمة.

قالت: «أسبوع واحد. وذلك يعطيكِ ثلاثة أيام بعد قيامكِ بالرحلة من أوغرا إلى ثوفي».

كررتُ كلامها: «أسبوع واحد، لكي أصل من أوغرا إلى أورِك، وأخطط لاغتيال، وأنفّذه. هل أنتِ مجنونة؟».

ردّت ببساطة: «كلا. هذا عرضي يا آنسة نوفاك. أقترح عليك القبول به».

لو كنتُ ألطف وأرق، ربما كان عرضُها أكثر كرما. لكن أنا ما أنا عليه.

قلتُ: «حسنا. سأرسِل لك رسالة عندما يتم الأمر».

ثم خرجتُ مباشرة من إطار الكاميرا.

الفصل التاسع والثلاثون

سيسي

أول ما انتبهت له أن الأوثيريين يمتلكون أيادي وأجساما ناعمة.

فالمرأة التي تستقبلنا في الشقق الأنيقة حيث سنُقيم خلال هذه الزيارة القصيرة ، تحمل وزنا حول وركيها وفخذيها أكبر بكثير من معظم النساء الثوفيات. هناك شيء يروقني في ذلك. أتساءل ما هو الشعور الناتج عن لمس جسد بهذا الحجم الكبير.

بالحكم على النظرة التي ترمقني بها ، فهي تتساءل عن شيء مشابه يتعلق بي. فأنا في الواقع لا أبدو مثل فتاة من هيسا – معظم الناس في هيسا يعملون في مزارع الأزهار الجليدية أو يقومون بأنواع أخرى من العمل الشاق ، ولذا هم نحيلون وذوو عضلات. أما بنيتي الجسمانية فهي أكثر شبها بالناس الذين في شيسا ، حيث ذهبتُ إلى المدرسة ، حيث يحتفظون بمخزون من الدهن حول خصورهم. من أجل الشهور الأكثر برودة ، كما يقول الناس أحيانا على سبيل الدعابة.

معظم أولئك الناس ماتوا الآن.

تخبرنا الأوثيرية بصوت ناعم متملّق ، إلى أين سوف نذهب لتناول العشاء وما يجب أن يكون عليه «لباسُنا». بالكاد أتبادل النظر مع آست بشأن ذلك ، وعندها أتذكّر أنه لا يستطيع أن يراه – ومن المحتمل أنه لا يود مشاركة لحظة كتلك معي على أية حال. مع ذلك ، أرتدي فستاني الرسمي للعشاء ، الشيء الرسمي الوحيد الذي أمتلكه. إنه هيسي الطراز ، مما يعني أنه يبدو مثل زيٍّ عسكري من الأعلى ، مزرر عند الكتف حتى الأضلاع. وهو مُفصّل ليشدّ بإحكام حول جسدي حتى خصري ، ومن ثم ينساب على شكل تنورة أكثر

نعومة تصل إلى الأرض. لونه قرمزي ، بلون زهرة هشفلور حمراء ، لجلب الحظ.

يعبث آست عند المدخل بأزرار كُمّ قميصه. إنها صغيرة ومصنوعة من الزجاج ، وزلقة. لم أفكّر كثيرا بشأنها عندما أخذتُ معصمه بيدي لكي أُزرّرها له. لكني كنتُ متفاجئة من أنه تركني أفعل ذلك.

لقد قال لي بصوت أجش: «أخبرتْني بأني قاسٍ جدا معكِ». تطير الخنفساء التي يستخدمها لإرشاده بدوران سريع حول رأسي وكتفيّ ، قريبة بما يكفي لتكشط ملابسي بأرجلها الصغيرة ، وهي تطقطق طوال الوقت.

أقول بثبات ، وأنا أمسك بمعصمه الآخر: «هل أخبرتْك ؟».

«الأمر هو —». يُمسك بيدي فجأة ، ويضمّني إليه بسرعة. وبقوة كبيرة. يميل نحوي ويقترب كثيرا إلى درجة أنّ بإمكاني شمّ شيء حاد في نفسه. «لا أعتقد أني كذلك يا سيسي. أعتقد أنك ذكية جدا ، ومُتحمّسة جدا ، وحلوة جدا».

أنتهي من أزراره ، وأبتعد عنه دون رد. في الواقع ، ليس هناك الكثير ليُقال.

تنتظر إيساي قرب الأبواب حيث قالت المرأة الأوثيرية أنها ستلتقي بنا. تلتفتُ إيساي ، صدمت عندما رأيت جفنيها مُحددين بخطوط سوداء رائعة ، وشفتيها ملطختين بلون زهري باهت ، وشعرها مشدود بإحكام إلى الخلف ، ويُشع مثل زجاج مصقول. إنها ترتدي زي أوسوك ، فستان ضيق بلون أزرق داكن وقماش فضفاض يغطيه.

فقلت: «يا للروعة».

تُحرّك عينيها قليلا وتقوم بإيماءة سريعة بأحد أصابع يدها مشيرة إلى الندوب التي تغطي وجهها. في كل مرة أنظر فيها إليها انتبه إلى الندوب ، ولكن في الحقيقة ، لا تقلل من جمالها الآخاذ. فتلك الندوب فريدة وحسب ، مثل علامة ولادة أو مجموعة من النمش. أميل وألمس بشفتي إحدى الندوب التي فوق حاجب عينها.

أقول: «لا تزالين رائعة».

«وأنت» ، تقولها وهي تنظر إلى آست ، «آست ، أنتَ لم تبدُ أبدا أكثر توترا».

يقول بنبرة قاسية: «أنا أبدو كما أشعر».

فُتحت الأبواب أمامنا ، وكانت المرأة الأوثيرية تقف خلفها تماما. لا أذكر اسمها. فمعظم الأسماء الأوثيرية فيها ثلاثة مقاطع لفظية على الأقل ، وهذا كان كفيلا بأن أنساها على الفور.

تبعناها إلى إحدى العوامات التي تحوم قرب حافة الشرفة. إنها مختلفة عن تلك التي في الوطن – أكثر شبها بمنصة مغلقة منها لعربة حقيقية. وقفنا داخلها ، والمرأة – كاردينزيا ؟ شيء ما ينتهي ب. «زيا» على ما أعتقد – هي من كانت تقودها ، وأعني بهذا أنها هي التي تضغط على أحد الأزرار المبرمجة مسبقا فنتجه إلى إحدى المحطات. لا تهتز العوامة ولا ترتجف على الإطلاق ، بل تنساب فوق حدائق مُشذّبة وتتجاوز الأبنية اللامعة. تأخذنا عبر طبقة من الغيوم الهشّة ، ثم تتوقف بجانب أحد أرصفة التحميل – لستُ متأكدة ماذا أُطلق عليه ، بالرغم من أنه لم يسبق لي ان رأيت رصيف تحميل بهذا الجمال.

قادتنا كاردينزيا ، كما قررتُ الآن أن أناديها ، عبر الرصيف الفارغ إلى متاهة من الممرات العريضة ، المغطاة بلوحات للقادة الأوثيريين السابقين ، أو بأعلام داخل أطر تمثل كل المقاطعات الأوثيرية. فتح البوابون الذين يرتدون قفازات سوداء مجموعة من الأبواب الانزلاقية المزدوجة لنا عند نهاية أحد الأروقة.

كنتُ أظن أنني أكثر استعدادا لرفاهية أوثير. لكنني فوجئت ودهشت وأخذت أحدق إلى الغرفة التالية. لقد زرع أحدهم حديقة هنا. تلألأت أشعة شمس الغروب فوقنا عبر السقوف الزجاجية ، وأضفت خطوطا بألوان برتقالية فوق الأوراق الداكنة لتعريشات الكرمة التي تلتف حول أرجل الكراسي ، وتزحف عبر حواف الطاولة. لقد اصطفت الأشجار على أحد جانبي الغرفة ، بأوراقها الزرقاء والبنفسجية الداكنة ، التي تتخللها عروق أفتح لونا ، كما تتدلى

خطوط الضوء من السقف – خطوطه الحقيقية غير مرئية تقريبا ، مكونة مظاهر خادعة لتوهج الأجرام السماوية فتبدو مثل قطرات المطر معلقة في الهواء في كل أرجاء الغرفة.

أتت امرأة إلينا لكي تُحيّينا. أعرف من حلقة الذهب التي فوق رأسها أنها إحدى حاكمات أوثير ، لقد نسيت اسمها كالعادة. تبعها رجل ، بحلقة ذهبية مشابهة ، وتلاه آخر. كان القاسم المشترك بين الثلاثة: بشرة ناعمة وأسنان بيضاء وشعر أملس ، أما شعر وجه الرجلين فبدا وكأنه مرسوم بقلم ذي رأس مُدبب.

قالت المرأة وهي تبتسم كاشفة عن أسنانها البيضاء: «أهلا بكِ في أوثير ، أيتها المستشارة بينيسيت ، يسرني أن ألتقي بك. هل هذه زيارتُك الأولى لكوكبنا الجميل ؟».

ردت إيساي: «نعم ، هي كذلك. شكرا لاستضافتنا ، يا عضوة المجلس هارث. أقدم لك مستشاري: سيسي كيرسيث وآست».

سألت عضوة المجلس هارث: «آست ، من دون كنية ؟».

ردّ آست: «لا حاجة للكُنى عند حافة المجرة. فنحن لا نحتفظ هناك بسجلات أو شيء من هذا القبيل».

صرخ أحد الرجلين: «حافة المجرة! يا للروعة. لا بدّ وأنّ هذا المكان مختلف كليا بالنسبة إليك».

ردّ آست: «الأطباق هي الأطباق ، سواء أكانت لامعة أم لا». لقد أعجبني ما تفوه به.

عندها قال الرجل الأقصر بين الاثنين: «أنا عضو المجلس شارفا». لقد كان أسود الشعر ، مجعد طرفي الشارب ، كبير الأنف ، مستقيم القمة نحيف الخصر. «وهذا عضو المجلس تشيزيل. ثلاثتنا مسؤولون عن المساعدة والتعاون بين الكواكب». حسنا ، يريدوننا أن نستخدم كنياتنا. أظنّ أنّ ذلك ما يجعل هذا اجتماع عمل بدلا من لقاء عابر.

تابع قائلا: «وأنتِ يا سيسي ؟ هل أنتِ من حافة المجرة أيضا ؟».

مررت امرأة ترتدي قفازا أسود كالذي ارتداه الرجال الذين فتحوا الأبواب كؤوسا صغيرة لشيء لم أعرفه. رائحته حادة ومنعشة. انتظرت حتى شرب الأوثيريون قبل أن أشرب ، لأرى كيف يتعاملون معه ؛ يأخذون رشفات بسيطة من الكؤوس الكبيرة التي بالكاد تستطيع تطويقها بإصبعين ، لقد كانت الكؤوس تحمل نقوشا على شكل دوامات.

قلت: «كلا ، أنا من هيسا ، في ثوفي».

خاطبتني عضوة المجلس هارث بقولها: «كيرسيث ، أين سمعتُ هذا الاسم من قبل ؟».

قلت: «أنا من عائلة ذات قدر ، وأمي هي الكاهنة الحالية لثوفي».

هدأ الجميع. حتى المرأة التي تحمل صينية الكؤوس — الفارغة الآن — توقفت لكي تنظر إليّ قبل أن تغادر الغرفة. أعلم أنّ الأوثيريين لا يُبجلون الكهنة ، لكني لم أعلم أنّ كوني قريبة لأحدهم كان يُشكّل فضيحة.

قالت هارث من بين شفتيها المزمومتين: «أوه ، لا بدّ وأنك حصلتِ على تربية مثيرة جدا... للاهتمام».

ابتسمت ، بالرغم من أن ضربات قلبي كانت متسارعة جدا ، ولكنني لم أكن خائفة فإن كان هناك أحد يستطيع جعل هؤلاء يحبون ابنة كاهنة فهو أنا.

قلت: «إنّ التحدّث عن والدتي يشبه قليلا الإمساك بسمكة ، فأنا أحبها كثيرا ، بالطبع ، لكني أشعر دائما بالارتياح عند التحدّث مع أناس ليس لديهم حساسية تجاهها».

ضحك تشيزيل ، وأنا أرسلت لهم إحساسا رقيقا بقدر نعومة انسياب أرق الأقمشة على بشرتهم. كان ليدهشني عدم نجاح ذلك. يستفزني الأوثيريون ، لكنهم ليسوا معقّدين ،

فهم لا يهتمون بتجنّب أناس مثلي، أناس بأصوات ناعمة وألقاب مثل مستشار.

قال تشيزيل: «حسنا، أنتِ لستِ أحد المتعصبين، وهذا مريح. لم أكن أتطلّع لسماع نقاش عن رفع مقام الكهنة بدل الإشراف عليهم».

أردت أن أطلب منه تناول الغائط، وأردت أن أخبره أن كشف قدري أمام الجميع كان كابوسا، وأن سياسة الشفافية التي ينتهجها المجلس تسببت بمقتل أبي واختطاف أخي. لكنّ هبتي التيارية لم تسمح لي بذلك، ولم أرغب بإرغامها. إنهم يريدونني أن أكون سلسة ولطيفة، حسنا هذا ما سأكون عليه. كان آست يحملق إليّ طوال الوقت، حسنا، هذا شيء آخر لكي أتجاهله وحسب.

سألت هارث إيساي: «يبدو الأمر وكأنك ظهرت من العدم، أين أخفتك عائلتك؟».

أجابتها إيساي: «على متن سفينة قراصنة». فصدحت هارث بضحكة رنانة.

تقدم تشيزيل نحوي، فبدت الاستراتيجية التي يتبعونها واضحة جلية أمامي. شارفا يواجه آست، وهارث تتصدى لإيساي، وتشيزيل من نصيبي؛ إنهم يفرقوننا لكي لا نستطيع مساعدة بعضنا. ولكنني لم أفقه الغاية من ذلك.

سألني تشيزيل: «ما رأيك بأوثير؟».

ارتشفت من كأسي وقلت: «إنه... مُشيّد بطريقة جميلة».

«ما الذي تعنينه؟».

قلت: «إنه مُصمّم ليُبهر، وهو كذلك. أنا آتية من مكان يندر فيه رؤية الجمال. عيناي مُدربتان على البحث عنه، لكنني لا أعتقد أنهما هنا بحاجة إلى البحث».

قال تشيزل: «بصراحة لم يسبق لي زيارة ثوفي، أهو شديد البرودة كما يقولون؟».

أجبته: «إنه أشد برودة مما يقال، وخاصة في هيسا، المكان الذي أتحدّر منه».

فقال: « هيسا. (قلب ثوفي). أليس هذا ما يسمونها ؟».

بالكاد استطاع قول عبارة —»قلب ثوفي» — ولكنه قالها بلغة ثوفية دقيقة.

ابتسمت وأجبته سائلة: «لكن ألا يجب عليك أن تعرف بقية العبارة التي اقتبست منها ؟». فهزّ رأسه نافيا.

فقلت: «(هيسا هي أرض الفظين غير الأنيقين، البؤساء عشاق القذارة الذين يبصقون على أيديهم لكي يغسلوها، ورغم كل ذلك، هي قلب ثوفي)».

للحظة صمت تشيزيل، ثم أطلق ضحكة مجلجلة. خلال الصمت، أملت رأسي نحو إيساي لكي أستمع إلى شيء من حديثها مع هارث. عزتها هارث بسبب الهجوم على هيسا. وسألت عن التفاصيل.

سألني تشيزيل: «وهل هذا صحيح ؟».

قلت باستخفاف: «لستُ أدري، إننا نستخدم الماء لغسل أيدينا في الأشهر الأكثر دفئا».

ضحك تشيزيل مجددا. وحاولت مجددا سماع ما تقوله هارث لإيساي. لكنّ صوتها كان منخفضا جدا، يكاد يكون همسا. عملت جاهدة لكي أنتبه إليها، وأتجاهل هبتي، فقد كنت أشعر بارتفاع منسوب التوتر في الغرفة كما ترتفع درجة الحرارة ولكن يبدو أنني أنا الوحيدة التي كنت أشعر بذلك.

قال تشيزيل، بصوت أعلى الآن: «قصدتُ، هل تجدين هيسا مكانا متخلفا ؟ فأنت ابنة كاهنة في نهاية المطاف».

بذلت جهدا لأرد قائلة: «لستُ متأكدة أنني أفهم الرابط بين الأمرين». في حال

أصبح أكثر عدائية فلن أستطيع التحدث على الإطلاق ، بل سأقف وافتح فمي وأغلقه مومئة من دون أن يصدر مني أي صوت.

فقال: «ما قصدت أن أقوله إن الكهنة هم بقايا الماضي ، وليسوا انعكاسا للحاضر. إننا هنا في أوثير نعمل من أجل صنع قدرنا ، فنشاطات الناس هي التي ترسم أقدارهم ، وليس العكس».

فسألت: «ألا يتحدر أحد زميليك من عائلة وقع عليها القدر؟». ارتعشت إحدى عينيه وأجابني: «على العكس ، فممثلنا المُنتخب هو من أقرباء عضوة المجلس هارث. ولم يكن شطرها من عائلة هارث (مُفضّل قدريا) كما يقولون ، فإنّ قدر الإنسان ليس ضمانا لقيمته ، أو لصحّته ، لكنّ التقاليد تأخذ بعض الوقت حتى تتلاشى». فأومأت برأسي. الآن فهمت. تريد عضوة المجلس هارث أن تتولى السلطة ، لكنّ السلطة مُنِحتْ لقريبها. وهي تُحمّل المسؤولية لقدره — وربما هي محقة ، أو ربما كان هو الشخص المناسب للمهمة حقا ، لن أعرف أبدا. لكن في كلتا الحالتين ، إنها غيورة ، ويبدو أنّ تشيزل مثلها.

قلت: «لا بدّ وأنّ الأمر صَعِب على عضوة المجلس هارث ، عندما آل المنصب إلى شخص آخر من عائلتها لا سيما وأنها شخص يسعى وراء السلطة».

قال تشيزيل: «لايزال هناك وقت للجميع لكي يحصلوا على ما يستحقونه».

قُرِع جرس في الجانب الآخر من الغرفة ، مُعلما إيانا بضرورة التوجه إلى الطاولة لتناول العشاء. وضعت بطاقات بأسماء المدعويين فوق الأطباق المُذهّبة. هارث بيني وبين إيساي ، لكنّ إيساي انتزعت بطاقة هارث من مكانها ، واستبدلتْها ببطاقتي ، مبتسمة. مدت يدها إلى يدي ، فتشابكت أصابعنا. إنها إشارة واضحة بأننا معا ، لكنها أيضا عذر لتغيير مكان الجلوس ، أنا متأكدة من ذلك. لقد سايرت الوضع ، فابتسمت بخجل ونظرت إلى الأسفل.

جلسنا وأوراق الأشجار تحف بأكتافنا والأضواء تتراقص فوق رؤوسنا. ظهر طابور

من الخدم من أحد الأبواب المخفية في الجانب الآخر من الغرفة، وهم مغطون بورق اللبلاب ويحملون الصحون. الوضع يشبه رقصة، فكل حركاتهم متزامنة. أتساءل إن كانوا متدربين على ذلك.

قالت هارث وكأني نافذة بينهما بدلا من جسد: «نسيتُ أن أسألك أيتها المستشارة، إن كنت أنتِ أو مستشاريك ترغبون بالخضوع لفحوصات ومعاينات طبية مجانية يقدمها أطباؤنا المميزون للضيوف».

قالت إيساي بصوت قوي: «شكرا لك».

بدأت لكنتُها تتأثر بصوتها الذي تدربتْ عليه وأعرف أنها تكرهه. قمت بتوزيع تركيزي، فأرسلت الماء نحوها، وأُغلّف الآخرين بالأبهة. يجب عليّ أن أضغط بشدة لكي أشعر بالتوتر داخل الغرفة. نظر آست إليّ.

قلت: «لا أعرف إن كانت إيساي — أوه، أقصد المستشارة بينيسيت —» صمتُ قليلا وتركت وجنتيّ تحمران، وهو استعراض جميل لأجل الأوثيريين. «لا أعرف إن أخبرتْكِ المستشارة بينيسيت، لكني كنتُ أدرس في المدرسة لكي أصبح مختصة بالكيمياء قبل أن أُصبح مستشارتها. وأنا بارعة جدا في تحضير الدواء من الأزهار الجليدية».

قالت هارث وقد بدت ضجرة: «حقا. كم هذا مُدهش».

أردفت قائلة: «كان بحثي في مجال تفكيك الأزهار الجليدية إلى مكوناتها الأساسية». يبدو أنها تحتاج إلى المزيد من هبتي التيارية. «وأنا متأكدة من أنه سيكون مفيدا لأوثير، بما أنكم تعتمدون على الأزهار الجليدية بسبب مكوناته الفعالة».

قالت إيساي: «نعم، أفترض أنكم لم تنجحوا بعد في زراعة الأزهار الجليدية هنا في أوثير؟».

أجابت هارث: «لقد حاولنا في الواقع، يبدو أنها لا تنمو إلا في كوكبكم فقط. وهذا

غريب جدا».

قلت: «حسنا، ثوفي مكان صغير وغريب، يتغيّر دائما. نحن نشعر بالإطراء لأنكم تهتمون بنا».

نظرت إيساي إلي شزرا، بدا أنها لا تعرف ما أرمي إليه. صمتت هارث تفكر بما تفوهت به.

قالت: «بالطبع، نحن نود أن نقدّم دعمنا وحسب».

سأل آست: «ما الذي تقصدينه بكلمة دعم؟». وللمرة الأولى منذ تعرفت إليه، سعدت لوجوده معنا، فهو يطرح الأسئلة التي لا تسمح لي هبتي التيارية بطرحها. وتابع حديثه مسندا مرفقيه إلى حافة الطاولة: «آسف، ليست الدبلوماسية والكلام المنمق من صفاتي، فأنا عندما أريد الاستفسار عن شيء أسأل عنه مباشرة من دون مقدمات أو تجميل للعبارات».

قالت هارث: «إنها صفة مثيرة للإعجاب يا آست، في الحقيقة، لقد قصدت مما قلته أن أستفسر من المستشارة عما تحتاجه ثوفي في هذا الصراع ضد شوتيت. فنحن مستعدون لوضع مواردنا تحت تصرفها».

نظر آست إلى إيساي ثم هزّ كتفيه وقال: «أسلحة».

«آست». تلفظت إيساي اسمه وكأنها تحذره: «لم نتفق بعد على ضرورة هذا».

قال: «أعني، امضِ قدُما ولا تترددي في طلب ما تريدين يا إيساي. لكن في نهاية المطاف سنحتاج للرد على الهجوم. لقد أعطانا كوكب بيثا آلة انفجار مضادة للتيار، وبإمكاننا استخدام واحدة أخرى لكي نبدأ. وربما سفن أفضل أيضا، بما أنّ سفن ثوفي متخلّفة وبطيئة... ولا تستطيع حمْل السلاح اللعين حتى».

ضحكت هارث، وشاركها الضحك تشيزيل وشارفا.

بدوره قال تشيزيل: «حسنا، لا تبدو هذه الطلبات صعبة التحقيق للغاية، أليس كذلك يا عضوة المجلس؟».

أجابته مبتسمة: «بالطبع ليست صعبة، سنكون سعداء إن أعطيناكم ما تريدون، بشرط موافقة المستشارة بينيسيت».

فقالت إيساي بشكل حاسم: «بالرغم من أنني أفضّل أن يعالج مستشاري الأمر بمزيد من الدقة. فثوفي تحتاج إلى حماية نفسها. سيكون من المفيد امتلاك سلاح آخر بعيد المدى للاستخدام ضد شوتيت، فامتلاك مثل هذا السلاح ربما يجعلهم يرتدعون عن الهجوم، فمهاراتهم القتالية متطورة جدا، كما نعرف جميعا. وليس لدينا أي سفينة مُجهّزة للاستفادة من مثل هكذا سلاح».

قال تشيزيل وهو يرفع كأسه: «حسنا، لك ما أردت».

شعرت بضيق في حنجرتي. فبذلت قصارى جهدي كي أكتم أي صوت قد ينبعث مني. أخيرا، لم أستطع القيام بأي شيء سوى الضرب على الطاولة بقبضتي، بينما شددت بيدي الأخرى على يد إيساي حتى شعرت ببراجمها تطقطق.

قالت إيساي: «لحظة. لسوء الحظ، هبة سيسي التيارية تمنعها من التكلّم بحرية في بعض المواقف، ومن الواضح أنّ لديها شيئًا تقوله».

أخيرا تمكنت من التكلم: «شكرا لكِ. أنا — أتساءل عن شيء ما».

سألت هارث: «وما هو يا عزيزتي؟». كانت نبرة صوتها تزعجني.

أجبت: «لطالما علمني أبي أن لا أعقد صفقة تكون الكفة فيها مائلة لجهة أحد الطرفين دون الآخر». رفعت حاجبي. فليس بإمكاني طرح السؤال مباشرة، لكني أشعر أني

اقتربتُ بما فيه الكفاية.

فقالت إيساي بهدوء: «تلك وجهة نظر سديدة. ماذا سيتوقع كوكب أوثير مقابل كرَمِه؟».

أجابت هارث: «ألا تعتقدين أن هزيمة الآفة المُنتشرة في أرجاء المجرة كافيا؟». فهززت رأسي.

قالت إيساي: «لم يسبق لنا أن تعاوننا على هذا المستوى. نحن نريد أن تكون علاقتنا متوازنة فنحن نعتمد على بعضنا لما في مصلحة أوثير وثوفي، لكن —».

فقالت هارث: «لكننا في غالب الأوقات نجد أنفسنا على طرفي نقيض من قضايا معيّنة، أليس كذلك».

قال شارفا، وقد تحدث للمرة الأولى: «ولا سيّما». صوتُه جهوري لكنه رفيع، لا رخامة فيه. «ولا سيّما، في القرار الخاص بنشر أقدار السلالات المُفضّلة على الملأ».

فقالت إيساي باقتضاب: «نعم. قرار أثّر على كوكبي بصورة مجحفة، بما أنه ليس لدينا عائلة مُفضّلة واحدة، بل ثلاث».

قال شارفا: «لهذا، يتمسك كوكب أوثير بضرورة الضغط من أجل فرض رقابة أكبر على الكهنة».

أرجع آست ظهره وأسنده على المقعد، لم يكن من السهل قراءة تعابير وجهه، ولكنني أستطع الجزم أنه لا يبدو منزعجا. لطالما ظننت أنه لا يحبني لسببين أولهما هبتي التيارية وثانيهما أنني ابنة كاهنة. لذا، لا عجب أنه يؤيد مطالب أوثير.

.

قلت: «وأنت تريد مقايضة الأسلحة بدعم ثوفي لمسعى أوثير».

الآن بدأت أفهم ما رمت إليه فارا عندما قالت. لا تثقي بالأوثيريين. ولا تدعيها توافق على الأمر ، أيا يكن ما تفعلينه. لا بد أن ما كانت تتحدث عنه فارا هو وعد الدعم هذا.

قال شارفا موضحا: «نأمل أن دعمنا لثوفي الآن سيُشجّعكم على إعادة التفكير بموقفكم من الكهنة. نعلم أنّ ثوفي ليستْ أمة كوكبية مخلصة للقدر أكثر من اللازم ، وأنها أيضا ، ترغب بتبنّي مستقبل هذه المجرة ، وتُعدّه للنجاح بدلا من الفشل».

قالت إيساي: «ما طبيعة الإشراف على الكهنة التي تسعون وراءها ؟».

أجابت هارث: «إننا لا نسعى للإشراف بل ببساطة نسعى لنكون على علم بما يناقشونه ، وما هي الخطط التي يُعدّونها بحسب المستقبل الذي يتكشّف أمامهم. فالقرارات التي يتخذونها تؤثر علينا جميعا. إن جل ما نسعى إليه هو معرفة ماهية تلك القرارات. والإطلاع على المعلومات التي يمتلكونها».

شعرت... بالهدوء. إنه الهدوء عينه الذي أشعر به عندما يُمسكُ أكوس بيدي ، وكأنّ التيار الذي ذهب لايزال حولي. طيلة الأسابيع الماضية ، رأيتُ أمي تستغل أكوس لقتل أحد الأشخاص ، فقط لأنها أرادت رحيل الرجل ، ورأيتُها تتركُ أعز صديقاتي تموت بينما كان بإمكانها الحيلولة دون ذلك ، لقد بررت كل ما قامت به بأنه من أجل المصلحة العليا. ولكن السؤال إن كانت هذه المصلحة العليا تلحق بنا الضرر ؟ أيظل من حقها اتخاذها من دون حسيب أو رقيب ؟

في الواقع ، إنني أرى أن التحذير الذي وجّهتْه لي الكاهنة فارا هو مناورة. فما هو المستقبل الذي تحاول فارا تحقيقه ؟ أهي تسعى وراء مصلحتي ، أو مصلحة ثوفي ، أو مصلحة أوغرا ، أو مصلحة الكهنة ؟ لا تدعيها توافق على الأمر. لقد أسقط بيدي هل أُصغي إليها أم لا ؟

عضضت بطانة خدّي.

سألت إيساي: «من سيحق له الوصول إلى تلك المعلومات ؟ هل سيكون ذلك

متاحا للجميع؟ إن نشر الأقدار كانت نتائجه وخيمة بالنسبة للعديد من الناس على كوكبي».

قالت هارث: «سيكون الوصول إلى المعلومات متاحا للمجلس فقط. فنحن لا نريد تعريض حياة الناس للخطر».

هزت إيساي رأسها ببطء وقالت: «أريد وقتا لمناقشة الموضوع مع مستشاري، ما لم يكن لديك مانع».

قالت هارث: «بالطبع لا أمانع. دعونا نأكل، وننتقل للتحدث بمواضيع أقل أهمية. بإمكاننا انتظار ردك في الصباح، أظن أنه وقت كافٍ».

أومأت إيساي برأسها موافقة.

الفصل الأربعون

سيسي

قال آست بصوت خشن: «لستُ متأكدا حتى من أننا نحتاج للنقاش بشأن هذا».

كنا في مقر إيساي المؤقت في أوثير. يقف أمام جدار الضوء – نافذة عريضة ونظيفة جدا بحيث لا يبدو أنها موجودة هناك على الإطلاق. الشمس تغربُ خلف أبنية أوثير الزجاجية ، والضوء ينكسر عشرات المرات فوقها بحيث تتلألأ المدينة بأسرها بلون برتقالي. ما إن وصلنا إلى هنا حتى فكّ آست أزرار كُميّ قميصه ، إن كميه يهتزان حول معصميه كلما هزّ ساعديه.

تنهدت ومسّدت صدغيّ بكلتا يدي. إن آست الذي قيل لي إنه ميكانيكي بسيط قادم من حافة المجرة وينحدر من طبقة دنيا ليس أحمق ؛ إنه يعلمُ أنّ هذه ليست مقايضة بسيطة – مساعدة الأوثيريين مقابل وعد – فأي قرار سنتخذه سيحدد مصير أمتنا ، فإما نعادي الكهنة ، وإما نعادي أوثير ، ومعاداة أوثير ستنعكس مباشر على موضوع الأسلحة.

قالت إيساي: «للتو وعدتُ سايرا نوفاك بمنحها بعض الوقت قبل أن ندفع أوغرا لترحيل الشوتيت ، وهارث تعرض عليّ المساعدة للقيام برد عسكري بدل الطرق الدبلوماسية ، أعتقد أنه يجب علينا التداول بالأمر وتقليبه من مختلف جوانبه».

زفر آست الهواء عبر منخاريه: «الديبلوماسية. هل لجأ الشوتيت إلى الدبلوماسية في شيسا ؟».

كان التوتر يخيم على أجواء الغرفة ، فلم أستطع التكلم ، إنني أشعر بالتوتر كما لو

أنه هواء رطب يملأ فمي، كما لو أنني في بيت دفيئة. حاولت مواجهة الأمر بضغطة خرقاء على هبتي التيارية، فأرسلت شعورا بالماء في كل الاتجاهات كما لو أن دلوا من الماء انقلب وانسكب ماؤه في كل الاتجاهات، ما إن ثنى آست فمه انزعاجا، حتى تراجعت عما عزمت عليه.

قلت بلطف: «لنضع جانبا موضوع السلاح لبعض الوقت. فهناك أيضا موضوع الإشراف على الكهنة».

قال آست: «أنا لا يهمني إن أشرف أوثير على الكهنة، لماذا تعيرين الأمر أي أهمية».

قالت إيساي: «هنا لب المشكلة، فأعضاء المجلس هم من سيراقبون الكهنة، وليس أحد سواهم، أنا أدرى الناس بهم فأوثير لديه تأثير كبير على المجلس، وإن تسربت المعلومات من المجلس إلى أوثير، فسيكون لأوثير سيطرة على الأقدار بدلا من الكهنة، وهذا إن عنى شيئًا فهو يعني مقايضة مشكلة بأخرى.

قال آست: «لم تتغير حالك منذ كنت صغيرة، فأنت لا تريدين الإقدام على شيء لا تكون نتيجته مضمونة».

فتحت فمي، لكن لم يخرج شيء. ولا كلمة واحدة، ولا صوت، وبسبب تركيز إيساي على آست لم تنتبه لمعاناتي. لقد كان صدى كلمات فارا يتردد في جنبات رأسي، لا تدَعيها، فأسألها داخل رأسي، ماذا يُفترض أن أفعل لكي أكبحها؟ فحتى الكلمات تأبى أن تغادر فمي الآن!.

قالت إيساي مخاطبة آست: «طلبتُ منك المجيء إلى هنا لأني اعتقدتُ أنك ستُبقيني صادقة. لكن عليك أن تعترف بأن لا خبرة لديك بكل هذا».

قال وهو يقترب أكثر: «ولأني أفتقد للخبرة فبإمكاني جعل الأمر واضحا بالنسبة

إليك».

أفكّر في نفسي، ماء، ماء. أتذكّر الغرق أسفل البركة الدافئة في المعبد عندما علّمتْني أمي السباحة، كم كان ممتعا ذلك الضغط الخفيف للماء حول رأسي؛ ضغط لطيف.

قال بهدوء أكثر الآن: «أنا لا أفهم في السياسة، هذا صحيح، لكني أعرف الشوتيت يا إيساي. كلانا نعرفهم».

لمس أطراف أصابعه بمفكّ البراغي الذي يحتفظ به على خاصرته بدلا من سكين. قال: «لقد سلبوني عائلتي، وسلبوك عائلتك. لقد وعدوا ببحث سلمي عن الأشياء المفيدة، ومن ثم لجأوا إلى القتل والسرقة. هذه حقيقتهم».

مدّ يديه إلى الأمام وراحتاه إلى الأعلى، فوضعت راحتيها فوقهما، وتركته يضغط على أصابعها بلطف.

فقال: «لقد وعدتِ سايرا نوفاك بمنحها أسبوعا واحدا قبل أن تتخذي أي إجراء. وأنتِ لم تعدي بنوعِ الإجراء الذي قد تتخذينه». لقد كوّن نوعا من الفقاعة حولهما، وأنا لستُ داخلها. «في حال لم تستطع قتل لازمت نوفاك، سيتوجب عليك التصرّف، ولن يكون ترحيل المنفيين الشوتيت كافيا. هل تذكرين الأسماء؟ الأسماء التي كنتِ تقرئينها؟».

انهمرت الدموع من عينيها وهي تقول: «الكثير من الناس».

قال: «نعم، الكثير الكثير من الناس. ولا يمكن لهذا أن يحدث مجددا يا إيساي. لا يمكنك السماح بذلك».

وجهي ساخن من الغضب. إنه يستغل حزنها، وألمها بسبب الخسارة التي عانتْها ثوفي بالإضافة إلى ما عانتْه هي شخصيا. لم تكن بحالة جيدة منذ موت أوري. إنها غارقة في الألم، وهو يستغل ذلك.

قال: «نحتاج إلى أسلحة أكثر قوة. فليس بإمكاننا الانخراط في حرب برية مع الشوتيت ، لأنهم سيسحقوننا ، أعلم أنّ دعم أوثير ربما يؤدي إلى شيء لا تحبينه. ولكن ما لم تحصلي على دعمهم ، لن يتاح لك الفرصة لدخول الحرب وأنا هنا لا أتحدث عن الفوز بها».

في الوقت الذي تسللت فيه من الغرفة ، كانت تومئ برأسها ، لا بد من أن أقوم بشيء فإن منعتني هبتي التيارية من الكلام فلا بد من التصرف عمليا.

ليس من الصعب إجراء اتصال مع أوغرا. فكل ما أنا بحاجة إليه هو إيجاد كاردينزيا. انتظرت المساء قبل البدء بالبحث عنها ، لمست ذراعها ، وشرحت لها أن أمي في زيارة لكاهنة أوغرا ، وإنني أرغب بالإطمئنان عليها.

لا بدّ وأني هبتي تزداد قوة كلما طبقتها ، فقد استجابت بسرعة لتصرفاتي الدمثة ، وقادتني إلى برجِ الاتصالات ، واتاحت لي من خلال رمزها الأمني الخاص الاتصال بالقمر الصناعي.

جلست على كرسي البث المعدنية ذات المسند الصلب ، والذي صمم لمنع الناس من التحرك أثناء إرسالهم لرسائلهم. الغرفة مليئة بالفنيين ، لكن هذا لا يهم. فهم لا يتحدثون الثوفية. يتعلم الأوثيريون لغات أكثر شيوعا ، مثل لغة بيثار وتريللا ، وليس لغتنا الناعمة.

قلت وأنا أخاطب الكاميرا التي تلتقط صورتي وصوتي: «هذه الرسالة موجهة إلى سايرا نوفاك. إيساي بينيسيت تُفكّر بإجراء عدائي ، أوثير يحيكون مكيدة تجاه الكهنة ، وهم تعهدوا بتقديم الأسلحة لثوفي إن دعمتهم في مسعاهم. إننا نشعر بالحزن واليأس بما في ذلك إيساي ، ولا أعتقد أنها ستصدق أي كلمة تصدر عن شوتيتي». أنظرُ للأسفل.

تابعت: «ممنوع عليك الفشل. اقتلي لازمت نوفاك. انتهى الإرسال».

نقرت على الشاشة التي أمامي لكي أضغط التسجيل إلى أصغر ملف معلومات

ممكن. ترسل محطة القمر الصناعي الأوغرانية المعلومات إلى سطح أوغرا مرة في اليوم، وهذا يعني أنّ سايرا ستستقبلها غدا، هذا إذا تسنى لها رؤية البث أصلا.

«ما كان هذا؟». إنه آست.

أستخدم مسند الكرسي الصلب لكي أُثبّت يديّ عندما أنهض على قدميّ. لا أعلم مقدار ما سمعه من الرسالة.

أُمسّدُ تنورتي بيديّ وألتفتُ إليه. إنه أشعث الشعر، وكأنه ركض كي يصل إلى هنا، والخنفساء تطن بدوائر سريعة حول رأسه قبل أن تتجول في محيط الغرفة، ثم تطير بدائرة ضيقة حول جسدي.

عيناه زائغتان كالعادة لكنّ حاجبه مرفوع. قال: «لا أظنك كنتِ تعطين أعداءنا معلومات سرية عن مفاوضات ثوفي مع أوثير». بدا صوته مرتجفا من شدة الغضب. يجب أن أكون حذرة.

قلت: «أنتَ...»، لكني لا أستطيع الاستمرار أكثر. إنه غاضب جدا. هبتي التيارية قوية جدا. وأنا أتصارع معها، وأشدّ على عضلات عنقي وفمي. يوجد في رأسي سلسلة من الشتائم الصامتة. لماذا هذه الهبة، لماذا الآن، لماذا —

صرخ على أحد الفنيين قائلا: «ألغِ هذه الرسالة! إنها تحتوي على معلومات سرية لا ينبغي لأحد معرفتها».

نظر أحد الفنيين إليّ من خلف آست وقال: «أنا آسف، لا أريد أن أتورط».

وبنقرة على إحدى الشاشات وضغطة على أحد الأزرار، ضاعت رسالتي، واتصالي الأخير اليائس إلى سايرا.

حاولت التفكير بملمس لهبة تيارية لم أستخدمْه عليه من قبل. تمنيت لو أني

أعرف أكثر عن حافة المجرة ، أو السفينة التي عاش وكبُر فيها ، لكي أتمكن من فهم كل ما من شأنه تهدئته.

قال: «أنتِ تحاولين السيطرة عليها عبر تلك القوة الشريرة التي تسمينها هبة. والآن تخونينها مع ذات الناس الذين تحاربهم ؟».

أردت أن أقول ، وأنت تحاول السيطرة عليها أيضا.

أردت أن أقول ، بإمكانها محاربتهم دون تفجير مدينتهم. أصدر أمرا إلى الخنفساء بلغة لا أعرفها ، فحطت على كتفي ، وأطلقت صفيرها عاليا. تبع صوت الصفير ، وأمسك بأعلى ذراعي. فتراجعت إلى الخلف مرتجفة ، إنه قوي جدا.

قال أحد الفنيين: «مهلا ، دعها وإلا سأستدعي رجال الأمن».

تركني آست ، فتعثرت خطواتي وأنا أمشي عبر الغرفة متجهة إلى الممر ، كنت أناوب بين المشي والركض وأنا أتوجه مرتجفة إلى غرفة إيساي التي تقع بجانب غرفتي ، وكنت على وشك الطرق على بابها عندما لاحظت أن الغرفة مظلمة ؛ إنها نائمة.

أردت التحدث إليها وتوضيح الأمر قبل أن يحدثها آست ، ربما استطعت أن أقوض حججه ، ولكن لا بد من التفكير قبل ذلك ، فقصدت غرفتي ونثرت الماء على وجهي ، وحرصت على إحكام إغلاق الباب خلفي.

ذهبت إلى الحمام الصغير المجاور لغرفتي ، ووضعت رأسي داخل المغسلة. أشربُ من الصنبور مباشرة ، فانساب الماء إلى أذني. عندما خف الألم في حنجرتي ، مددت يدي مغمضة العينين إلى المنشفة وضغطتها على وجهي. ظننت أني سمعت شيئًا يطقطق.

عندما سحبت المنشفة إلى الأسفل ، وجدت آسكت يقف خلفي. قال بصوت منخفض: «هل تعلمين ماذا يتعلم أبناء الميكانيكيين أن يفعلوا ؟ يفتحون الأقفال».

إنّ هبتي التيارية تعيقني ، فهي لا تهتم بأني في حالة خطر ، ولا تهتم لأمر بقائي على قيد الحياة. إنها تخنقني وحسب ، وتمنعني من الصراخ. حاولت التمسّك بالكأس الذي قرب المغسلة لكي أتمكن من كسره ، وإحداث صوت. في الوقت نفسه اندفعنا باتجاه بعضنا. لمع شيء فضي اللون في قبضته.

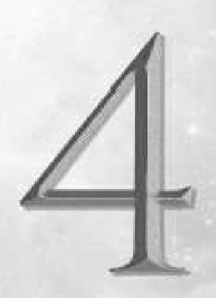
إنه قوي. ويده كبيرة بما يكفي ليمسك بمعصمي معا. تحسست يداه أطرافي وعثرتا على كتفيّ. أُسقطت الكأس على الأرض لكنها لم تنكسر. رفعني على أطراف أصابع قدمي ، فعضضت ذراعه ، عضضت بكل ما أوتيت من قوة ، فتمزق جلده ، وصرخ متألما.

انتشر ألم حار عبر خاصرتي ، والتصق قميصي الرطب بقفصي الصدري. ورأيت على المرآة احمرار رهيبا ينتشر فوق جسدي بالطريقة نفسها التي انتشر فيها حول رأس أبي. إنه لون أزهار هشفلور ، ولون القبّة الزجاجية لمعبد هيسا. أحمر ، إنه لون ثوفي.

لقد طعنني. إنها النهاية. الطفلة الأولى لعائلة كيرسيث سوف تموت بحدّ السكين. أخيرا ، هذا هو قدري.

سقطت متأوهة فوق ذراعه النازفة في المكان الذي عضضته فيه ، وما لبثت أن سقطت أرضا ، لم أصدر أي صوت ، ولم يهرع أحد لنجدتي ، مددت يدي إلى الكأس ، في الوقت الذي انهمك آست بإيقاف نزيفه.

قبل أن يغمى عليّ ، رفعت الكأس واستجمعت ما بقي لي من قوة ، وضربته بالأرض فتهشمت.



أوغرا اسم. تعني في الأوغرانية الظلام الحي

4

أوغرا اسم. تعني في الأوغرانية الظلام الحي

الفصل الحادي والأربعون

أكوس

لم يُجلب له طعام.

كانت الزنزانة فخمة مقارنة بحالة الزنازين عموما. ثمة فراش وثير مع بطانية سميكة. ومغطس في الحمام بالإضافة إلى دُش. وهناك بساط سميك على الأرض الخشبية الصلبة. كانت الزنزانة في الأساس مجرد غرفة نوم ذات قفل مميز ، قفل كان أكوس واثقا من قدرته على تفكيكه إذا توفّر له ما يكفي من الوقت ، لكن عندها سيكون أمامه منزل مليء بالجنود ليتصدى له.

كان يشرب الماء من الصنبور عندما يُضطر إلى ذلك ، لكن لم يأته أي طعام ، ولم يكن غبيا بما يكفي ليعتقد بأنّ ذلك لم يكن مقصودا. لو كان لازمت يريد إطعامه لأُطعم. كانوا يجوّعون هبته التيارية.

أخيرا ، فتح الباب في الصباح ما إن استيقظ. كان أكوس يقف إلى جانب النافذة ، مفكرا بمقدار الأذى الذي سيلحق به إن قفر منها ليهرب ، ولم يكن غبيا حتى يعرف أن قفزه سيحطم ساقيه ، وكان يعرف أن عشرات الجنود سيتعقبونه ويقبضون عليه إن لم يتأذَّ.

دخل الغرفة رجل طويل وجهه مشوه بالندوب ، برفقة امرأة قصيرة ذات شعر أبيض. كان الرجل فاكريز نوفاك ، قائد جيش الشوتيت ، الذي أشرف على تدريب أكوس. بدت المرأة مألوفة بالنسبة إلى أكوس ، لكنه لم يتذكر اسمها.

قال فاكريز وهو يحدّق إلى أكوس: «لقد أشكل الأمر عليّ».

فخاطبته المرأة وبدا صوتها مرحا: «لماذا أُشكل عليه يا فاكريز، وحدهم عائلة نوفاك نحفاء وفارعو الطول، ما من شك أنه ابن لازمت».

قال أكوس لفاكريز: «مرحبا أيها القائد».

قال له فاكريز: «سأخبره باسمك ومن أين أتيت، أنت تعلم. إذا ما كان الهدف من المراوغة في المقام الأول؟».

أجاب أكوس: «لقد وفّرتْ لي بعض الوقت».

قالت المرأة وهي تجلس على أحد الكراسي قرب المدفأة: «حسنا، أنتما تعرفان بعضكما». فكّر أكوس بالتسلق للخروج عبر المدخنة، لكن بعد التحرّي وجد أنها ضيقة جدا.

قال فاكريز وهو ينفث الهواء من أنفه: «كان جنديا. وليس جنديا جيدا جدا».

رفعت المرأة أحد حاجبيها وقالت: «اسمي إيما زيتسيفيس أيها الفتى. لا أظنّ أننا تعارفنا بشكل رسمي من قبل».

حدّق أكوس إليها؛ كان يعرفها. فزوجها وابنتها، كلاهما تعرّض لهبة سايرا التيارية قبل أن يموتا، وهي التصقتْ برايزك بعد ذلك.

سألهما: «ما الذي تفعلانه هنا؟ كنتُ أعتقد أنكما من أخلص المخلصين لرايزك. إنني أرى أنكما نقلتما البندقية إلى الكتف الأخرى قبل أن تبرد جثته؟».

أجابه فاكريز: «أنا مخلص لعائلتي».

سأله أكوس: «لماذا؟ ألم تقتل أمّ لازمت والدتك؟». صمتَ قليلا ثم أضاف: «لماذا لا تزال أنت على قيد الحياة؟ كنتُ أظن أنها قتلتْ الجميع، بمن فيهم أقرباؤه».

قالت إيما وهي تدفع بخصلات شعرها الأبيض فوق إحدى كتفيها: «إنه مفيد،

ولذلك هو حي. تلك هي طريقة آل نوفاك. ولهذا السبب أنا حيّة ، مثلما أنا واثقة بأنّ ذلك هو السبب لبقائك حيا أيها الفتى».

عبس فاكريز في وجهها.

قال أكوس: «ما الذي قد تفيد به لازمت نوفاك ، يا سيدي ؟». لم يستطع أكوس سوى أن يضيف لقب التعظيم. فقد كان معتادا النظر إلى فاكريز نوفاك كشخص مرموق ، كشخص مُهاب الجانب.

قال فاكريز ممتعظا: «أنا أقرأ ما في القلوب ، والولاءات. وأشياء أخرى. من الصعب شرح ذلك».

عندها سأل أكوس إيما: «وأنتِ ؟».

أجابت إيما وهي تتفحص أظافر يديها: «هو يقرأ ما في القلوب وأنا أمزّقها. لقد أتينا لتقييمك ، في حال استطعنا ذلك».

قال فاكريز: «مدّ يدك أيها الفتى ، فلديّ عمل آخر أقوم به اليوم».

كان يشعر بالجوع ، لكنه لم يستطع الإحساس بطنين التيار ، ولذا عرف أنّ هبته لم تُصب بالعجز بعد. مدّ إحدى يديه ، فقبض فاكريز على معصمه ، وشدّه نحوه. حدّق إلى عيني أكوس ، وهو يشدّ بوجه عابس. كان جلده دافئا وقاسيا.

قال فاكريز: «لا شيء. لا بد من تجويعه لفترة أطول. وربما للضرب مرة أو مرتين ، في حال لم يطق لازمت صبرا».

قالت إيما: «لقد أخبرتُه أنّ الوقت لا يزال مبكرا. لكنه لم يُصغ لي ، بالطبع».

قال فاكريز: «إنه يصغي فقط للناس الذين يحترمهم ، وهو لا يحترم إلا نفسه».

وقفتْ إيما وسوّت تنورتها. كانت بلون رمادي فاتح ، بدت مثل عمود باهت فوق

الخشب الداكن لقصر نوفاك. لم يكن واثقا مما يجب عليه أن يفعله معها ، لقد بدا من نظرات عينيها اللامعتين ، والطريقة التي تزم فيها شفتيها وهي تتأمله إنها تريد قول شيء له.

قالت: «خذ قسطا من الراحة أيها الفتى. فربما تحتاج إليها».

لم يكن قد تناول شيئا من الطعام منذ أيام.

بين الحين والآخر زار فاكريز الغرفة ليرى إن كان أكوس لايزال يحتفظ بهبته. وفي كل مرة ، وجد أنها لم تبارحه ، ولشدة ضعف أكوس لم يعد قادرا على الاتيان بأي حركة سوى الجلوس إلى جانب المدفأة..

زارته إيما مرتدية رداء أزرق شاحب اللون مثل عينيها. لقد غطى ذلك الرداء الأنيق كامل قدها الرشيق ، لقد جعلها التأثير المشترك للرداء والشعر والعينين تبدو متألقة في الظلام. لم يقوَ أكوس على إنارة المصابيح ، فكان وهج النار هو مصدر الإنارة الوحيد في الغرفة.

جلست على الكرسي بجانبه ، طاوية يديها في حضنها. لقد غابت تلك الثقة بالنفس التي أظهرتها عندما أتت مع فاركيز ، فقد بدت متوترة وتؤرجح جسدها إلى الأمام والخلف وعندما تكلمت لم تنظر إليه.

قالت: «لقد أخذني من منزلي عندما طوّرتُ هبتي التيارية». لم يكن هناك شك بأنّ الشخص الذي تتحدث عنه هو لازمت.

تابعت: «كان لديّ أخت ، وكانت والدتي حية بينما والدي متوفٍ ، كنتُ أنتمي للطبقة الدنيا ، كنت مجرد نكرة. فأعطاني الغذاء واللباس واللقاحات — من أجل هذه الأشياء فقط ما كنتُ لأرفضه ، لأن من يرفض لازمت سينتهي به الأمر...». كانت ترتجف بشكل خفيف. «ولأنه أجبرني على الابتعاد عن عائلتي ، كنتُ مشمولة بالحماية عندما انقلبوا عليه ، إذا جاز التعبير. كانت أختي زوسيتا تعلّم اللغات سرا ، كما تعلم». ضحكتْ إيما

بنعومة ثم تابعت: «تخيّل ذلك. أن تُصبح عدوا للدولة فقط لأنك تُعلّم شيئا ما».

عبس أكوس في وجهها وقال: «لستُ بارعا في تذكّر الوجوه، لكن هل سبق لي أن رأيتك؟ أقصدُ هل سبق لي أن رأيتك عدا تلك المرة عندما كنت برفقة رايزك».

قالت إيما وهي لاتزال تشيح بنظرها عنه: «أنت تعرف ابنة أختي تيكا».

قال: «أه».

«بصراحة، أنا متفاجئة لأنّ الآنسة نوفاك لم تخبرك عني. أفترض أنها جديرة بالثقة أكثر مما كنتُ أظن. فقد اكتشفتْ أمري في الليلة التي سبقتْ قتْلها لأخيها. أنا التي سمّمتْ رايزك قبل مواجهتهما في المُدرّج».

قال أكوس: «سايرا (اكتشفتْ أمركِ)؟ تقصدين كجاسوسة».

أجابت إيما: «نوعا ما، فأنا في موقع فريد يمكنني من استمالة قلب أي شخص إليّ، إذا بقيتُ قريبة منه، وأنا أقوم بعملي بهدوء ومهارة. ولهذا أبقاني رايزك إلى جانبه حتى عندما كانت كل عائلتي ضده. لكنّ الأمر أكثر صعوبة بكثير مع لازمت. فهو يمتلك قلبا فريدا من نوعه... فهو لا يتعلق بأي شخص أو أي شيء، ومهما حاولت لم أستطع جعله يتحرك قيد أنملة (إيزيت) في أي اتجاه».

أخيرا، التفتتْ نحوه. فانتبه إلى أنّ شفتيها متقشرتان، وكأنها كانت تقضمهما مرات كثيرة جدا. وكان الجلد حول أظافرها قاسيا. كانت ترتدي لباسا ضيقا، في محاولة منها لإبقاء لازمت تحت قبضتها، وهذا واضح تماما.

قالت: «تبدو صادقا، بصرف النظر عن عاطفتك تجاه الآنسة نوفاك. لكني لا أضع ثقتي بين يدي أناس آخرين. وما كنتُ لأضعها بين يديك لو لم أكن يائسة».

مدّت يدها إلى مكان ما داخل كومة القماش الملفوفة وأخرجتْ حقيبة صغيرة

بحبل، تلك التي اعتاد الناس الأغنياء أن يحملوا فيها فيش المجلس – عملة النظام العام التي من النادر أن يستعملها الشوتيت. سلّمتْها له، وعندما فتحها، امتلأ فمه باللعاب.

لقد جلبتْ له بعض اللحم الجاف مع الخبز.

قالتْ: «يجب علينا تحقيق التوازن السليم. فلا يمكنك أن تظهر سليما معافى، وإلا سيشك بالأمر. لكنك بحاجة لأن تديم هبتك التيارية. وهي الآن في حالة يُرثى لها».

لقد تطلّب الأمر كل قوة إرادة أكوس لكي لا يُدخل كامل قطعة اللحم في فمه دفعة واحدة.

قالت: «سأُعلّمكَ كل شيء عنه عندما آتي إلى هنا. وسأعلّمكَ كيف تتظاهر معه بأنّ ما أفعله تجاه قلبك ينجح. أنا بارعة بالتظاهر هذه الأيام».

قال: «لماذا تفعلين ذلك؟».

أجابت: «أنت الشخص الوحيد الذي قابلتُه في حياتي ولا أستطيع التحكم بهبته التيارية وهذا يعني أنك الشخص الوحيد الذي بإمكانه قتلي».

كانت عيناه واسعتين. فأمسكت بيده قبل أن يتمكن من تناول أول قضمة بين شفتيه. قالت: «أريد وعدا منك بأنك ستلتزم بهذا. لا يوجد أنصاف حلول هنا. سوف تفعل ما أقوله لك بالضبط، حتى لو أنّ ما أطلبهُ منك فعله سيرعبك».

كان أكوس في واقع الأمر شديد التلهف لتناول الطعام لكي يفكر بالأمر مليا، وإضافة إلى ذلك، لم يكن لديه الكثير من الخيارات.

قال: «نعم».

قالت وهي لاتزال تُمسك بيده: «عدني».

قال: «أعدكِ. سأفعل كل ما يجب عليّ فعله من أجل أن أقتله».

أبعدتْ يدها عنه وقالت: «جيد»، ثم عادت لتحدّق إلى النار بينما كان يلطخ وجهه بالطعام.

الفصل الثاني والأربعون

سايرا

كان باعة العربات في الشارع الرئيسي لغالوا يحزمون أمتعتهم بعد أن أزف النهار على الأفول. توقفتُ لأراقب المرأة التي باعت تماثيل من زجاج منفوخ – صغيرة بما يكفي لكي توضع في راحة اليد – وهي تلفها بالقماش، وتضعها داخل صندوق بكل حب، ستأتي العواصف قريبا، لكني لن أرى عاصفة أخرى في أوغرا.

تقدمت نحو مرآب السفن، حيث تركتْ تيكا سفينة النقل من أجل إصلاحها والحفاظ عليها، تجاوزتُ أحد الرجال هو يلوّح بلحم مُدخّن أمام وجهي، وأحد السيما يبيع شتلات تنتفض وتعضّ أي شيء يقترب منها. سأفتقد صخب هذا المكان، المشابه جدا لشوارع فوا، ولكنني لم أشعر بالخوف الذي شعرت به هناك.

كنتُ قد تجاوزتُ آخر العربات – المكوّمة بسلال من المُكسّرات المُحمّصة من كل الأنواع، وبينها بعض المكسرات من كواكب أخرى – عندما رأيتُ أحد الرجال جاثما وسط الشارع ممسكا برأسه. قميصه مشدود فوق كتفيه ويكشف عظام ظهره. في البدء، لم أعرف أنه إيجية إلى أن اقتربتُ منه أكثر. نفرت منه، فأرجعتُ يدي المُمتدة إلى كتفه قبل أن ألمسه. قلتُ بدلا من ذلك: «مرحبا يا كيرسيث. ماذا يجري؟».

ارتعش لدى سماع اسمه، لكنه لم يرد، لذا أمسكتُ بكتفه وهززته قليلا ثم قلت: «إيجية».

لايزال من الصعب عليّ التلفّظ بالاسم، فهو الوحيد الذي يجمع بين الأحرف الساكنة والمتحركة في اللغة الثوفية والذي لا أزال أعاني منه. ورغم أنّ جزءا مني كان يعرف

بأن إيجية كيرسيث هو أخي في الحقيقة ، إلا أني متأكدة أنه لا يمكننا أن نكون شقيقين ، لأني لم أكن أستطيع لفظ اسمه حتى.

رفع رأسه وعيناه تسبحان بالدموع. كان ذلك على الأقل مشهدا مألوفا. لطالما كان إيجية ميالا لذرف الدموع ، بعكس أخيه.

سألته: «ما الأمر ؟ هل أنت مريض ؟».

أجاب على مضض: «كلا ، كلا ، لقد ضعنا في المستقبل. كنتُ أعرف أني سأضيع — كنتُ أعرف أنّ تلك هي النتيجة الأسوأ ، لكن كان يجب عليّ أن أفهم ، وأن أعرف —».

قلتُ: «تعال ، سآخذك إلى أمك. وأنا متأكدة من أنها تستطيع تقديم المساعدة».

لم يكن بإمكاني لمسه — فهبتي التيارية في أوغرا أشد قوة مما هي عليه في أي مكان آخر — لكني أمسكتُ بقميصه ، لكي أسحبه منه. فنهض على قدميه وهو يمسح عينيه بظاهر راحته.

قلتُ: «أتعلم ، كانت أمي تقول لي إنّ أولئك الذين يذهبون سعيا وراء الألم —».

أكمل: «يجدونه طوال الوقت». فعبستُ في وجهه.

لم يكن أحد يعرف هذه العبارة عداي ورايزك ، ولا بد أن إيجية يعلمها من الذكريات التي نقلها إليه رايزك.

بينما كان يكفكف دموعه ، رأيتُ أنّ أظافر يديه كانت مقضومة ، وأنّ الجلد حولها متضرر بشدة. وهذه أيضا من عادات أخي. هل من الممكن أنه تعلّم عادة من خلال الذكريات ؟

أمسكتُ بطرف كُمّه ، وجررتُه إلى المسكن المؤقت الذي عرفتُ أنّ الأوغران خصصوه له ولسيفا. كان أجمل من ذلك الذي أتشاركه مع تيكا ، فهو منزل الكاهنة ، وهو

في وسط البلدة. عرفتُه من خلال العلم – المطبوع عليه زهرة حمراء اللون – المتدلي من النافذة المُطلة على الشارع.

هناك باب ضيق ومتشقق الطلاء بين متجرين يؤدي إليه. لقد تقشر الطلاء بفعل الطبقات الكثيرة المطلية فوق بعضها، وكل طبقة بلون؛ برتقالي وأحمر وأخضر لكن الطبقة العليا كانت زرقاء داكنة. دفعتُ الباب، ودخلتُ ساحبة إيجية عبر السلالم الضيقة المؤدية إلى الشقة في الأعلى.

لم أطرق الباب، لأنني وجدته مفتوحا، ووجدت سيفا جالسة في غرفة الجلوس المزينة بأقمشة متدلية منها السميك ومنها الشفاف، وكانت تضع ساقا فوق أخرى، وكانت حافية القدمين، وكانت عينيها مغمضتين. إنها خير مثال لامراة غامضة.

لم أتكلم معها منذ الحديث الأخير الذي أعقب لقائي بفارا. في الحقيقة، كنت أتجنبها متظاهرة أن معرفتي بأصولي لا يؤثر عليّ. فأمي هي آليرا، وأبي هو لازمت، وأخي هو رايزك. وأي شيء عدا ذلك وأي اعتراف بأي صلة بسيفا سيجعل لها سلطة عليّ وهذا ما رفضت الاعتراف به.

دفعتُ الباب بيدي. فالتفتتْ سيفا.

قالت بعد أن انتصبت واقفة: «ماذا حدث؟». بعد أن نظرت إلى وجه إيجية الذي تغطيه الدموع.

كفكف دمعه مجددا وقال: «لم أفعل، لم أفعل ما طلبته مني، ولم أعاقب نفسي، كان الأمر..».

قبل أن يتمكنا من الضياع داخل أمورهما الكهنوتية الغريبة، كما يبدو عليهما دائما عندما يكونان معا، قاطعتُه. سائلة: «هل أنت رايزك؟».

حدقا إليّ بذهول.

تابعت: «عندما استيقظتَ ، قلتَ (نحن). (نحن) ضعنا في المستقبل».

أجابني: «لا أعرف عمّ تتحدثين».

تقدمت نحوه وقلت: «أوه؟ إذا هذا لم يكن أخي الأناني الموهوم الذي يُشير إلى نفسه بصيغة (نحن)؟».

بدأ إيجية يهزّ رأسه.

تابعت: «أليس أخي هو من يعضّ على أظافر يديك ، ويأكل طعامك ، ويغزل سكينك ، ويتذكّر أمّنا؟».

أدركت أنّ صوتي مرتفع ، ربما مرتفع بما يكفي لكي يُسمع عبر الجدران ، لكنني لم أبالِ. لقد رأيتُ جسد أخي ، ودفعتُ به إلى الفضاء ، ومسحت دماءه عن الأرض. لقد دفنتُ غضبي وحزني وشفقتي.

كانت ظلالي التيارية تتدفق عبر ذراعيّ وتدور حول أصابعي وتنزلق بين شقوق قميصي.

قلتُ: «رايزك؟».

أجاب: «ليس تماما ، ماذا بعد؟». وتابع: «نحن ، نحن... بعضنا إيجية وبعضنا الآخر رايزك».

«لقد كنتَ... « كنتُ أعاني لكي أجد طريقة لصياغة الكلام. «.... رايزك جزئيا طوال هذا الوقت ، ولم تقل شيئًا؟».

ردّ بسرعة قائلا: «بعد أن مت. أبقِ هبتك التيارية بعيدة عني». كانت الظلال تحت جلدي وفوقه في آن معا ، تمتدّ نحوه وتتلهّف لأن تُشارَك. «وأنت تتساءلين عن سبب عدم محبة الناس لكِ؟».

قلتُ: «لم أستغرب ذلك الأمر ولو لمرة واحدة في حياتي. وأنتِ —» التفتُ إلى سيفا. «لا تبدين متفاجئة ، كالعادة. كنتِ تعرفين طوال الوقت أن هناك جاسوسا بيننا —».

قالت سيفا: «ليس لديه مصلحة في التجسس. يريد أن يُترك وشأنه فقط».

قلتُ بصوت منخفض: «قبل فترة غير طويلة ، قتل أوريف بينيسيت لكي يُبقي رايزك في السلطة. والآن تقولين لي إنه يريد أن يُترك وشأنه ؟».

ردّ إيجية — رايزك — أو أيا يكن ، قائلا: «طالما جسد رايزك موجود ، فنحن محصورون حيث كنّا. وعندما يختفي نتحرر — لولا تلك الرؤى اللعينة».

قلتُ وأنا أضحك: «تلك الرؤى اللعينة. أنتَ — رايزك — عذبت إيجية ، وإن لم أكن مخطئة من أجل أن تتبادل الذكريات معه وتحصل على الرؤى ، والآن تصفها بالرؤى باللعينة». عاودت الضحك وأضفتُ: «كم هذا مناسب».

أجاب بنزق: «هذه الرؤى هي لعنة. فهي تظلّ ترمينا في حياة الناس الآخرين ، وآلام الناس الآخرين —».

لم يخطر ببالي أبدا أنّ رايزك — بأي شكل وجد نفسه فيه الآن — لا يسعى أو بالأحرى يرفض السلطة التي كان يتمتّع بها. لكن عندما فكّرتُ برايزك الذي عرفتُه ، ذلك الذي غطّى أذنيّ في الممرات المظلمة ، وحملني على ظهره عبر حشود الشوتيت في الطريق إلى سفينة الإقامة المؤقتة ، لم أفاجأ ، ولكن من المؤكد أنني مخطئة. فرايزك نوفاك وإيجية كيرسيث ، يستحقان أن ينالا عقاب ما اقترفاه. قلتُ: «حسنا ، لن ترميك الرؤى بعد الآن في آلام الآخرين لأنك ستأتي معي إلى أورِك».

«كلا ، لن نأتي معك».

اقتربتُ منه كثيرا لدرجة أننا كنا نتشارك الأنفاس ، ثم رفعتُ كلتا يديّ أمام وجه إيجية. كانت ظلالي التيارية كثيفة للغاية ، ولم يكن لديّ مشكلة في إظهار قوتي الغاشمة

المرعبة، فاللوالب الداكنة تغزل تحت جلدي وفوقه، وهي تُلطّخني وتحتضنني. كان الألم يصرخ عبر كل إيزيت من جسدي، لكن لطالما ساعدني امتلاك هدف ما على التفكير من خلال الألم.

قلتُ وأنا أهمسُ بشكل فظ: «سترافقني وإلا سأذيقك الموت الزوأم بيدي العاريتين، ربما اكتسبت بعض مهارات رايزك، لكنك لا تزال تقيم في جسد إيجية كيرسيث، وهو ليس ندا لي في سباق أو قتال أو حتى في منافسة لعينة على الإرادة».

قال وهو يكزّ على أسنانه: «لماذا تريديننا أن نأتي معك؟».

قلتُ: «أنا أقوم بعمل يحتاج إلى خبرة في عادات لازمت نوفاك، وعقلك هو كنز دفين».

فتح فمه لكي يعترض، لكنّ سيفا سبقتْه وقالت: «سيرافقك وأنا أيضا، لقد انتهى وقتنا هنا».

أردتُ مجادلتها، لكنّ جانبي المنطقي لم ينجح في ذلك تماما. لن يضرّ وجود واحد، بل اثنين من الكهنة فكل مساعدة مطلوبة لنجاح عملية الاغتيال، وإن كان من بين مقدمي المساعدة أخي الشرير والآخر هي أمي البيولوجية التي تخلّتْ عني. يا لسخافة الأمر، لكن هكذا كان حال معظم المجرة.

الفصل الثالث والأربعون

أكوس

قالت إيما: «فاكريز هو المشكلة بالنسبة إلينا».

كان أكوس يستلقي بجانب المدفأة على الأرض، وأمعاؤه تقرقر. فقد غاب عن الوعي في وقت سابق بينما كان عائدا من الحمام، وبدل أن ينهض عند دخول إيما، ارتمى على ظهره وحسب. دفعتْ بحقيبة طعام أخرى إلى يده، فأخذها ولم يبدُ متلهفا إليها كحاله في المرة السابقة، فقد تبين له أن تناول نصف وجبة أكثر سوءا من عدم تناول أي شيء.

مع ذلك، أكل الوجبة، لكن هذه المرة أكل وهو يمشي لكي يتمكن من التلذذ بكل قضمة منها.

«أليس لديك سيطرة على هبتك التيارية؟».

أجاب أكوس: «كلا، في الحقيقة لم أفكّر بها أبدا كشيء يمكن التحكّم به».

قالت إيما: «يمكنك ذلك. لقد كنتُ مع رايزك عندما أمر بتجويع هبتك التيارية. لم يكن واثقا من أنه سينجح، لكنّ الأمر يستحق المحاولة دائما، في حال أردت أن تُعطّل هبة أحدهم».

قال أكوس: «لقد نجح ذلك. وكانت تلك المرة الأولى التي أشعر بها بهبة سايرا التيارية».

شعر بإحساس حار وحاد في حنجرته جراء تلك الفكرة. فازدرد لعابه.

قالت إيما: «حسنا، بما أنّ تعطيل هبتك التيارية ممكن، فهذه إشارة وربما تكون دليلا على قدرتك التحكم بشكل أكبر الآن».

ألقى جانب رأسه على كتفه: «أوه؟ كيف السبيل إلى ذلك؟».

«أخبرتكَ أنّ عائلتي كانت من الطبقة الدنيا. حسنا، يبدو أنّ ما تفهمه عائلة نوفاك ولا يفهمه سائر الناس في المجرة، هو أنّ ذوي الطبقة الدنيا لديهم القدر نفسه من القيمة تماما. فلدينا تاريخ طويل وسلالات، ووصفات طعام... وأسرار». رتّبتْ تنورتها وهي تُبدّل وضعية ساقها فوق الأخرى. فرقعت النار. أضافت: «لقد توصلنا إلى تمارين تساعد المرء على تعلم كيفية التحكم بهبته التيارية. من البديهي أن هذه التمارين لا تجدي نفعا مع بعض الناس، لكن يمكنني تعليمك إياها، إذا وعدتَ بتطبيقها. من خلال هذه التمارين يمكنك تعطيل هبتك مؤقتا، متيحا لفاكريز أن يقرأ ما في قلبك، ثم تعيد تفعيلها ومقاومة محاولة سيطرة لازمت، عندما يحين الوقت».

سألها أكوس: «ما الذي يريده لازمت بالضبط؟ ما الذي طلبه منك بشأني؟».

أجابت: «إنه يدعوني مطوعة القلوب، ومن الصعب وصف ما أقوم به من خلال الكلمات، لكن يمكنني القول إنني أستطيع تغيير ولاء المرء، بمرور الوقت. فأنا آخذ الإحساس الخام — حبّكَ لعائلتكَ، أو أصدقائكَ، أو حبيبتكَ — وأحوله لشخص آخر، إذا جاز التعبير».

أغمض أكوس عينيه وقال: «كم هذا مروّع».

قالت: «يريدني أن أجعل قلبك ينحاز إليه. انهض. فأنت تهدر وقتي، ولا أملك الكثير منه ليُهدر».

قال أكوس: «لا أستطيع، فرأسي يؤلمني».

«لا يهمني إن كان رأسك يؤلمك».

قال معترضا: «أنتِ تجربين ما يشبه تجويعي منذ أيام!».

قالت: «نعم أنا أفعل. فلم ينشأ الجميع وهم أغنياء يا سيد كيرسيث. بعضنا معتاد على الضعف والآلام التي تنتج عن الجوع. انهض الآن».

لم يكن لدى أكوس الكثير ليرد عليها. عندما التفت إليها كانت رؤيته مشوشة.

قالت: «هذا أفضل. يجب علينا أن نتحدث عن لعبتكَ في التظاهر. وفي المرة التالية التي تقف فيها أمامه ، يجب أن يرى نوعا من التغير. ويجب عليك أن تتصرف وكأنّك تغيرت».

«كيف السبيل إلى ذلك ؟».

أجابت: «تظاهر بأنّ عزيمتكَ لانت ، لا أعتقد أنه من الصعب التظاهر بذلك ، دعْهُ يحصل على شيء ، نوع من المعلومات التي يريدها والتي لا تُعرّض مهمتكَ للخطر. أخبرني عن مهمتك».

قطّب أكوس حاجبه قائلا: «لماذا ؟ فأنتِ تعلمين عنها».

«يجب عليك أن تخبر نفسك بمهمتك في كل لحظة من كل يوم ، كي لا تجعلنا نخسر كل شيء! أخبرني عن مهمتك!».

قال أكوس: «اغتياله. مهمتي هي اغتياله».

«هل مهمتك هي أن تكون مخلصا لعائلتك وأصدقائك وأمّتك ؟».

حملق أكوس إليها وقال: «كلا ، ليست كذلك».

«جيد! الآن ، التمرين».

قادتْ أكوس إلى إحدى الكراسي ، وطلبتْ منه أن يغمض عينيه. قالت: «فكّر في

صورة تتعلق بهبتك التيارية ، وهذه الصورة تفصلك عن التيار ، ولذا يمكنك التفكير بها كجدار ، أو درع ، شيء من هذا القبيل».

لم يفكر أكوس كثيرا بالقوة التي كانت تعيش داخل جلده أبدا ، لأنها في الغالب بدت غائبة أكثر مما هي موجودة. لكنه حاول التفكير بها كدرع ، بالطريقة التي تحدثتْ بها. تذكّر المرة الأولى التي ارتدى فيها درعا ؛ من النوع الاصطناعي الأكثر هشاشة ، عندما أُرسل للمرة الأولى إلى معسكر الجنود. لقد فاجأه الوزن ، لكنه كان مريحا بطريقة ما.

«فكّر بتفاصيل ما كان عليه ؛ المادة المصنوع منها ؟ هل كان مصنوعا من طبقات متعددة مخاطة معا ، أو أنه قطعة صلبة واحدة ؟ ما كان لونه ؟».

شعر بالغباء ، وهو يتخيّل درعا ، ويختار ألوانا كأنه يُزيّن منزلا بدلا من محاولة تنفيذ خطة اغتيال. لكنه نفّذ ما طلبته ، وتظاهر بأنّ لونه أزرق داكن لأنّه لون درعه الشوتيتي المُكتسب ، وهو متعدد الطبقات للسبب ذاته. لقد فكّر بصدمات وخدوش درعه الحقيقية ، والعلامات التي وضعها من أجل الاستفادة منها. وأصابع سايرا الرشيقة وهي تشد الأحزمة للمرة الأولى.

«ما هو شعورك ؟ هل هو ناعم ، أو قاسٍ ؟ هل هو صلب أو مرن ؟ هل هو بارد أو دافئ ؟».

غضّن أكوس أنفه أمام إيما ، لكنه لم يفتح عينيه. ناعم وصلب ودافئ مثل فرو الكوتيا الذي ارتداه في إحدى المرات لكي يقي نفسه البرد. إنّ التفكير بذلك المعطف القديم ، واسمه المكتوب عليه كي لا يخطئ ويرتدي معطف سيسي ، جعله يتألم.

«احتفظ بمعظم تخيلك الخصب عن هبتك التيارية بقدر ما تستطيع. سأضع أحد يديّ عليك ثلاثة... اثنين... واحد».

ضغطت أصابعها الباردة على معصمه. حاول التفكير بدرعه الشوتيتي مجددا ،

لكنّ ذلك كان صعبا مع تزاحم كل ذكرياته ، وسيسي تحاول إدخال ذراعها الطويلة في معطف أحد الأطفال ، وسايرا تُثبّت كتفه وهي تشدّ على أحزمة الدرع. قالت إيما: «أنت لا تركّز. ليس لدينا الوقت للعمل على هذا ولذا عليك أن تتمرن بمفردك ، حاول التفكير بصور مختلفة ، وحاول ضبط نفسك بالحد الأدنى».

صرخ وهو يفتح عينيه: «أنا منضبط».

قالت: «من السهل أن تكون منضبطا عندما تكون معافى وتأكل بشكل جيد. والآن أنت بحاجة لتعلّم ذلك عندما يكون دماغك بالكاد يعمل. حاول ذلك مرة أخرى».

حاول ذلك ، وهذه المرة تخيل معطفه من فرو الكوتيا ، في ثوفي ، الذي هو نوع آخر من الدروع المضادة للبرد. شعر بدغدغته على عنقه حيث يلتقي طرف المعطف مع قبّعته. حاول تخيّل هذه الصورة مرتين قبل أن تتفحص إيما الساعة الدقيقة التي تضعها حول معصمها ، وتُعلن أنها مضطرة للذهاب.

قالت له: «تمرّن. سيزورك فاكريز لاحقا ويجب عليك أن تكون قادرا على التظاهر».

قال بنبرة آمرة: «هل يجب أن أُتقن هذا اليوم؟».

تجهمت في وجهه وقالت: «لماذا تتوقع أنّ تقدم الحياة تنازلات من أجلك؟ فأنت لستَ موعودا بالتساهل والراحة والإنصاف. بل بالألم والموت فقط». ما إن أنهت جملتها حتى غادرت.

خاطب سايرا في ذهنه ، كلمات إيما مشجعة بقدر كلماتك. حاول التدرّب على ما علّمتْه إياه إيما ، وفعل ذلك. لكنه لم يتمكن من الاستمرار بالتركيز على أمر واحد لأكثر من دقائق. ولذا لم يمضِ وقت طويل حتى شعر بالاحباط. مشى بجانب محيط الغرفة ، وتوقف لكي يُحدّق إلى خارج الألواح الخشبية التي تغطي النافذة المصنوعة من الخشب الداكن

نفسه الذي يغطي الأرضيات.

لم يفكر كثيرا بوالده، منذ موته، بل كان يفكر فيه بأوقات متفرقة. كان جل تفكيره منصبا على المهمة الأكبر المتعلقة بإنقاذ إيجية كما وعد من قبل. لكن في هذا المكان، وهو جائع ومشوش، لم يكن بإمكانه فعل الكثير لكي يُبقي تلك الأفكار بعيدة عنه. الطريقة التي يومئ بها أوسيه، ورميّ الأشياء عن الطاولة أو ضرب إيجية على الرأس سهوا، ورائحته التي بدت مثل الزيت والورق المحترق بسبب تلك الآلة في حقول الأزهار الجليدية. والمرة الوحيدة التي صرخ فيها على إيجية بسبب علامة سيئة في أحد الامتحانات، ثم انفجر باكيا عندما أدرك أنه جعل ابنه البكر يبكي.

كان أوسيه ضخما وغير مستقر عاطفيا، لطالما وثق أكوس بحب أوسيه له، لكنه كثيرا ما تساءل لماذا لا يوجد أي شبه بينهما؛ كان أكوس يحتفظ بكل شيء، وحتى الأشياء التي ليست سرية. لقد أدرك بأنّ تلك الغريزة نحو الانضباط، جعلتْه أكثر شبها بعائلة نوفاك. وسايرا — التي تضج بالعواطف والانفعالات القوية، والآراء، وحتى الغضب — كانت أكثر شبها بأبيه. ربما لهذا السبب كان من الصعب جدا ألا يحبّها.

دخل فاكريز، ولم يكن أكوس متأكدا من الوقت الذي قضاه القائد قبل أن يتنحنح. وقف أكوس وهو يحدّق إليه بذهول للحظات، ثم جلس بتثاقل على طرف السرير. كان يتوجّب عليه إبداع صورة أفضل عن هبته التيارية. لكنه لم يفعل ذلك. والآن سيكتشف فاكريز بأنّ أكوس كان يستعيد قواه، وسيرتاب بشأن ذلك.

قال أكوس في نفسه، اللعنة. لقد اقترحتْ إيما الدرع، والجدار — حاجز استباقي بين أكوس والعالم. لم يبدُ أنّ أيا من تلك الأشياء صائب، عندما تحدّثتْ عنها، لكن ما الشيء الآخر الموجود هناك؟

سأله فاكريز: «هل أنت بخير يا كيرسيث؟».

أجاب أكوس: «كيف حال زوجكِ؟ مالان». كان عليه كسب بعض الوقت.

أجاب فاكريز وهو يُضيّق عينيه: «إنه... بخير. لماذا؟».

قال أكوس وهو يهزّ كتفيه: «لطالما أحببته». هل يمكن أن يكون الجليد حاجزا وقائيا؟ كان يعرف الجليد بما يكفي. لكنه شيء يجب أن تحذر منه في الوطن، وليس شيئًا يمكن أن يحميك.

قال فاكريز: «إنه ألطف مني. والجميع يحبونه».

«هل يعرف أنك هنا؟». ماذا بشأن غلاف معدني، مثل كبسولة نجاة أو عوامة؟ كلا، في الواقع هو لم يكن يعرف تلك الأشياء أيضا.

قال فاكريز ساخرا: «نعم إنه يعرف، وطلب مني أن أكون أكثر لطفا معك. قال إنّ ذلك يمكن أن يساعدك في الانفتاح أكثر. يا له من مفكر استراتيجي».

قال أكوس بصورة مُهدّدة: «لم أكن أظن أنك تريدني أن أنفتح. إذ يتوجب عليك كما أوضحت، أن تبحث عما يوجد في قلبي بغض النظر عما أقوله، أليس كذلك؟».

قال فاكريز: «أفترض ذلك. لكن إذا لم تقم بالتعتيم على عواطفك بشكل متعمّد، يصبح من الأسهل تفسيرها. هيا، مدّ ذراعك ودعنا ننتهي من الأمر».

رفع أكوس كمّ قميصه وكشف عن العلامات الزرق التي لطّخ بها جلده من خلال الطقس الشوتيتي. يوجد في العلامة الثانية خط في أعلاها، وهي تشير إلى موت المخلوق المُدرّع الذي قتلهُ خلال السعي إلى منزلة أعلى.

وجد نفسه يعود إلى ذلك المكان، إلى الحقول خلف العشب الريشي تماما، حيث كانت الأزهار البرية هشّة وطريّة، والمخلوق المدرّع يتجول هناك متجنبا كل شيء ينقل قدرا كبيرا من التيار. لم يكن المخلوق الذي قتلهُ قادرا على اكتشاف مكانه، فهو لا ينقل التيار.

شعر أكوس بنوع من القرابة معه في ذلك الوقت ، وقد وجد صلة القرابة تلك الآن. وهو يتخيّل نفسه كوحش ، لديه أرجل كثيرة وجانب صلب مصفّح. عيناه داكنتان ولامعتان ، مخفيتان تحت هيكل خارجي قاسٍ.

عندئذٍ ، تخيّل الهيكل الخارجي يتمزق إلى نصفين بضربة عنيفة. وقد شعر بذلك ، في اللحظة التي اهتز التيار داخله مجددا ، وهو يطنّ في عظامه. أمال فاكريز رأسه وأغمض عينيه ، فركّز أكوس على إبقاء الجرح مفتوحا ، إذا جاز التعبير. قال فاكريز: «أخبرتْني إيما أنها سوف تستخدم هبتها لكي تُشجّعكَ على التفكير كثيرا بإخلاصك لأبيك – أي كيرسيث ، وليس نوفاك. أرى أنها نجحتْ في ذلك».

نظر أكوس إليه مليا. هل فعلتْ إيما له شيئًا ما عندما كانت هناك ، لكي تجعله يفكّر بأوسيه ؟ أو أنّ تفكيره به كان محض صدفة ؟

قال فاكريز: «لا تبدو بحالة جيدة».

صرخ أكوس قائلا: «هذا ما يحدث عندما يقوم والدك البيولوجي بحبسكَ في منزله ويُجوّعك لعدة أيام».

زمّ فاكريز شفتيه وقال: «أظنك محق».

«لماذا تفعل ما يطلبه منك ؟».

أجاب فاكريز: «الجميع يفعل ما يطلبُهُ».

قال أكوس: «كلا ، بعض الناس توقفوا عن أن يكونوا جبناء وغادروا. لكنك بقيت... وحسب. لتؤذي الناس».

تنحنح فاكريز قائلا: «سوف أخبره بالتقدّم الذي أحرزتَهُ».

قال أكوس: «هل سيكون هذا قبل أو بعد أن تستجدي أمامه وتقبّل قدمه ؟».

ولدهشتهِ ، لم يقل فاكريز أي شيء. التفتَ وغادر فقط.

كان لازمت يجلس إلى إحدى الطاولات قرب النار عندما اقتيد أكوس إلى مقر إقامته مرة أخرى. بدت الغرفة مثل تلك التي فتحها أكوس عندما أتى للمرة الأولى: ألواح خشبية داكنة ، تعكس أضواء فينزو المتذبذبة ، وأقمشة ناعمة بألوان داكنة ، وكتب مُكدّسة في كل مكان تقريبا. إنه مكان مريح.

كان لازمت يأكل لحم طير ميت مشوي متبّل بعشب ريشي محروق ، مع قواقع فينزو مقلية. أصدرت أمعاء أكوس صوتا ، لن يكون من الصعب التقاط بعض الطعام عن الطاولة ودفعه إلى فمه ، أليس كذلك؟ فالأمر يستحق العناء من أجل تذوّق شيء ليس مخللا أو جافا أو بلا ملح. لقد مرّ وقت طويل جدا....

قال بعد أن ازدرد لعابه: «ألا تظن أن تصرفك صبياني بعض الشيء؟ تعذبني بمشهد الطعام بعد أن جوّعتني؟».

كان أكوس يعرف أنّ هذا الرجل ليس والده في الحقيقة. فهو لا يتصرف بالطريقة نفسها التي كان يتصرف بها أوسيه كيرسيث ، عندما يعلمه كيف يزرّر معطفه ، أو كيف يطير بعوامة ، أو كيفية خياطة حذاء عندما يصبح كعبه رخوا. لقد دعاه أوسيه «الطفل الأصغر» ، وقد مات وهو يعرف أنه لم يكن باستطاعته منع أكوس من أن يُختطف ، لكنه حاول — وقاتل — على أية حال.

نظر إليه لازمت وكأنه يريد أن يمزقّه أشلاء ثم يعيده إلى ما كان عليه مرة أخرى. وكأنه كان شيئا تقوم بتشريحه في أحد دروس العلوم لكي ترى كيف يعمل.

قال لازمت وهو يهزّ كتفيه: «سواء أكنتَ إنسانا أم حيوانا».

قال أكوس: «لقد أحضرت إيما زيتيسيفيس إلى هنا من أجل هدف معين وهو تغيير ما أنا عليه ، مهما أكون. ما أهمية ما هو قبل إن كنت مسيطرا على ما هو بعد؟».

«أنا رجل فضولي».

«أنت سادي».

قال لازمت وهو يرفع أحد أصابعه: «السادي يتلذّذ بالعذاب». كان حافي القدمين وأصابع قدميه مدفونة داخل البساط الناعم. «ولكنني لا أتلذّذ. أنا طالب. وأجد الرضا في التعلّم، وليس الألم من أجل الألم».

غطّى طبقه بمنديل كان فوق حضنه، وابتعد عن الطاولة.

لقد طلبتْ منه إيما التظاهر بأنّ عزيمته كانت تضعف. وذاك كان الهدف من هذا الاجتماع – أن يُثبت للازمت أنّ تلك الوسائل كانت تعمل، ولكن ليس بشكل واضح، كي لا يرتاب لازمت.

ساعدتْه إيما على إيجاد طريقه مجددا. فقد كان بلا هدف منذ أن مات رايزك – ومنذ أن مات أمله في استعادة إيجية أيضا. لم يكن لديه ما ينحاز إليه، لا مهمة، ولا خطة. لكنّ إيما ساعدتْهُ على إيجاد طريقه في العودة إلى بؤرة التركيز نفسها التي وجّهها إلى أخيه منذ وصوله إلى شوتيت. سيقتل لازمت. وأي شيء سوى ذلك لا أهمية له.

لقد خان ثوفي. وتخلّى عن سايرا. وخسر اسمه، وقدره، وهويته. لم يكن لديه شيء ليعود إليه، عندما ينتهي هذا الأمر. ولذا كان عليه أن يجعل الأمر يستحق العناء.

قال لازمت: «أنت ثوفي كما أسمع. كنتُ أعتقد دائما بأنّ اللغة الإيحائية أسطورة أو على أقل تقدير أمر مبالغ فيه».

قال أكوس: «كلا، أنا أجد كلمات فيها لم أكن أعرف أنها موجودة حتى».

قال لازمت: «لطالما تساءلت إن لم يكن لديك كلمة تدل على شيء ما، فهل يبقى بإمكانك معرفة معناها؟ هل هي شيء يعيش فيك ويسري بغموض، أم أنها تختفي من

وعيك كليا؟». أمسك بكأسه التي تحتوي شيئا بنفسجيا داكنا، وأخذ يرتشف منها. «ربما تكون واحدا من الشعب الوحيد الذي يمكن له أن يعرف، لكن لا يبدو أنك قادر على الإجابة».

قال أكوس: «تظنني غبيا».

قال لازمت: «أظن أنك برمجت نفسك لكي تبقى على قيد الحياة، ولديك طاقة قليلة لأي شيء آخر. لو أنك لم تضطر للقتال من أجل النجاة، لربما أصبحت شخصا أكثر أهمية، لكن ها نحن ذا».

قال أكوس في نفسه، السبب الوحيد الذي يهمّني أنني مثير لاهتمامك، لأنك كنت لتقتلني لولا ذلك.

قال أكوس: «هناك كلمة في اللغة الأوغرانية، هي كيرتا. إنها... حقيقة تُغيّر الحياة. وهي ما جلبني إلى هنا. عندما عرفت أننا أقرباء».

قال لازمت: «أقرباء، لأني مارستُ الجنس مع إحدى النساء، وهي سلّمتْكَ إلى إحدى الكاهنات؟ الجميع في هذه المجرة اللعينة لديه هدايا أيها الفتى. هذا بالكاد إنجاز فريد».

قال أكوس: «أأنت واثق، حسنا، هل يمكنك أن تفسر سبب اهتمامك بلون عيني؟ لماذا جلبتني إلى هنا لكي تتكلم معي مرة أخرى؟». لم يُجب لازمت.

تابع أكوس وهو يخطو نحوه: «لماذا اهتممتْ بتحويل رايزك إلى مجرم؟».

أجاب لازمت: «كلمة (مجرم) لا يوصف بها الأحبة، إنها تصلح لوصف الآخرين، وهم محاربون، وجنود، ومقاتلون من أجل الحرية. أنا لم أجعل ولدي مجرما بل دربته ليصبح مقاتلا من أجل شعبه».

قال أكوس وهو يُميل رأسه: «لماذا؟ ما الذي يهمّك بشأن شعبه، وبشأن شعبك؟».

أجاب لازمت وهو يضع كأسه بقوة على الطاولة بجانب كرسيه: «نحن أفضل منهم، فقد تعلّمنا السفر عبر هذه المجرة عندما لم يُفكّروا حتى بأسماء لأنفسهم. نحن نعلم ما هو الشيء الثمين وما هو الشيء المُدهش، وما هو الشيء المهم، بينما هم لا يقدرون ويرمونه. نحن أقوى وأكثر مرونة، وأكثر دهاء — وقد تمكنوا بطريقة ما من جعلنا في مرتبة دنيا بما أنهم أصبحوا واعين لنا. لن نبقى في مرتبة دنيا، لسبب بسيط أنهم هم لا يستحقون أن يكونوا في مرتبة أعلى منا».

قال أكوس: «أفهم من حديثك، أن تختصر الشوتيت بشخصك».

قال لازمت بشيء من السخرية: «أنا متأكد من أنّ لديك مثلك العليا — هذا واضح في عينيك. وأنا لديّ شيء آخر».

قال أكوس: «وما هو هذا الشيء؟ الوحشية؟ والفضول؟».

أجاب لازمت: «أنا أريد، أنا أريد، وسأحصل على كل ما أستطيع وضع يدي عليه، حتى لو كان أنت».

تقدّم لازمت باتجاهه. لم ينتبه من قبل أنه كان أطول من أبيه. ليس أطول بكثير، لأنّ لازمت أطول من معظم الناس، لكن أطول بما يكفي ليكون ملحوظا.

تخيّل أكوس نفسه مخلوقا مدرعا، فانتزع أحشاء نفسه، للمرة العاشرة في ذلك اليوم. كان يتمرّن منذ أن غادر فاكريز بالأمس. بالكاد ناس حتى يستغل كل وقته في التمرن. لقد تعلّم كبح هبته التيارية بسرعة، وأن يسترجعها بالسرعة نفسها. لقد تطلّب ذلك كل طاقته، لكنه كان يحرز تقدما.

شعر بضغط هبة لازمت التيارية على عقله، واستسلم لها. كان الأمر غريبا، أنت

تشعروكأن شخصا يحرك سلكا معدنيا داخل رأسه ويلمسه بشكل خفيف حتى يصل إلى الجزء التي يتحكم بحركاته. ارتجفتْ أصابعه ، ثم ضُغطت معا ، دون أن يأمرها بذلك. التوى فم لازمتْ وهو يراقب الحركات ، فشعر أكوس بأنّ السلك التخيّلي ينسحب.

قال لازمت: «لقد قدّم فاكريز تقارير مبهرة عن حالة أعضائك الداخلية يا أكوس. يقول إنك تتقدّم في الاتجاه الصحيح».

قال أكوس: «تناول البراز». فضحك لازمت قليلا.

قال: «يجب أن تجلس ، فأنا متأكد من أنك تعب».

دخل لازمت غرفة الجلوس. كانت غرفة بسيطة ، فيها بساط ناعم بجانب المدفأة ، وتكدست الكتب بمختلف اللغات على الأرفف. جلس لازمت على الكرسي ذو المساند بجانب النار ، ودفن أصابع قدميه داخل السجادة المنفوشة. تبعه أكوس بتردد ، ثم وقف بجانب النار. كان تعبا ، لكنه أراد أخذ حركات تمرده الصغيرة إلى حيث يستطيع الوصول بها. وبدل أن يجلس ، استند على رفّ الموقد ، وأخذ يحدّق في ألسنة اللهب.

سأله لازمت: «لقد نشأتَ بكنف كاهنة. هل تعلم بأني أمضيتُ الكثير من حياتي كشخص بالغ وأنا أحاول إيجاد أحد الكهنة ؟».

ردّ أكوس: «هل حاولتَ البحث في أحد المعابد ؟».

ضحك لازمت قليلا وقال: «أنت تدرك بالطبع ، أنّ الأمر ليس مجرد الذهاب إلى حيث هم موجودون. فأسر شخص يعرف أنك قادم إليه مستحيل تقريبا. وهذا ما يجعلني محتارا من السبب الذي تركك تسمح باختطافكما. ما من شك أنها كانت تعرف أنك ستختطف».

قال أكوس بمرارة: «أنا واثق من ذلك. ولا بدّ أنها كانت تؤمن أيضا بأنّ ذلك ضروري».

قال لازمت: «يا لبشاعة ذلك ، لا بدّ وأنك غاضب».

لم يكن أكوس متأكدا من كيفية الجواب. فهو لم يكن سايرا التي تنشب مخالبها في أي مكان تستطيع نشبها فيه ، رغم أنه أدرك تماما معنى ذلك الاستفزاز.

أخيرا قال: «تعلم ، أنني لم أستطع فهم استراتيجيتك. أنا أعلم ما هي ولكنني لا أفهمها ، لذا لا تزدريني بالتظاهر أنه ليس هناك استراتيجية».

تنهد لازمت قائلا: «عدت مملا مرة اخرى. لكن ربما أنت محق — أنا فعلا لدي شيء أريده منك ، وشيء مستعد للمقايضة بشأنه».

عبر الغرفة مرة أخرى ، وذهب إلى الطاولة حيث غطّى وجبتهُ. لاتزال الرائحة تنبعث في الهواء ، لحم لذيذ وصلصة غنية ، مع عشب ريشي محروق إلى الدرجة التي تختفي فيها خصائصه المهلوِسة وتبقى فقط نكهته اللاذعة.

انتقل لازمت إلى المقعد التالي جانب الطاولة ، ثم رفع غطاء قدر معدنية ليكشف عن لحم طائر ميت مشوي آخر ، وطبق آخر من قواقع الفينزو. مع مكعبات فواكه مالحة.

قال لازمت: «هذه الوجبة لك. إن أخبرتني كيف دخلت القصر».

«ماذا؟». كان أكوس يصبّ تركيزه على الطعام ، وأصبحت بقية الغرفة مظلمة حوله. بدأتْ معدته تؤلمه.

قال لازمت بهدوء: «ما من شك أن أحدهم ساعدك في الدخول. فكل الأقفال الخارجية كانت تعمل ، ولا أظن أنك استطعت تسلق الجدار من دون أن تلفت انتباه أحدهم ، اعترف بمن قدم لك المساعة ، فربما تكون هذه الوجبة من نصيبك».

جوريك ، ذو الذراعين الطويلتين والنحيلتين ، وشعر الوجه غير المكتمل. كان قد أخذ العصابة التي وضعها أكوس حول عنقه قبل أن يغادرا منزل خاله ، من أجل

المحافظة عليها. ذكّر نفسه قائلا، جوريك رجل طيب. هو لم يرد أن يُدخلك القصر. وقد تلاعبتَ به من أجل أن يفعل ذلك. لم يكن من الوارد أن يشي باسم جوريك إلى لازمت مقابل وجبة طعام.

قل لي ما هي مهمتك. قال في نفسه مخاطبا إيما وكانت الكلمات لا تزال نابضة في رأسه، كلا. ليس هذا، لن أفعل هذا.

لقد طلبت إيما منه أن يبحث عن فرصة لكي يعطي المعلومات للازمت. لكي يُظهر له أنّ هناك شيئا يتغيّر. لكي يمنعه من أن يصبح ملولا. حسنا، هذه كانت الفرصة — مُقدّمة على طبق.

أغمض أكوس عينيه وقال: «أنا لا أصدّقك. أظن أنك ستأخذ الطعام بعيدا عني في اللحظة التي أُخبرك بها بما تريد أن تعرفه».

قال لازمت: «لن أفعل». ابتعد عن الطبق وأضاف: «تفضّل، سوف أتراجع إلى الخلف. ثق بي في هذا الأمر الصغير يا أكوس. فأنا لا أتلذذ بالألم. وأريد أن أرى ماذا ستفعل، ولا يفيدني أن أحرمك من شيء حالما تفعل ما أطلبه منك. بالتأكيد أنتَ ترى المنطق في ذلك».

كانت الدموع تحرق مقلتي أكوس، وكان جائعا جدا، ومنهكا جدا. وهو بحاجة لأن يقوم بما طلبته منه إيما.

هل مهمتك هي أن تكون مخلصا لعائلتك ولأصدقائك ولأمتك؟

كلا. تلك لم تكن مهمته.

قال وهو يختنق بكلماته: «كوزار، جوريك كوزار».

أومأ لازمت برأسه. ابتعد عن الطاولة ثم جلس على المقعد ذي المساند، تاركا

أكوس لوجبة طعامه.

أصبح العشب الريشي حامضا في معدته. وظلّ يعود للأعلى على شكل تجشؤ، والنكهة ترتفع إلى مؤخرة حنجرته، لتذكّره.

لمس أكوس الفراغ حول حنجرته، حيث كانت طوق عائلة آرا تضغط هناك ذات مرة. لن يراها مجددا. ولم يكن ذلك يزعجه كثيرا — لم يشعر أبدا أنه استحقها في المقام الأول. كان يعرف أنّ قتل رجل لم يكن شيئًا يجعل منك شخصا مرحبا به. لكنه كان يفكر كيف ستنظر إليه آرا، إن تمكن من الخروج من هنا...

ضغط يده على فمه عند خروج تجشؤ آخر. عندها حدث نقر على اللوح الجداري المجاور للمدفأة. انزلق اللوح إلى الخلف فدخلت إيما. بدت أكثر عفوية في مظهرها من المعتاد، فشعرها الأبيض مشدود للخلف، وكانت ترتدي ملابس داكنة وتنتعل حذاء بسيطا وثبتت عينيها الزرقاوين المخيفتين عليه.

قال بصوت متهدّج: «أخبريني».

قالت: «لقد فعلتَ ما هو ضروري».

صرخ قائلا: «أخبريني ماذا حصل».

قالت وهي تتنهّد: «لقد قُبِض على جوريك».

شعر أكوس بالمرارة في فمه، فاندفع نحو الحمام. كان قد وصل إلى المرحاض عندما بدأ يشعر بالغثيان، فتقيّأ كل ما أكله في غرفة جلوس لازمت. انتظر حصول تقلصات في معدته وجبينه أثناء استناده على مقعد المرحاض، والدموع تتدفق من عينيه.

ثمة شيء بارد كان يضغط فوق مؤخرة عنقه. سحبتْهُ إيما إلى الخلف وضغطت على السيفون. أبعدتْ المنشفة الرطبة عن عنقه، واستخدمتْها لمسح وجهه، وهي راكعة إلى

جانبه. بدا وجهها مرهقا الآن ، والخطوط في جبينها وحول عينيها أكثر وضوحا من المعتاد. لم يكن ذلك شيئًا سيئًا.

قالت: «في الليلة التي قررت فيها وزوجي أوزول أنني سأسلمه إلى رايزك ، وبذلك أُنهي حياته قبل أوانها من أجل مصلحة قضيتنا ، بكيتُ بشدة لدرجة أني أُصِبتُ بتمزق عضلي في بطني. وبقيتُ أتألم لمدة أسبوع جراء ذلك. كان قد بقي له عدة أشهر فقط ليعيش ، لكنّ تلك الأشهر....». أغمضتْ عينيها وقالت بعد مُضيّ عدة لحظات: «لقد أردتُ تلك الأشهر». مسحت زاوية فم أكوس بلطف ثم أضافتْ بكل بساطة: «كنتُ أحبه» ، وبعدها رمت المنشفة في المغسلة.

توقع منها أن تنهض ، الآن بعد أن نظّفت وجهه ، لكنها لم تفعل. جلستْ على الأرض ، بجانب المرحاض تماما ، وكتفها مستند على المقعد. وبعد لحظة ، وضعت إحدى يديها على كتفه ، وكان وجودها الصامت مريحا بما يكفي.

الفصل الرابع والأربعون

سايرا

كانت آخر نظرة لي على كوكب أوغرا من الأعلى هي نظرة ضوء متألق. وعندئذٍ طلبتْ منا إيسا تجهيز أنفسنا. جلست سيفا وإيترك قرب كوة الخروج ، وإيسا وتيكا عند منصة الملاحة ، وكنتُ مع إيجية – رايزك – أو كائنا من كان الآن – بالقرب منهما. نظرتُ إلى إيجية لكي أتأكد من أنه ربط حزامة بشكل مناسب ، كانت الأحزمة تتقاطع حول صدره ، حيث يجب أن تكون. تطلّب الانطلاق عبر الغلاف الجوي لأوغرا دفعة شديدة من الطاقة ، تبعها توقف سريع ، من أجل اختراق طبقة الظل الكثيفة من الأسفل. قادتْ إيسا السفينة إلى الارتفاع الصحيح ، ثم مالت بنا بشكل مناسب ، وضغطت على الزر الموجود في لوحة الملاحة.

انطلقنا إلى الأمام ، وجعلت القوة المفاجئة جسدي يندفع نحو الأحزمة التي تُمسك بي. كززتُ على أسناني من شدة الضغط. أطفأت إيسا محركات السفينة ، فغُمرنا بظلام دامس ، وربما اختفينا أيضا. وبعدها تلاشى كل شيء – الظلمة والضغط والرعب وحتى بعض آلامي – عندما أعادت إيسا تشغيل محركات السفينة ، وانجرفنا بين النجوم.

كنتُ أعتقد أنّ تيكا ، التي طارت بي عبر المجرة في آخر مرة ، هي قبطان طيار بارع ، لكنّ إيسا كانت فنانة. لقد كانت أصابعها الطويلة تتراقص فوق مركز الملاحة ، وقد قادتنا بنعومة غير مسبوقة نحو الدفق التياري ، بحيث تمكنا من الطيران بجواره. كان بلون أصفر رائع الآن ويشوبه الأخضر ، وتلك علامة على انقضاء وقت أكثر مما كنتُ أدرك منذ أن هبطتُ على أوغرا للمرة الأولى.

قلتُ لتيكا وأنا ألكزها بكتفي: «أنت لا تمانعين تجوال إيسا في منصة الملاحة؟». كنا في قمرة الملاحة؛ نتجول الآن آمنين وقد أصبحنا داخل الغلاف الجوي – ننظر إلى الظلام اللامحدود في طريقنا.

أحيانا أُشير إلى ذلك بكلمة «العدمية»، مثل كل الناس، لكني لم أكن أفكّر فيه بتلك الطريقة. لم يكن الفضاء عبارة عن حاوية محدودة، لكن لم يكن ذلك يعني أنه فارغ. مذنبات، ونجوم، وكواكب، ودفق تياري، ومخلفات فضائية، وسفن وأقمار متشظية، وعوالم غير مُكتشفة، كان هذا مكانا لاحتمالات لا متناهية وحرية لا يمكن سبر أغوارها. لم يكن لا شيء، بل كان كل شيء.

أجابت تيكا وهي تضيّق عينيها على إيسا التي لم تزل مشغولة بأجهزة التحكم: «ماذا؟ أوه، لا، بالتأكيد أنا أريد صفعها على يديها الصغيرتين المزعجتين، لكنّ السفينة تحبّها، ولذا أُبقي فمي مغلقا». ضحكتُ قليلا.

استغرقتُ بضع لحظات لكي أُدرك مصدر ارتياحي المفاجئ: فظلالي التيارية التي اختبأت تحت جلدي مجددا عندما هبطنا فوق أوغرا، أصبحت الآن تتمشى فوق جلدي. ولايزال ألُمها ولسعاتها موجودة، لكن بشكل ضئيل جدا لدرجة أني كنتُ أستهتر بها. بالنسبة إلى شخص يتألم طوال الوقت، يمكن حتى لاختلافات بسيطة أن تكون أعجوبة نوعا ما.

أعلنت إيسا قائلة: «نحن نتعرض لضغوط من دورية تابعة للمجلس». فتبادلت وتيكا نظرة قلق. قالت إيسا وهي تقرأ من شاشة الملاحة: «يقولون إنّ لديهم مذكرة توقيف قديمة تعود لسفينة تطابق هذه المواصفات».

سأل إيترك: «مذكرة توقيف من أجل ماذا؟ كوننا من شوتيت؟».

قالت تيكا: «يمكن أن تكون بسبب تخدير وإبعاد إيساي بينيسيت عندما لم نشأ الذهاب معها إلى مقر المجلس الرئيسي».

قالت إيساي: «فعلتِ ماذا لإيساي بينيسيت؟».

قلتُ: «لقد قتلتْ لتوها أخي في مخزن السفينة، ماذا يُفترض أن أفعل سوى ذلك؟».

قال إيترك، وهو يلوّح بذراعه: «أوه، لستُ أدري... أعطِها ميدالية!».

نظرتُ إلى إيجية. كان ينظر إلى إيترك وكأنه على وشك مدّ يده ليصفعه.

أصبح من الأسهل التفكير بإيجية على أنه شخصان في جسد واحد — أو جسد جديد، شخص مُختلط — بما أني أرى الكثير من أخي، والقليل جدا منه في آن. كان كبرياء رايزك هو الذي جعله ينزعج من تهليل إيترك لمقتله، لكنّ سلبية إيجية هي التي خفّفت رد فعله. لقد أصبحا، معا، شيئًا ما... آخر. جديدا، لكن ليس أفضل بالضرورة. سوف يبيّن الوقت ذلك.

قالت تيكا لإيسا: «أخبريهم أنّ الأوغران أعارونا هذه المركبة وأننا لا نعرف الطاقم الأصلي. يجب أن يكون هذا مقنعا في حال سجّلتِ صورتكِ على الكاميرات. فأنتِ لا تبدين شوتيتية على الإطلاق».

قالت إيسا: «حسنا، فليخرج بقيتكم من نطاق الكاميرات».

وقفنا في الخلف بينما كانت إيسا تُفعّل الكاميرات في شاشة الملاحة لكي تسجّل رسالتها، بلغة أوثيرية متقطّعة. كانت كاذبة موهوبة بالنسبة إلى شخص أوغراني.

سيستغرق الأمر أياما للذهاب من أوغرا إلى أورك. لقد قضيتُ معظم وقتي وأنا متكئة على الطاولة في مطبخ السفينة، أرسمُ خريطة لقصر نوفاك، طابقا بعد آخر. وعبرتُ ممرات الخدم في ذاكرتي، مرة بعد أخرى، وأنا أتحسس في الظلام وجود شقوق ودوائر وألواح جدارية مزيفة. قلتُ لنفسي إنّ ذلك سيكون مفيدا للمهمة التي أمامنا، كما أنه سيكون طريقة جيدة لتجنّب سيفا، لكنّ تلك لم تكن الأسباب الوحيدة لفعلِ ذلك. فقد

شعرتُ أنّ إعادة ابتكار المكان على الورق كانت طريقة لتطهير نفسي منه، غرفة بعد غرفة. وعندما أنتهي من هذا، لن يعود ذلك المكان موجودا بالنسبة إليّ. كانت تلك هي النظرية على الأقل.

عندما انتهيتْ، طلبتُ قدوم إيجية – اعتدتُ على الإشارة إليه بذلك الاسم، لأنّ ذلك كان الجسم الموجود فيه، وهو لم يعترض بعد – إلى مطبخ السفينة. كان الآخرون مشوشين جراء إدخالي لإيجية ضمن مجموعتنا الصغيرة، لكني أخبرتهم فقط بأني أردتُ جلب الكهنة معه، ولم يسأل أحد منهم أي أسئلة أخرى.

دخل الغرفة والحذر بادٍ على تعابير وجهه ما جعلني أفكّر بأكوس على نحو غير مُتوقع. وبتجاهلٍ للشعور المُستفز الذي سبّبه لي، أشرتُ إلى رسومات قصر نوفاك التي رسمتُها بخط يدي.

قلتُ: «أريدك أن تتفحص هذه الرسومات من أجل الدقة، فمن الصعب إعادة تصميم أحد الأمكنة من الذاكرة فقط».

قال إيجية، وهو يبدو أكثر شبها برايزك في تلك اللحظة: «ربما تريدين قضاء أيامك وأنت تغوصين في ذكريات قصر نوفاك، لكننا لا نريد».

صرختُ قائلة: «لا أهتم البتة لما تريد. فهذه هي المشكلة التي لديك، المشكلة التي لطالما كانت لديك. أنت تظن أنك تأذيت أكثر من أي شخص آخر في المجرة. حسنا، لا أحد يهتم بقصتك عن المأساة! فهناك حرب قائمة. والآن تفحّص! هذه الرسومات! اللعينة!».

حدّق إليّ للحظات، ثم مشى نحو الطاولة، وانحنى فوق الرسومات.

عاين الرسمة الأولى باقتضاب، ثم مدّ يده إلى القلم الذي تركتُه عند حافة الطاولة، وبدأ بإعادة رسم الخطوط حول غرفة الجوائز.

قلتُ عندما هدأتُ نوعا ما: «أنا لا أعرف لازمت بقدر ما تعرفه أنت. هل هناك شيء بإمكانك أن تتذكره عنه ربما يساعدنا في الوصول إليه؟ عادات غريبة، أو نزعات معينة...؟».

صمتَ إيجية لوهلة من الوقت، وهو يخطو لجهة اليمين كي ينظر إلى الرسمة التالية. كنتُ أتساءل فيما إذا كان عليّ مضايقته لكي أجعله يجيب على أسئلتي بالطريقة التي ضايقتُه فيها لكي يتفحّص خرائطي، لكنه تكلّم آنذاك.

قال بصوت ناعم وغريب لم أكن قد سمعتُهُ منه من قبل: «إنه يقرأ كتب التاريخ معظم الأوقات. وهو مهووس بالأنسجة – يجب أن تكون كل بُسُطهِ وملابسه ناعمة. وقد سمعتُهُ ذات مرة يؤنّب أحد أفراد الطاقم بسبب تنشية قمصانه أكثر من اللزوم. فقد جعلتْها قاسية جدا». ازدرد لعابه، ومحى مدخلا من المداخل الذي وضعتُ علامة عليه، ثم رسمه في الجانب الآخر لإحدى غرف النوم. أضاف: «وهو يحبّ الفواكه. كما اعتاد جعل إحدى ناقلاته تقوم بتهريب أصناف معينة من تريللا – الكثير من فاكهة الآرفا. وهي تُسلق في الغالب وتُستخدم بكميات صغيرة كمادة تحلية. ليس لديّ أي تعليق».

وضع القلم، ثم قوّم ظهره وقال: «أنتِ تعلمين أنكّ سوف تحصلين على فرصة واحدة للوصول إليه، صحيح؟ لأنه ما إن يعلم بأنك هناك – ما إن يعلم بما تحاولين القيام به –».

قلتُ: «سوف يسيطر عليّ عن طريق هبته التيارية. أعلم ذلك».

أومأ إيجية برأسه وقال: «هل يُسمح لي بالمغادرة الآن، أو أنك سوف تهددينني بالموت مجددا؟».

أشرتُ بيدي إلى الباب. ثمة خطة بدأت بالتجمّع داخل عقلي. أرجعتُ رأسي للخلف وحدّقتُ إلى الرسوم على أمل الحصول على الإلهام.

كان علينا الانتظار إلى أن نصبح ضمن مدى استقبال الإرسال من ثوفي من أجل الاتصال بجوريك ، وهذا يعني أربعة أيام من السفر.

بحلول الوقت الذي وصلنا فيه إلى المدى المطلوب ، كنتُ قد سئمتُ من المياه المُعاد تدويرها – مياه كيمائية من عملية التنقية – ومن الطعام المُعلّب الذي كنا نعيد تسخينه في الفرن الصغير لمطبخ السفينة ، ومن القماش المسبّب للحكّة الذي كان يغطي فراشي. وكذلك سئمتُ من الذكريات التي كانت معي هنا ، من الاستلقاء أنا وأكوس معا فوق البطانيات ، ومن تصادم الأيدي بجانب طاولة المطبخ عندما كان كلانا يمدّ يده لتناول القدور ، ومن تبادل النظرات الماكرة من فوق رأس تيكا وهي تقف بيننا.

كانت المرة الأولى التي فكّرتُ فيها – وللحظة من الوقت فقط – أنّه ربما يكون هناك جانب إيجابي جراء تدمير سفينة الإقامة المؤقتة. على الأقل لن يكون بإمكاني العودة إلى ذكرياتي معه هناك.

شعرتُ بالغثيان حتى من الانحراف المؤقت في أفكاري. فلم يكن هناك أي شيء إيجابي بشأن طمس منزلي ، وضياع الحياة التي رافقتْهُ.

كنتُ أمشّط شعري المبلل بأصابعي عندما سمعتُ وقع خطوات في القاعة الخارجية ، فمددتُ رأسي إلى خارج الحمام لكي أرى من القادم. كانت تيكا تمشي بتعثّر نحوي ، وهي حافية القدمين وأكثر شحوبا من المعتاد.

قلتُ: «ماذا ؟».

أجابت: «لقد قُبِض على جوريك».

قلتُ: «كيف ؟ ألم يكن يعمل حارسا في القصر ؟ إنه من عائلة كوزار!».

دخلت تيكا إلى الحمام ، وبدأت تمشي وهي غافلة عن برك المياه التي خلّفتُها أثناء تجفيف نفسي. تركتْ آثار أقدام صغيرة خلفها. «قالتْ آرا إنّ أكوس اتصل بهم الأسبوع

الماضي».

قلتُ: «ماذا؟». أكوس كان في ثوفي. أكوس كان في المنزل، خارِج هيسا، وهو يدّعي بأنّ الحرب لم تكن موجودة. لقد كان —

«لقد أقنع جوريك بإدخاله إلى قصر نوفاك. ولم يكن جوريك يريد ذلك، لكنه يدين بخدمة لأكوس». بدأت تيكا تمشي بسرعة أكبر.

قلتُ بنبرة آمرة: «وما الذي ينوي فعله في قصر نوفاك؟ هل هي تعلم؟».

أجابت تيكا: «إنها تشكّ بما هو واضح، أي أنه ذهب ليقوم بالشيء نفسه الذي نحن على وشك القيام به». تراجعتُ واتكأتُ على الجدار.

لقد كرهت هذا الوضع في اللحظة التي زال فيها الغضب. كان من الأسهل أن أفور من الغضب لأنّ أكوس تخلّى عني من دون أي كلمة، ومن الأسهل أن أدع ذلك التصرف يؤكد ما كنتُ أشكّ به حول نفسي، وهو عدم قدرة أي كان على تحملي لوقت طويل. لكن معرفة أنّه تركني بهذا الشكل من أجل سبب...

تابعت تيكا كلامها: «تعتقد آرا أنه بعد أسبوع من دخول أكوس إلى القصر، قبض على جوريك —».

قلتُ وأنا أهزّ رأسي: «ما كان لأكوس أن يفشي باسم جوريك. لا بدّ وأنّ شيئًا قد حدث».

قالت تيكا: «لكل واحد منا حدود، وهذا لا يعني أنّ أكوس قصَدَ أن —».

قلتُ: «كلا، أنتِ لا تعرفينه كما أعرفُهُ أنا. هو لن — يفعل ذلك وحسب».

قالت تيكا وهي ترفع يديها: «حسنا، أيا يكن. من المحتمل أنّ جوريك سيُعدم، لأنّنا أنا وأنتِ نعرف أنّ لازمت نوفاك لا يقوم بالقبض على الناس ثم يتركهم يذهبون

وحسب!».

هززتُ رأسي وأنا أقول: «أعلم ذلك، أعلم». إنّ فكرة وجود أكوس داخل قصر نوفاك جعلتني أشعر مجددا بالحاجة إلى الصراخ. لا يمكن له أن يكون هناك.

سألتُ بهدوء: «هل تعلم إن قُتل أكوس؟».

أجابت تيكا: «أحد مصادرها يقول كلا، ويقول إنه مسجون، لكن لا أحد يعلم لماذا – ما الفائدة التي يمكن له أن يقدّمها إلى لازمت؟». كان ذلك مقياسا بالضبط لمدى خوفي من أبي لدرجة أني لم أكن أشعر بالكثير من الارتياح. كانت أسباب رغبة لازمت في إبقاء الناس على قيد الحياة أسوأ من أسباب رغبته بموتهم. كنتُ أراقب ما فعله بأخي، ذلك العمل البطيء في تدميره وإعادة بنائه. والطريقة التي ضمن بها مستقبله، وميراثه، من خلال بناء ولده على صورته. والآن بما أنّ رايزك قد مات، هل سيقوم بالشيء نفسه مع أكوس؟ تُرى ما مدى الأذى الذي سبّبه له؟.

قلتُ: «لا أدري، لكن أيا تكن تلك الفائدة، فالأمر ليس جيدا». توقفت تيكا عن المشي. وقفنا وجها لوجه، والفقدان المُحتّم تقريبا لصديقين يبرز بيننا. توقعتُ أن أشعر بألم الحزن الشديد، لكن لم يكن هناك شيء. فالثقب الأسود في صدري التهم كل شيء في جسدي دون استثناء وتركني خاوية، مجرد كيس من الجلد تحمله العظام والعضلات.

قالت تيكا: «حسنا، إذا دعينا نذهب ونقتل والدك».

الفصل الخامس والأربعون

سايرا

منذ اللحظة التي أصبح كوكب أورك مجال رؤيتنا ، تلك الكرة البيضاء الدوّامية ، شعرتُ أنّ العدّ التنازلي قد بدأ. كان لدينا ثلاثة أيام. ثلاثة أيام للانتهاء من التخطيط لعملية الاغتيال وتنفيذها. ثلاثة أيام لإنهاء هذه الحرب قبل أن تُدمّر ثوفي وشوتيت معا.

لم يسبق لي أن رأيت السماء فوق فوا بهذا الخواء. كان هناك سفينة دورية حكومية تحمل شعار عائلة نوفاك. وهي واحدة من السفن الجديدة ذات الخطوط القطرية التي تبدو وكأنها تغوص بشكل دائم. كانت تلمع في ضوء النهار الضبابي. وهي السفينة الوحيدة التي أمكن رؤيتها.

قالت تيكا ، عندما لاحظت صمت الجميع: «لا تقلقوا ، فنحن في حالة تخفٍّ ونبدو مثل سفينة دورية بالنسبة إليهم».

في تلك اللحظة بالذات ، ومض ضوء أحمر في لوحة الملاحة. فنظرت إيسا إلى الخلف على تيكا وحاجباها مرفوعان. كان اتصالا ، وربما من سفينة الدورية.

قالت تيكا وهي تفكّ أحزمة مقعدها وتتحرك لكي تقف بجانب إيسا: «صلينا بهم».

«هذه سفينة الدورية X A 774. أرجو أن تعرّفوا عن أنفسكم».

أجابت تيكا دون تردد ولو للحظة واحدة: «هذه سفينة الدورية XA993. ما الذي تفعلونه وأنتم تطفون بهذا الشكل أيتها السفينة XA774؟ فأنا لا أرى أنكم مُدرجين على قائمة الجدول المُحدّث».

كانت تومئ إلى إيسا وتوضّح مكان المنطقة حيث طلب جماعة إيترك منا الهبوط ، وتحثها على التحرك بسرعة.

«في أي وقت صدر جدولكم أيتها السفينة 993؟».

أجابت تيكا: «14:40».

«جدولكم قديم. فجدولنا صدر في الساعة 15:00».

قالت تيكا: «أه ، إنه خطؤنا. سنعود إلى محطة رسوّنا».

وضعتْ إحدى يديها فوق المفتاح لكي تقطع جهاز الاتصال وقالت: «انطلقوا!».

ضغطتْ إيسا بقوة على المُسرّع وانطلقنا بسرعة نحو نقطة الهبوط. كادت تيكا أن تسقط جراء الحركة المفاجئة ولذا تمسّكت بمسند كرسي إيسا. قامت إيسا بإنزال السفينة فوق سطح منزل فارغ عند اطراف فوا كما أشار معارف إيترك.

سألتُ: «هل توجد سفينة دورية XA993 حقا؟». ضحكت تيكا وقالت: «كلا. فأرقام السفن تصل إلى 950 فقط».

بعد أن هبطنا مباشرة ، وقبل أن تتمكن إيسا حتى من إطفاء المحرك ، اندفع مجموعة من الناس نحو السفينة ، وهم يحملون قطعة قماش كبيرة معهم. راقبتهم من خلال نافذة قمرة الملاحة وهم يرمون القماش فوق السفينة ، ويشدّونه بحبال طويلة. وعندما فُتحت الكوة من خلفي ، كانوا قد غطّوا نافذة قمرة الملاحة بشكل كامل. نزل إيترك أولا وصافح رجلا أسود الشعر ، طويلا بما يكفي ليلامس كتفيه. عندما اقتربتُ منهما أدركتُ أنهما يجب أن يكونا أخوين ، وحتى توأم.

قال الأخ: «يا للروعة ، أنت لم تكن تمزح ، فسايرا نوفاك اللعينة معك».

قلتُ: «كيف عرفت اسمي الأوسط ؟».

ابتسم ومدّ لي يده قائلا: «اسمي زيت. وهو اختصار لشيء طويل جدا حتى أنا لا أتذكره. أنا شقيق إيترك الأكبر».

قلتُ: «ربما أنت لا تريد أن تصافحني، لكن يمكنك أن تصافح يد تيكا مرتين».

قالت تيكا: «لا تجعليني أتطوع لمصافحات إضافية. مرحبا. أنا تيكا سوروكتا».

قلتُ وأنا أُشير للخلف إلى إيجية وسيفا: «ها هنا بعض الكهنة». فرفع زيت حاجبه.

قمنا ببقية عمليات التعارف تحت غطاء القماش الذي رُمِي فوق سفينتنا وقد بدا متينا ويصلح لأن يكون تمويها جيدا. عندئذٍ، قادنا زيت إلى باب الخروج من سطح المنزل وهبطنا عدة طبقات من السلالم. لم يكن لبئر السلالم أية نوافذ وبدتْ رائحته نتنة، لكني كنتُ سعيدة لأنه كان ملاذا لنا.

ابتعدتُ عن أخي – ولستُ أدري أيا منهما كنتُ أقصد – لكي أتقدّم بضع خطوات.

سألتُ زيت وأنا أمشي إلى جانبه: «كيف يبدو الأمر في الخارج هناك؟».

أجاب: «حسنا، في البداية حصل الكثير من عمليات السلب والنهب، وهذا مفيد بالنسبة للأعمال. لكن عندها استلم لازمت زمام السلطة، أاب الرعب الجميع. فقد فرض حظرا للتجول، وبدأ بجمع الناس والقبض عليهم، وأشياء مثل هذه. وهذا سيئ بالنسبة للأعمال».

قلتُ: «ما هو العمل الذي تقوم به بالتحديد؟».

أجاب زيت: «التهريب». كان جفناه مرتخيين فوق عينيه بشدة، مما جعلهما يتضيقان نوعا ما، ولديه فم دائم الابتسام. ابتسم لي وتابع: «تهريب الأدوية في معظم

الأوقات ، لكننا نُهرّب أي شيء مُدر للربح ، كالأسلحة ، أي شيء».

قلتُ: «هل قمتَ بتهريب الفواكه ؟.

رفع زيت حاجبه وقال: «الفاكهة ؟».

أجبتُ: «بالطبع ، أريد أن أحصل على بعض فاكهة الآرفا ألتوس ، إنها من تريللا. وبما أنّ الاستيراد من تريللا غير شرعي....».

«فالتهريب هو الخيار الوحيد ، أفهم ذلك». نقر زيت على ذقنه بأحد أصابعه. كان هناك كدمة تحت ظفره ، ثم أضاف: «سأتحرى عن الأمر».

إذا كان لدينا فاكهة آرفا ألتوس ، فبإمكاننا استخدامها للدخول إلى قصر نوفاك دون أن يكتشف أمرنا أحد ، متظاهرين أنّ شحنة لازمت المعتادة قد وصلت مبكرا. ولن يجرؤ الحراس على الأرجح بالمخاطرة في عدم حصول لازمت على ما يريد.

قال زيت: «مهلا ، ربما يجب عليك أن تُغطي رأسك ، فهذا الجلد الفضي... مثير للريبة».

«هذا صحيح».

لقد حضّرتُ نفسي لكي أُخفي وجهي لحظة وصولنا إلى فوا ، ولذا ارتديتُ معطفا أسود طويلا مع قلنسوة. كان مصنوعا من مادة قاسية وخفيفة تُدعى مارشايت ، وهي مستوردة مثل معظم الأقمشة المضادة للماء ، من بيثا. وضعتُ القلنسوة فوق رأسي ، وفتح زيت الباب عند أسف السلالم.

كانت الريح تجعل ثنايا معطفي تتأرجح وأنا أمشي. بدت شوارع فوا أكثر خواء كما لم أرها من قبل ، وهي مليئة برجال ونساء مهرولين إلى الأمام ورؤوسهم منكسة. لم يكن هناك شيء أكثر سهولة من الاختفاء بين هؤلاء الناس.

قال: «إنه ليس بعيدا. هل كل جماعتكِ يسيرون معنا ؟».

نظرتُ من فوق كتفي وبدأت أُحصيهم ، خصلة شعر براقة — تيكا — ونتوء لعقدة شعر فوق الرأس — إيترك — نمَش على الأنف — إيسا — ومشية متوثبة — سيفا — ثم التفتُ وقلت: «يبدو أنهم كذلك».

قادنا زيت عبر شارعين قبل أن يقترب من مبنى سكني آيل للسقوط. ومضَ ضوء فوقنا بينما كان يُدخل المفتاح في القفل. كانت الشقة في المستوى الأرضي ضيقة وفوضوية. وهناك طاولات وخزائن وكراسٍ تستند على الجدران في المدخل.

وقفتُ جانبا بينما كان الآخرون يدخلون ، وأنا أعدّ ، تيكا ، إيترك ، وإيسا قبل أن أُدرك أني نسيتُ التحقق من أمر إيجية. وعندما بدأتُ أشعر بالرعب ، رأيته يهرول باتجاه الباب.

صرختُ قائلة: «ما الذي أخّرك ؟».

أجاب: «لقد انقطع شريط حذائي».

«أنت تعلم أنّ بإمكانك المشي بحذاء غير مربوط مسافة شارع أو شارعين ، صحيح ؟ هذا لا يُشكّل خطرا على الحياة في الواقع».

اكتفى إيجية بتحريك عينيه ، ثم أغلق الباب وراءه. لم تكن الشقة كبيرة. غرفة معيشة وغرفة طعام ، وغرفة نوم ، والأرض مغطاة بفرشات رفيعة ، إحداها فيها ثقب تخرج الحشوة منه. هناك حمام ، لكنّ الدش كان مجرّد أنبوب يبرز من السقف ، ولم يكن يوجد مغسلة. مع ذلك ، كان زيت يُسخّن الماء لصنع الشاي عندما دخلتُ المطبخ.

قال زيت: سوف نرتاح هنا الليلة».

قلتُ: «هل تريد أي مساعدة ؟».

«لا شكرا إلا إذا كنت ماهرة في فنّ تقطيع أزهار الهشفلور الخطير».

رفعتُ أحد حاجبي وأنا أنظر إليه.

«أوه حقا؟ أنت مليئة بالمفاجآت. تعالي وقطعيها إذا».

المكان مزدحم بوجود شخصين في المطبخ، لكني اتخذتُ مكانا لي بجانب لوح التقطيع، بينما وقف هو إلى جانب الفرن. أعطاني زهرة الهشفلور الطازجة – الموجودة داخل جرّة – والقفازات التي سوف أحتاج إليها كي أقطعها من دون أن أتسمم، ثم أشار نحو درجِ السكاكين.

وضعتُ زهرة الهشفلور على لوح التقطيع ثم ضغطتُ بالطرف المسطح للسكين على مكان البتلات لكي أفصلها عن بعضها. عندها قمتُ بحزّ الخط الأحمر الداكن في وسط إحدى البتلات، فانفلقت إلى نصفين كما لو كان ذلك بفعل السحر.

قال زيت: «هذا رائع، كيف تعلمتِ ذلك؟».

صمتُ قليلا. كنتُ أميل لأن أدعو أكوس بأحد الأصدقاء، لكنّ كلمة صديق ما كانت لتعبر عما هو حقيقة بالنسبة إليّ.

قال زيت وهو يمدّ يده نحو جرّة أخرى، في مكان مرتفع فوق الرفوف المائلة: «أه، نسيتُ أني سألتُ عن ذلك».

سألتُه: «هل هذا المكان لك؟ أم لأحد آخر؟».

«كان لأمي قبل أن تموت. لقد ماتت جراء البرد والحمّى. وكان ذلك قبل أن نعرف كيف نُهرّب الأدوية». حنى زيت رأسه فوق قدر الماء الذي وضعه فوق الموقد الوحيد للفرن، ثم نقر على الجرة التي يحملها ليُنزل بعضا من مسحوق قواقع حشرة فينزو فوق الماء.

بقيتُ أقطّع زهرة الهشفلور. كان خطأ عائلتي أنّ والدته لم تحصل على الدواء – بدأ لازمت بأسلوب تخزين الأدوية التي يتبرع بها أوثير ، وسار رايزك على نهجه. لقد حصلتُ على اللقاح الغالي الثمن عندما كنتُ طفلة.

قلتُ: «كنتُ أحبّه ، الشخص الذي علّمني كيفية تحضير زهرة الهشفلور». لم أكن متأكدة من سبب قولي ذلك له ، سوى لأنه شاركني بعض ىلامه ، وأدت القيام بالأمر نفسه معه. لا يجب أن يكون تبادل الألم متساويا – لكنه كان نوعا من العملة ، حزنُه مقابل حزني. أسلوب لاكتساب الثقة. «وقد تركني دون أي تفسير».

أصدر زيت صوتا مبالغا به من مؤخرة حنجرته ، فابتسمت.

قال: «يا له من غبي».

قلتُ: «ليس تماما ، لكن لطفا منك أن تقول ذلك».

شربنا الشاي وتناولنا الخبز الساخن على العشاء. لم تكن أفضلُ وجبة تناولتُها ، لكنها لم تكن الأسوأ. بقي المهربون الآخرون مع بعضهم ، ماعدا زيت ، الذي جلس بجانب إيترك وأخذا يتبادلان القصص لساعات عن طفولتهما. لقد جعلانا نضحك جميعنا بسبب محاولات إيترك اليائسة افتعال مقالب بأخيه الأكبر ، وردود زيت الهمجية عليها.

بعدئذٍ ، وجد الجميع مكانا للنوم – لم تكن مهمة سهلة ، في غرفة صغيرة كهذه – وهكذا ذهبنا واحدا تلو آخر. لم أكن أجيد النوم في أماكن لا أعرفها ، ولذا سرعان ما وجدتُ نفسي أتسلل إلى خارج الباب الخلفي لكي أجلس على الدرج الخلفي المواجه للزقاق.

جلست تيكا بجانبي على الدرج وقالت: «أرى أنك استيقظتِ ، أنتِ لا تنامين كثيرا ، أليس كذلك ؟».

أجبتُ: «النوم هدر للوقت».

أومأت تيكا برأسها وقالت: «لقد استغرقتُ وقتا طويلا لكي أنام مرة أخرى بعد...». أشارتْ بيدها إلى العصابة التي على عينها. «ذكرى فظيعة بعض الشيء».

قلتُ وأنا أطلق ضحكة قصيرة: «بعض الشيء، لستُ متأكدة ما هو الأسوأ من ذلك». صمتُ قليلا وأنا أفكّر بعملية إعدام والدتها العلنية. «لم أقصد أن — أنا آسفة».

قالت تيكا وهي تنظر إليّ شزرا: «لا يجب أن تكوني حذرة جدا بالتعامل معي. عندما لم أكن أحبّك، كان ذلك لأني قمتُ بافتراضات كثيرة. وبعد أن تخليتُ عنها... حسنا، أنا هنا معك في مهمتك المجنونة، أليس كذلك؟».

ضحكتُ وقلت: «بالطبع، أنت معي».

«نعم أنا معك، ولذا عندما أقول شيئًا، لا أريدُكِ أن تأخذيه بشكل شخصي»، قالت بتحفظ: «أكوس».

قلت بتجهّم: «بالتأكيد؟ ماذا بشأنه؟».

تنهّدت قائلة: «بصراحة؟ أنا قلقة بعض الشيء أنه عندما يحين وقت الحسم، فستولين أمر إنقاذه أهمية أكبر من قتل لازمت، بما أنك تعلمين الآن أنه هنا وأنه على قيد الحياة. كنتُ قلقة من ذلك منذ أن أخبرتُكِ ما جرى له».

جلستُ للحظة وأنا أصغي لصوت هواء الليل. كان صاخبا في هذا الجزء من المدينة، رغم حظر التجول وهالة اليأس التي حطّت فوق كل فوا. كان الناس يتجادلون ويضحكون ويعزفون الموسيقى في شققهم طوال الساعات، أو هكذا بدا. وحتى في الزقاق، أرى توهّج المصابيح التي لاتزال مُضاءة، كأنها تتحدى الليل.

قلتُ: «أنتِ قلقة من أني سأفعل ما فعلتُه في المرة الأخيرة، عندما لم أقتل رايزك».

قالت تيكا بثبات: «نعم ، أنا قلقة من ذلك».

قلتُ: «الأمر مختلف هذه المرة ، فهناك أمور... أكثر ، هذه المرة».

«أكثر ؟».

قلتُ: «أمور أكثر أهتم بها. فكل ما كان لديّ من قبل ، والشيء الوحيد الجيد الذي كنتُ أملكه ، كان هو. أما الآن ، فهذا لم يعد صحيحا».

ابتسمتْ ، ولكزتها بكتفي.

عندئذٍ ، سمعتُ شيئًا من خلفي. صرير. ضغط قدم على لوح أرضي قديم. فالتفتُ لأرى شكلا داكنا في غرفة المعيشة ، ظلّ رجل – جندي ، نظرا لحجمه الكبير – يحمل سيفا تياريا. وتحته ، المكان الذي فيه إيجية ، مثل نتوء تحت بطانية ، كان فارغا.

لقد رحل إيجية. وشخص آخر كان هنا.

التفتُ ثم وقفت وركضتُ وصرختُ ، كل ذلك في آنٍ معا. وعندما انحنى ذلك الظل شاهرا سيفه ، خطوتُ فوق رجل أحدهم واندفعتُ بقوة على الدخيل. التقتْ يداي مع الدرع ذي الشق. فكززتُ على أسناني من شدة الألم الناتج عن الاصطدام ، ثم انحنيتُ لمستوى الخصر حتى أتفادى السيف المتأرجح.

أحدهم أخبر الشرطة الشوتيتية لكي تأتي إلى هنا.

أنزلتُ مرفقي تحت الطرف السفلي للسترة المدرّعة ، ثم ضربتُ الرجل بين فخذيه. فتأوه من الألم وقبضتُ على سلاحه. ومن زاوية عيني ، رأيتُ شعر تيكا يتأرجح وهي تقفز على الشخص الذي كان وراء الأول. كان المهربون بالإضافة إلى إيترك وسيفا وإيسا قد استيقظوا الآن وهم يهرولون. اختفى الألم الناتج عن هبتي التيارية بسبب الأدرينالين الذي ارتفع منسوبه داخلي ، لكني لم أنسه. بينما كنتُ أنتزِع السيف من يد الرجل ، استسلمتُ

للرغبة في مشاركة ألمي معه، فزحفت الظلال التيارية حول معصمه، وامتزجت مع تلك التي التفتْ حول سيفه التياري. كنتُ أراقب الاثنين يجتمعان، ويختفيان داخل جسده، الذي أصبح الآن أكثر سوادا.

صرخ، وتابعتُ. اندفعتُ نحو المرأة التالية في الزي الرسمي التي رأيتُها، فأمسكتُ بوجهها بدلا من عنقها، وأنا أضغط الظلال التيارية نحوها إلى أن اختنقتْ بألمي، وإلى أن ملأتْ فمها المفتوح الذي يشهق. أنزلتُ رأسها للأسفل لكي يلتقي بركبتي، التي ارتفعتْ بما يكفي لكي يصطدما معا.

لم أكن خائفة من أعدادهم. لم أكن خائفة من أي أحد، لم أعد أخاف. وهذا ما جعلني أحد أبناء عائلة نوفاك – ليس أني كنتُ قوية جدا ولا يمكن تهديدي، بل لأني نجوتُ مما يكفي من الأهوال والآلام، لأصبح معتادة على حتمية كلا الأمرين. لكني كنتُ قوية – وأعرف هذا.

تابعتُ العراك، فأمسكتُ بالرجل الآخر الذي استطعتُ وضع يديّ عليه. لقد ارتكبوا خطأً في اقتحام منزلنا من خلال ذلك المدخل الضيق، لأنه شكّل قمعا استطاع من خلاله رجل واحد منهم أن يهجم عليّ في كل مرة. ولذا تغلبت عليهم واحدا إثر آخر، حتى لم يبق منهم أحد. كان الصمت خلفي، فافترضتُ أنّ الآخرين قد رحلوا.

التفتُّ لكي أخرج من الباب الخلفي. لم أكن أعلم كم من الشرطة قتلتُ وكم أعطبتُ منهم، لكن في كلتا الحالتين، توجب عليّ الهرب. لكن عندما التفتُّ إلى غرفة المعيشة، رأيتُ زيت وسيفا وإيترك وإيسا وتيكا بانتظاري، وكل واحد منهم يبدو متفاجئا.

صرختُ بهم: «هيا!». فركضنا جميعا.

قالت تيكا بغضب وهي تستند إلى الجدار: «حسنا، لا يُضيّع طاقمك أي وقت في الهرب، أليس كذلك يا زيت؟».

شققنا طريقنا نحو المبنى شبه المُهدّم حيث أقام المتمردون معسكرهم، كان المكان الآخر الوحيد والآمن الذي نعرفه. مشتْ تيكا في المقدمة وهي تجوب الشوارع المتعرجة كما تذكرها على ما يبدو. كانت أطراف المدينة أكثر دمارا وضررا من المناطق الأقرب إلى المركز. كان هناك رسومات جدارية في جانب كل مبنى: حروف بسيطة مكتوبة باللون الأسود، في بعض الأماكن، وفي أماكن أخرى، لوحات جدارية بحروف طويلة بقدر طول رجل، مليئة بألوان لامعة كلمعان الدفق التياري. كانت الرسوم الجدارية تغطي شقوق الأبنية، واللوحات حيث كانت النوافذ، والقذارة التي وسّخت كل جدار بلون بني. لكني كنتُ مذهولة من أحد البيانات البسيطة المكتوبة بأناقة تحت عتبة إحدى النوافذ: آل نوفاك يملكوننا.

أجاب زيت: «ماذا كنتِ تتوقعين؟ إنهم مهربون، وليسوا طموحين بصفة خاصة».

قال إيترك: «نحن لسنا بحاجة إليهم على أي حال. فزيت هو الشخص الذي لديه معارف».

رفع زيت أحد حاجبيه وهو ينظر إليّ قائلا: «نعم، المعارف من أجل تهريب... الفاكهة، على ما يبدو؟».

قلتُ دون تقديم أي تفسير آخر: «نعم».

قال زيت: «ربما الآن هو الوقت المناسب لتفسير سبب حاجتك لحفنة من الفاكهة».

قلتُ: «ربما يكون وقتا مناسبا، لكن كيف يمكننا أن نكون واثقين؟».

أخذتُ قارورة مُهدّئ الألم من المجموعة التي على خاصرتي وأفرغتُها في فمي. كانت واحدة من مجموعات أكوس «الفاسدة» — وهو لم يُخطئ عندما دعاها بذلك، فهي لم

تكن مؤثرة مثل معظم مُهدّئاته تقريبا – لكنها كانت أفضل من لا شيء.

انتشرت النباتات التي تنمو بين شقوق الأرضية في الوقت الذي كنا فيه بعيدين عن هذا المكان. فتعريشات الكرمة بدأت تتسلق على الجدران ، وفي كل مكان أنظر إليه ، هناك بقع ألوان ناتجة عن النباتات البرية. قلتُ في نفسي إنها من النوع الذي يتحول إلى عصيدة ، وهي كانت فكرة أكوس ، وليست واحدة من أفكاري.

فجأة شعرتُ أني بحاجة لكي أكون لوحدي. فتسللتُ إلى بئر السلم حيث أريتُ أكوس لأول مرة أن بإمكاني التحكم بهبتي التيارية. وبينما كنتُ أسندُ ظهري على أحد الجدران الحجرية ، بدأتُ أنزلق على الأرض وكفكفت عيني الدموع.

فيما بعد ، وجدتْ تيكا عبوة عصير فواكه متخمّرة في الخزائن لشخص عاش في هذا المكان قبل تدميره ، شرب الجميع منها لكي نهدّئ أنفسنا قبل ان نحاول النوم مجددا.

اقترحتْ سيفا نخبا ، ترجمته من اللغة الشوتيتية إلى الثوفية: «نخب ما فعلناه ، وما نفعله ، وما سوف نفعله».

شربتُ النخب.

الفصل السادس والأربعون

أكوس

انجرفتْ ذكرياته الأخرى المعنيّة بوقت الأحزان مثل قطرات زيت فوق الماء. ثمة فقدان مفاجئ في حياته. لقد أصبح الآن يشعر بكل لحظة وبكل ساعة. أتى فاكريز ذلك الصباح، ووضع أصابعه على نبض معصم أكوس، ثم غادر. كانت يد فاكريز باردة ومتعرّقة.

مرّت عدة أيام قبل أن يستدعيه لازمت مجددا. وهذه المرة أُحضرَ إلى قاعة الأسلحة، المكان الذي عرف فيه قدَرَه للمرة الأولى. بالطبع لم يكن قدَرَه حقا، لكنّه تحمّل عبأه لعدة مواسم على أية حال. قال له ذلك القدَرَ، لا تثق بقلبك، وقد مقت قدره لذلك السبب. والآن، يعتقد إنّ القدَرَ ربما كان محقا.

كان لازمت يُحدّق إلى جدار الأسلحة وهو ينقر بأصبعه على ذقنه. وكأنه – كما اعتقد أكوس – يختار قطعة من الجبن، فتساءل فيما إذا كان على وشك اختبار نوع جديد من الرعب الذي من خلاله تكسّرت عظام أبيه واقتُطِعتْ أجزاء من جسده بشكل منهجي. بدا أنّ لازمت قد يقدم على شيء من هذا القبيل بدافع الفضول.

لم يُدرك أنّ إيما كانت هناك إلا عندما تحرّكتْ من خلف الظلال، بدت نظراتها محذرة، عندما نظرتْ إليه، وبعدها استعادت ابتسامتها الغامضة، ووقفتها الأنيقة. بما يعرفه عنها أدرك أن ابتسامتها وأناقتها لا تدلان على الراحة، فجل ما تقوم به هو ممارسة الألاعيب مع جلالته.

قال لازمت: «شكرا على التقرير الذي قدّمته يا إيما، يمكنك الانصراف». أحنتْ إيما رأسها، بالرغم من أنّ لازمت لم يكن ينظر إليها، بل إلى جدار الأسلحة. لمستْ ذراع

أكوس وهي تخرج ، وهذه اللمسة الموجزة منحته نوعا من الراحة ، ونوعا من التذكير.

قال لازمت له: «تعال إلى هنا ، فأنا أريد أن أُريك شيئا».

كان يفترض بأكوس أن يتصرف كما لو أنه يخضع لسيطرة لازمت ، ولذا صعد الدرج المفضي إلى المنصة. ثمة لون أخضر مخيف يُخيم على الغرفة ، والضوء يتوهج من خلال صف من الجرار على الرفوف التي هي أعلى من رأس أكوس. هناك كرات بيضاء تطفو داخل الجرار ، الممتلئة بسائل أخضر ؛ إنها مادة حافظة. لقد كانت الكرات عيونا. فحاول أكوس ألا يفكّر بها.

«نحن لسنا حضارة تحتفظ بالتذكارات. ففي النهاية ، قد يوحي هذا بأننا نؤمن بنوع ما من الديمومة ، لطالما أدرك الشوتيت أن الأشياء والأماكن... يمكن أن تضيع بلحظة». أشار لازمت إلى جدار الأسلحة ، ثم أضاف: «لكن بالنسبة إلى الأسلحة ، فنحن نسمح لأنفسنا بتمريرها إلى الأجيال اللاحقة. فهي تبقى مفيدة ، كما تعرف. ولذا بإمكانك اقتفاء أثر عائلتنا هنا ، على هذا الجدار».

مدّ يده إلى أحد الفؤوس في أقصى اليسار. كانت النصل صدئا من قلة الاستعمال ، وكانت هناك بصمات على المقبض الداكن.

قال لازمت وهو يلمس نصل الفأس بإصبعه: «نحن عائلة قديمة ، لكننا لسنا أصحاب ثروة كبيرة ، لقد شقّ جدي طريقه للوصول إلى مكانة بارزة في مجتمعنا ، وهذه الفأس من صنع يده ، لقد كان صانع أسلحة ، لم يكن موهوبا ، ولكنه عوض عن افتقاره للموهبة الفنية بالأعمال الوحشية ، عندما كان يخدم في الجيش الشوتيتي».

وضع لازمت الفأس جانبا ، ثم مشى بجانب أحد القضبان ، وفي نهاية كل منها ، كان هناك سيوف تيارية ميزها أكوس من مقابضها ، وما إن استل لازمت أحدها حتى التفّتْ حلقات داكنة من التيار حول الطرف الأول للقضيب ومنه إلى الطرف الآخر.

قال لازمت بابتسامة وبدا كأنه مُغرم تقريبا: «هذا من تصميم زوجتي. لم تكن مقاتلة موهوبة، لكنها كانت تُبالغ في إظهار عواطفها. كانت تعرف كيف تكون جميلة وساحرة ومُخيفة، كل ذلك في آنٍ معا. من المؤسف أنها قُتلتْ على يد شخص... تافه».

لقد طوّر أكوس مهارته لكي تبقى ملامحه في حالة ذهول.

قال لازمت: «أحضرتُكَ إلى هنا لكي تأكل، فأنا أُدرك أني لن أستطيع منعك عن الطعام كليا. ولذا اعتقدتُ أنّ بإمكاننا تناول العشاء».

كان هناك طاولة فوق المنصة، في الجانب البعيد من الجدار. لم تكن كبيرة بما يكفي لتبدو كطاولة وليمة، لكنها طويلة، وبعرض ذراع أكوس تقريبا، وهناك كرسي عن كل من طرفيها. اعتقد أكوس أنّ هذا كله جزء من استراتيجية لازمت، لكي يجبره على تناول الطعام في الضوء المُخضرّ تحت جرار من مُقل العيون، وعلى مرأى من كل الأسلحة التي استخدمتْها عائلة نوفاك في طريقها المُعبّد بالدماء من أجل الوصول إلى قمة المجتمع الشوتيتي. كان يُراد له أن يكون منزعجا من ذلك.

قال أكوس: «في الواقع، أنا لستُ في وضع يجعلني أرفض العشاء».

قال لازمت وهو يتكلّف الابتسام بينما يُعيد القضيب إلى مكانه: «بالتأكيد لستَ كذلك». ثمة جرس في طرف جدار الأسلحة، موضوع داخل الجدار. ضغط عليه، وأشار إلى الطاولة لكي يجلس أكوس. فعل أكوس ذلك، وهو يشعر بالدوار. فالطعام الذي أعطتْهُ إياه إيما كان كافيا ليبقيه متماسكا فقط ولكنه ابقاه جائعا طوال الوقت لقد كان يشرب كأسا بعد أخرى من الماء، لكي يعطي جسده الانطباع أنه مليء بشيء ما.

كانت حشرات فينزو التي تحوم في كرات الثريا شبه ميتة وقت حان وقت استبدالها. بإمكان أكوس رؤية قشور أجسادها وهي متجمّعة أسفل كل كرة زجاجية، وأرجلها الخشنة مرفوعة في الهواء.

قال لازمت: «أخبرني فاكريز إنك تكره بشدة إلى درجة لم يستطع أن يقرأ ما في قلبك. وإيما تؤكد لي أنك تتقدّم. وأنّ القلب الهش أكثر سهولة في الكسر». لم يُجب أكوس. أحيانا يتساءل إذا كانت إيما تتلاعب به. فهي تُرضي رغبته في قتل والده بينما تتابع طريقها لكي تقوم بعملها الحقيقي. لم يكن لديه وسيلة ليعرف إن كانت صادقة في وقوفها إلى جانبه.

تراجع أحد الألواح الجدارية خلف لازمت، ودخل ثلاثة من الخدم إلى قاعة الأسلحة، وهم يحملون أطباقا مغطاة بقبب معدنية برّاقة. وضعوا طبقا أمام لازمت، وآخر أمام أكوس، وطبقا ثالثا وسط الطاولة، ثم تراجعوا إلى الخلف. لم يعرف أكوس إن غادروا أو أنهم تواروا بين الظلال.

قال لازمت: «أنا على دراية بكيفية تفكير الناس المذنبين، رغم أني أجد الإحساس بالذنب عاطفة لا قيمة لها. ففي نهاية المطاف، لماذا تشعر بالسوء جراء شيء فعلتَه عن قناعة؟». لم يكن قد جلس بعد. أشار بأحد أصابعه، فأتتْ إحدى الخادمات بكأس مصنوعة من زجاج منقوش. سكبتْ شيئًا في داخله، شيئًا بنفسجيا داكنا وسميكا، فشرب لازمت منه.

قال لازمت: «أعلم أنك تظن أن الوقت لا يزال متاحا لتتراجع عما فعلته بصديقك. إنه آخر مسعى لكي تحافظ على جزء من هويتك التي أريدك أن تتخلى عنها بأي ثمن. فأنت شخص تفكّر بالمتناقضات، وقد وضعْتَني أنا وعائلتي وربما كل أبناء شوتيت، في مكان قصي داخلك لا يمكن الوصول إليه، ووضعتَ عليه علامة (سيئ)».

مدّ يده إلى غطاء الطبق الموجود وسط الطاولة، ورفعه. كان الطبق فارغا سوى من جرّة، وهي نموذج مُصغّر عن تلك الموجودة على الجدران. وفيها مادة حافظة مُخضّرة أيضا، وكرتين بيضاوين.

تذوّق أكوس العصارة ولحم طير ميت مشوي. كان بإمكانه الإشاحة بنظره. فهو

يعرف مسبقا ماذا يوجد في الجرّة. ولم يكن بحاجة ليعيد النظر – انقلبَتْ إحدى الكرتين وأظهرتْ عدسة عين داكنة اللون.

قال لازمت: «أنا أنتزع عينا واحدة عندما لا أيد أن أقتل الشخص ، ولكنني أنتزع العينين عندما آمر بإعدامه ، كما حصل مع جوريك كوزار منتصف الليلة الماضية».

بطريقة لا إرادية ازدرد أكوس لعابه ، وأجبر نفسه على إغماض عينيه. فلو بقي ينظر ، سيتقيّأ. وهو لن يعطي لازمت الشعور بالرضا لرؤيته يتقيّأ.

قال لازمت بلطف: «الحقيقة هي أنك لا تستطيع التراجع عما فعلتَهُ. فقد فات الأوان. لن تتمكن أبدا من إعادة الناس الذين حسبتهم أصدقاء لك ذات مرة. ولذا يجب عليك أن تنسى أيضا يا أكوس».

دب الرعب في ركن قصي من عقله ، وهو قريب جدا ، إذ بإمكانه لمسه دون أي صعوبة ، لو تجرّأ على ذلك. فتنفّس وتراجع بعيدا عنه. ليس الآن ، وليس بعد.

ما هي مهمتك ؟

فتح أكوس عينيه ليُحدّق إلى الرجل الذي تآمرتْ دماؤه وعظامه ولحمه من أجل خلقِهِ.

جاء الجواب ، أن أقتل لازمت نوفاك ، أكثر وضوحا الآن من أي وقت آخر من قبل.

جلس أكوس في الطرف المقابل له ، رفع غطاء طبقه وأعطاه للخادم الذي خلفه. يوجد لفافة على طبقه ، قطعة من لحم مطبوخ ، وثمرة فاكهة غير مقشرة. فتجّهم وجه أكوس وهو ينظر إليها.

قال وهو يُمسك بثمرة الفاكهة: «لم أكن أظن أن الشحنة ستصل قبل أسبوع

آخر». تعرّف أكوس على القشرة منذ أن اقتحم مكتب لازمت.

لفتَ انتباهه بريق أخضر اللون فوق كتف لازمت. فقد تراجع اللوح الجداري للخلف بهدوء، وبرز رأس داكن من الفتحة. ارتفع الرأس ليُظهر جلدا فضيا براقا وعينين داكنتين حادتين.

كانت سايرا وراء لازمت، تحمل سيفا تياريا بطول ساعدها تقريبا، وهي تعتزم طعنه في الظهر. لم يتحرّك أكوس قيد أنملة.

لكنّ لازمت، رفع إحدى يديه، وكأنه يشير لطلب كأس أخرى من ذاك الذي يشربه، أيا يكن. فتوقفتْ يد سايرا وهي في خضمّ انشغالها بالضربة.

قال لازمت: «سايرا، كم هو لطف منك أن تتذكّري فاكهتي المُفضّلة».

الفصل السابع والأربعون

سايرا

لم يقم والدي باستخدام هبته التيارية عليّ أبدا. فقد كان ذلك يستلزم منه الاعتراف بوجودي الذي يُفضّل عدم الاعتراف به. ولذا لم أدرك غرابة الشعور بأن أكون هدف قوته الفريدة. لقد شعرتُ بها تتلوّى داخل رأسي، ضغط مزعج داخل رأسي وتحديد في دماغي. كنتُ أفترض أن المنطقة التي يتلاعب بها هي المخيخ.

وبّختُ نفسي قائلة، ليس الآن وقت الحديث في علم التشريح.

كانت هبته التيارية تعمل. فقد تصلّبتْ يدي وذراعي بشكل كامل وأنا أحمل السيف في منتصف الطريق بين المكان الذي رفعته إليه والمكان الذي أنوي الطعن فيه. لم أستطع تحريك باقي جسدي – لم يكن مخدرا تماما – لكنني لم أستطع تحريكه.

لكن بدا أن لازمت ترك لي قدرة تحرك فمي ولساني.

قلتُ وأنا أشعر بصفاء الذهن على نحو غريب رغم معرفتي بأني على وشك الموت: «لا عليك». لقد فاتت آخر لحظة متاحة لي لقتله، كانت سيطرة لازمت على جسدي مطلقة، منذ اللحظة التي عرف بها بوجودي.

حاولتُ النظر إلى عيني أكوس مباشرة، لكي أنقل له ما كنتُ أريده بشكل ما، لكنني لم أتمكّن من التحرّك.

ازداد التلوّي في عقلي بشكل أعمق، فشعرتُ باشمئزاز تام. وارتخت قبضتي عن السيف، فارتطم بالأرض. وقف لازمت قبالتي، التقط السيف، وأخذ يتفحّص المقبض.

قال لازمت: «إنه سيف سيئ الصنع».

قلتُ: «ولكنه يفي بالغرض».

قال: «أي أحمق يملك مطرقة يمكن له أن يسحق جمجمة يا ابنتي الصغيرة». لقد نسيتُ كم كان طويلا. ورغم أني كنتُ أطول من معظم النساء، إلا أنه لايزال أطول مني بكثير، كما كان رايزك. بدا ببشرته الباهتة المظللة باللون الاخضر من خلال ضوء جرار المواد الحافظة، مثل جثة عفنة. أضاف: «اعتقدتُ أنك أكثر دقة بناء على نشأتك وحيدة».

قلتُ: «كانت قدرتي على الدخول محدودة. لولا ذلك ثق إنني كنت لففت نصل أمي بقماش حريري وحشرتُهُ في محجر عينك».

حرّرني بشكل جزئي، ولذا سقطتْ ذراعي إلى جانبي، ووقفت باستقامة، كما استعدتُ القدرة على استخدام عينيّ، إذ أصبح بإمكاني أن أرمش وأنظر إلى أكوس الذي جلس بلا حراك في مكانه بجانب الطاولة. إن كانت المعلومات التي أخبرتنا إياها آرا صحيحة، فقد مضى عليه أسبوعان هنا، ولكن هذه المدة كانت كفيلة بتغيره. لطالما كان نحيفا، لكنّ وجهه الآن هزيل، وإذا وقف، كنتُ واثقة من أنّ الكرش الصغير الذي جعل خصره طريا زال الآن. برزت العظام في معصمه مثل حجارة صغيرة تحت الجلد. كان أكثر شحوبا من المعتاد، ولونه أخضر تحت هذا الضوء مثل أبي، وأشعث الشعر، وبدا أنه لم يستحم منذ أيام.

شعرت بالتعاطف معه لما يعانيه من ألم الجوع، وشعرت بالشوق إليه أيضا، خصوصا بعد أن علمت أنه لم يتخلّ عني فقط لكي يعود إلى وطنه وينتظر انتهاء الحرب. كل ما تقدم صعب علي أن أغضب منه، صحيح أن مجيئه إلى هنا كان ضربا من الغباء، لكنه كان يسعى ورء هدفٍ سامٍ.

حدّقتُ إليه، محاولة أن أعرف إن كان يدركـ أنني أقف أمامه مباشرة، فحدّق إليّ أيضا، لكنه لم يبدُ أنه يدركـ ذلك. بدا تقريبا كإيجية، بعد أن تبادل رايزكـ معه أول ذكرياته

—بدا أنه لا يعرف من أنا، وأين هو. وكأنّ شخصا حطّمهُ ثم أعاد تركيبه بشكل غير صحيح.

قال لازمت: «ثمة مقولة لأحد رجال الدين الشوتيت تبدو ملائمة للظرف الراهن». غزل السكين في راحة يده، ثم أمسك بها من النصل وقدّمها لي». فكززتُ على أسناني عندما بدأ التلوّي يحصل داخل دماغي مجددا، فامتددّت يدي وأطبقت على المقبض.

ارتجفتُ بقوة عندما أدركتُ ما يوشك على القيام به. قاومتُ الشيء الذي داخل دماغي بكل قواي بينما كانت يداي تتشبثان بالمقبض، وتوجهان النصل إلى معدتي. لقد ترك فمي حرا لكي يتمكن من سماعي وأنا أصرخ، كنتُ واثقة من ذلك.

صرختُ: «أكوس! المسهُ!».

قال لازمت: «هبة ابني التيارية ليست فاعلة في هذه اللحظة، لكنه بالطبع، مدعو للمحاولة».

لم يتحرك أكوس. كنتُ أراقبه وهو يزدرد لعابه بصعوبة ويركّز نظراته عليّ.

قال بهدوء: «كلا، لا فائدة من ذلك».

اقتربتْ يداي أكثر، ولمس طرف النصل معدتي—وبطريقة ما، كنتُ أعرف دائما أنّ الموت سيلقاني بهذا الأسلوب، على يديّ عائلتي، وبحدّ سكيني—

لكن رغم أنّ هذا بدا مألوفا وحتى مُتوقّعا، إلا أني رفضتُ قبوله.

لم يخطر لي قبلا، أنه بالرغم من سيطرة لازمت على عضلاتي، إلا أنه لم يكن يتحكم بهبتي التيارية. وبالرغم من أنني—أنا أيضا—لم أكن أستطيع التحكم بها بشكل جيد، إلا أني أدركتُ بأنها جائعة لكي تُشارَك—كعهدها دائما، تريد أن تلتهم كل شيء في طريقها، حتى لو كنت أنا شخصيا في طريقها. لقد أخبرني الطبيب الذي أخذتني أمي إليه عندما كنتُ صغيرة بأنّ هبتي التيارية هي تعبير عما أعتقد أني أستحقّه، وما أعتقد أنّ الناس

الآخرين يستحقونه: الألم.

ربما كان هناك حقيقة في ذلك. ربما كنتُ أتعلّم الآن أني لم أكن أستحقه بقدر ما كنتُ أعتقد ذات مرّة. لكن بغض النظر، كنتُ أعرف شيئًا واحدا: ليس هناك رجل آخر في المجرّة كان يستحق الألم أكثر من الشخص الذي يقف أمامي.

لم أُرسل حلقة مترددة من الظلال، وانتظر متسائلة إن كان ما أقوم به سينجح. بل رميتُ هبتي التيارية على لازمت نوفاك بكل العزم الذي أملكه، فاجتاحه سواد مثل سرب من الحشرات. صرخ دون أن يتحكم بنفسه، ودون ترف الكبرياء. فتوقفت السكين عن التحرك باتجاه أحشائي، لكني لم أستطع التحرر منها أيضا.

عندئذٍ سمعت صوت فرقعة حادة عندما انفجرت جرّة من الجرار المصفوفة فوق الرفوف على الجدران، مثل صوت بالون، وتناثرت محتوياتها على الأرضية. وتهشّمتْ واحدة أخرى بعدها مباشرة. وسرعان ما أصبح الهواء مشبعا برائحة اللحم المحفوظ لمدة طويلة وأخذ الضوء يتغيّر من اللون الأخضر إلى الأبيض. كانت الأرضية ملساء، فتدحرجتْ كتل بيضاء هنا وهناك. خفّتْ حدّة التلوّي داخل دماغي، وأمسكتْ يدان بكتفيّ من الخلف وسحبتني.

صرختُ قائلة: «لا!». كنتُ قريبة جدا، قريبة جدا من قتْله — لكنّ اليدين سحبتاني إلى داخل ممر مخفيّ من خلفي، وما إنّ أصبحتُ في الظلام، علمتُ أنه من الأفضل لي أن أحاول الركض للخلف. لكن بدلا من ذلك، اندفعت إلى الأمام، فرأيتُ تمايلا لربطة شعر أخبرتْني أنّ إيترك هو الذي أمسك بي. ركضنا، وصراخ أبي يلاحقنا داخل الظلال. قفزتُ نصف مجموعة من السلالم، كنتُ أعلم بوجودها، وانعطفتُ بشكل حاد، لكي أجد إيما زيتسيفيس تقف في المخرج داخل المطبخ، وعيناها الزرقاوان جامحتان.

قالت: «تعالي بسرعة». فركضنا معا نحو البوابة الخلفية، حيث كانت تيكا تنتظر وهي تومئ لنا بالخروج.

لقد ذكّرني الركض عبر الشوارع حول قصر نوفاك باحتفال رحلة الإقامة المؤقتة. عندما كانت يدي تمسك بيد أكوس ، ووجهي يحكّني من الطلاء الأزرق ، وأنا أطارده والمطر ينهمر من الأعلى ، وأتذكر الهدوء الذي عم بعد ذلك ، عندما خلعتُ عني ملابسي المُلطّخة باللون الأزرق في حمامي ، وأدركتُ وجود شيء هادئ داخلي ، هدوء لم أشعر به منذ الفترة التي سبقت موت والدتي.

منذ أنّ قبّلني في مطبخ سفينة النقل ، فكّرتُ متى كانت بالضبط اللحظة التي وقعتُ فيها بحبه. الآن ، وأنا أسحب الهواء إلى داخل الرئتين المتصارعتين ، وأتفادى الزوايا ، وأسفل السقوف المنخفضة في أنفاق قصر نوفاك ، كنتُ أتساءل إن أحببت من كان يكذب عليّ ، ويُظهر لي لطفه لكي أكشف له كيفية الخروج من القصر. وإذا حدث الأمر في ذلك الوقت ، فهل هذا يعني أني أحببتُ شخصا لم يكن موجودا ؟ أكان أكوس تخيلا ، مثل واحدة من صور الراوي الدخانية ؟

ما من شيء قد يلفت الإنتباه أكثر من مجموعة من الأشخاص يركضون في الشارع. لذا ، ما إن أصبحنا على بعد عدة شوارع من قصر نوفاك ، وضعتُ القلنسوة على رأسي ومشيتُ ببطء. وهذا ما فعلته إيما ، مغطية شعرها الأشقر بوشاح أسود ، بالرغم من أن اللون الشاحب لفستانها — بلون اللافندر — لايزال يجعل ثراءها باديا جدا للعيان. سيتوجبّ علينا معالجة ذلك قبل أن نصل إلى أطراف المدينة.

شبكتْ تيكا مرفقها بمرفقي ، بعد أن تأكدّت من أنّ جلدي مغطى وكذلك جلدُها. لكن كان من الغريزي أن أسحب ظلالي التيارية بعيدا عنها ، وأركّزها على الجانب الأيسر لجسدي بدلا من الأيمن. لقد ذكّرتْني مواجهة أبي بطبيعة شعور التحكم ، لا أقصد التحكم بالظلال نفسها ، بل ذلك الشعور الأشبه بتصفيح جسدي بالدروع حتى لا تستطيع الظلال لمسي ، وأن أدعها تتدفّق في مكان آخر.

قالت وهي تُشير برأسها إليّ: «بهذا الشكل ، نحن مجرد صديقتين تعودان معا من السوق ، فلا أحد يتوقع أن يكون لسايرا نوفاك صديقة».

لاتزال في بعض الأحيان تقول أشياء تجرحني. لكنها لم تكن تكذب.

مشينا بهذا الشكل، على بعد خطوات خلف إيترك وزيت، وأمام خطوات من إيما.

قلتُ وأنا أميل برأسي بشكل بسيط للخلف: «ستكونين أكثر تخفيا إذا سرت معها، فستبدوان مثل أم وابنتها».

اكتفتْ تيكا بهزّ كتفيها.

عندما تحوّلت الشوارع من شوارع حجرية إلى ترابية، توقفنا من أجل معالجة موضوع ملابس إيما. أعارتْها تيكا معطفا بقلنسوة، بينما ربطت وشاحا داكنا حول خصرها لتغطية معظم ما تبقى من تنورتها. لم يعد بارزا من رداء اللافندر سوى جزء صغير. ومع ذلك، شققنا طريقنا بسرعة إلى المنزل الآمن، وواحد منا على الأقل يتلصصّ من فوق كتفه كل بضع خطوات، وكأنّ هذا ليس مريبا بحدّ ذاته.

عندما اختفينا في المكان الواسع، التفتَ إيترك إليّ وقال: «تعلمين، لقد أُنهِكتُ كثيرا وأنا أُحطّم كل تلك الجرات. وأقل ما بإمكانك فعله هو ألا تبدين غاضبة جدا لأنني أنقذتك».

بما أننا كنا آمنين الآن، صرختُ حتى تعبتْ.

«لقد تمكّنتُ منه! كنتُ على وشك أن أقتله! وأنتَ قررتَ أن تنقذني؟».

برزتْ سيفا من بئر السّلّم، ويداها مضمومتان فوق بعضهما أمامها. هل كانت تعلم أننا سنفشل؟ لم أشأ حتى التفكير بهذه الفكرة.

«تقتلينه!»، كان شعر إيترك ممتلئا بالتراب، مثل السكّر فوق فطيرة. «لقد كنتِ على وشكِ إقحام سكين تياري داخل بطنك!».

«هذه الظلال التيارية ليست فقط لكي تجعلني أرتجف كثيرا، أنت تعلم». اندفعتُ نحوه، فسحقتُ مجموعة من الأزهار الهشة تحت كعب حذائي. «لقد جعلتُها تلتف حوله. كنتُ سأقتُلُه».

ردّ إيترك بهدوء: «ربما ليس قبل أن يقتلكِ».

قلتُ بنبرة آمرة: «و؟». تراجع، فاصطم ظهره بصدر زيت، «عندما يطلب منك شخص مقايضة فرصة موت لازمت نوفاك بحياة كرباج رايزك...» ثم صرختُ قائلة: «... ماذا يجدر بك أن تفعل!».

تردد الصدى لمدة طويلة.

قالت إيما وهي تفكّ مشابك المعطف وتنزع القلنسوة عن رأسها: «أنتِ والفتى كيرسيث كلاكما تثيران غضبي، فأنتما متلهفان جدا لكي تهدرا حياتكما هباء».

صرختُ قائلة: «ليستْ حياتهُ فقط، التي هو مستعد لإهدارها، إنها حياتي أيضا».

قالت إيما: «نعم، كانت تلك صدمة كبيرة، فهو لم يُنقذكِ. ولم أكن متأكدة من أنّ لديه الجرأة على ذلك. كنتُ قلقة للغاية لدرجة أني فكّرتُ بتكوين شيء داخله، لكني خشيتُ من الضرر الذي يمكن أن أقوم به خلال العملية».

قلتُ: «تكوين شيء؟».

أجابت: «نعم. فالسبب الذي من أجله أبقتْ عائلتكِ على حياتي لفترة طويلة هو أنني أُشكّل القلوب بالطريقة التي أختارُها».

قلتُ: «هذا يفسّر كثيرا من الأمور».

«حقا؟». كانت نبرة إيما ساخرة. «على أية حال، أنتِ متماسكة على نحو رائع يا آنسة نوفاك. لقد تمّ تجويع الفتى، كما أنه سُجِن، وضُرِب، وتمّ التلاعب به، وهُدِّد، وأُرغِم

على رؤية مقل عيون صديقه في جرّة عند العشاء، ومع ذلك تفكّرين بما سمح أن يحدث لكِ».

قالت تيكا متبرمة: «إيما».

فتحتُ ذراعيّ على وسعهما وقلتُ: «كلا، كلا. دعيها تقول ما تريد. حسنا، أيهما أنا؟ التي تضحي بنفسها بشكل مزعج، أو تلك الأنانية بصورة مروّعة؟».

رفعتْ حاجبيها الشاحبين جدا لدرجة أنهما امتزجا بجلدها تقريبا وقالت: «هل يجب عليّ أن أختار؟ ستموتين ولذا يتوجب علينا جميعا أن نُكرّمكِ. أنتِ متكبرّة جدا لكي تختفي وراء الظلال وتعيشي حياة عادية. سأقول شيئًا واحدا عن عشيقكِ السابق وهو أنه على النقيض منك، إنه ليس متعطشا للمجد».

كنتُ على وشك أن أردّ عندما انتبهتُ إلى أنّ تيكا قد غطّتْ وجهها. سمعتُ صوتا حادا، كتمتهُ راحة يدها. صوت بكاء بحرقة.

قالت: «جوريك».

هذا أخرج الغضب مني، مثل امتصاص السم الناتج عن عضةٍ ما. لقد نسيتُ. وإيما نسيتْ أيضا، أو ربما لم تختر مثل هذه الكلمات المحددة – أُرغِم على مشاهدة مقل عيون صديقه داخل جرة. لم يكن جورك قد مات وحسب، بل عانى الأهوال ذاتها التي عانتْها تيكا مسبقا. لم تكن تلك هي الطريقة التي يجب أن يموت بها أي شخص.

ذهبتْ إيما إليها بالطريقة التي يمكن للأم فقط أن تفعلها، ورمت بذراعيها حول ابنة أختها وعانقتها بشدة. وقفتُ جانبا، ولم أرغب بالمغادرة، لكني لستُ متأكدة كيف أبقى.

مشتْ سيفا إليهما. كان شعرُها مُصفّفا على شكل جديلة غير متساوية، بشعرها المموّج السميك والناعم نفسه الذي لديّ.

قلتُ: «هل كنتِ تعرفين؟». كان يمكنني السؤال عن أشياء كثيرة، لكني لم آبه للتوضيح.

«لقد شككتُ بالأمر. ولاأزال غير متأكدة تماما مما سيحصل لاحقا، أو كيف يُوجّهنا. أصبح الوضع... معقدا بشكل هائل».

اهتزّ ذقني عندما تحدّثتُ لاحقا: «إذا كنتِ لا تعرفين كيف يوجّهنا... فلماذا أتيتِ؟».

«لن يعجبكِ جوابي». وكأنّ ذلك كان مهما في أي وقت مضى.

رفعتْ سيفا إحدى كتفيها وقالت: «أتيتُ لكي أكون معكِ».

سيفا – المرأة التي تركتْ زوجها وأولادها يعانون من القتل والاختطاف، المرأة التي أقنعتْ ابنها بقتل فاس كوزار، وسمحتْ بموت أوريف بينيسيت بحجّة القدر – أتتْ إلى هنا، لا لكي تناور، بل فقط... لكي تكون معي؟.

لم أكن متأكدة إن كنتُ أصدّقها أم لا، ولذا أومأتُ برأسي بشكل حاد ثم مشيتُ مبتعدة عنها.

كان الضوء المتسرّب من السقف المتشقق داكنا، مثل الجمرات التي لاتزال تبرد. وهذا يعني أنّ النهار قد مضى، من دون خطة ولا طريق، ولا عودة إلى لازمت نوفاك. سيأتي الصباح، وستنتهي معه المهلة التي منحتنا إياها إيساي بينيسيت.

الفصل الثامن والأربعون

سيسي

استيقظتُ وأنا أشعر بطعم لاذع في فمي ، لم أكن متأكدة أين كنت. آخر ما أتذكره أنني كنت في حمامي والدم يُبلّل خاصرتي ، بعد أن طعنني آست. اعتقدتُ أني سأموت ، لكني لا أبدو ميتة حيث أنا ، أيا يكن هذا المكان.

أشعرُ أنّ لساني ملتوٍ ، فأنكمش خوفا جراء ذلك الشعور. أحدهم يحشر مصاصة بين شفتي ، وأنا أشرب. الماء يملأ فمي ، وأنا أنثره حولي قبل أن أبتلعه. عملية البلع تؤلمني ، لا تؤلم حنجرتي ، بل معدتي فأنا أشعر وكأن أحدهم يمزق أحشائي.

أفتحُ عينيّ. لستُ متأكدة لماذا أتوقع رؤية الشق الكبير الذي فوق سريري في المنزل. عندما كنتُ أمرض وأنا صغيرة ، كنتُ أفكّر بأيّ شكل كان ، عوامة؟ أم طير؟ لم يكن بإمكاني التحديد أبدا.

لكن ليس هناك شق في هذا السقف. السقف هنا هو صورة متحركة ، مثل تلك الموجودة على جدران مقر قيادة المجلس. تُظهر سماء زرقاء بغيوم كثيفة تنساب عبرها.

أرفع إحدى يديّ. هناك شيء تكنولوجي تحت براجمي تماما. بإمكاني الإحساس به ، فهو يلسع قليلا عندما أحرّك أصابعي. ربما يراقب مؤشراتي الحيوية ، مثل نبض القلب والحرارة وسكّر الدم. ثمة نقطة خروج فوقه ، موصولة إلى أنبوب فيه سائل صافٍ ينساب عبره. يبقيني رطبة ، كما أفترض ، رغم أنه لا يفعل أي شيء بالنسبة للطعم الذي في فمي.

«آنسة كيرسيث؟».

أرمشُ بعيني ، لكي أُبعِد الشاش الذي يغطي عينيّ ، فأرى امرأة ترتدي زيا أبيض نضرا – قميصا وسروالا – مع مئزر أزرق داكن فوقه. شعرها مشدود إلى الخلف ومثبّت بدبابيس. إنها ترتدي قفازات مطاطية.

أشعر أني غير مقيّدة. أرتّب الأشياء التي أعرفها في عقلي. أنا لستُ في المنزل. ونظرا للسقف فأنا في مكان فخم. مقر قيادة المجلس ؟ كلا ، أوثير – أوثير هو المكان الذي كنا فيه آخر مرة. أنا أتألم. معدتي تؤلمني. يبدو الأمر وكأنّ شخصا مزّق بطني مباشرة...

أتذكّر وجهه في المرآة ، بجانبي تماما. أحدهم فعل ذلك وحسب.

أصرخ قائلة: «آست».

«ماذا ؟». تعبس الممرضة في وجهي. «إنه ليس هنا الآن لقد أتى بالأمس ليطمئن عليك».

أتى ليطمئنّ عليّ ؟! كلا ، أتى ليتأكد أني لا أزال فاقدة للوعي ، أو ليرى إن متت. تعتريني رجفة. كان هنا عندما كنتُ فاقدة للوعي – ماذا لو أنه فعل شيئًا آخر ، ماذا لو أنه حاول إنهاء ما بدأ به ؟ أتخيّل وسادة تضغط على فمي ، وقارورة سم تُسكب داخل حنجرتي ، والقُطب تُنتزع من الجرح في بطني إلى أن تتناثر أحشائي في الخارج –

أقول: «كلا» ، فيأتي كلامي على شكل ضجيج ، «كلا – آست هو من فعل ذلك ، آست طعنني –».

«آنسة كيرسيث ، أعتقد أنك مشوشة ، فقد فقدتِ وعيكِ لعدة أيام –».

«أنا لستُ –».

تقول بلطف: «لقد فُقِدت تسجيلات صور المراقبة الأمنية».

أقول في نفسي ، بالطبع فُقِدتْ ، لكني لا أستطيع أن أتكلّم. وجد آست طريقة

لمحو الدليل!

تتابع قولها: «لكنهم وجدوا السلاح، والبصمات ممسوحة عنه. في بيت رجل تُمكّنه هبته التيارية من التنكر بوجوه مختلفة. وتشكّ الشرطة الأوثيرية أنه كان يحاول قتل المستشارة فوجدك بدلا منها».

أغمض عيني وأشد عليهما. بالطبع. يتصنّع آست السذاجة من أجل السياسة، فهو يشعر بالهبات التيارية، وكان يعرف بالطبع كيف يغطي آثاره. محا التسجيلات، وضلل الشرطة، ووجد أحد المشتبه بهم لكي يُلصق الجريمة به، ثم زرع السلاح هناك....

لكن لماذا؟ لماذا يتحمّل تلك المجازفة؟ لكي يكون على حق فقط؟ لكي يحصل على ما يريد؟ لماذا يهتم كثيرا حتى بما حصل لثوفي في هذه الحرب؟

أقول ببعض المشقة: «إنه هو الفاعل».

أفكّر بينما أغرق في النوم مجددا، ربما، هو لا يهتم بثوفي، لكنه يهتم بشوتيت.

ذات مرة أخبرتْني إيساي القصة، كيف أصبح لديها ندوب. لم أسألها أبدا، لأنّ ذلك لم يكن من الأشياء التي تسأل عنها وحسب. لكنها أخبرتْني.

كنا نجلس على الأريكة القديمة في مدرستي. وهناك قدور تغلي فوق رؤوس المواقد في كل مكان، ولذا كانت زوايا الغرفة مليئة بالبخار. كنا في شيسا، ولذا كان كل ما بإمكاني رؤيته من خلال النوافذ الممتدة من الأرض إلى السقف في الجدار البعيد، هو الثلج الذي يتساقط. كانت غرفتي بالكاد تتسع لي وأنا أمدّ ذراعيّ في كلا الاتجاهين، لكن لديها إطلالة جيدة.

كان تضع وسادة مُطرّزة فوق حضنها، تلك التي اشتريتُها من متجر صغير في هيسا حيث تعمل إحدى صديقاتي من المدرسة الابتدائية. كانت ترتدي جوارب أعرتُها إياها لأنّ جواربها لم تكن تُدفئ بما يكفي. كانت بنية اللون مائلة للصفرة، أو صفراء مائلة للون

للبني ، لم يكن بإمكان تحديد أي منهما أبدا.

أخبرتْني أنها في الحقيقة لم تترعرع في سفينة قراصنة. وذلك هو ما أخبرتْ الناس به لكي تُخيفهم. قالتْ إنّ سفينة النقل التي كانت على متنها وهي صغيرة تقوم ببعض الصفقات المشبوهة بين الحين والآخر ، لكن لا شيء مثير للغضب.

قالت ، وثقي بي ، إذا كان هناك شيء مثير للغضب ، فسيكون أهلي غاضبين.

هبطوا فوق كوكب إيساندر ليتخلّصوا من البضائع التابعة لمهمتهم الأخيرة ، وصدف أنّه الكوكب الذي كان الشوتيت يقومون فيه بعملية بحثهم الموسمية عن الأشياء المفيدة. لكنّ عمليات البحث لم يكن من المفترض بها أن تتضمّن السرقة والجريمة ، بحسب الوثيقة الأخلاقية التي وافقتْ عليها شوتيت عند تشكيل المجلس.

دخل الشوتيت إلى سفينة النقل كما يفعل القراصنة تماما. واجتاحوا السفينة غرفة بعد أخرى ، وفتشوا كل شيء لإيجاد أشياء مفيدة ، وقتل كل من يريدونه كائنا من يكون. قام أحد الباحثين بتهديد والدة إيساي ، وعندما دافع عنها والدُها ، مات كلاهما. لذا اندفعتْ إيساي نحو الرجل بمطرقة لحوم.

سألتُها ، مطرقة... لحوم؟ كنتُ مصدومة جدا لدرجة أنني ابتسمتُ دون إرادتي. مضت الأمور على خير ، فقد ابتسمتْ أيضا.

قالت إنها ضربتْ أحدهم بقوة على رأسه ، لكنّ مطارق اللحوم لم تكن ذات فعالية مع جندي من الشوتيت. في الحقيقة ، لم يكن أي شيء يجدي نفعا ، بحسب ما قالت. كانوا مُميتين. والمرأة قائدة المجموعة ، لا بدّ وأنها أُعجِبتْ بشجاعة إيساي ، لأنه بدلا من قتْلها ، ثبّتتْ إيساي على الأرض ، ونقشتْ على وجهها وهي تقول ، «تذكّريني».

لم تكن قد ذكرتْ آستْ في ذلك الوقت ، سوى لتقول إنّ بعض أصدقائها قد تأذى أو قُتِل أيضا. لكني الآن ، أعرف أنه كان هناك ، وأنّ جنديا شوتيتيا قتل والده ، ونصف

أصدقائه.

بالطبع، كان هناك الكثير من الأسباب بالنسبة إلى آست لكي يهتم بما حدث لشوتيت في هذه الحرب.

«سي؟».

يبدو صوت إيساي متوترا. وتبدو مُنهكة، وشعرُها مُنسدل حول وجهها. تُمسك بيدي وتضغط عليها. أظنّ أنّ آست لم يخبرها أني حاولتُ إرسال رسالة إلى المنفيين الشوتيت في ذلك الوقت، وإلا كانت لتعتقلني بدل أن تجلس إلى جانبي.

«هل...» يبدو صوتي يصرّ مثل بابٍ قديم: «هل عقدت حلفا مع أوثير؟».

تقول: «أنتِ لستِ بحاجة لكي تقلقي بهذا الشأن الآن. ركّزي فقط على التعافي، اتفقنا؟ كدنا أن نخسركِ. كدتُ أن أخسركِ».

أقول: «أنا بخير». أضغط على الزر من أجل رفع النصف الأعلى من السرير. فينتشر الألم عبر ظهري، لكني لا أريد أن أتمدد مجددا. «أخبريني».

تقول: «نعم، لقد عقد حلفا. وقبل أن تقولي أي شيء — نحن بحاجة لذلك السلاح يا سي. فالضغط من أجل الانتقام شديد جدا».

أقول: «الضغط ممن؟ من آست؟». تتجهم في وجهي.

تقول: «من كل مكان. من رأسي، أولا. ومن شيسا، وأوسوك، وهيسا. من قائد المجلس. من كل مكان. لقد قتلوا أناسا أبرياء. ماذا يُفترض بي أن أفعل؟».

أقول، وهذا كافٍ لإغضابها: «أظهري الرحمة».

تسأل بنبرة آمرة: «الرحمة؟ الرحمة؟ أين كانت رحمة الشوتيت عندما دمروا أحد المستشفيات؟ أين كانت عندما ثبّتتني تلك المرأة على الأرض وشرّحتْ وجهي؟ أين كانت

الرحمة بالنسبة إلى أمي وأبي — وأوري؟».

«أنا —».

تقول: «أعطانا أوثير آلة تفجير مضادة للتيار، وسأستخدمها عندما أستطيع. آمل أنك سوف تخبرينني بأنّ دماغك قد شوّشته المهدئات، لأنه ليس هناك شخص عاقل يدعو للرحمة في هذا الوقت».

اندفعتْ خارجة من الغرفة وبدت منتصبة القامة.

قالت، لقد قتلوا أناسا أبرياء، وفي الوقت نفسه تقريبا تتحدث عن القيام بالشيء نفسه. وتلك هي المشكلة — لأنه بالنسبة إليها، ليس هناك أي شخص بريء بين الشوتيت. وذلك هو الفرق الكبير بيننا.

أنظرُ إلى الغيوم عبر سقف غرفتي. إنها أكثر كثافة الآن وأقرب إلى بعضها.

أنا عالقة هنا، وليس لديّ خيارات ولا وقت.

أحلمُ بالكاهنة فارا، وهي تُريني التماثيل في قاعة التنبّؤ في أوغرا. كل واحد منها هو فرد من عائلتي، مصنوع من الزجاج، وكانت سايرا بينها. ثم أستيقظ على وجه آست، وهو يحوم فوق وجهي.

يقول، عندما تطن الخنفساء — لتشير إليه بأني تحرّكت: «أنا لستُ هنا كي أؤذيكِ. ستمضي إيساي في طريقها قريبا. وأنا أردتُ فقط أن أتحدث معك أولا».

يسحب الكرسي إلى جانب سريري، ويجلس، فتجثم الخنفساء على كتفه.

«ربما لاحظتِ أنني لم أخبر إيساي أنك حاولتِ الاتصال بأعدائنا. أنك حاولتِ الاتصال بسايرا نوفاك».

وجهي ساخن. وحنجرتي تحترق. أريد أن أتكلّم. وأريد أن أخنقه.

يقول: «لم أكن أظن أن من الحكمة إثارة شكوكها — أنتِ تخونينها ، وفي الليلة ذاتها ، تمّ الاعتداء عليكِ ؟ لكن يجب أن تعلمي أنه إذا قرّرتُ أن أخبرها ، أنا واثق من أنها ستتعاطف معي أكثر مما ستتعاطف معك. الاعتداء على المرأة التي تُحبّها لأنها خانت بلدها... يمكن غفرانه. ولكن ما فعلته لا يمكن غفرانه».

أكزّ على أسناني وأقول: «أنت —».

يقول: «لذا لا تتخطي الحدود يا سيسي ، فما حدث قد حدث. لقد تمّ إصدار الأمر بالهجوم ، وأعتقد الآن أنه بإمكاننا أن نتفق».

أريد أن أصرخ بسبب ذلك الظلم ، والتيار يجبرني على الصمت ، ذلك التيار المُفترض أنه يعطي الحياة للجميع. إن كان جيدا فلماذا يخنقني ؟ ولماذا يعذّب سايرا ؟ ولماذا أبعد أخي عنا ، ومكّن الطغاة ، وشوّش عقل أمي ؟

أسمع نبرة صوت إيساي الحادة والمتقطّعة خارج الباب تماما. أعرف عندئذٍ ، ماذا يجب أن أفعل.

إذا لم يكن من الممكن التغلب على هبتي ، إذا يجب الاستفادة منها بدلا من ذلك.

أدفع شعور الغضب والحزن والقلق عني. وأدفع الألم أيضا عني بقدر ما أستطيع. أتذكّر النزول رويدا رويدا إلى أسفل البركة في قبو المعبد عندما تعلمتُ السباحة ، والطريقة التي لسع الماء فيها عينيّ في البداية ، وكيف رفع شعري بعيدا عن رأسي ، وجعله يبدو ناعما. وكيف استطعتُ أن أسمع نبضات قلبي.

لقد أخبرتني إيساي أنّ والد آست ميكانيكي ، وكان يقوم بصيانة سفينتهم الصغيرة. ربما كانت تلك الأشياء لا تُسهم في تلطيف آست ، لكنها أشياء قاسية: المقبض المعدني الساخن لأحد الأدوات التي وضعها والده على الأرض. اهتزاز محرك السفينة على

الجدار. وقدماه العاريتان فوق إحدى الفتحات.

يرمش آست بعينيه وهو يقول: «مهلا ، كفى».

أقول: «كلا». إنه مرتاح الآن بما فيه الكفاية لكي أتكلم على الأقل. «كنتَ توبّخني بسبب استخدام هبتي التيارية منذ أن وصلْتَ. وأنت تراقبها وهي تخنقني ، ولا تفعل أي شيء لكي تتأكد من أني مسموعة. حسنا ، سوف أراقبها الآن وهي تخنقك».

يقول آست: «أنتِ تتحكمين بها. لا أستطيع أن أدعكِ تفعلين ذلك».

أكمام مآزر عمال الصيانة تتآكل بصوت ضعيف ، وزيت المحرك يُدعك بين إصبعين ، وهو لزج وناعم. برغي يُشدّ في مكانه لفة بعد أخرى. أقول: «أنت تحاول الحصول على ما تريد ، وأنا أحاول الحصول على ما أريد ، لكن لا أحد منا يتحكم بها».

ينحني ثم يُغمض عينيه ويقول: «كلا ، أنتِ — هذا أمر مختلف».

أقول بلطف: «أنت على حق ، فأساليبي أكثر فعالية بكثير».

«تعتقدين أني أستخدم هبتي بشكل متهور. ليس لديك فكرة كم أكبح نفسي».

أضربه بذلك مرة أخرى: اهتز مقعده من تحته بينما تعبر سفينته الغلاف الجوي. تغضّن الغلاف الذي يأتي حول فطيرة بروتين موجودة في أحد محطات الوقود. ألف هذه التركيبات حوله ، معدنية وبلاستيكية وبخار وشحمة ، إلى أن ربما يعود ليعيش في تلك السفينة أيضا.

ينحني أمام الجدار ويحدّق إلي فقط.

أقول: «لن تعترض طريقي بعد الآن. سوف أقود كلانا بعيدا عن الكارثة ، وسوف تُمكّنني من ذلك».

يُفتح الباب ، وتحضر إيساي وهي ترتدي ملابسها الخاصة بالتدريب. وجهها يلمع

من العرق. تبتسم لي ولآست، ربما تعتقد أننا نعقد صلحا. وكأنّ السلام هو ما يمكنني إقامته مع شخص يعتدي عليّ، ويُهددني، ويستغل عدم قدرتي على الكلام.

تقول وقد امتقع وجهها من المشهد، فأنا متوترة ومنتصبة الظهر، ويداي مضمومتان على شكل قبضتين. آست في حالة ارتخاء وكتفاه محنيتان، وجفناه نصف مغمضتين: «ما المشكلة؟».

أقول له: «أخبرها. أخبرها ماذا فعلتَ بي». يُحدّق، وعيناه مذهولتان.

أقول ببطء: «أخبرها».

يقول لي: «لقد هاجمتُكِ». ثم يقول لإيساي: «أنا من هاجمها».

تقول إيساي: «أنتَ — ماذا؟ لماذا؟».

يقول: «كانت تتدخّل».

لا أستطيع تحمّل هذا المستوى من الطاقة لمدة أطول. أسحب هبتي التيارية وأنا أشهق. عندما يعود آست إلى نفسه، يتغضّن وجهه من الغضب. وتبدو إيساي مصدومة.

أتظاهر بأني أختنق بالكلمات وأنا أقول: «أنا آسفة، أنا...». أترك نفسي أتلعثم، وأُمسكُ بمعدتي بإحدى ذراعيّ وأنا أرتجف. أدعُها تراني ضعيفة وخارجة عن السيطرة.

أقول: «لم أقصد أن أفعل ذلك، لكنني أريدكِ — أريدكِ أن تصدقيني».

يصرخ آست قائلا: «إنها تكذب عليكِ. ألا يمكنكِ أن تري ذلك؟ إنها تستخدم هبتها التيارية لكي تتلاعب بك، وتتحكم بكِ! كانت تفعل ذلك طوال هذا الوقت!».

أقول: «انظري — انظري إلى ذراعه، هناك علامة عضّة، حيث قاومتُه».

تشدّ إيساي على فكّيها. تمشي إليه ثم تُمسك بذراعه وتجعله يقف على قدميه. إنه

يذهب إلى حيث تقول له ، ربما لعلمه أنّه لا يستطيع قتال مستشارة ، أو أني هزمتُه أخيرا. ترفعُ كمّ قميصه ، وها هي هناك — آثار كاملة عن أسناني ، نصف دائرة غير متساوية.

تركتْ ذراعه وهي تُطلق تأوها ناعما.

يقول: «أنا — كانت تحاول الاتصال بالشوتيت! وحاولتْ إرسال رسالة إلى —».

تقول إيساي وهي ترمش بعينيها بسرعة: «اخرس ، لقد وثقتُ بك ، وأنت كذبتَ عليّ. أنتَ — أريد أن يُقبض عليك. أريدك أن ترحل».

أتسللُ بعيدة عنهما ، فأنا لا أستطيع البقاء لشدة تعبي. لكن قبل أن أذهب ، أنظرُ إلى آست ، ورغم أني أعرف أنه لا يستطيع أن يرى ذلك ، إلا أني أبتسم.

الفصل التاسع والآربعون

أكوس

كان أكوس يحدّق إلى النار عندما فُتح الباب في الصباح التالي. لقد توقّع أن ينهار كليا بعد أن هربتْ سايرا دون مساعدته. لكنه بدلا من ذلك، شعر أنّ كل هموم حياته — الألم بشأن الدم والمواطنة والعائلة والقدر — قد زالت، مثلما يُزال اللحم المطبوخ عن العظام. وأصبحت كل الأشياء المشوشة واضحة الآن.

لم يكن ثوفيا أو شوتيتيا، كيرست أو نوفاك، الطفل الثالث أو الثاني. كان سلاحا ضد لازمت نوفاك.

لم يعد ألم الجوع يزعجه بعد الآن، بعد أن جعل عقله وجسده ضعيفين، وأقل فائدة بالنسبة إليه. لم تأتِ إيما لتجلب له مزيدا من الطعام، لذا أدرك أنها على الأرجح قد ساعدتْ سايرا على الهرب، وكان ممتنا لذلك. لم يكن يريد من هذه الحياة سوى تحقيق هدفه.

«أكوس؟».

إنه صوت فاكريز. نهض من مكانه بجانب النار وهو يكبتُ رجفة اعترتْهُ من الهواء البارد بعيدا عن النار.

كان فاكريز يعبس في وجهه.

قال بلطف أكثر من المعتاد: «هل أنت بخير؟».

أجاب أكوس وهو يمدّ ذراعه لكي يلتقطها فاكريز: «أنا بخير».

قال فاكريز: «ليس هذا سبب وجودي هنا. لن يكون هناك فائدة كبيرة مع رحيل إيما. لقد استدعاني لازمت لمناقشة الاستراتيجية، وطلب مني أن أحضرك معي في طريقي إليه».

بحث أكوس عن حذائه، فوجده تحت السرير. فانتعله ورفع حاجبه نحو القائد الذي لم يبتعد عن المدخل.

قال: «ماذا؟».

عبس فاكريز وقال: «تبدو... لا بأس».

مشيا جنبا إلى جنب إلى الغرفة التي كان لازمت يستخدمها للاجتماع. بدا أنها، مكتبه، لأنهما صعدا أحد السلالم ذات الألواح الجدارية الخشبية، بدل أن ينزلا إلى قاعة الأسلحة. اضطر أكوس للتوقف في الأعلى لكي يلتقط أنفاسه، فانتظره فاكريز من دون أن يتذمر.

حيّاه والده بإمالة من رأسه عندما دخل المكتب ذا البساط الناعم ومجلدات الكتب التاريخية المُكدّسة في أماكن مرتفعة. بدتْ قشرة الفاكهة التي دلّت لازمت على تسلل سايرا إلى القصر، متغضنة فوق طاولة لازمت.

عندما أشار لازمت إلى أكوس كي يجلس، جلس هذه المرة، على طرف الأريكة أقرب ما يكون من النار. نظر إلى أصابعه. هل أصبحتْ براجمه أثخن؟ أو أنّ بقية يده بدأت تختفي ببساطة، وجسده يلتهم آخر احتياطات القوة والطاقة التي فيه؟

قال فاكريز وهو يلكز كتفه: «أكوس».

رفع أكوس رأسه وقال: «هممم؟».

قال وحاجباه مرفوعان: «انتبه».

لقد وبّخ أكوس لعدم انتباهه أكثر من مرة. وآخر مرة يتذكرها أكوس، كانت في معسكر الجنود، بعد أن اكتسب درعه، وربما بعض الاحترام من قائده. كان فاكريز يحاضر عن الاستراتيجيا، لأنه يعرف طبيعة الأرض والتضاريس. ولذا كان على الجنود الشوتيت أن يتأقلموا بسرعة، وكأنهم لن يكونوا أبدا فوق أرض وطنهم. قال لهم: حتى فوا، ليست وطنكم. فليس للشوتيت وطن.

قال لازمت وهو يتّكئ على كرسيه وأحد الكتب في حضنه: «أوه، لا توبّخه يا فاكريز»، لم يتمكن أكوس من معرفة عنوان الكتاب. «فهو لا يعمل بطاقته القصوى الآن».

سأل أكوس وهو يرمش بعينيه ببطء أمام لازمت: «لماذا أنا هنا؟».

أجاب لازمت: «لتخبرني بعض الأمور عن مدينتك الأم، فأنا أعرف أنك تتحدر من هيسا».

كان على وشك أن يسأل لماذا أراد لازمت أن يعرف بشأن مدينته الأم — ففي نهاية المطاف، كانت ذكرياته هي ما قد يهتم به أي ولد، مثل أين مكان أفضل متجر للحلويات، أو أي متجر كان يحب أن يتجول فيه لكي ينظر إلى الفتاة التي تعمل خلف المنضدة. لكنّ الجواب، عندما فكّر فيه أكثر بعض الشيء، كان واضحا.

قال أكوس: «سوف تهاجم المدينة». لقد جعلته فكرة اجتياح الشوتيت لشوارع هيسا، واقتحام متجر الحلويات، وربما قتل الفتاة التي تعمل خلف المنضدة، يشعر بالغثيان.

لم يُجِب لازمت.

قال أكوس: «ليس من الصعب اكتشاف ذلك». شعر أنه بعيد عن كل شيء. «هناك ثلاث مدن رئيسية في ثوفي. وأنت هاجمتَ شيسا من قبل، حسنا المدينة التالية

هي ، إما أوسوك وإما هيسا».

قال لازمت: «لا تبدو منزعجا. هل تتوقع مني أن أصدّق أنك لا تشعر بشيء نحو المكان الذي أمضيتَ فيه معظم حياتك ؟».

لن يفكّر بمتجر التوابل الصغير الذي جعله يعطس ، أو المرأة التي كانت تبيع أزهارا مصنوعة من الورق خلال الأشهر الدافئة ، عندما لا تتساقط الثلوج. أو الزقاق أعلى التلة ، الذي كان أفضل طريق للتزلج – والأكثر خطورة – في كل ثوفي. لن يتفوه بأي شيء عن ذلك.

لقد أراده لازمت أن يخون وطنه. قال أكوس في نفسه ، ليس للشوتيت وطن ، وهو يتذكّر محاضرة فاكريز عن الاستراتيجيا.

لكن لم يكن لديه وطن. كان لديه أرض وطن ، مكان ، لم يكن يعرفه أحد بشكل جيد كما يعرفه هو.

قال وهو يثبّت نفسه بقدر ما استطاع: «ليس صحيحا أنني لا أشعر بشيء. بل أني أحمل عرضا لك».

«أوه ؟» ، بدا لازمت مستمتعا. قال أكوس في نفسه ، حسنا ، كان هذا جيدا. من الأفضل أن يكون مستمتعا ويُقلل من قدر أكوس ، على أن يكون مرتابا.

قال أكوس: «ستأخذني معك إلى هيسا ، وبعد أن تجتاحها ، ستتركني هناك ، في منزلي. وبعد ذلك ، لن أسعى إليك ، وأنت لن تسعى إليّ».

«وبالمقابل ؟».

«بالمقابل ، سأساعدكَ في تدمير معبد هيسا».

نظر لازمت إلى فاكريز. بدا القائد وكأنه يقلب الفكرة في رأسه.

قال لازمت: «معبد هيسا ، لماذا يجب أن يكون المعبد مهما بالنسبة إليّ ؟».

أجاب أكوس: «بالنظر إلى هجومكَ على شيسا ، يبدو جليا أنك أردت لتصرفاتك أن تكون غير طبيعية وفيها تصنّع ومبالغة ، فالمبادرات الكبيرة والمُدمّرة تُضعف المعنويات ، وتحصد الكثير من الأرواح. لكنّ هيسا لا يوجد فيها أبنية كبيرة عائمة يمكنك ضربها من السماء. لديها معبد. وصورته موجودة على عملتنا القديمة التي كانت متداولة قبل تشكيل المجلس. ليس هناك شيء آخر تهاجمه في هيسا سوى المعبد».

كان الأمر الغريب هو معرفته بأنّ كلا الرجلين يعرفان ذلك مسبقا. فلازمت كبير في العمر بما يكفي ليتذكر الحصار الذي قادتهُ والدتهُ ضدّ هيسا ، ذلك الحصار الذي لايزال معبد هيسا يحمل آثاره حتى الآن. ذلك المعبد الذي ذهبت إليه جدّة أكوس وهي لا تحمل شيئا أكثر من ساطور جزار ، في حال كانت القصص صحيحة.

حسنا ، ربما أراد لازمت أن يرى إن كان أكوس سيقنعه ، أو أنه اهتم بالمحاولة. المزيد من «الفضول» ، والمزيد من الاختبار. هذا لا يتوقف أبدا.

قال لازمت: «إنه معبد وليس متاهة. وأنا لستُ بحاجة إلى مساعدتك للهجوم عليه ، وبما أنك أخبرتني الآن ، فهذا ما يجب عليّ أن أفعله».

شعر أكوس بنوبة رعب حادة في صدره. لكنه كان يعرف معبد هيسا أكثر من معظم الثوفيين ، ويجب أن يكون هناك قيمة لذلك.

قال أكوس: «طبقا لكل التقارير ، ربما يكون متاهة بسبب تعقيدات مخططاته. كما أنك ستعاني من صعوبة جمة لتجد خريطة له. إذا أردتَ وقواتك المقاتلة أن تتخبطوا مثل مجموعة من الأغبياء ، وتعطوا الكهنة كثيرا من الوقت لكي يستدعوا كل جيش هيسا — وهو أفضل جيش في كل ثوفي — فلتتقدم من دون تأخير».

قال لازمت وهو ينفس الهواء من منخريه: «إذا المخطط هو مجرد شيء تافه ،

فليس هناك خرائط، ويصدف أنك الوحيد الذي تعرف كيف تتنقّل داخله. كم يبدو الأمر ملائما».

قال أكوس بتجهّم: «لا شيء من هذا ملائم. أنتَ جلبتني إلى هنا لأنك اعتقدتَ أنّ لديّ شيئًا مفيدا لأخبركَ به عن هيسا، والآن أنا أخبرك بأني أعرف شيئًا مفيدا وأنت ترفض أن تصدّقه؟». أطلق أكوس ضحكة قصيرة ثم أضاف: «لقد خنتُ بلدي، وتسببتُ بمقتل صديقي؛ ليس لديّ شيء لكي أعود إليه، لم يبقَ لي شيء في العالم سوى ذلك المنزل، حيث الناس سيدعونني وشأني. كن على ثقة بذلك. لذا شن هجومك، وقم بحربك، وقم بأي شيء تريده، لكن دعني وشأني، وأنا سوف أعطيك أي شيء لديّ».

تسمّرت عينا لازمت على عينيّ أكوس، وهما تبحثان وتحسبان. تخيّل أكوس نفسه مخلوقا مُدرّعا، يُمزّق بطنه لكي يجعل فيه مكانا للازمت يدخل منه. شعر بالسلك يتلوّى في رأسه، وبالارتجاف اللاإرادي لأصابعه، وذلك يعني أنّ لازمت كان يختبره. إنه مرتاب كالعادة، لكنّ أكوس اعتاد على تقبّل ذلك.

أمسك لازمت بأصابعه المرتجفة. فشعر أكوس بسريان شيء كالأمل في أحشائه، وعندها —

قال لازمت: «فاكريز، اقرأ ما في قلبه».

أدرك أكوس أنّ الاعتراض سيكون أكثر مدعاة للشك من عدمه، ولذا مدّ ذراعه لكي يلتقطها فاكريز. أصبح الأمر أكثر سهولة بأن يتخيل نفسه مخلوقا مدرعا، كلما أراد الابتعاد عن كل شيء وعن كل الناس. كانت المخلوقات المدرّعة انعزالية، وبعيدة عن كل شيء ينقل التيار. لقد كانت وحيدة، لكن لا يمكن اختراقها، مثله تماما. كان يعرف أنّ معظم الناس الذين قتلوا ذلك المخلوق توجب عليهم طعنه بسكين تحت الذراع أو ملتقى الساقين مباشرة، حيث يوجد مكان بين الطبقات الثخينة التي تغطي جسده، وكان يعرف أنه توجب عليهم بعد ذلك الابتعاد ليدعوا ذلك المخلوق ينزف حتى الموت. لقد قتلتْهُ سايرا

بتلك الطريقة، كان متأكدا من ذلك. إنه أسلوبُها – جِد نقطة الضعف واستغلّها، ثم أنهِ الأمر. كان ذلك أكثر جدارة بالاحترام من أسلوبه، من خلال تهدئة الوحش حتى ينام، ومنحه الشعور بالأمان، وكأنه شخص جدير بالثقة، ومن ثم تسميمه. لكنّ تلك كانت طريقتُهُ.

الآن، لم يكن هناك شيء بإمكانه فعله سوى تخفيف حاجز هبته التيارية لكي يتمكّن فاكريز من شقّ طريقه إلى داخل قلبه. وما سيراه هناك بوضوح كان النية الصافية، والرغبة بقتل لازمت.

لمسَهُ فاكريز، يدُهُ باردة وخشنة كالعادة، فأغمض عينيه للحظات. انتظر أكوس وقوع الضربة، وانتظر نهايته.

قال فاكريز: «الأمر أكثر وضوحا الآن». فتحَ عينيه ونظر إلى لازمت. «كل ما يريدُهُ هو الهرب».

حاول أكوس ألا يُحدّق. كانت كذبة. فاكريز يكذب من أجله.

لم يجرؤ على النظر إلى القائد. لم يرد فضح نفسه.

فقال له لازمت: «حسنا، يبدو أننا اتفقنا يا ابني. أنتَ تأخذني إلى هيسا وأنا أدعكَ تذهب إلى المنزل».

قال أكوس في نفسه، سآخذُكَ إلى أرض وطني، حيث ستموت فيه.

الفصل الخمسون

سايرا

لم يكن هناك شيء يمكن القيام به في الصباح التالي سوى مغادرة المنزل الآمن. مغادرة فوا ولازمت وأكوس. بكلمات أخرى لم يكن هناك شيء يمكن القيام به سوى الاستسلام.

بحثنا في خزائن إحدى الشقق المهجورة، لكي نجد ملابس للجميع، ثم غادرنا المنزل الآمن. لقد وعدْنا إيسا، التي كانت تنتظر الإشارة في السفينة كي تسحبنا، بأننا سنلتقي بها إذا تمكنا من الهرب.

شعرتُ بالقلق ونحن نمشي، فالقماش الخشن لسروالي غير الملائم يحتك بفخذيّ. كما أصبحتْ بطانية أحدهم وشاحا أغطي به وجهي، وهو أيضا سبب الحكاك لي. كان زيت وإيترك في المقدمة، والعقدة فوق رأس إيترك تتمايل مع كل خطوة، ومن ثم إيما وتيكا، على مسافة معتبرة، ثم سيفا وأنا في المؤخرة. بينما كنا نمرّ تحت إحدى النوافذ البارزة، أصغيتُ إلى حديث إيما وتيكا.

قالت إيما: «لقد تركتُ المنزل مُدمرا، وعلى أية حال، إنه بعيد جدا عن معظم اللصوص لكي يهتموا باقتحامه».

قالت تيكا: «ما إن ينتهي كل هذا، سأساعدكُ في ترتيب كل شيء».

قالت إيما وهي تهزّ رأسها: «ذلك المكان مليء بذكريات أوزول على أية حال». كانت قد مررت شعرها وراء أذنيها وتحت ياقة سترتها، ولذا لم تكن واضحة للعيان كثيرا،

لكن ليس هناك تنكّر خالٍ من العيوب.

لقد آلمني وقع صوت اسم أوزول ، لكن ليس بقدر ما آلم إيما ، كنتُ متأكدة من ذلك. أنا لم أقتلهُ ، لكنّ الألم قاده إلى الموت ، وأنا قدّمتُ ذلك الألم. سايرا نوفاك ، الخبيرة بالألم ، ووكيلة العذاب.

وصلنا إلى المبنى حيث كانت السفينة تنتظر ، مختبئة تحت غطائها السميك فوق سطح المبنى وإيسا داخلها. لقد أرسل لها زيت إشارة في الليلة الماضية ، لكي يخبرها على الأقل أنّ بعضا منا كان على قيد الحياة ، لكي لا تغادر المدينة. صعدنا السلالم التي لاتزال رائحتها مثل القمامة ، ووجدتُ نفسي بجانب زيت في مقدمة المجموعة ، فساقاي الطويلتان تعطيانني أفضلية. نظر إليّ بلطف وقال: «أنا —».

تنهدتُ قائلة: «أوه ، لا تفعل. فأنا لا أجيد التعامل مع التعاطف».

قال زيت: «هل بإمكاني إعطاؤك تربيتة منعشة على الظهر؟ أو ربما طمأنينة خشنة؟».

«هل لديك سكاكر؟ سوف آخذ السكاكر».

ابتسم ومدّ يده إلى جيبه ، وأخرج قطعة بغطاء بلاستيكي لامع بحجم طرف إصبع تقريبا. نظرتُ إليه بعينين نصف مغمضتين ، لكني نزعتُ الغلاف بظفري لأكشف عن قطعة صغيرة وقاسية من حشرة فينزو يسهل تمييزها بسبب لونها الأصفر اللامع.

قلتُ: «لماذا تحمل السكاكر في جيبك؟». هزّ زيت كتفيه. دفع باب السطح ففتحه وأدخل ضوء فوا الضبابي إلى داخل بئر الدرج. كانت السماء مغطاة بالغيوم ، وتغلبُ على المدينة ظلال صفراء اللون ، ثمة عاصفة تتحضّر. كان الغطاء السميك الذي يغطي السفينة لايزال مشدودا إلى الأسفل — بشكل رخو ، بحيث تستطيع إيسا الاندفاع بالسفينة بسهولة إذا احتاجتْ لذلك.

كان إيجية يقف على السلّم الممتد من كوة السفينة. قلتُ بنبرة آمرة: «ما الذي تفعله هنا؟».

أجاب بنبرة فيها تحذير: «لن أبقى هنا». بدا مُربكا، فكل وزنه مرتكز على ساق واحدة، وإحدى يديه تُمسكُ بطرف سترته.

قالت تيكا من خلفي: «هذا لا يجيب على سؤالها تماما».

قال إيجية: «أنا هنا لأحذّركم جميعا».

قال زيت: «لماذا؟ هل أبلغت الشرطة الشوتيتية عنا مجددا؟».

أجاب إيجية: «كلا، أنا — أردتُ أن أهرب وحسب. لكي أتخلّص منها». أشار برأسه إليّ ثم أضاف: «وعندها اختلطت... بعض رؤاي مع بعضها. أصبحتْ متداخلة».

قالت سيفا وقد تغضّن حاجبها: «لم تختلط رؤاي مع بعضها».

قال إيجية: «لقد نقلتْ إيساي بينيسيت بعضا من أفكارها عندما أجبرتْنا — أقصد أنها أجبرتْ رايزك — على رؤية ذكرياتها، قبل أن يُقتل. ولذا أنا أملك فهما أعمق عنها مما لديكِ. أنا أعرفها من جميع النواحي».

شعرتُ بأنّ تيكا تحدّق إليّ بتساؤل، لكني لم أستطع أن أُشيح بنظري. كانت عينا إيجية الخضراوان الشاحبتان غريبتين. وأكثر صفاء مما كانتا عليه منذ وقت طويل.

قلتُ: «أعلم أنّ الوقت يداهمنا. كما أنّ إيساي بينيسيت وعدتْ بأنها لن تضغط على أوغرا من أجل ترحيل المنفيين إلى حين انتهاء مهلة الأسبوع المُعطى لي».

قال إيجية: «ليس الترحيل هو ما يشغل بالها الآن. فهي تحضّر آلة انفجار أخرى مضادة للتيار، مثل تلك التي دمّرتْ سفينة الإقامة المؤقتة».

رفعتْ سيفا إحدى يديها لتغطي فمها، وللمرة الأولى، عرفتُ — ليس من الذاكرة،

أو التخمين ، بل من النظر بعينيّ – بأننا كنا نشبه بعضنا تماما. الأنف الحاد نفسه والجبين الشرس نفسه. عائلة كيرسيث ، عائلتي.

قلتُ وأنا أعيد تركيزي: «مضادة للتيار».

قال إيجية: «هذا اسم السلاح. فالتيار هو طاقة إبداعية ، والمضاد للتيار هو النقيض منه. وحيث يصطدم الاثنان مع بعضهما... تنتج قوة كبيرة».

قوة كبيرة ، بالفعل.

عندئذٍ ، خرجتْ إيسا من الكوّة. ركضتْ نحو إيترك وعانقته ، ثم عانقت تيكا ، ثم أنا – بسرعة ، ومع ارتجاف ، لكنه يبقى عناقا.

قالت وهي تلهث: «لقد بقيتِ على قيد الحياة».

قلتُ: تحدثي عن نفسك ، فأنا مجرّد شبح».

قالتْ دون أي أثر للدعابة: «إذا كان هذا صحيحا ، فعلى الأرجح سيكون لمسكِ غير مؤذٍ». نظرتُ إلى تيكا التي هزّتْ كتفيها.

سألتْ تيكا إيجية: «متى من المفترض أن يضربنا هذه الانفجار؟». رمقتُ إيجية بنظرة حادة وقلتُ: «إجابات محددة فقط».

تنهّد إيجية ثم قال: «هذا المساء».

وكان هذا عندما ارتفع أسطول من السفن الصغيرة من المنطقة المحيطة بقصر نوفاك مثل فقاعات ترتفع إلى سطح كأس من الماء. حامت السفن معا لوهلة من الوقت ، ولو أنّ السماء لم تكن خالية تماما ، أو أنها لم تكن تحمل شعار نوفاك على أجنحتها ، لربما لم أكن لأنتبه إليها على الإطلاق. لكن تلك ، كانت سفن لازمت نوفاك ، وهي متوجهة مباشرة نحو الغرب ، نحو الخط الفاصل. إلى ثوفي.

قلتُ: «سيحدث الانفجار المضاد للتيار هذا المساء».

جلس الجميع على السطح الرئيسي لسفينة النقل. ومعظمهم كانوا على المنصة بجانب جدار واحد، حيث الأحزمة اللازمة لربط أنفسنا تتدلى من الجدار، لكنّ تيكا كانت على الدرج المؤدي إلى قمرة الملاحة، وإيسا في كرسي القبطان، تعبث بخريطة السفينة. لم تسمح لي ظلالي التيارية ولا الألم الذي يلاحق تلك الظلال جيئة وذهابا عبر جسدي، بمثل ذلك السكون. فتحركتُ.

قال إيجية: «نعم، لا تأتي الرؤى وهي تحمل ساعة يد، ولذا لا يكون التوقيت دقيقا، لكن بناء على لون الضوء، فسيكون ذلك في المساء».

قلتُ وأنا أحدّق إليه: «هل هذه هي الحقيقة، أو أنّ هذا شيء تخبرني به لكي تتلاعب بي لكي أفعل ما تُريد؟».

«هل ستصدّقين جوابي على ذلك السؤال؟».

«كلا». وقفتُ أمامه للحظة ثم أضفت: «لماذا الآن؟ فأنت كنتَ تهتم بنفسك دائما، طيلة حياتك. إذا ما الذي جرى لك؟ طفيليات دماغية؟».

قالت تيكا: «يجب أن نعرف كيف ننقذ أكبر عدد ممكن من الأرواح. وهذا يعني تفعيل إنذار إخلاء الطوارئ مجددا».

قلتُ: «بروتوكول الإخلاء يعني الهرب إلى سفينة الإقامة المؤقتة. إلى أين سيذهب الناس، إذا أطلقنا الإنذار؟».

أجابت تيكا: «يمكنني تشفير الإنذار برسالة. وبهذه الطريقة، سيعرف الناس الذين لديهم شاشات في منازلهم على الأقل ما سوف يحدث. يمكننا أن نطلب منهم الخروج من المدينة بأي طريقة يستطيعون بها ذلك».

قال إيترك: «والناس الذين ليس لديهم شاشات في منازلهم؟ والناس الذين بالكاد لديهم مصابيح يضيئونها؟ ماذا بشأنهم؟».

تجّهمتْ في وجهه قائلة: «لم أقل إنّ ذلك أمر مثالي، وأنا لا أسمعكُ تقترح شيئا مفيدا».

قالتْ إيما لتيكا: «إذا فعلنا ذلك، ربما لن نتمكن نحن أنفسنا من الهرب. ربما نموت هنا».

خيّم الصمتُ مع هذه الكلمات. لقد تقبّلتُ احتمال الموت عندما قررتُ قتل أبي، لكن الآن بعد أن بقيتُ على قيد الحياة، كنتُ أريد أن أحتفظ بها مجددا. حتى من دون أكوس، وحتى من دون عائلتي، وحتى مع كره معظم الشوتيت لي، ما أخبرتُ تيكا به من قبل كان صحيحا. أصبح لديّ المزيد الآن. لديّ أصدقاء. وأمل من أجل مستقبلي، ومن أجل نفسي.

لكن أيضا، كان لديّ محبة لشعبي. ورغبتهم العنيدة في البقاء على قيد الحياة. الطريقة التي كانوا ينظرون بها إلى الأشياء المفيدة، ليس على أنها قمامة، بل على أنها فرص. لقد تحطمت سفنهم في الأغلفة الجوية المعادية. وتجوّلوا على طول مسار الدفق التياري. كانوا مستكشفين، ومخترعين، ومحاربين، وجوالين. وأنا كنتُ أنتمي إليهم.

قلتُ: «بالتأكيد، دعونا نفعل ذلك».

سألتْ إيسا: «كيف؟ أين تفعّلون الإنذار؟».

أجبتُ: «في أحد مكانين: قصر نوفاك، والمُدرّج. والوصول إلى المُدرّج أكثر سهولة. لسنا بحاجة لأن نذهب جميعا. حسنا من يذهب، ومن يبقى؟».

قال إيجية: «سأغادر هذا الكوكب».

صرختُ قائلة: «بالطبع ، فقد تولّد لديّ ذلك الانطباع بناء على إصرارك المتكرر بأنك لن تبقى».

قالت إيسا له: «سوف آخذكَ إلى خارج الكوكب يا إيجية. أنتَ كاهن وبصفتِكَ تلك ، حياتك ثمينة».

قال إيترك: «وحياتي ليست ثمينة ؟». رمقتهُ إيسا بنظرة.

قلتُ لزيت: «أنتما الاثنان يجب أن تذهبا. فأنتما اتفقتما على عملية التهريب فقط ، وليس على المخاطرة بحياتكما».

قال إيترك وهو يحرك عينيه: «بالطبع ، لا أحد منا هنا سوف يفعل ذلك أبدا. فأنت تتذكرين أنّ معظمنا أتى إلى هنا من أجل قتل لازمت نوفاك ، صحيح ؟».

نظرتُ إلى تيكا وسيفا تباعا ثم قلتُ لسيفا: «أنتِ كاهنة أيضا». قالت سيفا بهدوء: «أنا لستُ خائفة».

أنا كنتُ خائفة. فجزء مني أراد سرقة عوامة والهرب من فوا بأسرع ما يمكنني ، كي أُخرِج نفسي من طريق الانفجار. لكنّ الجزء الأفضل — بدا أنه الجزء الذي يتخذ القرارات الآن — كان يعرف أنه عليّ البقاء ، وعليّ أن أحارب دفاعا عن شعبي ، أو على الأقل أن أسمح لهم بفرصة للدفاع عن أنفسهم. وربما كانت سيفا شجاعة بقدر ما تبدو عليه. ربما أجبرتْها معرفة المستقبل على أن تكون متصالحة معه. لكني لم أكن أعتقد ذلك. كانت خائفة ، بقدر ما كنتُ تماما ، وبقدر خوف أي شخص تماما. ربما ذلك الأمر هو ما جعلني أتقبّل أنها كانت هنا. كان ذلك أكبر قدر من الرحمة التي أمكنني تقديمها لها في تلك اللحظة.

قالت إيما: «يجب أن تقود سايرا الطريق إلى المدرّج» ، فنظرتُ إليها بدهشة. فمن النادر أن تعترف بأهميتي في أي شيء. على الإطلاق. ثم أضافت: «أعتقد أنك على دراية بذلك السجن الواقع تحت الأرض».

قلتُ بابتسامة بعد أن تمالكتُ نفسي كي لا أرد عليها بشكل كريه: «ليس بقدر معرفتي بذكائك المبهر».

قال لي تيكا: «أنتِ تبتلعين الطعم في كل مرة ، أليس كذلك؟».

فكّرتُ بما قالته لوهلة من الوقت ثم أجبتُ: «نعم ، إنه جزء من سحري».

أطلق إيترك الهواء من منخريه. وبدأنا التخطيط.

وقفنا في وقت لاحق فوق سطح المبنى وشاهدنا إيجية وإيسا يدخلان إلى إحدى سفن المُهربين.

لم يقم إيجية بتوديعي. لكنه نظر إلى الخلف قبل أن يختفي داخل السفينة. والتقت عيناه بعينيّ ، فأومأ لي برأسه مرة واحدة فقط. وبعدئذٍ ، رحل أخي.

الفصل الحادي والخمسون

أكوس

لم يكن الاستيقاظ في هيسا من الأمور المُفضّلة لدى أكوس – كان يحبّ الظلام الهادئ للحدّ الفاصل، مع أزهار الهشفلور المُتفتّحة – لكن لديه سحره الخاص.

منذ البداية، في الأسابيع التي تسبق فقدان أزهار هشفلور لبراعمها، كان سرب من الطيور الميتة يطير فوق هيسا كل صباح ومساء في مجموعة كبيرة، ويزقزق بشكل متناغم. كانت الزقزقة حلوة ومشرقة، ولون باطن أجنحتها زهري، مثل لون خدي أكوس. لقد سُميّت بالطيور الميتة لأنها تكون في حالة سبات طوال فصل الشتاء، واعتقد أول شخص صادف أحد الأسراب أثناء السبات أنها ميتة، فبالكاد كانت قلوبها تنبض. لكن عندما يحين وقت الاستيقاظ من السبات، تطير طيلة الوقت، وتسقط ريشها الزهري في كل مكان. كان والده يجمع الريش من أجل أمه، ويضعه في إحدى الجرار فوق طاولة المطبخ من أجل الزينة.

عندما حطّت سفينة لازمت نوفاك بعد العشب الريشي شمال هيسا تماما، تسبّبت بارتفاع كومة من الريش الزهري في الهواء.

قال أكوس في نفسه: على الأقل، لن يتجاوز الريش المنزل. كان منزل عائلته بعيدا عن المكان الذي هبطوا فيه، رغم أنه ضمن قطاع العشب الريشي نفسه. سيقتربون من تلة هيسا من الخلف، حيث لم يكن هناك بيوت، وستقودهم الدرجات المنحوتة في الصخر إلى بوابة المعبد الخلفية.

ارتعش الشوتيت عندما فُتحت كوة السفينة. وحتى لازمت بدا مستجمعا قواه.

لكنّ أكوس انتشى من الهواء البارد ، بدا له الهواء الشيء الأروع على الإطلاق. ضحك الجنود منه عندما صعد في البداية على متن السفينة ، وهو محشو بنصف دزينة من الكنزات والسترات ، وغير قادر على ثني ذراعيه. لكن أحدا منهم لا يضحك الآن.

شدّ أكوس قطعة القماش التي مزّقها من بطانيته على وجهه ، بحيث لم يظهر منه سوى عينيه. وجد مقبض سيف تياري على حضن أحد الجنود غير الحذرين ، وتساءل إن كان بإمكانه الإمساك به ، وطعن لازمت الآن قبل قيام أي أحد بالهجوم على هيسا. لكنّ الجندي أدار ظهره ، فضاعت الفرصة.

استدعى لازمت الجنود ، فذهب أكوس إلى مقدمة المجموعة التي تجمّعت ، فالجنود يقتربون من بعضهم أكثر في الجو البارد. كان لازمت وفاكريز قد ارتديا أكثر من طبقة واحدة من الملابس على الأقل.

ذهب أكوس إلى مقدمة المجموعة وأخذ ينظر إلى تلة هيسا. كان قد أخبر لازمت بأن يذهب إلى هناك من أبعد مكان يمكنه الطيران منه إلى جهة الشمال ، وأن ينسل منخفضا بجانب العشب الريشي والبر ، ثم يدخل إلى هناك مشيا على الأقدام. بالطبع ، هو لم يكن ليسمع صافرات الإنذار التي كانت ستنطلق لو أنّ أحدهم رأى الجنود الشوتيت. كان الأمر غريبا ، كيف تمنى أنه سوف ينجح ، وأنه سوف يفشل ، وكل ذلك في آنٍ.

هناك طريقان إلى أسفل التلة ، واحد يمرّ ضمن منحدر أرضي سوف يحميهم من الرياح الشديدة ، وآخر لن يحميهم منها. اختار أكوس الطريق الثاني. كان يتمنى موت نصف الجنود متجمدين وهم في طريقهم إلى هناك ، أو على الأقل أن تبرد اصابعهم بحيث لا يعود باستطاعتهم حمل السيوف التيارية بشكل صحيح.

توجّه أكوس نحو السهول الجرداء وبدأ بالمشي. لسوء الحظ ، لم تكن المسافة كافية لأي من الجنود الشوتيت كي يتجمد حتى الموت. لكن بحلول الوقت الذي وصلوا فيه إلى أسفل التلة ، ابتكر الناس الذين خلفه استراتيجياتهم الخاصة للبقاء دافئين ، وبعضهم

أكثر من الآخر. كانوا يقضمون أطراف أصابعهم – ليس الفكرة الأفضل – أو يلفون أياديهم ووجوههم بمناديل وألبسة. كانوا يتجمهرون في مجموعات، ويدورون بحيث يتناوبون في التعرض للسعة البرد كل بدوره. تجمّدتْ رموش أكوس، وتخدّر الجلد حول عينيه. كانت الخدعة في المشي أثناء البرد هي من أجل جعل القشعريرة تحدث، والثقة بأنّ جسدك سوف يهتم بنفسه. فعندما تفشل الإرادة في البقاء على قيد الحياة، يبقى الجسد يقاوم.

خفتت حدة الرياح. وكانوا محميين الآن بأنقاض ضخمة من الانهيارات الثلجية، والنتوءات الطبيعية، بما أنّ هذا كان الجانب الوعر من تلة هيسا. ومع ذلك، لم يكن إيجاد الدرجات الحجرية أمرا سهلا. دار حول واحدة من أكبر التشكيلات الصخرية وها هي هناك، أخاديد صغيرة بطول مشط قدمه فقط.

قال فاكريز له: «اعتقدتُ أنك قلتَ إن هناك درجات هنا».

ردّ عليه أكوس بصوت مكتوم بسبب القماش الذي على فمه: «اعتقدتُ أنك قلت إنّ الشوتيت قابلون للتكيّف»، ثم بدأ تسلق المنحدر.

أصرّ لازمت على قيادة أكوس للطريق. بدأ أكوس بالقفز السريع الذي يجعل تسلق الدرجات أسهل، إلا أنه لم يستطع المتابعة. فقد كان محروما من الطعام منذ فترة طويلة ولا يستطيع فعل الكثير بقفزة واحدة. استند على جانب التلة كي يحافظ على ثباته.

قال فاكريز للازمت: «لقد جوّعتَه لأسابيع عديدة والآن تريده أن يقودنا إلى أعلى الجبل؟».

أجاب لازمت: «حسنا، اذهب إلى هناك وساعدهُ، إذا كنتُ قلقا للغاية».

مشى فاكريز متجاوزا لازمت، ومتجنبا عينيّ أكوس، ثم وضع إحدى ذراعيه حول ظهر أكوس. ارتعش أكوس من قوة فاكريز، فالرجل الأكبر منه يستطيع رفعه على رؤوس أصابع قدميه تقريبا وهما يمشيان معا فوق سلالم ضيقة. عصفت الرياح بشدة بحيث لم

يكن أكوس قادرا على سماعه حتى لو همس في أذنه مباشرة، ولذا تسلق الرجلان في صمت، وكان فاكريز يتوقف في كل مرة يلاحظ فيها انقطاع نفس أكوس. بعد مضي برهة من الوقت، أضحت الدرجات أكبر وأكثر تسطحا. ففي نهاية المطاف، كانت مُخصصة للكهنة، وليس للرياضيين.

كانت الشمس تغرب، والثلج يتلألأ تحت الضوء. إنه مشهد بسيط بما يكفي، وقد رآه أكوس آلاف المرات بينما كان يكبر. لكنه لم يحبّه أبدا كما أحبّه في ذلك الوقت، وهو في مقدمة إحدى مجموعات الجنود الغزاة، على شفير ارتكاب الجريمة.

لم يكن الوقت مبكر. عندما وصلوا إلى القمة، غطت بضع أشجار متفرقة اقترابهم، لقد كانت منحنية بفعل الرياح الدائمة. كان على أكوس أن يتوقف عند الدرجة العليا، ولازمت يلوح للآخرين بيده نحو الباب بينما كان فاكريز يبقيه منتصبا.

كان يقف وحده عندما استدار فاكريز ببنيته العريضة حاجبا أكوس عن مجال رؤية لازمت.

قال فاكريز: «تمهل أيها الفتى، وقف». رفع بعضا من ملابس أكوس، وحشر سكينا تحت حزام سروال أكوس، ثم غطى المقبض بإحدى الكنزات.

قال فاكريز بهدوء شديد وكاد صوته يضيع مع الريح: «من باب الاحتياط فقط». لم يكن أكوس ينوي استعمال سكين، لكنه ثمّن المبادرة بغض النظر عن أي شيء.

كادت رائحة بخور هيسا أن تجعل أكوس ينهار. كانت عشبية وحارة – تقريبا مثل الدواء الذي أجبرتْهُ أمه على تناوله لعلاج سعاله المزمن عندما كان صغيرا – وتلسع أنفه ما إن يصبح غير مخدّر من البرد. ذكرته رائحته بدزينة من البراعم، وحفنة من زيارات ما بعد المدرسة التي تمضي بانتظار انتهاء اجتماع سيفا مع شخص في قاعة التنبّؤ، وفترات بعد الظهر في السخرية على أصغر الرهبان الذي يحدّق إلى إيجية فيحمر وجهه بعد أن أصبح مراهقا. بدت رائحتها مثل رائحة المنزل.

انضم أكوس إلى الجنود في خلع بعض ملابسه الخارجية، رغم أنه كان حريصا على حماية السكين الذي أعطاه إياه فاكريز في كل مرة كان يرفع فيها ذراعيه. انتهى الأمر به بكنزة واحدة فقط، ناعمة وذات لون أزرق داكن، إلا أنه ابقى على الجوارب العديدة التي ينتعلها. انتشرت نقاط العرق عند مؤخرة عنقه، وشعر بهواء دافئ عليها عندما خلع قبعته. لاتزال ساقاه متعبتين جراء التسلق، أو ربما كان هذا ترقبا لما كان قادما.

قال للازمت: «سيتوجب عليك قطع الطاقة في المبنى قبل أن تفعل أي شيء آخر. هناك يقع المصدر الرئيسي للطاقة وإلى جانبه مولد احتياطي. خذ معظم جنودك إلى المصدر الرئيسي، فهو في الجانب الآخر للمبنى، وستصادف حراس المعبد. أما المولد الاحتياطي فقريب، ولا أحد يحرسه».

أخرج الخريطة التي كان قد رسمها للمعبد — كان مرسوما فيها الطريق من الباب الخلفي إلى غرفة الصيانة في القبو — ووضعها في يد لازمت.

قال لازمت وهو يتأمل الخريطة: «أنتَ رسمتَ واحدا من الطريقين الموجودين هنا».

قال أكوس: «بالطبع، يجب عليّ أن أُبقي بعض الأشياء مخفية، وإلا لن أتمكن من جعلك تلتزم بجانبك من الصفقة. سآخذُك إلى المولد الاحتياطي بنفسي».

لم يكن متفاجئًا عندما لم يغضب لازمت. فلو غضب لكان إنسانا طبيعيا — أنتَ تعترض طريق شخص في لحظة حاسمة، فيغضب. لكنّ لازمت لم يكن طبيعيا. كان يريد من عالمه أن يُسبب الإثارة له. وتفكير أكوس المُتقدّم بخطوتين فعل ذلك بوضوح.

«أيها القائد نوفاك، ستأخذ الكتيبة إلى المصدر الرئيسي للطاقة. أنتَ وأنتَ —» أشار إلى اثنين من الجنود — أحدهما داكن البشرة، وشعره الخشن مشدود إلى الخلف، والأخرى نحيلة وشعرها أصفر، وبشرتها باهتة مثل بشرة أكوس. «سوف تأتيان معنا».

كان أكوس يعرف أن مهمته ليست سهلة بوجود جنديين معهما ، لكن لا شيء يمكنه فعله بشأن ذلك ، ومن المستحيل أن يصرّ على مجيء لازمت معه بمفرده من دون أن يثير ريبته.. إذا كان عليه قتلهم جميعا ، فسيفعل. ماذا تعني علامة قتل أخرى على ذراعه ؟

كان المعدن البارد لسكين فاكريز يضغط على ظهر أكوس وهو يمشي. قاد المجموعة الصغيرة عبر مدخل حجري ، وتجاوز نصب الكهنة السابقين ، حيث نُقش صف طويل من الأسماء فوق أحد الألواح الحجرية المُسطّحة.

ثمة مصباح في نهاية المدخل كان يتلألأ بضوء زهري خافت ، بسبب تلاشي مسحوق زهرة هشفلور. التفت جهة اليمين وهو يقودهم بعيدا عن قاعة التنبؤ. كان يعتقد أنه من الآمن قيادتهم نحو مهاجع الرهبان الذين كانوا يعيشون في المعبد ، لكنه أخطأ التقدير — عند نهاية صف الأبواب كان هناك امرأة شابة شعرُها مكوم عاليا فوق رأسها ، تتثاءب وهي تشدّ كنزتها فوق كتفها.

تلاقت أعينهما. هزّ أكوس رأسه ، لكنه كان متأخرا جدا — فقد رآها لازمت مسبقا.

قال وهو يبدو ضجرا: «لا تدعيها تهرب».

ركضتْ الجندية ذات الشعر الأصفر ، متجاوزة أكوس وهي تشهر سيفها إلى الأمام ، وسلاسل سوداء من التيار ملفوفة حول قبضتها المشدودة. اندفعت نحوها بإحدى ذراعيها وأمسكت بالفتاة بالذراع الأخرى. خرج من فمها صوت غرغرة خافت ، صرخة مُجهضة قبل أن تتمكن حتى من أخذ شكلها.

ارتجف أكوس.

ردّد في نفسه بينما كان يتذوق طعم العصارة الصفراوية ، أخبرني عن مهمتك.

أن أقتل لازمت نوفاك.

قال لازمت للجندية بصوت هادئ: «ابقي هنا، وتأكدي من أنها لا تُصدر أي صوت، وامنعي أي شخص آخر من التدخل».

استمر أكوس في المشي وهو يبتلع ريقه بصعوبة ثم تجاوز الفتاة التي تشهق الآن ما تبقى من حياتها، والجنديّة، تمسح سيفها المُدمّى بطرف سروالها.

كانت ليلة صافية، ولايزال القمر يرتفع، ويتألق من خلال النوافذ الضيقة التي يمرون بها. لايزال هناك ندوب في الجدران الحجرية جراء حصار شوتيت الذي حدث قبل أن يولد أكوس. تذكّر تمرير أصابعه فوقها عندما كان صغيرا، ومدّ يديه عاليا فوق رأسه لكي يلمس العنف الذي لم يكن قد رآه بعد. كان ذلك العنف يعيش في دمه، ليس لأنه أحد أبناء شوتيت، بل لأنه واحد من عائلة نوفاك. جدّه الأكبر الذي كان حدادا متواضعا وقاتلا متوحشا. والجدّة التي قتلتْ أشقاءها. الأب الذي أمسك بمدينة فوا بيد من حديد. والأخ الذي شوّه إيجية. سوف ينتهي الأمر هنا. والآن.

وصل أكوس إلى الباب الذي بحث عنه، والذي كان يبحث عنه منذ أن هبطوا. لم يكن يؤدي إلى مولد احتياطي. فليس هناك مولد احتياطي للمعبد، حقيقة سبّبت مشكلة خلال أكثر من عاصفة ثلجية، وأجبرتْهم على استضافة مجموعة من الرهبان في منازلهم إلى أن خفتتْ حدة الرياح. كلا، كان هذا الباب يؤدي إلى الفناء حيث تنمو أزهار هشفلور. حقل صغير من سم مميت، هناك في المعبد تماما.

فتح أكوس الباب، وأشار إلى لازمت كي يدخل. قال: «من بعدك». تقدّم أكوس أمام الجندي قبل أن يتبع لازمت إلى داخل الفناء، جاعلا الباب يتأرجح من خلفه. فاجأت الحركة الرجل، ولم يعترض حتى عندما صفع أكوس الباب بينهما، وأغلق قفل الباب كي لا يتمكن من الدخول.

قال لازمت: «إذا كنت تنوي خداعي من أجل تسميم نفسي، فوقتك قد انتهى». التفت أكوس. لم تكن أزهار الهشفلور – تلك التي كان يعتمد عليها لكي يجعل الأمر أكثر

سهولة ، فبراعمها السامة قادرة على إسقاط لازمت حتى لو أنه هو ، أكوس ، لم يكن يستطيع – موجودة. فسيقانها فارغة. لقد حُصدِت الأزهار مسبقا.

كانت السكين لاتزال باردة على ظهر أكوس. لو أنّ فاكريز لم يُعطِها إياها ، لكان الآن في عداد الموتى.

فتح لازمت ذراعيه ، مشيرا إلى كل الأوراق الذابلة التي تحيط به. وقف وسط طريق حجري ضيق يمر داخل الفناء مُخصص لإبعاد المشرفين عن البراعم المسببة للموت. كانت أوراق زهرة الهشفلور تموت في فترة ذروة الاستيقاظ من السبات ، عندما يكون الطقس أكثر دفئا ، رغم أنّ الجذور تبقى صالحة مدى الحياة ، في حال اعتُني بها بشكل ملائم. ولهذا ، كانت كلّ المساحات الخضراء حول والد أكوس مترهلة وتفوح منها رائحة العفن والقذارة ، وهي جاهزة للاستفادة منها إلى حين التبرعم التالي. لم يكن هناك سمّ لقتل لازمت به.

قال أكوس: «هذا غير ملائم. لكن لديّ خطة احتياطية». رفع قميصه ، واستل سكين فاكريز التياري.

قال لازمت: «فاكريز. الآن ، تلك مفاجأة. لم أكن أعتقد أنّ قلبه قد رقّ إلى هذه الدرجة أثناء غيابي».

لقد فقد صوته صفة الرخامة التي لديه في العادة عندما كان يتكلم مع أكوس ، وكأنه كان يلجأ إلى رفع نبرته وتخفيضها مع أحد الأولاد العنيدين. لم يكن هذا لازمت الذي وجده مُسليّا. كان الشخص الذي أجبر الناس على اقتلاع عيونهم.

«سيتوجب عليّ معاقبته حالما أنتهي منك».

كان يطوي أطراف كميه ، طرفا بعد آخر ، ولذا بقيت فوق مرفقيه.

قال لازمت: «أخبرني يا أكوس. كيف تعتقد أنّ هذا سينتهي بالنسبة إليك ؟ أنت

تكاد تموت من الجوع، ومُنهك، وتختار القتال مع رجل يستطيع التحكم بكل حركة من حركات جسدك. ليس هناك احتمال بأنك ستخرج من هذا المكان على قيد الحياة».

أجاب أكوس: «حسنا، إذا تقدّم واقتلني».

شعر بالضغط حول رأسه وهذا يعني أنّ هبة لازمت التيارية تحاول شق طريقها إلى الداخل، لتبحث عن نقاط الضعف. لكنّ أكوس كان المخلوق المُدرّع، ولا شيء يستطيع تجاوز هبته التيارية.

بدأ التقدم باتجاه لازمت، ساحقا الأوراق تحت حذائه وهو يمشي. كان يعرف أنه من الأفضل له عدم التأخّر أكثر. اندفع أكوس نحوه فاصطدمت ذراعه بمعصم لازمت المغطى بالدرع. شهق أكوس من شدة الألم الناتج عن الاصطدام، لكنه لم يتراخَ. لقد عاد إلى الحلبة، لكن لم يكن هناك حشد ساخر هذه المرة، ولا سوزاو كوزار الذي يتعطش لدمائه. لم يكن هناك سوى صوت صرير أسنان لازمت في الظلام، ودروس سايرا يتردد صداها في رأسه وهي تطلب منه أن يفكّر. أن يتخلّى عن أفكار الشرف. وأن يبقى على قيد الحياة.

شعر بضغط هبة لازمت التيارية مرة أخرى، وهي تنقضّ بشدة على جانبي جمجمته.

ابتعدا عن بعضهما. كان لازمت يرتدي درعين على كل من معصميه وعلى صدره وظهره. كان عليه أن يصوّب نحو الأعلى أو الأسفل. انحنى أكوس مندفعا نحو والده وكأنه يقصد الإمساك به وطعنه في الجزء الأسفل، أي على رجليه. شعر بخط من الحرارة في مؤخرة عنقه بينما كانت سكينه تحفر في فخذ لازمت. لقد جرحه لازمت.

تجاهل الدماء التي كانت تسيل فوق ظهره، وتُبلل قميصه، وتجاهل الإحساس بالألم. كان لازمت يئن وهو يُمسك رجله بإحدى يديه.

صرخ الرجل قائلا: «كيف ؟».

لم يُجب أكوس. شعر بأنه غير ثابت على الأرض ، فالأسابيع ذات الغذاء المحدود نالتْ منه. لا يمكن دفن كل شيء تحت الأدرينالين. تابع الاندفاع متعثرا نحو لازمت مجددا ، مستخدما عدم إمكانية تنبؤ لازمت بحركته لصالحه ، مثلما فعلتْ سايرا عندما اضطرت لقتال إيجية في الحلبة وهي تعاني من فقدان كبير في الدماء. بينما كان العالم يميل من حوله ، وكذلك هو ، فانقض نحو الأعلى ، على عنق لازمت. أمسك لازمت بذراع أكوس ولواها جانبا بقوة. انطلقت شرارة الألم في كتف أكوس ثم انتشرت عبر كامل جسده. صرخ ، وسقطت السكين من يده على الأرض العفنة ، وما لبث أن سقط على الأرض أيضا ، مستلقيا بجانب قدميّ لازمت.

انهمرت الدموع على جانبي وجهه. كل هذا التخطيط ، وكل هذا الكذب — خيانة أصدقائه ، وعائلته ، وبلاده — وسايرا — وانتهى الأمر إلى هذا.

قال لازمت: «أنت لست أول ابن يحاول قتلي ، أنت تعلم ذلك». رفع قدمه وضغط بها فوق مفصل كتف أكوس المصاب. حتى مجرد لمسة من حذاء الرجل جعلتْ أكوس يصرخ مجددا ، لكنه ثبّت إحدى قدميه ببطء ووضع كل ثقله عليها. لم يعد أكوس يرى أي شيء ، فجاهد لكي يبقى حاضرا ويبقى واعيا ، ويُفكّر.

تمنى لو أنه فكّر أن يسأل سايرا كيف فعلتْ ذلك ، وبقيتْ تفكّر في خضم الألم ، لأنّ الوضع بدا مستحيلا بالنسبة إليه — فكل ما تبقى له كان شرارات حارّة من العذاب.

مال لازمت مقتربا منه ، لكنه لم يحرّك قدمه ، قال: «لقد فاجأني رايزك ، أيضا ، حين كنا في رحلة الإقامة المؤقتة معاوتجراً على الاعتداء علي ، وسجني —». صمت لازمت قليلا ثم أضاف: «لكني لم أمت حينها — كان رايزك ضعيفا جدا! — وأنا لن أموت الآن ، أليس كذلك ؟».

قام بليّ إصبع قدم أكوس وكأنه يسحق حشرة عنيدة. فصرخ أكوس مجددا ،

والدموع تنساب على شعره ، وتلتف حول أذنيه. سمع عويلا بعيدا ، فقد انطلقتْ صافرات إنذار هيسا ، مستدعية الجيش للقتال. كان الأوان قد فات ، وكذلك بالنسبة له ، كما فات الأوان بالنسبة للراهب الموجود في المدخل وبالنسبة لمعبد هيسا.

حملت هذه اللحظة كل ثِقل القدر ، وثِقل الحتمية ، وقد ابتدأتْ من اللحظة التي أخبرتُهُ فيها فارا الكاهنة عن الكيرتا الخاصة به ، حقيقته التي تُغيّر الحياة. لم يُحرّرهُ إلهام أبويه من مستقبله ، بل قادهُ إليه ، وسحبه إلى جانب والده مثل سمكة علق الخطاف بشفتها. قال له صوت أمه ، واجِه القدر ، لأن كل شيء آخر هو وهم.

أدرك الآن ، كيف شعرتْ سايرا عندما طالبتْه بأن يختارها ، رغم أنه لم يكن يعرف ، في ذلك الوقت ، أنّ بإمكانه ذلك حقا. قالتْ له ، لا أريد أن أكون شيئًا «تعاني» منه أنت. هناك شيء قوي في تلك الخصلة من خصالها ، رفضُها القبول بما لم تختره ، قوة ما تريد.

قالت ، أنا لا أريد ، فشعر بذلك الآن.

لم يكن يريد أن تكون هذه هي النهاية ، القدر الذي عانى منه. وفي خضمّ كل ذلك الألم ، كان أكوس يفكّر.

رفع ركبته إلى الأعلى ، لتصل إلى صدره ، ثم رفس بقوة على الجرحِ الذي في رجل لازمت. زمجر لازمت ، وقد أُخِذ على حين غرّة ، فتراختْ قدمه قليلا عن كتف أكوس. وبصرخة منه ، دفع أكوس برجله الأخرى الثابتة على الأرض فكشط ظهره على الأرض ، نصفه فوق الأوراق ، ونصفه فوق الممر الحجري ، ثم رفع ذراعه المصابة إلى الأعلى ، ويده تبحث بين سوق الأزهار عن سكين فاكريز.

تراجع لازمت للخلف وهو يُمسك رجله بيد واحدة. شعر أكوس بقبضة السكين المعدنية ، فأمسك بها. شعر بنبض قلبه في عنقه ورأسه وكتفه. فدفع نفسه لكي يقف على قدميه وهو يرتجف ويترنّح من الألم. لم يكن القدر هو الذي جلبهُ إلى هنا. فقد اختار هذا.

وكان يريد هذا. والآن يريد موت لازمت.

صدحت أصوات صافرات إنذار هيسا. واصطدم هو ولازمت، درع ضدّ لحم بشري. فوقعا معا وارتطما بالأرض المتجمدة والأوراق الشمعية. شعر أكوس بنوبة ألم أخرى في كتفه. كانت أذرعهما متشابكة، وكلتا يديّ لازمت حول معصمه، تحاولان إبعاد السكين عنه.

قال أكوس في نفسه، لا مكان للشرف في مسألة البقاء على قيد الحياة.

حنى رأسه وعضّ ذراع لازمت. أطبق أسنانه بكل ما أوتي من قوة، متذوقا طعم الدم، ومُمزقا اللحم. صرخ لازمت بصوت مكبوت. دفع أكوس بالسكين إلى الأمام، ثم حرّك رأسه وهو يمزّق الجلد والعضلات التي على ذراع لازمت. اندفعت السكين مباشرة في عنق لازمت. وتوقف كل شيء.

كان أوسيه كيرسيث يحطم الأشياء بهبته التيارية، مقاعد العوامة، ووسائد الأريكة. والطاولات والأكواب والأطباق. لقد حطّم إحدى ألعاب أكوس ذات مرة بالخطأ، فأجلس ابنه الأصغر في حضنه كي يريه كيف يمكنه إصلاحها، مثل السحر، بالهبة نفسها التي تسببت بتحطيمها. لم تبدُ اللعبة سليمة أبدا مجددا، لكنّ أكوس فعل ما بوسعه.

كان يلاحق والدتهم في أرجاء المطبخ بأيدٍ مغبرة بالطحين لكي يضع بصمات أصابعه على ملابسها. كان الشخص الوحيد الذي بإمكانه جعل سيفا تضحك من أعماقها. الشخص الذي أبقاها حاضرة، وثابتة – على الأقل، بقدر ما كان ذلك ممكنا بالنسبة لكاهنة.

كان أوسيه كيرسيث صاخبا وفوضويا ومُحبّا. كان والد أكوس. وهذا الرجل – هذا الرجل المُدرّع القاسي والبارد، الذي يستلقي على بعد ذراع منه – لم يكن والده.

استلقى أكوس بجانب لازمت عندما كان يُحتضر، وهو يضع الذراع التي أصابها

والده فوق صدره ، وأخيرا لديه الرغبة مجددا.

كان شيئا بسيطا – مجرد توق بسيط للبقاء على قيد الحياة – لكنه أفضل من لا شيء.

الفصل الثاني والخمسون

سايرا

مرّرتُ أصابعي فوق الجلد الفضي الذي على رأسي. لقد بدأ يولد نبضات كهربائية مشابهة لتلك التي تولدها الأعصاب الحقيقية، ولذا كان بإمكاني الشعور بنقرات خفيفة في المكان الذي ألمسه فيه. كان شيئًا مريحا، مثل الوقوف تحت مطر بيثا الدافئ.

قالت تيكا: «توقفي عن ذلك، يا رأس الطبق، فأنت تلفتين الانتباه».

توقفنا في الساحة الخارجية للمدرج. في عهد حكم أخي، كان هذا المكان مزدحما بالباعة، بعضهم من كواكب أخرى – ممنوعون من التخاطب معنا باستخدام لغاتهم، بالطبع – وبعضهم الآخر من شوتيت. وبدتْ رائحة الهواء مثل الدخان واللحم المتفحم والأعشاب المحترقة من خيم كوكب إيساندر، حيث يبدو الجميع متناغمين مع الروائح. كنتُ أغطي يدي بكمي قميصي لكي أتجنب لمس أحد، خشية إعجاب الجماهير. كان أخي طاغية بقدر لازمت، لكنّ جزءا منه كان يتوق للإعجاب، وهذا ألهمه بتقديم التنازلات، في بعض الأحيان. لم يكن لدى لازمت مثل هذا التوق.

على ضوء ذلك، لم تكن الساحة مزدحمة بالناس الذي يصرخون بالأرقام على بعضهم بعض. ولم يكن الجنود يتجولون بين الأكشاك، على أمل الإمساك بشخص يتحدث بكلمة من لغة أخرى، لكي يتمكنوا من ابتزاز بعض المال أو التهديد بالعقوبات. هناك بعض الطاولات مُجهزة بالبضائع – معظمها طعام، موسومة بأسعار مرتفعة – بالإضافة إلى بعض الشوتيت. كنتُ أشكّ برغبة الكثير من الأجانب بالتواجد في بلد منخرط بالحرب، رغم أنّ ذلك كان مربحا.

قلتُ لتيكا وأنا أضع يديّ بجانب بعضهما على جمجمتي: «إنها أقل من طبق وأكثر شبها بوعاء».

«ماذا؟».

أجبتُ وأنا أريها يديّ مجددا: «الجلد الفضي، إذا كان يشبه أي نوعٍ من أدوات المائدة، فهو وعاء، وليس طبقا».

قالت تيكا عابسة: «لم أكن أعني (طبق) كما في (طبق العشاء). كنتُ أعنيها كما في لوح معدني، مثل الذي في جانبِ أي سفينة – أتعلمين؟ هذا سخيف. وأنتِ سخيفة».

ضحكتُ.

كنتُ أظن أننا سنعاني من قلة الحشود التي تفيد في تنكّرنا، لكن كان هناك بعض الجنود الذين تمكنتُ من رؤيتهم. حراس بجانب المداخل والمخارج المعتادة، لكن كان من السهل التعامل معهم. لقد اقترحت سيفا ممرا أكثر هدوءا يوصلنا إلى داخل المدرج. فهي وإيما ستقتربان من الحراس على المدخل بشكل مباشر، وتقنعهما بأن يسمحا لهما بالتجول في الحلبة. كانت إيما ترتدي تنورة اللافندر لهذه المناسبة، ولذا ستبدو امرأة ثرية، ومُهمة، وتستحق تجاوز القوانين من أجلها. وهذا سوف يُبعد انتباه الحراس عنا، وفي الوقت نفسه أيضا، يعطي إيما وسيفا فرصة الدخول بنفسيهما.

تعهد زيت وإيترك بخلق نوعٍ من الإلهاء قرب الباب الجانبي، لسحب الحراس إلى هناك. وكان عليّ وعلى تيكا الدخول من ذلك الباب في الوقت الذي يتعامل الحراس فيه مع أيٍ مما يفعله زيت وإيترك. كان من السهل جدا التعرّف إلينا. قلتُ لتيكا وأنا أشير برأسي إلى المدخل ذي القنطرة الضخمة: «ها هي تذهب إلى هناك». كانت تنورة إيما تتأرجح مع الريح. وقد شدّت وشاحها بشكل محكم حول كتفيها، وبدأت تمشي عبر الساحة.

لقد مررتُ عبر قوس المدرج وأنا في طريقي لتحدي أخي. كان الأمر أكثر بساطة

حينها. عدو واحد، وطريق واحد نحو الأمام. الآن، كان هناك طغاة ومستشارون ومنفيون وفصائل لا حصر لها بين الناس الذين يخدمون كل واحد منهم. وهناك أكوس، أيا يكن معنى ذلك.

قالت تيكا لي وكأنها قارئة أفكار: «قالت سيفا إنه ليس هنا. فلازمت يأخذه إلى أي مكان يذهبون إليه. أعرف أنّ هذا لا يدعو للطمأنينة كثيرا، لكن... من الأفضل له أن لا يُصاب بالانفجار، صحيح؟».

كان ذلك صحيحا. عنيتُ أنّ بإمكاني التفكير بكل وضوح. لكني لم أشأ الاعتراف بذلك، فهززتُ كتفي.

قالت تيكا: «سألتُها بالنيابة عنكِ. فأنا أعرف أنّ كبرياءك الشديد يمنعك من أن تفعلي ذلك بنفسك».

قلتُ متجاهلة إياها: «حان وقت الذهاب».

بدأنا المشي عبر الساحة، محافظتين على مواكبة الخطى مع سيفا التي كانت تفعل ما بوسعها لتبدو عادية ومألوفة. وقفتْ عند إحدى الطاولات لكي تتفحّص طبق عشب ريشي مقليّ، وبقيت وتيكا في الجانب الآخر نراقبها من خلال الدخان الضبابي الذي ينبعث من محل إصلاح السيوف التيارية.

شاهدتُ سيفا وإيما تقتربان من حراس المدخل، كنتُ واثقة من أنّ كلام إيما مقنع وسريع وسيتيح لها دخول المدرج. ففي نهاية المطاف، لقد أمضت حياتها وهي تكذب.

عندما أصبح الحارسان منهمكين بما يكفي ليتشتت انتباههما، تقدمتُ إلى الباب الجانبي مهرولة. كان الباب داخل الجدار، بما يتيح مكانا للحارس ليقف من دون أن يُرى من الشارع. امتشقتُ سيفي التياري.

كان الجندي شابا وطويل القامة، ولذا خُيّل لي للحظة من الوقت أني أرى أكوس

بدلا منه ، وهو يرتدي درعه للمرة الأولى ، ويبدو ، بالنسبة إليّ ، كالصورة نفسها لما قد أريد ، لو أني مُكّنتُ من الرغبة بأشياء عادية. لكن في اللحظة التالية ، بدا الجندي أقصر وأنحف وذا شعر أفتح – لم يكن أكوس.

قبل أن أتمكن من الهجوم عليه تماما ، سمعتُ صراخا خلفي. في طرف الساحة ، ارتفعت غيمة من الدخان من أحد الأكشاك. كلا – ليس غيمة من الدخان ، لكن غيمة من الحشرات ، تطير جميعها في الوقت نفسه. أتتْ الصرخات من البائع ، وهو يفقد كل إنتاجه دفعة واحدة. اندفع نحو زيت الذي كان يضحك ، ولكمه بقوة على فكّه. أغمدتُ سيفي التياري وقلتُ: «أيها الحارس!».

خرج الحارس ذو الشعر الرملي من فجوته لينظر إليّ. قلتُ له: «هناك عراك». أشرتُ بطرف أصبعي ، فقال: «ليس مجددا» ، ثم انطلق راكضا.

تسللت تيكا إلى الداخل ، وأخرجتْ مفك البراغي من جيبها ، وبدأت تتعامل مع قفل الباب. حدّقتُ إلى الساحة لأتأكد من أن أحدا لا يراقبنا. هناك فقط بعض الباعة والشوتيت ذوي النظرات الماكرة يقومون بشراء حوائجهم ، والعراك المتنامي الذي غذاه زيت وإيترك.

قالت تيكا بالصوت الذي اعتادت التحدث فيه مع الأسلاك: «مرحبا يا أعزائي ، هلا فتحتم الباب من أجلي ؟ لا ، هذا ليس عملكم ؟ آه».

سمعتُ طقطقة. فُتح الباب ، فعبرنا المدخل ، ثم أقفل من خلفنا بشكل أوتوماتيكي. أخبرتني غريزة ما داخلي أنّ ذلك ليس جيدا من أجل الهروب السريع ، لكن لم يكن هناك شيء يمكن فعله بشأن ذلك الآن. أخذنا نهرول عبر المدخل المظلم ذي السقوف الحجرية المقوّسة ، نحو الضوء في نهايته ، والذي سيمكننا من الدخول إلى الطبقة السفلى تحت المقاعد.

كانت سيفا تتمشى في طابق الحلبة ، وهي تبدو مثل عصفور مقارنة بضخامة

المكان، وتقول إنه لا يبدو بهذه الضخامة عندما يكون المرء جالسا مع المتفرجين، وأي شيء آخر تفكّر في قوله. تردد صدى صوتها الخشن عشرات المرات حتى قبل أن نصل إلى نهاية المدخل. كانت إيما بجانبها تهم بالموافقة.

بدأت تيكا صعود السلالم على الفور باتجاه غرفة التحكم التي كانت خلف مستوى صف المقاعد الثاني، لكني بقيتُ بجانب الجدار المنخفض الذي يفصل الصف الأول عن طابق الحلبة، وأغمضتُ عينيّ. كان بإمكاني سماع الهتاف الذي رافق سكين رايزك وهي تطعنني، وصرخات «خائنة!» التي استقبلتني عندما تحدّيّتهُ مجددا.

«سايرا؟». سحبني صوت تيكا من التواءات ومنعطفات ذاكرتي.

فتحتُ عينيّ بينما كانت السماء تزداد سوادا.

كان يمكن أن يكون شيئًا عاديا مثل سحابة تعبر فوق الشمس، لكنّ السماء كانت ملبدة بالغيوم عندما أغمضت عيني، وعندما رفعتُ رأسي، رأيتُ سفينة أكبر بكثير من أي سفينة نقل أو عوامة أو مركبة عسكرية تملكها شوتيت. كانت بضخامة سفينة الإقامة المؤقتة، لكنها مُدوّرة تماما، وأكثر شبها بعوامة الركاب الثوفية التي قادتها سيفا إلى مقر المتمردين الآمن.

كان الجزء السفلي من السفينة مصقولا، وكأنه لم يسبق لها الطيران من قبل أبدا، ولم تتعرض للضرب من مخلفات الفضاء والكويكبات والأغلفة الجوية القاسية أبدا. ثمة أضواء بيضاء صغيرة على محيطها. تشير إلى مكان الأبواب والكوات، ونقاط الاتصال الرئيسية ومحطات الإرسال، والخطوط العامة الهائلة للسفينة. كانت مركبة أوثيرية. أنا واثقة من ذلك. فلا أحد غيرهم لديه الإرادة والغرور لكي يصنع شيئًا بهذا الجمال وهذه الفعالية.

«سايرا»، صوت تيكا مجددا، ويثير الخوف هذه المرة.

تلاقت عيناي بعيني سيفا الواقفة وسط الحلبة. لقد قرّر إيجية وقت رؤيته بناء على

لون الضوء كما قال. حسنا ، بهذه السفينة التي تحجب الشمس عن فوا ، بدت مشابهة كثيرا للغسق. إن الهجوم يحدث الآن.

قلتُ وأنا متفاجئة كم بدا صوتي بعيدا بالنسبة لي: «لن آبه لغرفة التحكم».

هرب الجنود الذي أدخلوا سيفا إلى الحلبة ، وكأنّ بإمكانهم أن يسبقوا سفينة بهذه الضخامة قبل حصول الانفجار المضاد للتيار. وربما ليس هناك عيب في ذلك ، أن تموت مع الأمل.

رفعتُ نفسي فوق الحاجز الذي يفصلني عن الحلبة ، ونزلتُ بهدوء فوق الأرض المرصوفة في الأسفل. لم أكن أعلم لماذا ، سوى أني لم أُرد أن أكون واقفة فوق الحلبة عندما يحصل الانفجار المضاد للتيار. أردتُ أن أكون حيث أنتمي: هنا ، مع الحصى في باطن حذائي ، حيث يقف الناس الذين كانوا يحبون القتال. وأنا كنتُ أحبّ القتال. لكني أيضا كنتُ أحبّ أن أعيش. لن أقول إني لم أفكر في الموت على أنه نوع من الراحة ، عندما كان الألم في أسوأ حالاته ، عندما فقدتُ أمي الحقيقية في الظلام الذي لم أكن قد فهمتُهُ بعد. ولن أقول إنّ الحياة كانت تجربة ممتعة دائما ، أو حتى معظم الوقت بالنسبة إلي. لكنّ اكتشاف وإعادة اكتشاف العوالم الأخرى ، الاحتراق ووجع العضلات التي تبني القوة ، والشعور بجسد أكوس الدافئ والقوي على جسدي ، ولمعان درع والدتي المُزخرف عند الليل في سفينة الإقامة المؤقتة – لقد أحببتُ كل ذلك.

وقفتُ في منتصف الحلبة ، قريبة من سيفا وإيما ، لكن من دون أن ألمسهما. سمعتُ وقع أقدام تيكا الخفيفة خلفي.

قالت تيكا: «حسنا ، أفترض أنه كان من الممكن أن يكون الأمر أسوأ».

كنتُ لأضحك ، لو أنّ ذلك كان بعيدا عن الحقيقة بأي شكل. لكن بالنسبة إلى تيكا وإيما وإليّ ، الذين أصبحنا قريبين جدا من أساليب موت أكثر ترويعا بكثير ، أفترض أنّ الانحلال في انفجار مضاد للتيار لم يكن بهذا السوء.

تمتمتُ قائلة: «مضاد للتيار» ، لأنّ الكلمة بدت قوية جدا بالنسبة إليّ.

نظرتُ إلى سيفا – إلى أمي ، كانت أمي بأيِ شكل من الأشكال – وللمرة الأولى ، متفاجئة فعلا.

قلتُ: «لستُ أفهم. الانفجارات المضادة للتيار هي ضوء. سفينة الإقامة المؤقتة... كانت براقة للغاية عندما تدمّرتْ. كيف يمكن لمضاد التيار أن يكون براقا ؟».

أجابت سيفا: «التيار مرئي وغير مرئي معا. ولا يظهر لنا دائما بطريقة نفهمها».

عبستُ في راحتي يديّ المفتوحتان ، حيث تجمّعت الظلال التيارية ، وهي تلتفّ مرة بعد أخرى حول أصابعي كالخواتم.

لقد ألمح الطبيب الذي رأيته وأنا صغيرة بأنّ هبتي التيارية قد نشأت لأني كنتُ أعتقد بأني أستحق الألم ، وأنّ جميع الآخرين يستحقونه أيضا. لقد ثار غضب أمي ، إليرا نوفاك ، من مجرد التلميح. قالت قبل أن تجرني إلى خارج المكتب ، هذا ليس خطأها.

وأكوس – عندما رأى الطريقة التي حفظتُ فيها آثار ما فعلتُهُ على ذراعي ، المُغطاة الآن ، كالعادة بالدرِع ، سألني ببساطة: كم كان عمرُكِ ؟.

لم يكن يعتقد أنّ هذه الهبة هي ما أستحقه ، ولم تكن أمي تعتقد ذلك أيضا. وربما كان كلاهما على حق ، ربما كان الطبيب هو الشخص المخطئ ، الرجل الذي تردد صدى كلماته في عقلي طوال حياتي. ربما لم يكن الألم هو هبتي التيارية ، على الإطلاق. ربما كان الألم مجرد نتيجة جانبية لشيء آخر.

إذا كان مضاد التيار هو الضوء – وأنا كنتُ مُبتلية بالظلام – ربما كان التيار هبتي.

قالت الراقصات الأوغرانيات لي ، عندما رأين عرضا لهبتي التيارية ، إنها هي بنفسها

أوغرا صغيرة.

سألت: «هل يعلم أحدكم ماذا تعني كلمة (أوغرا) حقا؟».

أجابت سيفا: «إنها تعني (الظلام الحي)».

ضحكتُ قليلا، وبينما كانت إحدى الكوّات الصغيرة تُفتح في الجزء السفلي من السفينة فوقنا، رفعتُ يديّ المبقعتين بالظلال نحو السماء. ودفعتُ ظلالي التيارية إلى الأعلى وإلى الأعلى وإلى الأعلى. فوق أزيز حقل طاقة المدرج الذي عطّله أكوس بلمح البصر بينما كان يرفعنا إلى بر الأمان. كانت ذراعه قوية تحت ظهري، تلتف حوله مشدودة مثل حبل. وفي وسط مدينة فوا، حيث عشتُ كل حياتي، داخل ألواح خشبية نظيفة وعلى وهج أضواء حشرات فينزو. شعرتُ بيديّ رايزك المتعرقتين قليلا وهما تضغطان فوق أذنيّ، لكي تحمياني من سماع صرخات الشخص الذي يعذبه أبي أيا يكن. وفي مكان أعلى فوق فوا، أعلى حتى من أطراف المدينة حيث كان يعيش الراوي والشاي البنفسجي اللذيذ الذي لديه، حيث تجمّع المتمردون معا حول طاولة عشاء مُشكّلة من نصف دزينة من طاولات العشاء الأخرى.

لم أكن أعاني من نقص الوقود. فقد كانت ظلالي التيارية قوية للغاية طيلة حياتي، قوية بما يكفي لتجعلني غير قادرة على حضور حفل عشاء بسيط، قوية بما يكفي لكي تحني ظهري وتجعل الدموع تنهمر من عينيّ، قوية بما يكفي لتبقيني مستيقظة وأنا أمشي طوال الليل. قوية بما يكفي للقتل، لكني الآن أفهم لماذا قتَلتْ. ليس لأنها تستنزف الحياة من أحد الأشخاص، بل لأنها تجتاحه. كانت مثل الجاذبية — نحن نحتاجها للبقاء أحياء على الأرض، لكن إذا كانت قوية للغاية، فإنها تشكّل ثقبا أسود، لا يستطيع حتى الضوء الهروب منه.

نعم كانت قوة التيار شرسة جدا لكي يحتويها جسد واحد — ما لم يكن الجسد هو جسدي أنا.

جسدي ، الذي تعرّض للضرب مرارا وتكرارا من قِبل الجنود والأخوة والأعداء ، لكنه لايزال يشق طريقه منتصبا – جسدي ، قناة لقوة التيار الخالصة ، وطنين الحياة التي جعلت الآخرين يخضعون – لقد قلتُ ذات مرة لأكوس في محاولة مني لإبعاده عن الاكتئاب ، الحياة مليئة بالألم. وقدرتكَ على التحمّل أكبر مما تعتقد. وكنتُ محقة.

كان لديّ كل الأسباب كي أكون منغلقة على نفسي ، ومُنكمشة ، وأدفعُ كل شيء يشبه الحياة والنمو والطاقة بعيدا عني قدر الإمكان. لكان الأمر أسهل بتلك الطريقة ، أن أرفض دخول أي شيء إليّ. لكني سمحتُ لأكوس بأن يدخل ، ووثقتُ به عندما كنتُ قد نسيتُ كيف أثق ، وسمحتُ لتيكا أن تدخل ، وربما في أحد الأيام سأسمح بذلك لسيفا –

سوف أسمح بدخول أي شخص يتجرأ على الاقتراب. كنتُ مثل الكوكب أوغرا الذي يرحب بأي أحد وأي شيء بإمكانه البقاء على قيد الحياة قربه.

ليس لأني كنتُ أستحق الألم ، وليس لأني كنتُ أقوى من أن أشعر به ، بل لأني كنتُ مرنة بما يكفي لكي أتقبله كأمر محتوم.

ارتفعتْ هبتي التيارية إلى الأعلى ، والأعلى ، والأعلى.

انتشرتْ الظلال ، من حلقات حول أصابعي إلى عمود في السماء لفّ كامل جسدي بظلال سوداء. لم يكن بإمكاني الآن رؤية تيكا أو سيفا أو إيما ، لكني رأيتُ عمود التيار الكبير الذي مرّ فوقي ومن خلالي ، نحو تلك الكوة التي فُتحتْ في السفينة الأوثيرية في الأعلى.

لم أرَ السلاح المضاد للتيار ، لكني رأيتُ الانفجار. فالضوء ينتشر للخارج من نقطة ثابتة واحدة ، تماما مثل الظلال التي امتدتْ من داخلي إلى الأعلى.

وحيثُ تصادما: العذاب.

صرختُ بيأس ، بما أني لم أصرخ منذ أن كنتُ صغيرة جدا ، إنني لا أستطيع أن

أتذكر متى كانت آخر مرة صرخت فيها. كان الألم شديدا للغاية لدرجة أنه حطّم كبريائي ، وعقلي ، وشعوري بذاتي. سمعتُ الصراخ وأحسستُ بتخرّش صوتي في حنجرتي والجحيم داخلي وحولي ، ورأيتُ الظلال والضوء والمكان حيث التقيا مع صفعة حادة.

التوت ركبتاي ، والتفتْ ذراعاي حول خصري ، النحيل والناعم. وانثنى رأسي بين لوحيّ كتفيّ ، فسمعتُ صوت تيكا يقول: «اصمدي ، اصمدي ، اصمدي...».

لقد قتلتُ عمّها ، وابن عمّها ، وبطريقة ما ، والدتها ، ومع ذلك ، لاتزال تقف خلفي لتبقيني منتصبة.

التفّت الأيدي حول ذراعي ، دافئة وناعمة ، وحامت فوقي رائحة أوراق السندس ، عبق شامبو سيفا. العينان الداكنتان للشخص الذي تخلّى عني ، والآن عاد من أجلي — وأخيرا ، أصابع إيما زيتسيفيس الدقيقة والشاحبة فوق معصمي. انتقل التيار عبرنا كلنا دفعة واحدة ، عبر صديقتي ، وعدوّتي ، ووالدتي ، وأنا ، كلنا ملتفات معا في الظلام الذي كان الحياة نفسها.



أرزودا فعل يعني تخريب شيء بالسكين وإعادة اصلاحه

5

أرزودا فعل يعني تخريب شيء بالسكين وإعادة اصلاحه

الفصل الثالث والخمسون

سيسي

ظهر على الشاشة، خبر عاجل. تأكّد موت لازمت نوفاك في هجوم شوتيتي على هيسا، كبرى مدن ثوفي.

أنظر بثبات إلى عين الممرضة. أريد أن أخبرها أنني لا أهتم إن انسكبت أمعائي على الأرض، أريد منها أن تجلب لي كرسيا مُدولبا، وتسمح لي بأن أطير مع إيساي بينيسيت إلى ثوفي. لكني لا أستطيع أن أقول ذلك طبعا. إنّ الهبات التيارية للناس الآخرين تتداعى عندما تضعف أجسادهم، لكن من الواضح أنّ هبتي ليست كذلك.

بدلا من ذلك، أبحث عما يمكن أن يقنعها. لا تبدو الأشياء الأوثيرية العادية الخيار المناسب، فهي صعبة المراس جدا لأن تقتنع بذلك، وليست شخصا يدع نفسه يتلّهف للأشياء. سوف تشعر بالارتياح بشيء يمكنها الوصول إليه – مثل حمام ساخن، أو كرسي مريح. الماء سهل بالنسبة إلي، ولذا أقوم بإرساله نحوها، وليس الأمواج المتدحرجة التي تنجح مع إيساي، بل الدفء الساكن لشخص مُبلل، مُبتهج وبلا حركة.

لا أنزعج من الرقة، فأنا أملأ الغرفة بها. تسخنُ وجنتاي، وتتألم معدتي من تقطيب الجرح الذي لايزال يُثبّت أحشائي في الداخل.

أقول: «أنا من هيسا»، فتبدو الكلمات مكتومة رغم أني أستطيع سماع نفسي بوضوح. تلك إحدى الأمور الشاذة في هبتي. «يجب عليّ أن أذهب. اسمحي لي». إنها تومئ برأسها وترمش بعينيها ببلادة أمامي.

لم أتكلم مع إيساي منذ القبض على آست. فقد أتتْ لتؤكّد لي أنّ الأمر انتهى ، وأنه رحل. وبما أنه لم يكن مواطنا من مواطني المجلس ، فقد رُحِل إلى قمره الأصلي بانتظار المحاكمة ، وسوف يتعاملون معه بالأسلوب الذي يختارونه. لكن لن يُسمح له بأن يضع قدما في أحد كواكب المجلس مرة أخرى.

ليس كلها بل بعضها ، فهناك شائعات عن انشقاقات بشأن قانون أوثير المُقترح بخصوص الإشراف على الكهنة. من المُبكر جدا أن نعرف بشأن الأمم الكوكبية الأخرى ، لكنّ ثوفي رمتْ بنفسها في أحضان أوثير ، ولذا طريقنا عبر ذلك الموضوع ، واضح على الأقل.

لسنا متأكدين مما حدث في شوتيت بعد. فالأخبار لا ترد بسهولة من هناك ، كل ما نعرفه أنّ السلاح المضاد للتيار لم يكن يعمل ، ثمة شيء داكن كالحبر وجده في الهواء ، في منتصف فوا مباشرة ، وحمى المدينة من الانفجار ، لا أحد يستطيع تفسير ذلك ، لكني أعتبر أنه إشارة لأشياء أفضل قادمة.

نقلتني الممرضة إلى مهبط السفن بسرير متحرك صغير يمكن ربطه بجدار إحدى السفن الأوثيرية. تجعلني كل هزّة من السرير أشعر بألم كبير في بطني ، ولكن سعادة عودتي إلى الوطن تغطي على ألمي. لذلك ، أسعى لكبت ألمي. الطفلة الأولى من عائلة كيرسيث سوف تموت بحدّ السكين. حسنا ، ربما تعرّضتُ لذلك ، لكني لم أمتْ. كان ذلك شيئًا مهما.

عندما تقوم الممرضة بتفعيل مغناطيس الجدار الذي سيُبقي سريري ثابتا أثناء عملية الإقلاع ، تهبط إيساي من قمرة الملاحة ، حيث كانت تتحدث مع القبطان. كانت ترتدي ملابس مريحة: سترة بكمين طويلين بما يكفي لتغطية يديها ، وسروالا أسود ضيقا ، وتنتعل حذاءها العالي القديم بأشرطته الحمراء. إنها تبدو متوترة على غير عادتها.

تُقدّم لي شاشة تُحمل باليد مع لوحة مفاتيح. تقول: «استعمليها في حال أردتِ

قول شيء لا تستطيعين قوله بصوت عال».

أُمسكُ بالشاشة فوق حضني. أنا غاضبة منها — لأنها أصغت لآست ولم تصغِ إليّ ، ولأنها لم تصدقني ، لكنّ هذا يذكّرني بسبب اهتمامي بها. فهي تُفكّر بما أحتاجهُ ، وتريدني أن أكون قادرة على قول ما يجول بخاطري.

أقول لها بفظاظة بقدر ما سوف تسمح به هبتي: «أنا متفاجئة من عدم ممانعتك قدومي».

تقول وهي تنظر إلى أصابعها المثنية معا: «سأحاول الوثوق برأيك من الآن فصاعدا. تريدين الذهاب إلى هيسا ، إذا سوف تذهبين إلى هيسا. أردتني أن أُظهر الرحمة ، ولذا سوف أحاول أن أفعل ذلك أيضا من الآن فصاعدا».

أومئ برأسي.

تكاد تهمس وهي تقول: «أنا آسفة يا سي».

أشعرُ بإحساس حاد بالذنب. لم أكن قد أخبرتُها بأنني حاولت الاتصال بالشوتيت عندما قررتْ إطلاق السلاح المضاد للتيار عليهم ، ولم أخبرها كيف استخدمتُ هبتي التيارية في تليين موقفها وإقناعها ، وأنا لا أنوي الاعتراف. فإن اعترفت فسأخسر كل شيء كسبتُه بتلك الطريقة. لكني لا أشعر بالرضى بشأن الخداع.

أقلّ ما يمكنني فعله الآن هو مسامحتُها. مددتُ يدي نحوها ، وأنا أدعوها لكي تقترب مني. فوضعتْ راحة يدها فوق راحة يدي.

تقول: «أنا أحبكِ».

أقول: «وأنا أحبكِ أيضا» ، كان ذلك من أبسط الأشياء التي قلتها في حياتي. ربما أكذب عليها أحيانا ، لكنّ هذا حقيقي على الأقل.

تنحني لكي تقبّلني ، فألمسُ خدّها وأُبقيها في مكانها لعدة لحظات طويلة قبل أن تبتعد عني. تبدو رائحتها مثل أوراق السندس والصابون ، مثل رائحة المنزل.

لن أُعرف أبدا بالشخص الذي جعل المستشارة بينيسيت تبتعد عن أعمال عدائية أخرى ، ولن يعرف أحد أنني من دعا الشوتيت لمحادثات سلام في أعقاب محاولة الهجوم على فوا. لو لم أكن هنا لنشبت حرب ، ولكانت الأكثر تدميرا في تاريخ المجلس. لن يعرف أحد بما قمت به ، ولن يصفني أحد بالمستشارة الرائعة والدبلوماسية البارعة.

لكن هذا ما يجب أن يكون. عندما يسير الجميع حسب الخطة ، أتوارى في الخلفية. لكني سأكون هناك ، أقف خلف إحدى المستشارات وهي تناور عبر طرق هذا السلام الصعب ، وسأكون الشخص الذي ينصحها ، وسأكون الشخص الذي يجعلها تشعر بالراحة عندما يرتفع منسوب حزنها وغضبها مرارا وتكرارا. سأكون الذراع التي تُرشد اليد ، ولن يعرف أحد بما أقوم به ، سأكون الجندي المجهول.

الفصل الرابع والخمسون

سايرا

استيقظتُ وأنا أسمع الأزيز. فإحدى حشرات فنيزو التي تتوهج باللون الأزرق ، تدور فوق رأسي بكسل. لقد جعلتني ألوان أجنحتها القزحية أفكّر فجأة بأوزول زيتسيفيس ، الذي كان يفكّر بها بولع شديد ، وبمحصوله منها.

كان كل ما حولي أبيض ؛ أرضيات بيضاء وشراشف بيضاء وجدران بيضاء وستائر بيضاء. لم أكن في مستشفى ، لكن في منزل هادئ. ثمة إناء في الزاوية تنمو فيه وردة سوداء بطبقات متتالية من البتلات الناعمة التي تنشأ من مركز أصفر داكن.

لقد عرفتُ المكان ، كان منزل زيتسيفيس الذي يقع فوق جرف صخري يشرف على فوا.

هناك خطب ما غريب ، رفعتُ ذراعي فوجدتُها ثقيلة ، وعضلاتي ترتجف عند أدنى جهد. تركتُها تسقط على الفراش ، وأقنعتُ نفسي بمراقبة طيران حشرات فينزو وهي تتعقّب آثار الضوء في الهواء.

عرفتُ ما الخطب الغريب: لم أكن أشعر بالألم. ومما استطعتُ أن أرى من ذراعيّ العاريتين ، كانت الظلال التيارية قد اختفت.

اعتراني شعور مختلط من الخوف والارتياح. لا وجود لألم ولا لظلال تيارية. هل سيدوم غياب الألم ؟ هل استهلكتُ الكثير من الطاقة في الانفجار المضاد للتيار لدرجة أنّ هبتي التيارية فارقتني إلى الأبد؟ أغمضتُ عينيّ. لم يكن بإمكاني السماح لنفسي بتخيّل

ذلك، حياة من دون ألم. لم يكن بإمكاني السماح لنفسي بتمني ذلك.

بعد مرور بعض الوقت — لا أعرف مقداره — سمعتُ طرقا على الباب. كانت سيفا تحمل كوبا من الشاي وتتجه نحوي.

قالت: «خمنت أنك استيقظتِ».

قلتُ: «أخبريني عن فوا». حاولت النهوض مستندة على ذراعي. فبدتْ ذراعي مثل الهلام. تحرّكت سيفا لتساعدني، فأوقفتُها بإيماءة من رأسي وأنا أجهد للقيام بذلك بنفسي. وبدلا من ذلك، جلستْ على كرسي بجانب سريري، ويداها مطويتان فوق حضنها ثم قالت: «لقد تصدت هبتك التيارية للانفجار المضاد للتيار، لقد وصل المنفيون الشوتيتيون إلى فوا قبل أيام لإحكام السيطرة على فوا، أثناء فراغ السلطة الناتج عن موت لازمت». ثم أضافتْ وهي تجيب على السؤال الذي لم أطرحه بعد: «لكن بدا أنّ ما فعلته قد استنفد قواكِ. في الحقيقة لستُ واثقة إذا كان اختفاء ظلالك التيارية دائما. لكنكِ أنقذتِ الكثير من الناس يا سايرا».

بدتْ... فخورة. كما قد تكون أي أم. قلتُ: «لا تفخري على هذا النحو، فأنا لستُ ملككِ».

تنهّدتْ قائلة: «أعرف ذلك. لكني كنتُ آمل بأننا ربما نشق طريقنا باتجاه شيء آخر غير العدائية السافرة».

كنتُ أفكر بذلك، فقلت: «ربما».

ابتسمتْ قليلا وقالت: «حسنا، من هذا المنطلق... انظري إلى هذا». نهضتْ لتسحب ستارة النافذة التي بجانبي إلى الخلف. كنتُ في ذلك الجزء من المنزل الذي يقع على طرف الجرف الصخري، ويُطلّ على مدينة فوا. كل ما رأيته في البداية هو بريق أضواء بعيدة، ومباني فوا. لكن عندها قالت سيفا: «إنه الظهر».

كانت فوا مغطاة – محجوبة بما بدا مثل غيوم داكنة. وهي أفتح بدرجة أو درجتين من السماء الأوغرانية. لقد وجدتْ ظلالي التيارية منزلا لها فوق فوا ، فأرسلتْها إلى داخل الليل الأبدي.

شعرتُ بأني أفضل – من الناحية الجسدية – خلال الأيام التي تلت. فقد استعدت قواي رويدا رويدا ، وأنا أتناول الطعام الذي أعدّته سيفا وإيما وتيكا في مطبخ منزل زيتسيفيس. لقد حرقتْ إيما أسفل كل شيء حضّرتهُ تقريبا ، وقدّمتهُ دون اعتذار ، وكانت سيفا تطبخ أطباق ثوفيّة ذات طعم غريب ومليئة بالكثير من التوابل ، أما تيكا فأعدّتْ موائد فطور جيدة وغير مألوفة. كنتُ أساعد حيث أستطيع ، وأنا أجلس بجانب الطاولة مع سكين لفرم الأشياء إلى أن تصبح ذراعي مُنهكة للغاية. كان الضعف مثيرا للغضب بالنسبة إليّ ، لكنّ عدم الشعور بالألم عوّض عن ذلك كثيرا. كنتُ لأقايض دزينة هبات تيارية لقاء عدم الشعور بمزيد من الألم.

لقد أكّدت لي سيفا أنّ أكوس على قيد الحياة ، لكني لم أعلم الوضع الذي كان عليه. بحثتُ في أخبار ثوفي عن أي إشارات تدل عليه ، ولم أجد شيئا. كما لم تذكره التقارير المتعلقة بموت أبي. أخيرا أرسلت لنا سيسي الأخبار مباشرة من هيسا: لقد وجدتْ أكوس في المستشفى هناك ، وهو يتعافى من انخفاض حرارة الجسم. لقد أخذته إلى المنزل.

لم تُظهر الغيوم أي إشارة للانقشاع من سماء فوا. بدا وكأنّ كامل المدينة سيكون مظلما للأبد. فإذا نظرتَ من الأعلى هنا ، فوق الجرف الصخري ، باتجاه فوا ، يبدو وكأنه ليل. لكن إذا التفتَ باتجاه الحد الفاصل الذي كان يفصلنا عن ثوفي ، تظهر الشمس مجددا. كان غريبا أن تعيش على حافة شيء كهذا. وأن تعلم أنكَ أنتَ بنفسك قد خلقتَ ذلك.

لاحقا ، وفي منتصف الليل ، بعد أسبوع تقريبا من الهجوم على فوا ، استيقظتُ وأنا أشعر بالألم. لم أعرف بداية لماذا استيقظتُ. فنظرتُ إلى الساعة لكي أتأكد من أنه ليس وقت الاستيقاظ والبدء بتحضير الفطور ، بما أني أصبحتُ في حالة جيدة بما يكفي لآخذ دوري في المطبخ. عندها شعرتُ بألم خفيف يعصف في رأسي قلتُ في نفسي ، ربما هذا

مجرد ألم في الرأس. لا حاجة للرعب ، ولا حاجة... ولكنني شعرتُ باللسع في أصابعي ، وكأنها كانت غارقة في النوم ثم بدأ الدم الآن يعود إليها. زحفتُ كي أضيء المصباح الذي بجانب سريري ، فرأيتُهُ: خط من الظلال ينتقل من معصمي إلى طرف أصبعي. دفعتُ البطانيات عني وأنا أرتجف ثم نظرتُ إلى ساقيّ العاريتين. ثمة ظلال ضعيفة تلتف حول كاحليّ ، بدت مثل أصفاد. كان رأسي وقلبي يخفقان بالإيقاع نفسه. لم أكن أعي بأني أصدر ضجيجا – ضجيجا مريعا وقويا ، مثل حيوان يُحتضر – إلى أن فتحتْ تيكا الباب ، وشعرها اللامع متكوم فوق قمة رأسها.

شاهدت الظلال التيارية على الفور ، فأتتْ إلى جانبي وهي تسحب أكمام ملابس نومها فوق يديها. جلستْ على السرير وسحبتني نحوها ، وهي تضغط وجهي على كتفها النحيل. أجهشتُ بالبكاء على قميصها وهي تضمني إليها بصمت. قلتُ بصوت مخنوق: «لم أكن ، لم أكن أريدها أن تعود».

«أعلم ذلك».

«لا أهتم إذا كانت قوية ، أنا لا أهتم لذلك –».

«أعلم ذلك أيضا».

أخذتْ تهزني معها ببطء جيئة وذهابا ، لفترة طويلة. وبعد قليل من الوقت قالت: «الناس يدعونها هبة. يا لهذا الهراء».

بعد مُضي عدة أيام ، وقفتُ وأنا أُصغي لطقطقة قطرات المطر على نوافذ غرفة الضيوف ، وثمة كيس على السرير أمامي. لقد وضعتُ كل ما يخصني داخله ، وكنتُ أجهد الآن في التفكير بتجاوز الألم في ظهري وساقيّ. لم يكن من السهل التأقلم مع عودة هبتي التيارية.

قالت لي إيما: «لقد طلبتْ آزا مني التحدث معك عن طلبِها بأن تقبلي منصبا مهما

في حكومة الشوتيت الجديدة». كانت تتكئ على إطار الباب ، وترتدي لباسا أبيض بالكامل.

«لماذا تطلب منك ذلك؟ فأنتِ تعلمين كما أعلم أنّ الأفضل بالنسبة لشعبنا ، عدم وجود أحد من عائلة نوفاك في السلطة مجددا».

قالت إيما وهي تفرك حاشية قميصها بين أظافر يديها المُشذّبة والنظيفة: «لا أعرف شيئًا كهذا. فهناك عدد غير قليل من المخلصين لعائلة نوفاك لايزالون بيننا. وربما يتعاونون معنا إذا تبوأ أحد من آل نوفاك منصبا رفيعا. كما أنّ الوحدة هي ما نحتاجه الآن».

قلتُ: «لكن هناك مشكلة ، فأنا لستُ في الحقيقة من عائلة نوفاك».

لكزتني إيما بيدها بشكل متكرر وهي تقول: «لا حاجة ليعرف الآخرون بذلك».

كان نظام الحكم الذي اقترحتهُ آزا خليطا من المسؤولين المنتخبين والنظام الملكي ، على أن أكون أنا الملكة — أنا ، إذا حصلتْ على مرادها — التي تُعيّن أحد النواب الذين يمسكون كل السلطة الفعلية ، بدعم من مجلس. لن يتطلب الأمر مني أن أكون حاكمة بالطريقة التي كان عليها أبي ورايزك ، لكني كنتُ متخوفة من ذلك. لقد حصلتْ أشياء سيئة عندما كانت عائلتي في السلطة.

قلتُ: «ماذا بشأن فاكريز؟ إنه من عائلة نوفاك. وهو راشد».

قالت إيما وهي تتنهّد: «هل ستجبرينني على قولها؟».

«قول ماذا؟».

حرّكت إيما عينيها وهي تقول: «أعتقد أنك خيار أفضل من فاكريز. فقد سمح لنفسه بأن يسيطر عليه لازمت ورايزك. إنه يفتقد... لقوة الإرادة».

رفعتُ حاجبي وقلت: «هل أثنيتِ عليّ للتو؟».

أجابت إيما: «لا تفرحي كثيرا».

ابتسمتُ قليلا وقلتُ: «حسنا ، سأفعل ذلك».

«ماذا ؟ فقط لأني أثنيت عليك ؟».

«كلا» ، نظرتُ إلى خارج النافذة ، إلى الزجاج المشوب بالماء ، وإلى غيمة الظلال التيارية التي غطّت فوا ، ثم أضفتُ: «لأني أثق برأيك». بدت مذهولة لوهلة ، ثم أومأت برأسها والتفتتْ وغادرت المكان من دون أي كلمة.

بقيتْ لا تحبني ، لكن من المحتمل أيضا أنها لم تكن تكرهني. حاليا ، سآخذ ما أستطيع الحصول عليه.

الفصل الخامس والخمسون

أكوس

مشى أكوس على الممر المرتفع الذي أبقى المزارعين بعيدين عن أزهار الهشفلور. كان الغزاة الشوتيت قد أحرقوا نصف محصول ذلك الموسم، لكنّ المزارعين بقوا هناك يعتنون بما تبقى وهم يخبئون أيديهم في قفازاتهم السميكة. قالوا، من حسن الحظ أنّ الشوتيت أتوا بعد حصاد البراعم، بما أنّ الأزهار كانت تحتاج للجذور فقط كي تبقى حيّة على أية حال. سوف تعود محاصيل هيسا لتكون بخير بشكل كليّ.

المعبد، في الجهة الأخرى... لايزال أكوس غير قادر على النظر إلى الأعلى باتجاهه. أصبحت القبة الزجاجية الحمراء التي كانت تتوهج تحت ضوء القمر، مكانا كبيرا وفارغا الآن. لقد حطّمها الشوتيت، وقتلوا معظم الرهبان في المعبد. كما اجتاحوا الشوارع وملأوا الأزقة. مضى أسبوعان ولازال أبناء هيسا يعالجون مسألة الجثث. كان معظم الموتى من الجنود، بفضل الراهب الشجاع الذي أطلق جرس الإنذار، بالإضافة لبعض المدنيين أيضا.

لم يجرؤ على دخول المدينة، فربما يتعرفون إليه، أو ربما ينسحب كمّ قميصه إلى الأعلى فتظهر العلامات التي على ذراعيه، وربما يهاجمونه إذا عرفوا ما كان عليه، وربما يقتلونه. لن يلومهم، فهو الذي أدخل الشوتيت إلى المدينة. لكن على الأغلب، ما كان ليتمكّن من تحمّل النظر إلى أي من ذلك. كانت الأخبار العاجلة التي شاهدها متعددة، عندما كان يمشي، عبر حقول أزهار الهشفلور، وهو ملفوف بأكثر ملابسه دفئا، بالرغم من الوقت كان أكثر الأوقات دفئا في ثوفي. كانت الحقول مكانا آمنا، ولاتزال براعم الطهارة البيضاء تنفصل عن جذوعها وتطفو عبر الهواء، حتى الآن. كان غبار أزهار الغيرة الصفراء سميكا على الأرض، لقد اختفى كل شيء وحان وقت التلاشي مرة أخرى، وهذا ما كان

يناسبه.

قفز من الممر المرتفع إلى الطريق. في هذا الوقت من السنة ، عندما يبدأ الثلج بالذوبان ، يشكل جليدا في الليل ، كان هناك جليد في كل مكان ، وينبغي عليه الحذر. لم تكن الخطافات أسفل حذائه العالي تعلق دائما بالأرض ، وهو لايزال غير متوازن بسبب ذراعه الموضوعة على الحمّالة. أخذتهُ خطواته الحذرة بعيدا باتجاه الغرب ، نحو العشب الريشي ، حيث كان منزله منعزلا ، وآمنا ووحيدا.

لم تكن عوامة سيسي مركونة فوق المرج الأمامي الأخضر. فعندما قدِمتْ للزيارة ، ركنتْها في المدينة ومشتْ نحو المنزل ، كي لا يعرف أحد أنها هناك ، ما من شك أن أحدا لا يعرف بوجوده هنا وإلا كان قد قبض عليه. صحيح أنه قتل لازمت نوفاك ، لكنه ترك الجنود الشوتيت يدخلون معبد هيسا ، وذراعه عليها علامات ، وهناك درع في غرفة نومه. وهو يتكلم اللغة الإيحائية. كان شوتيتيا حتى العظم بالنسبة إلى الثوفيين الآن.

عندما دخل المنزل ، لاحظ توهج الضوء من أسفل باب المطبخ ، فعرف أنّ سيسي هنا. لقد حاولت والدته زيارته عندما كان في المستشفى. وهي دخلت الغرفة ، لكنه فقد إحساسه وهو يصرخ عليها بشدة وتأثرت نفسيته بشكل بالغ لدرجة أنّ الأطباء طلبوا منها المغادرة. لقد أقسمتْ سيسي أنها لن تدعها تدخل المنزل حتى يصبح مستعدا لذلك. وهذ ما اعتقد أكوس أنه لن يحدث أبدا. فقد انتهتْ علاقته بها. بسبب ما فعلتهُ بسايرا ، وكيف أنها نأت بنفسها عن معاناته. وكيف أنها تلاعبتْ به كي يقتل فاس ، وغيرها من الأمور.

ركل الأرض لكي يُخرِج الجليد من أسفل حذائه ، ثم خلعه بجانب الباب. كانت يداه تفكان أزرار وأحزمة معطفه الكوتيا ، وتنزعان القبعة والنظارة عن وجهه ، لقد نسي كم يستغرق ارتداء الملابس وخلعها وقتا هنا ، فقد اعتاد على المناخ المعتدل في فوا.

كانت فوا الآن في حالة ظلام. ظلام أوغرا ، فالسماء مبقّعة بالسواد في الوسط وتصبح رمادية في المحيط قرب معسكر الجنود القديم. لم يكن هناك تفسير في الأخبار ولا

عند أكوس. لم يكن أحد يعرف كثيرا عما جرى.

لكن ما يحدث الآن، كان واضحا. فقد حصل المنفيون الشوتيت على اعتراف بأنهم الحكومة الشرعية، التي تخضع لمجلس استشاريين مؤقت إلى حين تهيئة الوضع للانتخابات. لقد فاوض الشوتيت من أجل إقامة دولتهم، وقايضوا الأرض بالشرعية، وها هم يخلون فوا الآن، لقد منحهم الأوغران قطعة أرض، أكبر من فوا، وأكثر خطورة بكثير، وكانوا يتفاوضون على شروط التعايش بين الأوغران والشوتيت.

ثمة أخبار عن المجلس أيضا. أحاديث عن حصول انشقاق. فالكواكب المؤمنة بالقدر تنفصل عن تلك العلمانية. ونصف المجرة تعيش من دون معرفة المستقبل، ونصفها الآخر يصغي إلى الحكمة التي يمكن أن يقدّمها الكهنة أيا تكن. ذلك الانشقاق موجود داخل أكوس، لقد أزعجته فكرة انقسام المجرة، لأنّ ذلك يعني أنه يجب عليه أيضا أن ينحاز إلى جانب ما، وهو لم يكن يريد ذلك.

لكن تلك هي طبيعة الأمور؛ في بعض الأحيان، تكون الجروح عميقة جدا فلا تندمل بسهولة. وأحيانا، لم يكن الناس يريدون الصلح. وأحيانا، ربما يخلق أحد الحلول مشاكل أسوأ حتى من تلك الموجودة في الأصل، وما على الناس سوى الاختيار.

صرخ قائلا: «سي؟»، ما إن انتهى من تعليق كل ملابسه الشتوية، حتى مشى في الرواق المظلم الضيق المفضي إلى المطبخ، وهو يختلس النظر إلى الفناء ليرى إذا ما كان الحجر الناري مازال مُضاء.

صدر صوت من غرفة المعيشة: «أهلا بك».

كانت إيما زيتسيفيس تجلس قرب المدفأة، وهي على بعد ذراع من المكان الذي مات فيه والده، وشعرها الأبيض منسدل على وجهها، وبدت أنيقة كعادتها، حتى وإن ارتدت الدرع الذي كان بلون الرمال.

جفل من رؤيتها أكثر مما جفل من الصوت، فتراجع نحو الجدار. عندئذٍ، ولشعوره بالإحراج من ردّة فعله، ابتعد عن الجدار وأجبر نفسه على مواجهتها. هذا ما أصبح عليه حاله منذ موت لازمت.

قالت إيما: «أعتذر منك. لم يسعني التفكير بطريقة أفضل لكي أحذّرك».

التقط أنفاسه وقال: «ماذا — ماذا تفعلين هنا؟».

ابتسمت قليلا وقالت: «ماذا، كلا، (أنت على قيد الحياة، كم هذا رائع)؟».

«أنا —».

«اصمت. في الواقع أنا لا أهتم لذلك»، وقفت ثم أضافت: «تبدو بحال أفضل. هل كنت تأكل؟».

«أنا — نعم».

في كل مرة يرى فيها إحدى الوجبات هذه الأيام، كان يفكر بما فعله بجوريك، ومن الصعب عليه تناول حتى لقمة واحدة، رغم جوعه المزمن. لقد أجبر نفسه على تناول الطعام، لأنه لم يكن يحب أن يشعر بالتعب، والضعف، والهشاشة. لكنّ الأمر صعب في كل مرة.

قالت: «أتيتُ لأخرجكَ من هنا».

أجاب: «إنه منزلي».

قالت: «كلا، إنه منزل والديك، والمكان الذي مات فيه والدك، في ظلال مدينة لا يمكنك حتى الدخول إليها بعد الآن، بفضل جوانب معينة من هويتك كونها أصبحتْ معروفة للجميع. لن يناسبك البقاء هنا».

وقف أكوس وذراعاه مكتوفتان. لقد نطقت الكلمات التي كان يعرفها مسبقا، وما

عرفه منذ أن جلبتهُ سيسي إلى هنا، بعد الهجوم. لقد كان سريره بجانب سرير إيجية تماما، وإيجية قد اختفى في شوارع فوا ولم يجده أحد مرة أخرى. لاتزال غرفة الجلوس تذكره بدماء والده. والمعبد المُدمّر — حسنا.

قال بصوت هامس أكثر من أي شيء آخر: «إلى أين يُفترض بي أن أذهب؟».

نهضتْ إيما، واقتربت منه ببطء، كأنها تقترب من أحد الحيوانات.

قالت: «أنت تنتمي إلى الشوتيت، ولكنك في الوقت نفسه ثوفي، وابن كاهنة ومن عائلة كيرسيث، وكل تلك الأشياء. لكنك لا تستطيع أن تنكر أنّ شوتيت هي جزء مما أنت عليه». وضعت إحدى يديها على كتفه بلطف ثم أضافت: «ونحن الأشخاص الذين نريدك أن تكون معنا».

قال أكوس ممتعضا: «نحن؟ ماذا بشأن آرا وسايرا؟ فهما لا تريدانني أن أكون معهما».

قالت إيما: «لا أصدق ما قلته، ولكنني أظنك تقدر فتاتك حق قدرها، وستمنح آرا ما تستحقه بمرور الوقت».

«أنا لا —».

صرختْ إيما قائلة: «بحق السماء أيها الفتى، اذهب إلى المطبخ وحسب».

كانت سايرا تجلس إلى جانب طاولة مطبخه — طاولة المطبخ حيث كان يقوم بحل فروضه المنزلية عليها وهو طفل قبل العشاء، وحيث كان يصعد فوقها لينفض الغبار عن الأحجار النارية بمسحوق زهرة الهشفلور حمراء، وحيث تعلّم أن يفرم ويقطّع ويهرس المكونات اللازمة لصنع مسكّن الآلام — وشعرها مكوّم فوق جانب واحد من رأسها والآخر يلمع بلون فضي. ذراعها ملفوفة بدرع، وعيناها داكنتان مثل الفضاء.

قالت له باللغة الثوفية: «مرحبا» ، فردّ عليها بالشوتيتية: «مرحبا».

قالت سايرا: «لقد هربتنا سيسي إلى داخل ثوفي. فنقاط مراقبة الحدود متشددة للغاية في الوقت الحالي».

قال: «أوه ، هذا صحيح».

«سأسافر الليلة إلى أوغرا برفقة إيما ، بما أني الآن أصبحتُ في حالة جيدة للسفر».

ابتلع أكوس ريقه بصعوبة ثم قال: «أنتِ — ماذا حدث ؟».

ابتسمت بتردد بعض الشيء ثم قالت: «الظلام فوق فوا ؟ يعود لظلالي التيارية فأنا من تصديت للهجوم». لم تكن الابتسامة تلك الابتسامة العفوية التي كان يمكن أن تبديها له قبل بضعة أشهر ، لكنها كانت أكثر مما توقّع. مدّت إحدى يديها لتريه الظلال السوداء التي لاتزال تطفو فوق جلدها ، وهي كثيفة وقاتمة ثم أضافت: «لقد استنفدت الكثير من قواي ، واختفت الظلال التيارية مدة أسبوع. ظننتُ أنها اختفت للأبد. في الواقع ، كانت مُدمّرة عندما عادت. لكني — أتعامل معها. كما هي العادة».

أومأ أكوس برأسه.

قالت: «أنت نحيل. لقد أخبرتني إيما عما فعله بك لازمت».

قال: «سايرا».

«أنا أعرف فقد سمعتُ أشياء كثيرة». أغمضت عينيها ، ثم هزّت رأسها وقالت: «أنا أعرف».

قال مرة أخرى: «سايرا. أنا جدا — ليس هناك كلمات —».

نهضت من مقعدها بجانب الطاولة وهي تمرر أصابعها فوق الخشب وتمشي حولها ثم قالت: «في الواقع ، هناك كثير من الكلمات. في اللغة الشوتيتية ، الكلمة تعني «ندم»

فقط ، لكن باللغة الزولدية ، هناك ثلاث كلمات. واحدة من أجل الإهانات ، وواحدة من أجل الاعتذار العادي ، وواحدة تعني شيئًا يتماشى مع مقولة (ما فعلتُهُ اقتطع جزءا مني)».

أومأ أكوس برأسه وهو غير قادر على الكلام.

قالت: «ظننت أني لا أستطيع مسامحتك ، وأنّ لا قدرة لي على ذلك. ففي نهاية المطاف ، كنتُ على وشك أن أموت ، وأنتَ كنتَ تجلس هناك وحسب».

أجفل أكوس وقال: «لم يكن بإمكاني التحرّك. كنتُ — مُجمّدا. ومشلولا».

قالت وهي تتقدم لتقف أمامه: «أعلم ذلك. ألا تذكر يا أكوس ، ما أخفيه تحت هذا الدرع ؟». رفعتْ الحماية التي فوق ساعدها ثم أضافت: «عندما أريتُك هذه العلامات ، هل فكّرت ، حتى ولو للحظة ، بأني فعلتُ شيئًا لا يمكن أن يُغتفر ؟».

كان قلب أكوس يخفق بشدة ، مثلما خفق عندما ارتعب ، ولم يكن يعرف السبب.

قالت: «كلا ، لم تُفكّر بذلك. فقد أظهرتَ لي الرحمة ، وتيكا أظهرت لي الرحمة ، وحتى إيما ، بأسلوبها». مدّت يدها نحوه ، نحو خدّه. فتراجع.

كان قبول مسامحتها أصعب من قبول إدانتها لأنّ هذا كان يعني أنّ عليه أن يتغيّر.

قالت: «هذه المرة ، دعني أكون الشخص الذي يقول لك — كنتَ صغيرا ، وجائعا ، ومُنهكا. وفي حالة ألم ، وأنتَ مُشوّش ، ووحيد. وإذا تظن بأني — سايرا نوفاك ، كرباج رايزك ، وقاتلة أمي — لا أستطيع أن أتفهّم ما حصل لك ، إذا كنت لا تفهم حقا من كنتُ أنا ، وماذا فعلتُ». راقبها أكوس بعناية وهي تتكلم ، وهي تُقّربُه منها وتلمس جبينها بجبينه ، لكي يبقيا ينظران إلى بعضهما ، ويتنفّسان الهواء نفسه.

قال: «ما فعلتُه أنا. اقتطع جزءا مني».

قالت: «لابأس ، أنا أيضا مُقطّعة إلى أجزاء وأُعيد تقطيب أجزائي معا».

ابتعدتْ عنه وقالت: «بالنسبة إلى الوقت الراهن. كن فقط صديقي مجددا ، اتفقنا ؟ ويمكننا التكلم بشأن كلّ المسألة لاحقا (أنا لاأزال أحبّك ، ماذا بحق الجحيم يمكننا أن نفعل بهذا)».

ابتسم أكوس.

قالت: «أرني منزلك. هل هناك صور مُحرجة لك ؟ لقد أخبرتني أختكَ أثناء الرحلة أنك كنتَ دقيقا جدا بشأن جواربك».

قادها أكوس إلى الطابق الثاني ، وأصابعه متشابكة مع أصابعها ، ففتح كل أدراجه ، تاركا نفسه ليكون مثارا للسخرية بشكل كامل.

عزيزتي سيسي ،

آسف لأني لم أنتظركِ. فلم أكن متأكدا من موعد عودتك ، وعوامتي ستغادر. آمل أن تتفهمي سبب عدم قدرتي على البقاء. فلا مكان لي هنا بعد الآن. لكن دعينا نعقد اتفاقا. حاولي تخفيف حدة هبتك التيارية عندما تقدمين استشارتك لإيساي ، سأحاول التوقف عن لوم نفسي بشأن إيجية وجوريك وهيسا.

شخصيا ، أظنّ أنّ الجزء الخاص بك أسهل بكثير ، ولذا يجدر بكِ أن تأخذي كلامي على محمل الجد.

لكني جاد – أنتِ لستِ محرّكة دُمى يا سي ، رغم أني أعرف أحيانا أنكِ تريدين أن تكوني كذلك. ربما تناسبك السلطة ، لكن يجب التعامل معها بحرص ، هل تعلمين ذلك ؟

الأن سأكون بعيدا عنك ، في أوغرا ، أبعد مما كنتُ عليه وأنا في شوتيت ، لكن هذه المرة ستكون بشكل مختلف. هذه المرة ، أستطيع أن أزوركِ. هذه المرة ، أستطيع أن

أكون ما أريد أن أكون ، وأذهب إلى حيث أريد أن أذهب.

سوف أفتقدكِ. توخّي الحذر – أكوس.

ملاحظة ، لا تقلقي ، سوف أتكلم مع أمي في نهاية المطاف.

الفصل السادس والخمسون

سايرا

بعد مُضيّ موسم واحد.

استيقظتُ على وقع سماع دندنة بصوت منخفض، وصوت تب، تب، تب، لسكين فوق لوح تقطيع. كان ينظر إلى الجانب الآخر، وكتفاه محنيتان فوق الطاولة الضيقة. لم تكن كومة المكونات التي بجانبه مألوفة؛ شيء أوغراني تعلّم استخدامه بنصف دزينة من الطرق منذ أن كان يدرس على يدي زينكا.

تمطيّتُ فأصدرت ركبتاي صوت طقطقة وأنا أمدّدهما. كنتُ قد غرقتُ في النوم على صوت تلك الخلطة التي تفور فوق الفرن، لكنه حينها كان يجلس على طرف السرير، وهو يقرأ كتابا شوتيتيا ويحمل مترجما في يده في حال احتاج إليه. لقد حقق تقدما سريعا في تعلّم الحروف الشوتيتية، لكن كان هناك عدد غير قليل منها يجب تعلّمه، وسيستغرق الأمر مواسم من أجل إتقانها.

قال: «سمعتُ صرير ركبتيكِ يا جلالة الملكة».

قلتُ وأنا أتثاءب: «جيد، حسنا، فأنت لستَ مهمِلا كما يبدو عليك».

نهضتُ وعانقتُه. كان هناك ضماد على ذراعه — نوع من مجسات نبتة أوغرانية سامة كانت قد التفّت حوله وهو يقطفها، ونهشتْ جلده مثل الأسيد. كانت قد امتدّت عبر علامات ذراعه الشوتيتية لكن لم تمحُها كليا.

قلتُ وأنا أشير للمادة التي يفرمها: «تبدو مقرفة». كانت حبيبات خشنة سوداء

اللون وكأنها مغمورة في زيت محرك. وقد لطّختْ أطراف أصابعه بلون رمادي.

قال: «وطعمها مقرف أيضا. لكن إذا فعلتْ ما أظن أنها ستفعل، ستحصلين على مُسكّن آلام لن يجعلك تشعرين بالنعاس خلال النهار».

قلتُ: «ليس عليك أن تخصص الكثير من الوقت على المُهدّئات. فأنا أتدبّر أمري بتلك التي لديّ».

قال: «أنا أستمتع بصنعها. وأنتِ تعلمين أنّ الأمر لا يتعلق بك فقط».

«كم أحب عندما تتكلم معي بلطف». لففتُ ذراعي حول خصره وأنا أتنشّق رائحة الأشياء الطازجة التي تفوح من كل ملابسه في فترات بعد الظهر، بعد أن يذهب إلى البيت الزجاجي الصغير في السفينة.

لقد أعارنا الأوغراني سفينتين من أجل رحلة إقامتنا المؤقتة هذا المواسم. وكانتا أصغر بكثير من سفينة الإقامة المؤقتة السابقة، ولهذا لا يستطيع كل الشوتيت المستوفين للشروط الذهاب، لذلك لجأنا إلى القرعة. لكنّ الرحلة ستجري، وهذا ما كان يهمّ معظمنا — خاصة المنفيين، الذين لم يكونوا قادرين على القيام بالرحلة منذ عدة مواسم.

كان الكوكب الذي سوف يُبحث فيه عن المواد المفيدة هو تيبيس. والقرار حرّكته دوافع سياسية، أكثر منها استرشادا بالتيار، كما يفترض أن تكون.

كان تيبيس وأوغرا وشوتيت معا في نقاش مستمر مع أوثير وثوفي وبيثا بشأن الكهنة. وكانت كلمة نقاش تعبيرا غير دقيق، بما أنّ الأجواء، كما عبّرت تيكا عنها، كانت «متوترة قليلا»، وسيئة، بكلمات أخرى.

لم يعد الانقسام حول هذا الموضوع مسألة «إذا»، بل مسألة «متى» سيحدث. كانت المشكلة أنّ بقية كواكب المجلس تريد الاحتفاظ بكهنتها لكنها تفرض مبادئ توجيهية صارمة حول كيفية ممارساتهم، وهذا بالنسبة إلى الكهنة، لم يكن مقبولا. لم أكن متأكدة

بماذا أفكر، بعد تعاملاتي مع سيفا. لكن لحسن الحظ، لم يكن الأمر منوطا بي.

كانت آزا رئيسة الوزراء، ومسؤولة عن اتخاذ معظم القرارات. لقد أجريتُ استشارات عندما احتجتُ لذلك، وحاولت إدارة الجانب الديبلوماسي من الأشياء، رغم أني لم أكن بارعة في ذلك. لكني كنتُ أعرف الكواكب الأخرى. فقد أمضيتُ كل حياتي وأنا منبهرة بها. وكان موهبتي اللغوية مفيدة، بما أنّ الناس كانوا يحبون سماع الأجانب وهم يبذلون بعض الجهد.

توقف أكوس عن الفرم واستدار ليصبح بين ذراعي، ولذا ثبّتُهُ على المنضدة. كان يرتدي واحدا من قمصان أبيه القديمة المهترئة والمرقّعة عند المرفقين، ذات اللون القرمزي الخاص بثوفي.

لاتزال عيناه الرماديتان قلقتين دائما — بدتا حزينتين بعض الشيء، وهما كذلك منذ الأمس. كانت آرا كوزار على متن سفينتنا، بفضل الصدفة أو القدر، أو أيا يكن ما أؤمن به هذه الأيام. لا تزال تتجنب النظر إليه، وأعلم أنّ وجودها هنا كان صعبا عليه، رغم أني كلما أتحدث في الأمر كان يكتفي بالقول: «ليس الأمر صعبا عليّ بقدر صعوبته عليها» ما من شك في ذلك.

رفعتُ رأسي قليلا وقبّلتهُ بلطف. استجاب لي بلفّ إحدى ذراعيه حول ظهري ثم رفعني إليه. استغرقنا بعض الوقت حتى ابتعدنا عن بعضنا.

قلتُ: «إننا نعبر خلال الدفق التياري اليوم. هلّا أتيتَ معي؟».

قال: «إن كنت لا تعلمي، فتذكري أنني أذهب معك إلى أي مكان تقريبا».

لمسَ أنفي بأحد أصابعه الملطخة باللون الرمادي، فترك أثرا حتى أنا كان بإمكاني رؤيته من زاوية عيني.

«هل لطّختَ أنفي وأنا على وشك الخروج؟». ضحك وأومأ برأسه.

قلتُ: «أنا أكرهك».

فأجابني: «وأنا أحبّكِ».

سألتني تيكا: «ما هذا الذي على أنفكِ».

كنا في غرفة المراقبة داخل السفينة، والتي كانت فوق قمرة الملاحة مباشرة، حيث طيارونا وفنيو الرحلة ينطلقون في الأرجاء من أجل التحضير للمرور عبر الدفق التياري. مشينا نحو الحاجز الذي كان بارتفاع الخصر ويفصلنا عن النافذة الضخمة التي تُظهر لنا الدفق التياري.

كان الجزء الداخلي من السفينة الأوغرانية داكنا – كما هو مُتوقّع – وغير متساوٍ في الأمكنة. فالأرضية كلها، في أي مكان تكون فيه، عبارة عن ممرات ضيقة مصنوعة من مادة شبكية، ترتفع فوق برك مياه ضحلة تتوهج ببكتيريا حيوية مضيئة. كانت جميلة ومُخيفة، لكنّ أكثر من شخص سقط فيها واضطر إلى الذهاب إلى جناح المرضى في السفينة. شيء جديد يجب التأقلم معه.

لقد سبقنا أكوس بالوقوف هنا، فقد حجز الأماكن لنا، بما أنّ الممر أصبح أكثر ازدحاما، ورغم أنّ الناس في الحقيقة سوف يبتعدون عن طريقي في حال اقتربتُ منهم على أية حال. حاولتُ أن لا أهتم بشأن ذلك. وقفتُ بينه وبين تيكا، واستمعتُ لصراخ القبطان من أجل تهيئة أنفسنا.

مدّ أكوس يده إلى يدي بينما كانت السفينة تقترب أكثر من الضوء الأزرق. سيترك يدي عندما ندخل الدفق التياري، لكي يدعني أشعر بتأثيراته، رغم أنها مؤلمة، لكني شعرتُ بالراحة لوجوده هناك ونحن نقترب. كان قلبي يخفق بشدة. لقد أحببتُ هذا الجزء.

لكنّ المفاجأة الحقيقية، كانت يد تيكا وهي تُمسك بيدي من الجانب الآخر. ثمة ابتسامة نشوة على محياها.

قالت لنفسها أكثر مما تقول لي: «أنا شوتيتية. وأنا حادّة كنصل سكين، وقوية مثله...».

كانت تحويرا للقصيدة الأخرى التي رأيتها مكتوبة على أحد الجدران في فوا، تلك التي كُتِبتْ كانتقاد لحكومة نوفاك:

أنا شوتيتي

أنا حاد كزجاج مُكسّر، وهش بمقدار هشاشته.

أنا أرى كل المجرّة مع أني لم ألمحها أبدا.

لقد أحببتُ القصيدة الأخرى أكثر، لأنها تذكير بهشاشتي، ونزعتي لأرى ما أردتُ أن أراه. لكنّ هذه النسخة كانت جيدة أيضا.

لقد دُهشتُ عندما انضمّ أكوس إليها في ترديد الكلمات الأخيرة: «أرى كلّ المجرّة»، فقال: «وهي كلّها ملكي».

ترك أكوس وتيكا يديّ، في الوقت نفسه تقريبا. عندما غاصت السفينة داخل الضوء الأزرق.

الخاتمة

إيجية

نعود إلى هيسا في الخفاء.

بدا الأمر ، لبعض الوقت ، خطيرا جدا بالنسبة إلينا ، لكنه أيضا أمر لا مناص منه. ولذا انتظرنا إلى حين ذهب الشوتيت في رحلة إقامة مؤقتة مرة أخرى ، وحجزنا مقعدا في رحلة باسم مزيف ، ذلك الاسم الذي اشتريناه من أحد المجرمين في النقطة P1104 بعد أن هربنا من فوا.

استأجرنا معطفا من متجر الملابس المستعملة في الساحة الرئيسية ، لأننا لا ننوي البقاء لمدة طويلة. صعدنا إلى قمة تلة هيسا سيرا على الأقدام ، كما كانت العادة دائما. قاعة التنبّؤ مغلقة لإجراء التصليحات ، لكننا نعرف كل الطرق المؤدية إلى الداخل ، تلك التي لا يعرفها الآخرون. نحن نتذكر ذلك على الأقل.

هناك فجوة كبيرة في سقف قاعة التنبّؤ الذي على شكل قبّة ، ذات حواف خشنة من الزجاج الأحمر. لا نعرف ما الذي استخدمه الشوتيت من أجل تحطيم القبّة ، والأسلحة التي اختاروها ، أيا تكن ، فقد مرّ وقت طويل منذ أن تمّ تنظيفها. نحن نقف في وسط الأرضية ، حيث وقفتْ واحدة من أمهاتنا ذات مرة وهي عارية القدمين ، لكي تتلقّى المستقبل.

نحن نرى — مجرة مقسمة إلى قسمين ، والكهنة يهربون إلى أوغرا وتيبيس وزولد. وسفن المجلس تمضي قُدُما ، وتتجاوز. انفجارات صغيرة مضادة للتيار. الفرص تختفي بينما

تجد الأرواح نهاياتها.

نحن نرى – الشوتيت يهبطون إلى تيبيس وهم يرتدون ملابسهم الخاصة التي تحمي من الحرارة. ويسدّون أنوفهم من رائحة القمامة البيضاء الساخنة. ثمة رجل ينُظّف الرمال من أحد الضواغط السليمة. وامرأة تحمل قطعة زجاج مُدوّرة تحت الشمس.

نحن نرى – إيساي بينيسيت ، وهي ترتدي فستانا أحمر ثوفيا. تقف خلف صفيحة من الجليد حيث أزهار الهشفلور على وشك أن تتفتّح. وخلفها ، بالرداء الأحمر نفسه ، والظل يغطي نصفها ، سيسي كيرسيث ، تُبدي ابتسامة غامضة. رأسُها مُزيّن بعصابة فضية رفيعة ، وهي الزينة الخاصة بزوجة مستشار. تتفتّح الأزهار وتنفرد.

نحن نرى – أيدينا التي تقبض على الأحزمة التي تغطي صدورنا بينما كانت السفينة تهبط وتهبط وتهبط عبر الغلاف الجوي الكثيف. وخطوط الضوء التي تُميّز سطح أوغرا مثل الشرايين ، تظهر تحتنا. نحن شوتيت. نحن لسنا شوتيت. لكن في كلتا الحالتين ، نحن كاهن ، وهذا لا يمكن أن يتغيّر ، ولذا نحن نعود إلى معبد أوغرا ، لنتعلّم. ونرى ماذا يمكن أن نصبح لاحقا.

نحن نراهما. أكبر في العمر. الجلد الفضي يلمع في جانب واحد من رأسها. وزاويتا عينيه الرماديتين تتغضنان وهو ينظر إليها. إنهما يقفان بين حشد تحت سفينة هائلة. ترتفع عاليا فوق السفن الأخرى في رصيف التحميل. سفينة إقامة مؤقتة جديدة. يُمسك بيدها. ويمشيان باتجاه السفينة معا.

تقدير

شكرا لكم —

نيلسون ، شريكي في كل شيء ، لحزنك معي عندما أحزن ، ولفرحك معي عندما أفرح.

كاثرين تيغان ، لكونها داعمة لي دائما ، ونزيهة ، وهي بالضبط ما أحتاجه في أي محرّر.

جوانا فولب ، لروح دعابتها ، وإرشادِها ، وقدراتها الخارقة في العصف الفكري.

ديفين روس ، لتحمّل إيميلاتي بروح دعابة جميلة. هيلاري بيشيون ، لتعليمها لي الكثير من حكمة وسائط التواصل الاجتماعي. بويا شهبازيان ، لامتلاك غرائز جيدة وصبر ، وكريس مكوين ، لرسائله الهاتفية الذكية. وكاثلين أورتيز ، وميرا رومان وفيرونيكا غريجالفا ، لتنقّلهم في أرجاء العالم من أجل إيجاد أماكن لكتبي. والجميع في نيو ليف ليتراري ، لروعتهم بشكل عام. وستيف يونغر ، لإبقائه كل شيء على الصراط المستقيم... لكن بطريقة ممتعة. وتوري هيل ، لصداقتها ولتذكّرها لكل الأشياء!

وروسان رومانيللو ، لعقلها الاستراتيجي الرائع وضحكتها المُعدية. وبيس براسويل ، لأفكارها الرائعة وقلبها الدافئ. وسيندي هاميلتون ، ونيللي كورتزمان ، وأودريه ديستلكامب ، وسابرينا أباللي ، في الدعاية والتسويق ، لكل التخطيط والعصف الفكري والمناصرة التي يمكن أن أتمناها. ومايبل هسو ، لصبرها معي ، وعملها الدؤوب. وأندريا بابينهايمر ، وكاثي فايبر ، وكيري موينا ، وكيرستين بورز ، وهيذر دوس ، وسوزان ياغر ، وجيسيكا آبيل ، وفران أولسون ، وجيسيكا مالون ، وجينيفر ويغاند ، وديبورا مورفي ،

وجيني شيريدان ، وريك ستارك ، لحماستهم ودعمهم. وبرينا فرانزيتا ، لإبقاء عينيها على كلماتي وعوالمي منذ رواية دايفرجينت ، وإليكساندرا راكاسزكي ، وفاليريا شيا ، وجوش ويس ، وغوين مورتون في إدارة التحرير ، لإبقائهم كل الأشياء الصغيرة في المسار الصحيح. وآيمي ريان ، وجويل تيبي ، وإيرين فيتزسيمونز ، وبارب فيتزسيمونز لتقبّلهم الانتقاد وتحويله إلى أفكار في التصميم ، مثل السحر. وجين مكغينلي ، لعمله الدؤوب مع أصدقائنا حول العالم. ونيكول موليسون ، وكريستين إيكهاردت ، وفانيسا نيوتري في الإنتاج ، لجمعهم كل شيء في حزمة واحدة بشكل رائع. وأخيرا وليس آخرا ، برايان موراي ، وكايت جاكسون ، وسوزان مورفي ، لكونهم قادتنا الجسورون منذ البداية.

كورتني سمرز ، ومورين جو ، وسميّة داوود ، لقراءاتهم المبكرة (والسريعة!) ، وملاحظاتهم المدروسة ، ولتشجيعهم. وسارة إيني ، للأحاديث الكثيرة والعظيمة. ولكونها إلى جانبي خلال السفر... وفي كل مكان آخر. ومارجي ستول ، للاعتناء الدائم بعقلي. وأليكسيس باس ، وآيمي لوكافيكس ، وديبرا دريزا ، وكايتلين ورد ، وكارا ثوماس ، وكايت هارت ، وكودي كيبلنغر ، وكريسين هالبروك ، ولوري ديفوري ، وليلى أوستين كوللي ، وميشيل كريس ، وفيبي نورث ، وسمانثا مابري ، وستيفاني سينكهورن ، وستيفاني كوهن ، وكريستين هوبارد ، لمساعدتهم لي خلال الأوقات الصعبة والاحتفاء بي خلال الأوقات غير الصعبة كثيرا. (أنتم جميعا منحتموني أكثر بكثير مما أستطيع أن أقول). وكل جماعة يال ، لأجل العمل الرائع الذي قمنا به معا... حتى عندما أكون متأخرة مع اللجان ، وهذا يحدث دائما. وبضعة أنماط خاصة بالمؤلفين – يعرفون أنفسهم – لتواصلهم بلطف وحكمة في اللحظات المناسبة تماما.

عائلتي – تلك التي وُلِدتُ فيها ، وتلك التي حصلتُ عليها لاحقا ، وتلك التي حصلتُ عليها كمكافأة عندما تزوجت – لمنحي أماكن في كل أنحاء العالم كي أشعر بالأمان وبالحب. وأصدقائي ، لمساعدتي في الخروج من التقوقع عندما أحتاج لذلك. وقُرّائي ، لتتبعهم لي إلى عوالم جديدة. وكل النساء في حياتي ، لتقديرهن لي مع قدرتهن على الصمود.